

جامعة الإمارات العربية المتحدة

اللغة العربية

الكتاب الثالث

صنفه

الأستاذ الدكتور / محمد إبراهيم حُوَّر

الأستاذ الدكتور / محمد أبوالفتوح شريف   الدكتور / عبدالكريم جواد الزبيدي

الدكتور / وليد محمود خالص   الدكتور / أحمد طاهر حسنين



مطبوعات جامعة الإمارات العربية المتحدة

١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م



جامعة الإمارات العربية المتحدة

اَللُّغَةُ اَلْعَرَبِيَّةُ
الكتاب الثالث

الأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم خُوَّر

الأستاذ الدكتور/ محمد أبوالفتوح شريف — الدكتور/ عبدالكريم جواد الزبيدي

الدكتور/ وليد محمود خالص — الدكتور/ أحمد طاهر حسنين

مطبوعات جامعة الإمارات العربية المتحدة

١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م

اللغة العربية - الكتاب الثالث - جامعة الإمارات العربية المتحدة ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م


بسم الله الرحمن الرحيم

* « مقدمـــــة » *

يُعدُّ مَساقُ اللغةِ العربية، مادةً أساسيةً يدرُسُها طلبةُ جامعةِ الإماراتِ العربيةِ المتحدة، ضمنَ مساقاتِ الثقافةِ العامة، في متطلباتِ الجامعةِ.

وتهـدفُ الجامعةُ من وراءِ هذا المساقِ، إلى تزويدِ الطلاب، بمادةٍ علميةٍ تسـاعدهُم على إتقانِ المهاراتِ الأساسيةِ، في اللغةِ العربيةِ : قراءةً، وكتابةً، وسمـاعًـا، ومحـادثـةً. وأن تكـونَ المـوضـوعـاتُ التي تُتَنـاولُ بالـدرس ، من الموضوعاتِ العلميةِ المتنوعةِ في مختلفِ فروعِ العلمِ والمعرفةِ؛ بالإضافةِ إلى النصوصِ الشعريةِ والنثريةِ ذاتِ القيمةِ الفنيةِ الرفيعةِ، والمضمونِ القاصِد.

وأخذًا بهذه الأهداف ، كان وَضْعُ هذا الكتابِ لمساقِ اللغةِ العربية (١) وقد تَكَفَّلتْ به لَجنةٌ من أعضاءِ هيئةِ التدريسِ بقِسمِ اللغةِ العربيةِ بكليةِ الآداب.

وحـرصتِ اللجنـةُ على أن يشتملَ الكتابُ على تمهيدٍ يُعرِّفُ بقواعدِ النُّطقِ والكتابةِ، وعلى وحداتٍ متكاملةٍ تُعالجُ في كلِّ وحدةٍ، القضايا الأساسيةُ : أدبًا، ولغَة، ونحوًا، وفنًا. فاشتملت هذه الوحداتُ على تعريفٍ بصاحبِ النصِّ، وبيانِ موسيقـاه - إن كان شعرًا - والتعليقِ العامّ عليه، وإظهار عناصرِ الجمالِ فيه، فتطبيقاتٍ نحويةٍ وصرفية؛ وخَتمت بتدريباتٍ عامة. وقد توخَّينا التفصيلَ في كلِّ وحـدة، والإكثـارَ من التـدريبـاتِ، لأنها تساعدُ الطالبَ على التأكُّدِ من مدى استيعـابِـهِ للمـادةِ التي درسها، وتُوجِدُ علاقةً بين المدرِّسِ وطلابِهِ من خلالِ المناقشةِ والتحليلِ ، وتعملُ على اكتشافِ مهاراتِ الطلابِ واستعداداتِهم.

وإدراكًا من اللجنةِ أنَّ الطلبةَ ينتمونَ إلى كلياتٍ مختلفةٍ، وتخصصاتٍ متباينةٍ؛ فإنَّها حَاوَلَتْ أن تُعالجَ موضوعاتٍ ذاتَ صلةٍ مباشرةٍ بهذه التخصصاتِ، تناوَلَها علماءُ متمكِّنونَ من مادتِهم العلميةِ، وعبَّروا عنها بلغةٍ أدبيةٍ رفيعة. وتَطَلَّعْنا بهذا إلى أن نُقرِّرَ حقيقةً قائمةً؛ هي أنَّ اللغةَ العربيةَ، لغةُ علمٍ وأدبٍ وفن. وهي لغةٌ

سَلِسَةٌ متطورةٌ، قابلةٌ لاستيعابِ المفرداتِ والمصطلحاتِ المستحدثةِ، بالاشتقاقِ أو التعريب.

ويسهـلُ التعبيرُ بهـا عن كل هذا، بأسلوبٍ طليٍّ، وعبارةٍ مُبينةٍ، متى ماتمكَّن أبناؤها منها، وحرصوا على التعبير بها.

ولم يُغفِلْ مؤلفو الكتابِ مالكتابِ اللهِ المجيد، وللحديثِ النبويّ الشَّريفِ، من أهميةٍ في ترسيخِ المفاهيم الإسلاميةِ الصَّحيحةِ في عقلِ الطالبِ ونفسِهِ، وصقل اللغـة وتهذيبها؛ فكانَ أن تَناولوا بالدرسِ آياتٍ من سورتين كريمتين، وبعض الأحـاديث الشريفة، أظهروا فيها عمقَ الفكرةِ في نصوصِ القرآنِ والحديث، ودلَّلوا على إعجاز القرآن الذي لايُدانى . كما درسوا نصوصًا من الأدبِ العربيِّ القديم - شعرِه ونثرِه - وهم يهدفون بهذا إلى التَّعرُّفِ على تطوُّرِ الأساليبِ الأدبيةِ من عصرٍ لآخر.

كما عملتِ اللجنةُ على أن يكونَ الكتابُ مضبوطًا بالشكلِ ، لسهولةِ تناوُلِهِ، وسلامةِ التعبيرِ عندَ قراءته.

وهي إذ تضعُ هذا الجَهْدَ بينَ أَيدي الزملاءِ أعضاءِ هيئةِ التدريسِ ، والطلابِ الأَعزاءِ، فإنها تأْملُ أنْ يُنْتَفَعَ به، وأن يُحقِّقَ الهدفَ الذي أُعِدَّ من أَجلِهِ. وباللهِ التوفيق.

المؤلفون

مُقَدِّمَـــةٌ لُغَوِيَّـــةٌ
فـــي
النُّطْـقِ وَالْكِتابَـــة

مَدْخَـلٌ عـــامٌ

يَبـدْأ الـطالبُ دراستَه الجامعيةَ، ومعه حصيلتُه اللُّغَويّة طَوالَ دراستِه السابقةِ كلِّها. ومُهمّةُ الجامعةِ أن تُنَمِّيَ له هذه الحصيلةَ، وتطوِّرها بما يَتَّفِقُ مع إعدادِه الإعدادَ الجيّدَ، سواء في حقلِ تخصصِه، أو لخدمةِ الحقولِ المعرفيةِ الأخرى.

ويأتي قبلَ ذلك، مهمةُ الجامعةِ في تنقيةِ تلك الحصيلةِ المختزَنةِ مما يكونُ قد ران عليها من كدر، أو شابَها من غبار، بل وتعديلِ مسارِها التعديلَ السليم؛ ذلك أنه يَحْدُثُ أحيانا - إن لم يكن غالبا أو القاعدة - أنَّ الطالبَ يَرْكَنُ طَوالَ حياتِه إلى نمطٍ في النطق أو الكتابة يكونُ قد نشأ معه، وهذا النمطُ - في بعض مواضعِه - لايكونُ دقيقًا، وهنا يظلُّ الطالبُ يُرَدِّدُه حتى بعد تخرُّجِه.

مهمةُ الجامعةِ أن تقفَ مع الطالب في أُولى سنوات حياته فيها وقفةً متأنيةً - وربما أخيرة - تُراجِع معه فيها كلَّ حساباتِه اللغويةِ، مما يَلْحَظُه الأساتذةُ على طلابِ السنةِ الأولى بالجامعة، في إطارِ ما يُعْرَفُ بالأخطاءِ اللُّغَويَّةِ سواء في النطقِ أو الكتابة.

اَلْقِسْــــمُ الْأَوّل : في النُّطْـق

أولا : هناك عددٌ من القواعدِ الأساسيةِ، التي تنبغي مراعاتُها عندَ قراءةِ نصوصٍ مكتوبةٍ باللغةِ العربية، وبالتالي يجبُ الحِرْصُ عليها حين التحدّثِ أيضا بالعربيةِ الفصحى، ومن ذلك :

١ - إخراجُ اللسانِ عندَ نطقِ الحروف: ذ / ث / ظ

٢ - همـزة (ال) همزة وصل تُكْتَبُ ولاتُلْفَظُ. فإنْ كانت اللام قمرية نطق بها المتكلّم. تقـول : (يجـوزُ الْعكس)، فينتقل لسانك من الزاى إلى اللام مباشرة، وإنْ كانت اللام شمسية لم ينطقها المتكلّم. تقول: جاءَ الطّالبُ، فينتقل لسانك من همزة (جاءَ) إلى الطّاء المشدَّدة.

٣ - حينَ الوقوفِ على آخرِ كلمةٍ، سواء كما يَتطلَّبُ السياقُ، أو على قَدْرِ طاقةِ نَفَسِك، عليك أن تقفَ بالسكونِ، لا بالحركة، فتقولُ مثلا : «وَقَدْ حَدَثَ هذا الْمَـوْقِفْ» فتقفُ بسكونٍ على الفاء. وإذا كانت الكلمةُ منتهيةً بتاءِ التـأنيث، فلك أن تقفَ عليها بالهاء، تقول : «كان ذلك يومَ الجُمُعَةْ» فتنطقُ هاءً ساكنةً، آخرَ كلمةِ «الجُمُعَة.»

٤ - حينَ يكونُ ثمةَ فعلٌ ماضٍ، متصلٌ بتاءِ تأنيثٍ ساكنة، فإن هذه التاءَ قد تُحرَّكُ بالكسرة حين تُتْلَىٰ بكلمةٍ فيها أداةُ التعريف (الْ)
تقول : «قالتِ الْبِنْتُ» ، فتنطقُ التاءَ في «قالت» وكأنها مكسورةٌ (رغمَ كونها تاءَ تأنيثٍ ساكنة وذلك لأجلِ التخلصِ من التقاءِ الساكنين. (يُطَبَّقُ هذا أيضا حين تُتْبَعُ تاءُ التأنيثِ بألفِ وَصْلٍ، مثل: قَالتِ امرأة.).

٥ - بَعْد فِعْلِ «قال» أو أحدِ مشتقاتِه، تكونُ همزةُ إنَّ دائمًا مكسورة.

٦ - عنـدَ الإجـابـةِ على استفهامٍ منفيٍّ، تقولُ : «بَلَى» إنْ أردت الإثبات، وتقولُ : «نعم» إنْ أردت النفي .

تَدْريـــــب :

اقرأْ مايلي ، محاولا تطبيقَ مادرستَه في الجزء السابق :

١ - قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴾.

٢ - وقال : ﴿ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ .

٣ - قرأت في الجزء الأول من المجلد الأول للكتاب المذكور، أن ثمة عددا من النواحي الإيجابية التي لاشك أنها موجودة بجانب النواحي السلبية .

٤ - كانت « خيبر » أول فتح إسلامي ، وهي واحة تبعد حوالى مائة ميل إلى شماليّ المدينة على الطريق إلى الشام . وكان يسكنها اليهود الذين أُخرج بعضهم من المدينة . وقد استطاع الرسول ﷺ أن يسيطر على واحة خيبر، خلال ستة أسابيع ، وسمح لليهود أن يحتفظوا بأهلهم ، ويمارسوا دينهم ، وسمح لهم بالبقاء في حقولهم مقابل دفع نصف المحصول للمالكين الجدد .

٥ - قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ .

٦ - وقال : ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ﴾.

٧ - قال تعالى : ﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ ﴾
وقال : ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ ﴾
وقال : ﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴾ .

وقال : ﴿ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴾.

٨ - قال تعالى : ﴿ . قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِي ﴾
وقال : ﴿ قَالَ أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ﴾.
وقال : ﴿ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡ قَالُواْ بَلَىٰ ﴾.

ثانيا : اللغةُ العربيةُ بها عددٌ من الحروفِ التي قد يُظَنُّ أنها مُتقارِبة، مع أَنّ فارقَ النطقِ بينها كبير. ولا أدلَّ على ذلك من أنك لو استبدلت بعضَها بالآخرِ، لأَدَّىٰ ذلك إلى خطإٍ جسيمٍ في المعنى. مثالُ ذلك :

١ - التاء والطاء، في كلمات :
تَبِع، طَبَع / تَرِبَ، طَرِبَ / تَتَبَّعَ، تَطَبَّعَ / أَتاحَ، أَطاحَ / تَلٌّ، طَلٌّ / تينٌ، طينٌ.

٢ - الدال و الضاد، في :
نَقَدَ، نَقَضَ / دَجَّ، ضَجَّ / دَالٌّ، ضَالٌّ / دَعَةٌ، ضَعَةٌ.

٣ - الزاي و الظاء، في :
زَهَرَ، ظَهَرَ / زَنَّ، ظَنَّ / زاهِرٌ، ظاهِرٌ / زُهورٌ، ظُهورٌ.

٤ - السين و الصاد، في :
سارَ، صارَ / أَسَرَّ، أَصَرَّ / سَدَّ، صَدَّ / سَيَّرَ، صَيَّرَ / سَدَىٰ (الثوب)، صَدَىٰ (الصوت).

٥ - الكاف و القاف، في :
كَلْبٌ، قَلْبٌ / نُكْتَةٌ، نُقْطَةٌ / فَرَكَ، فَرَقَ / كاتِمٌ، قاتِمٌ / تَكَبَّلَ، تَقَبَّلَ / كَدْحٌ، قَدْحٌ / كادَ، قادَ / كَدَّسَ، قَدَّسَ / كَرَّرَ، قَرَّرَ.

تَدْريـــب :

املأ الأماكنَ الخاليةَ بما تراه مناسبا مما بين القوسين مع تعديل الصيغة بما يلزم:

١ - قلـت إذا أردت أن . . . . أخي، فمرحبا بـك . (تبـع/ طبـع)
٢ - . . . . لـه هـذه الفرصـة أن يعرفهـم جيـدا . (أطـاح/ أتـاح)
٣ - ظلـوا. . . . ديـوان شعـره حوالـي ساعتيـن . (نقـض/ نقـد)
٤ - دعـا البـريء ربـه كـي . . . . . . براءتـه . (زهـر/ ظهـر)
٥ - لـم أضحـك عنـد سماعـي. . . . . . . (النقطة/النكتة)
٦ - كانـت خزائنـه. . . . . . بالذهـب والفضـة . (قدس/ كـدس)
٧ - أتمنـى لـك مستقبـلا. . . . . (زاهـر/ ظاهـر)
٨ - لقـد عاشـوا فـي نعيـم و. . . . . (ضعـة/ دعـة)
٩ - « فاظفـر بـذات الديـن. . . . . يـداك » . (طرب/ ترب)
١٠ - أنا فعلا أحب. . . . . . ولكني لا أحب. . . . . (ظهـور/ زهـور)

ثالثا: كلماتٌ يَحْدُثُ خطأً في نطقها بشكلٍ أو بآخَر، ويكونُ الخطأُ عادةً في التشكيلِ الداخليّ لها (وهذا بالطبع يختلفُ عن تشكيلِ الإعراب الذي يكونُ عادةً في أواخرِ الكلمات):
يجيءُ تصويب هذه الكلمات على النحو التالي:

* حَلْقة - رَقْم - بَدْء - لُغَويّ - عِلْمُ العَروض - بَرْنامَج - مِصْر - ذو القَعْدَة - ذو الحِجَّة - جَهْوَرِيُّ الصَّوْت - بِرْميل - بُدائِيّ - سَبُّورة - مُسَوَّدَة - سَحـور - فَطور - غِلاف - إِخْوَة - كَنْز - خَصْم - صُلْب - رَماد - تَجارِب - إِرْبا إِرْبا -

رَصــاص – شَزْرا – شاهِــدُ عِيان – كِبْــريــت – غُضْـروف – هَضْــبَـة – جَعْبَـة – صِمامُ أَمْن – مدينة الخُرْطوم – فَهْم – عُصْفور – جُلْطَة – خُلْسَة – فِقْـرَة – مِنْطَقـة – حَلْبَة الملاكمة.

* وهناك كلماتٌ يجوزُ فيها صورتان، مثل:
دِلالة، دَلالة / مِشْط، مُشْط / نِفْط، نَفْط / وَزارة / وِزارة / شَغَب، شَغْب / مَعْرِض، مَعَرَض / وَكالة، وِكالة / جَنازة، جِنازة / تُجاه، تِجاه / إِصْبُع، أُصْبُع.
* بعضُ كلماتٍ قليلةٍ، يجوزُ فيها ثلاثُ صور، مثل:
رِشْوَة، رَشْوَة، رُشْوَة / وِسادة، وَسادة، وُسادة.

تَدْريـــــــب :

اِقرأ الجملَ التاليةَ، مع التشكيلِ الداخليِ الصحيحِ للكلماتِ الموضوعةِ فوقَ الخطّ (وإذا كانت هناك أكثرُ من صورةٍ، وضِحْ ذلك):

١ – لم يسجِّل في التليفزيون سوى حلقة واحدة.
٢ – نحن الآن في شهر ذي الحجة.
٣ – مازال يكتب مسودة الكتاب.
٤ – لماذا لم يكن موقفه صلبا من البداية؟
٥ – لم تكن تجاربه الأولى على مستوى فنيّ رفيع.
٦ – أسمع عن هضبة الأهرام، ولكني لم أزرها حتى الآن.
٧ – كانت كلماته السخيفة كَذَرِّ الرماد في عيون الحاضرين.
٨ – يُعرَف عنه أنه جهوري الصوت.

٩ - لم يعجبها كلامه، فنظرت إليه شزرا .

١٠ - لم أقل له كل شيء، فمازال في جعبتى الكثير.

١١ - تصدر وزارة التربية والتعليم نشرات دورية عن الخطط الجديدة.

١٢ - أذاعت وكالة أنباء الشرق الأوسط أن لهذا الموضوع أكثر من دلالة .

١٣ - سوف أقوم بزيارة معرض الفن التشكيلي الأسبوع القادم .

١٤ - اتضح من التحقيق، أن المتهم حصل عَلى رشوة كبيرة.

رابعا : (أ) هناك مجموعةُ أفعالٍ ومشتقاتٍ وجموعٍ لها انماطُ خاصة، وهي :

١ - أفعالٌ مبنيةٌ للمجهول دائما (نضعُها هنا في سياقاتها الشائعة):
جُنَّ عقلُه / غُمّ الهلال / أُغْمِيَ عليه / امْتُقِع لونُه / استُشْهِد في الحرب / اضْطُرّ إلى السفر / اشْتُهِر بالفن / احْتُضِر ومات / تُوفِّيَ بعد صراع طويل مع المرض.

٢ - أفعالٌ عَيْنُ الكلمةِ فيها مشكولةٌ بالكسرة، وهي :
يشتِم / ينحِت / يفقِد / يبطِن / يصلِب / تفطِم

٣ - أفعال يَحْدُثُ خَطَأٌ في تصريفها، والصوابُ هو:
يَغار عليها / أبطأت عليك / أخطأت في المسألة / قرأتُ الكتابَ كُلَّه.
/ آسَيْتُ / آربْتُ موارِبة / آزيتُه أي حاذيتُه.

(ب) هناك عددٌ من المشتقات (اسم فاعل / اسم مفعول / اسم مكان أو زمان / اسم آلة / مصادر) لها طريقةٌ خاصةٌ في الضَّبْطِ، ومن ذلك:
مِزاح / ضَعَة / صَغار / قِران / مِنْطَقَةٌ آهلة (أو مأهولة) بالسكّان /
مَزيد / مَصون / مَهيب / مَعيب.
مِنْبَر / مَأزِق / مَنْسِك / مَجْزِر / مَنْبِت / مَفْرِق / مَسْكِن.
مِبْخَرة / مِبْرَد / مِسْحَل / مِبْضَع / (الجراحة).

(جـ) وهناك مجموعةٌ من الجموع، صوابها مايلي:

إمكـانـات / خَضْـراوات / شَكـاوَىٰ / فَتاوَىٰ / مُعَدَّات (الجيش) / حَلَقـات / مُخَـدِّرات / عِشْـرينِيَّات، ثلاثينـيّات...... : وحـتى تسعينيّات / نوادٍ (جمـع نادٍ) أنـدية (جمـع نَدِيّ) غَيورون، غُيُر / بائسون، بؤساء / عُظَماء (جمع عَظيم) / عِظام (جمع عَظْم).

تَدْريـــــب :

(أ) اضبط التشكيلَ الداخليَ لكل كلمةٍ تحتَها خط:

١ - ظل يعمل ساعات متواصلة حتى أغمي عليه.

٢ - بعض الأمهات يفطمن أولادهن لأقل من سنة.

٣ - صعد الخطيب المنبر ، وخطب خطبة عصماء.

٤ - إنه جراح ماهر، تزداد شهرته كلما استخدم المبضع .

٥ - بعض الزملاء لا يحبون المزاح .

٦ - سيتم عقد القران بعد ظهور نتيجة الامتحان إن شاء الله.

٧ - كلما ترفعت عن الصغار ، ازددت احتراما في نظر الناس.

٨ - الشاعر الموهوب هو من يغرف من بحر، وليس من ينحت في صخر.

٩ - توفـى طه حسين سنة ١٩٧٣ .

١٠ - حين واجهته بالحقائق، اضطرب وامتقع لونـه.

(ب) أجب حسب ما هو موضح بين الأقواس (اذكر الاحتمالات الصحيحة إن وجدت)

١ - . . . . . . المتسابقون : كلٌ في حارته الخاصة. (و ز ى)
٢ - كان يحبها، وفعلا كان . . . . عليها. (غ ي ر)
٣ - لم يكن هذا المكان . . . . بالسكان. (أ هـ ل)
٤ - أعلم أنه عضو في عـــدة . . . . (ن د ى)
٥ - استمعت فقط إلى ثلاث . . . . (ح ل ق)
٦ - نحن دائما. . . . . . . على ديننا. (غ ى ر)
٧ - كان لنا أساتذة . . . . ، هم الآن . . . في القبور (ع ظ م)
٨ - اشتريت . . . . نحاسية جميلة. (ب خ ر)
٩ - هل تعرف أين مكان. . . . ، الآلى؟ (ج ز ر)
١٠ - نسيت أن أكتب اسم. . . . . على الخطاب (ر س ل)

خامساً : للتشكيـل الداخلـيّ للكلمـات، ولنَقْطها أيضا أثرٌ كبيرٌ في المعنى، كما يتضحُ من الجمل التالية: (لاحظ ما فوق الخط)

(أ) ١ - تناقشنا في أهمية الغِذاء للإنسان، حين كنا نتناول طعام الغَداء.
٢ - لم أتناول وجبة العَشاء ، قبل صلاة العِشاء .
٣ - نَفِدَ طعامي أي انتهى ، ولكن بعد أن نَفَذَ سهمي أي وصل واخترق الأجواء إلى العدو.
٤ - إنـه غير مستعـد لملاقـاة خصمـه ، وأعتقـد أن فَناءه سيكـون فـي فِناء الحَلْبة.
٥ - كان جلوسي وَسْطَ أصدقائي في وَسَطِ الغرفة.

٦ - نَظَرتُ بطَرْف عيني إلى طَرَف السماء.

٧ - انتابتني حَيْرَة شديدة حين سألني صديقي عن موقع الحِيرَة، ولم أعرف أنها بلد بالقرب من الكوفة في العراق.

٨ - أعلم أنهن وَفِيَّات لأزواجهن، حتى بعد وَفَياتِهم.

٩ - يكفي ما في بطنها من حَمْل،لاتثقلْها بحِمْل على رأسها.

١٠ - افتحوا آذانكم جيدا، كي نستمع إلى أذان المؤذن البعيد.

١١ - أخبرني المدير أن الوظيفة الشاغرة تحتاج إلى أَكْفاء لهم خبرة، وليس إلى أَكِفَّاء لا يُبْصِرون.

١٢ - يوم خِطْبة أخته، ألقيت خُطْبة هنّأت فيها العروسين.

١٣ - سيظل طَوال الدهر يتشبه بطِوال القامة من الناس.

١٤ - اشترط الفقهاء الكفاءة أي المساواة في الزواج، وقالوا يجب أن يكون الزوج كفئا للزوجة أي مساويا لها، ومعنى هذا، أنهم لم يشترطوا التفوق أو التميز بينهما، أي إنهم لم يشترطوا الكفاية.

١٥ - يخطىء الكثيرون في التمييز بين كلمتي: عَرْض، عُرْض، ناسين أن العَـرْض هو خلاف الطول، أما العُرْض فهو الجانب، ولهذا يقال: ضرب به عُرْضَ الحائط: أي جانبه.

١٦ - أمسـك الفـارس بعِنـان فرسه أي لجامه، وظل يتطلع إلى عَنان السماء متشوّفا إلى الفوز.

١٧ - لو تزحزح عن مكانه قِيدَ أُنملة أي قدر أصبع، لوضعت في يديه ورجليه القَيْد على الفور.

١٨ - تسلّمت حقائبي، وذهبت بسرعة كي أَستلم الحجر الأسود أي ألمسه.

١٩ - أعلم أن هذه البيوت مقصورة عليه، فهي خاصة به، ومع ذلك فلست قاصرا أو عاجزا عن أخذ نصيبي منها.

٢٠ - كانت رؤيا الإمـام البـوصيرى للرسـول ﷺ أقـوى بكثير من الرؤية الشعرية التي عبرت عنها قصيدته: البردة أو البرأة.

(ب) يتصـلُ بهـذا وجودُ كلمتيْن إحداهُما مقصورةٌ والأخرى ممدودة، ولكلٍ منهما دلالة مختلفة عن الأخرى. مثالُ ذلك.

سَنَا / سَنَاء.

السنا: البرق ، السناء: الرفعة

العَمَىٰ / العَمَـاء

العمى : مرض العينين ، العماء : السحاب الرقيق

الحَيـا / الحَيـاء

الحيا للغيث، الحياء من الخجل

سِـوَىٰ / سَواء

سوى: غير، السَّواء : العدل والوسط.

الحِجـا / الحِجاء

الحِجا: العقل، الحِجاء: مصدر حاجَيْت بمعنى عايَنْت.

تَدْريـــــب :

(أ) اكتب جملتيْن يتضحُ فيهما الفرقُ بينَ كلِ زَوْجٍ مما يأتي:-

فَناء، فِناء / خِطْبة، خُطْبة / العَمَىٰ، العَماء / استلمَ، تسلمَ / عَرْض، عُرْض / سَنَـا، سَنَـاء / طَرْف، طَرَف / نَفدَ، نَفَذَ / وَفِيَّات، وَفَيَات / رؤية، رؤيا / أَكْفاء، أَكِفَّاء / طِوَال، طَوَال.

(ب) هاتِ ما يأتي، ثم استخدمْه في جملةٍ توضحُ معناه:

جمع «أُذُن» - مفرد «عِظام» - اسم فاعل من «الكفاءة» - اسم مفعول من «قصـر» - مقصور «الحِجاء» - ممدود «السَّنا»

سادساً : هناكَ عددٌ من الوحداتِ المُعجميّة المتشابهةِ في صِيَغِها الصَّرْفيّة، ولكنها متباينةٌ في مجالاتها الدلالية.
نُنَبِّهُ إليها هنا لأَنَّ وضع إحداها مكانَ الأخرى يؤدي إلى خطأ جسيم:

غ م ر

الغَمْر: الماء الكثير. الغِمْر: الحقد. الغُمر: الشاب الجاهل

س ل م

السَّلام: التحية. السِّلام: الأحجار الصغيرة. السُّلام: عقد الأصابع.

ك ل م

الكَلام: المخاطبة. الكِلام: الجرح. الكُلام: أرض وعرة صُلبة.

ح ر ر

الحَرَّة: الأرض ذات الحر والعطش والصلابة.
الحِرَّة: التي اشتد بها العطش والحر.
الحُرَّة: المرأة العفيفة في مقابل الأْمَة.

ح ل م

الحَلْم: فسادٌ يحدث في الجلد.
الحِلم: الطُمأنينة والتأنّي والأَنَفَة.
الحُلْم: ما يَراه النائم في نومه.

س ب ت

السَّبْت: اليوم المعروف.
السِّبْت: نعال معروف يأتي من اليمن.
السُّبْت: نبات معروف يشبه الخَطْمِيّ الذي يستخدم لغسل الرأس.

د ع و

الدَّعْوَة: الطلب.
الدِّعوة: الشخص الذي تطلبه.
الدُّعوة: ما يُدْعَىٰ إليه من طعام وشراب.

ل ح ى

اللَّحاء: اللَّحاحة واللَّوْم   اللِّحاء: الكِبْر.   اللُّحاء: حمع لِحْية.

ش ك ل

الشَّكْل: المماثلة والمشابهة.
الشِّكل: حسن العيون.
الشُّكل: جمع شِكال، وهو قيد الدابة.

ك ل أ

الكَلأ: الحشيش الرطب واليابس.
الكِلأ: الحفظ والحراسة.
الكُلَىٰ: جمع كلية.

ق س ط

القَسْط: الجَوْر والظلم.

القِسْط: العدل والإنصاف.

القُسْط: عود معروف يجلب من الهند، رائحته طيبة.

ع ر ف

العَرْف: الرائحة الطيبة.

العِرْف: الصبر.

العُرْف: المعروف.

ج د د

الجَدّ: أبو الأب (يطلق أيضا على الحظّ والغِنىٰ).

الجِدّ: ضد الهزل.

الجُدّ: البئر القديمة الداثرة.

ج و ر

الجَوار (ي): جمع جارية.

الجِوار: المجاورة.

الجُوار: الصوت العالي المرتفع.

ح م م

الحَمام: الطائر المعروف. الحِمام: الموت. الحُمام: اسم امرِىء القيس.

ل م م

اللَّمَّة: الملامسة من الجن.

اللِّمة: شعر اللحية.

اللُّمة: الجماعة والعشيرة.

م س ك

المَسْك: الجلد.

المِسْك: الطِّيب المعروف.

المُسْك: ما أمسك البدنَ من طعام أو شراب.

ح ج ر

الحَجر: مقدم القميص. الحِجْر: العقل. الحُجر: اسم امرىء القيس.

س ق ط

السَّقْط: ما تساقط من الثلج.

السِّقط: ما يسقط من عين النار.

السُّقْط: المولود الناقص الخِلْقة.

ر ق ق

الرَّقاق: الرمال المتسعة المتصل بعضها ببعض.

الرِّقاق: ما تصفَّىٰ من الماء في بطون الأودية.

الرُّقاق: الخبز المرقق.

ط ل ى

الطَّلىٰ: الخبز ولد الظبية.

الطِّلا: الشراب الغليظ.

الطُّلا: الأعناق.

تدريبـــات :

(أ) - استخدم كلاًّ مما يأتي في جملةٍ توضحُ معناه:
الحِلْم - القَسْط - الجِدّ - الحِمـام - الشِّكـل - العَـرْفِ - الجُوار - اللُّحاء - الغُمر - السِّلام.

(ب) - هات مما يأتي ثلاثَ وحداتٍ معجميّة، تتفقُ في الصيغة، وتختلفُ في الدلالة:
ك ل م / د ع و / ج و ر / ط ل ى / س ق ط / ح ج ر / ل م م / ح م م / م س ك / ل ح ى.

اَلْقِسْمُ الثَّانِي : فِي الكِتابَة

١ - لاتَقْصِرْ شَكْلَ كُلٍ من : الألف / الكاف / اللام ، خشيةَ التباسِها بحروفٍ أخرى.

٢ - لاتضعْ علامةَ التاءِ على الضمائرِ المتصلةِ بـ :

أسماء ، مثل : كِتابه / كُتُبه .

أفعال ، مثل : يكتبه / نأخذه.

حروف ، مثل : له / منه / فيه / معه / إليه / عنه / به.

ظروف ، مثل : قبله / بعده / أمامه / خلفه / جانبه.

٣ - في المقابل ، يجبُ وضعُ علامةِ التاءِ في المؤنَّث :

أسماء ، مثل : مدرسة / مكتبة / جامعة.

صفات ، مثل : كبيرة / صغيرة / جميلة.

٤ - حاوِلْ توضيحَ رأسِ كلِّ حرفٍ ممايلي :

الفاء / القاف / العين / الغين.

وعليك أن تضعَ النقاطَ بدقةٍ في كلِّ حرفٍ يستدعي أَخْذَ نقطةٍ، أو أكثرَ، على أن تُوضَعَ النقطةُ أو الأكثرُ بدقةٍ ووضوحٍ، إما فوق الحرف، أو تحته، أو وسطه ، مثل : فـ / قـ / ث / بـ / يـ / ج.

٥ - كتابة الهاء الأخيرة في الكلمة لها طريقتان في خط الرقعة، هما: لَـهُ / لَهُ. من الأفضل أن تُوَضِّحَ الصورةَ التي تريدها في كل مرة، كي لاتلتبسَ بغيرها.

٦ - لاتكتبْ «ألفَ» المصادرِ، أو الأفعالِ تحتَ الكلمةِ أو متداخلاً معها، إذ يجبُ أن يُكْتَبَ الأَلفُ على السطرِ مساويًا للحروفِ التاليةِ له :

مثالُ ذلك مع المصادر : انتصار / ادخار / احمرار.

ومثاله مع الأفعال : انتصر / ادخر / احمرّ.

من الصور المرفوضة هنا : أن يوضع الألف في وسط الكلمة .

٧ - الألفُ المقصورةُ تُكْتَبُ ألفا ، مثل : عصا ، أو ياءً ، مثل : فتىٰ.
في حالةِ كتابتِها ياءً ، لاتضعْ تحتَها نقطتيْن (أو شَرْطة) وذلك مثل :
الهدَى / الهوَى / الفتى / يخشى / يرضى / إلى / حتى / على .
وعلى ذلك فإن ما آخرُه ياءٌ ، وينطق ياءً ، فإن من اللازمِ وضعَ نقطتيْن (أو شرطـةٍ) تحتَها، وذلك لتمييزِها عن الألفِ المقصورةِ التي تُكْتَبُ ياءً وتُنْطَقُ ألِفًا.
مثالُ الياءِ الأخيرةِ، المنطوقةِ ياءً : عَليٌّ / يرمي / في.

٨ - جمعُ المذكَّرِ السالمُ مثل : مدرسون ، الأفعالُ الخمسةُ مثل : يكتبون
حين تُحْـذَفُ النـونُ الأخيرةُ مِنْ جَمْـعِ المـذكّرِ السالم لأجْلِ الإضافة، لانَضَعُ ألفًا بَعْدَ واوِ الجمع، مثل مدرِّسو محمدٍ ، وعلى النقيض، نَجتلبُ ألفًا أخيرةً بعدَ واوِ الجمعِ في الأفعالِ الخمسةِ، فنقولُ في حالةِ جَزْمِها أو نَصْبِها : لم يكتبوا، لن يكتبوا.

٩ - لاحظْ أن ألفَ الوصلِ (في أول الكلمة) يشيعُ حذفُها في موضعيْن :
أ - من البسملة، فتكتب : بسم الله الرحمن الرحيم، دونَ ألف، وذلك في أول الكلام.
أما لو سبقتها كلمةٌ وصارت البسملةُ وسطَ الكلام، فإن الألف تَثْبُتُ خطًا، تقول : أفتتحُ باسم الله الرحمن الرحيم.
ب - من كلمة «ابن »، حينَ تقعُ صفةً بيْن عَلَمَيْن أو عَلَمٍ وكُنْية ، ولم تكنْ بدايةَ سطرٍ جديد. تقول :
عبدُ اللهِ بنُ عباس، عليُّ بنُ أبي طالب.
يضاف إلى هذا أن ثمةَ عددًا من الأسماء تُكْتَبُ بألفِ وصل مثل :
ابنة / اثنان / اثنتان / امرؤ / امرأة .

١٠ - تكتب المدة (~) على الألف ، في بعضِ الكلماتِ على النحو التالي :
القرآن / المرآة / مكافآت / آجلا / آخر / آن / آمين / آنفا.

١١ - «إذن» النـاصبةُ للفعل المضارِع تُكْتَبُ بالنون. أما لو كانت مهملةً أيْ لاتُؤَثِّرُ النصبَ في فعلٍ مضارعٍ ، فإنها تُكْتَبُ بالألف.
نقول : مادمتم موجودين جميعا، إذًا نبدأُ الدرس.

١٢ - في كتابةِ الأسماءِ الموصولةِ لاحِظْ مَايلي :
كتابة لام واحدة في : الذي / التي / الذين .
كتابة لامَيْن في : اللذان (اللذَيْن) / اللتان (اللتيْن)
اللاتي (اللائي / اللواتي)

١٣ - هناك كلمتان نكرتان ، يخطىء البعض حين يُدْخِل عليهما أداة التعريف، وقد يكتب : الأمرأة ، أو الأناس ، وذلك خطأ, والصواب :
امرأة / أناس (نكرتان)، المرأة / الناس (معرفتان).

١٤ - الهمـزةُ الأخيرةُ المسبـوقةُ بحرفٍ ساكنٍ، تُكْتَبُ مفردةً، مثل : دفْء - شيْء - بُرْء.

١٥ - حين يُنْصَبُ الاسمُ النكـرةُ الـذي يكـونُ آخـرهُ همزةً، إذا كان به ألفٌ أسـاسًـا، لاداعيَ لإضـافـةِ ألفٍ أخيرة، بل يوضَعُ التنوينُ على الهمزة
تقول : سماءً / رجاءً.
أما إذا كان خاليا من وجودِ ألف، فإننا نَجْتَلِبُ له ألفا، تقول: جُزْءًا / دَرْءًا
(لاحظْ هنا أن تنوينَ الفتحةِ يوضَع رأسًا على ماقبلَ الألف)

١٦ - في اللغةِ العربيةِ عَشْرُ صِيَغٍ مُتداولةٍ هي على الترتيب :
١ - فَعَلَ ٢ - فَعَّلَ ٣ - فَاعَلَ ٤ - أَفْعَلَ ٥ - تَفَعَّلَ
٦ - تَفَاعَلَ ٧ - اِنْفَعَلَ ٨ - اِفْتَعَلَ ٩ - اِفْعَلَّ ١٠ - اِسْتَفْعَلَ
هنا عدد من الصيغ تبدأ إما بهمزة (٤) أو بألف (٧،٨،٩،١٠) الصيغة الرابعة

فقط هي التي تأخذ الهمزة سواء في الفعل أو المصدر، تقول: أكرم إكراما.
أما الصيغ ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ فلا تضعْ لها همزة : في الفعل أو في المصدر.
وعلى ذلـك تكتُبهـا هكذا : انفعل انفعالا / افتعل افتعالا / اِفعلّ افعلالا / استفعل استفعالا.

١٧ - تذكَّر أن ثمةَ بعضَ الحروفِ التي تُدْغَمُ في بعضها، من ذلك :
عن + ما = عما
من + ما = مما
إنْ الشرطية + لا = إلَّا
أنْ (النَّاصبة) + لا (النافية) = ألَّا

١٨ - اُكْتُبْ في السؤال : عَمَّ؟ لِمَ ؟ / فِيمَ؟ دونَ ألفٍ أخيرة، أما إذا أردتَ خبرًا، فإنَّ الألف تَثْبُتُ، تقول :
سَلْ عمَّا أردت / تكلم بِمَا أحببت / ناقِشْني فيمَا تريد.

١٩ - لاتصل « إنْ » بالفعل في عبارة : إن شاء الله.

٢٠ - للاختصار ، اتَّبَع العربُ أسلوبًا أطلقوا عليه « النَّحْت »، وهو عبارةٌ عن دَمْجِ عددٍ من الكلماتِ في كلمةٍ واحدة . . من أمثلةِ هذا:
البَسْمَلَة (بسم الله الرحمن الرحيم)
المَشْأَلَة (ماشاء الله)
الحَمْدَلَة (الحمد لله)
الحَوْقَلَة (لا حول ولا قوة إلا بالله)
الدَّمْعَزَة (أدام الله عزك)
الطَّلْبَقَة (أطال الله بقاءك)
الحَيْعَلَة (حيّ على الصلاة/ حيّ على الفلاح)

٢١ - للتفرقةِ في استخدامِ كلٍ من « أو » ، و« أم » . تذكَّر مايلي :

« أم » تأتي في السؤال، قال تعالى : ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ ﴾

« أو » تأتي للتخيير في الخبر، قال تعالى : ﴿ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾.

كما تأتي أيضًا للإباحة كقولك : كُلْ عِنبًا أو مَوْزًا أو برتقالاً.

٢٢ - زيادةُ الواو أو حذفُها :

- تُزادُ « الواوُ » في الاسميْن : أولو / أولئك.
- كما تُزادُ في كلمةِ « عَمْرو » (في حالتيْ الرفعِ والجرّ) تقول : جاء عمرو / مررت بعمرو ، وذلك للتفرقةِ بيْنهما وبيْنَ « عُمَر » وتُحْذَفُ من :
- المضارعِ المعتلّ المجزومِ ، وفعلِ الأمْرِ ، مثل : لم يَبْدُ / اُبْدُ لطيفًا .

كلمة « عمرو » (في حالة النصب) تقول : إن عَمْرًا لَبَطَلٌ، وذلك لانتفاءِ الالتباسِ بينها وبين « عُمَر » إذ هي مصروفةٌ ، أما « عُمَر » فممنوعٌ من الصَّرْف.

- كما تُحْذَفُ الواوُ جوازًا من كلِّ كلمةٍ التقت فيها واوان أولاهما مضمومةٌ، مثل : داود / طاوس.

تَدْريــبٌ عــامّ

اِقرأ القطعةَ التالية ، وضَعْ دائرةً بالقلم الأحمرِ حولَ الكلمةِ المكتوبةِ خطأً، واذكر البديلَ الصحيحَ لها، مُعلِّلا لما تراه :

باسم الله الرحمن الرحيم

دخل ولد مدرسه ابتدائية بعد أن سافر والدة في مهمه علميه، وهي التي كان ينتظرها خلال ثلاثة السنوات السابقة، وقد قال لي قبل سفره أنه ينوي أن يعود إلي مَصر بعد قضاء شهر ذي الحَجة في الخارج، لأنه اشترى قطعة أرض شمال منطقة المرور ويريد أن يبني عليها بيتا جميلا.

كتبت إليه رسالة اسأله فيها : ألم تصرف النظر عن هذه الفكرة على الأقل في الوقت الحاضر؟ وقد أرسل إلي قائلا : نعم، سوف انتظر قليلا الى مابعد شفاء ابني الوحيد.

في البدء ظننته يمزح، ولكنه كان صريحا معي، كعادته دائما مع كل الأناس الذين يقابلهم ، ولم يكن هذا مُزاحا بحال.

أما زوجته فاطمة، فهي الامرأة الوحيدة في حياته اللتي كتب لها كل ثروته، وليس هذا خطاء كما قد يتصور البعض. ربي ارحمنا جميعا، وأملأ قلوبنا بدفء الايمان.

لقد عجبت جدا بعد إن تسلمت رسالته الأخيرة، واللتي يقول فيها ان الراسل هو فاعل خير، ظننت إنها ليست رسالته حيث أني لم أعرف خَطّه في البداية،

وكدت اقطعها إِرَبا إِرَبا، وإذا بصوت جَهُورى يقول لي: بالله لاتفعل، عليكم أن تتأكدوا أولا قبل الاقدام على فعل أي شيء. كان هذا هو صوت أخي داوود، الذي ظللت انظر إليه شَزَرا لما فَعَلَه معي، ولكنه إعتذر وقال أنه كان فقط يريد أن يمزح لا أكثر ولا أقل.

ورغم هذا فسوف أرد له جزءً من هذه الوقاحة إنشاء الله إن عاجلا أو أجلا. قولوا معي أمين.

المصـــادر والمراجـــع

قُطْرُب : المُثَلَّثات.

أبو هلال العسكري : الفُروق اللُّغَويَّة.

الثعالبي : فِقْهُ اللُّغَة.

ابن مَكِّي الصَّقَلّي : تَثْقيفُ اللسان وتَنْقيح الجَنان.

السيوطي : المُزْهِر.

محمد العدناني : مُعْجَمُ الأغْلاطِ اللُّغَويَّةِ المُعاصِرَة.

إميل يعقوب : مُعْجَمُ الخَطَأ والصَّوابِ في اللُّغَة.

أحمد مختار عمر : العربية الصحيحة.

أحمد طاهر / عبدالعزيز نبوي : الأساس في اللغة العربية.

مجمع اللغة العربية : مَجلّة مَجْمَع اللغة العربية.

: كتاب الألفاظ والأساليب.

الأزهر الشريف : مَجلّة الأزهر.

من أحكام تِلَاوةِ القُرْآنِ الكَريم

أولاً : طُرُقُ نُطْقِ التَّنْوين

تَتَوقَّفُ طريقةُ نُطْقِ التَّنْوين على الحَرْفِ التَّالي لَهُ، وذلك كما يلي :

١ - كَلِمَةٌ بآخِرِها تَنْوينٌ، بعدَها كَلِمَةٌ أُخرى تَبْدَأُ بأَحَدِ الحُروفِ التَّاليةِ :

أ ــــ ، هـ ــــ ، عـ ــــ ، حـ ــــ ، غـ ــــ ، خـ ــــ

هنا يجبُ إِظْهارُ التَّنوينِ ونُطْقُهُ ، وكأَنَّهُ نُونٌ بدُونِ غُنَّةٍ.

الأمثلة :

طعامٌ إلا ، جُرفٌ هَارٍ، حَكيمٌ عَليم ، نارٌ حَامية ، إلهٌ غيرهُ، عليمٌ خَبير.

٢ - كَلِمَةٌ بآخرِها تَنْوينٌ، بعدَها كَلِمَةٌ أُخرى تَبْدَأُ بأَحَدِ الحُروفِ التاليةِ :

يـ ــــ ، نـ ــــ ، مـ ــــ ، و ــــ

هنا يُنْطَقُ التَّنوينُ بغُنَّةٍ.

الأمثلة :

دُرِّيٌّ يُوقَدُ ، ولو لم تَمْسَسْهُ نارٌ نُور، شَجَرَةٌ مُبارَكَة، تِجارَةٌ وَلَا بَيْعٌ.

٣ - كَلِمَةٌ بآخِرِهَا تَنْوينٌ، بعدَها كلمةٌ أُخْرَى تبدَأُ بأَحَدِ الحَرْفَيْنِ التَالِيَيْنِ :

لـ ــــ ، ر ــــ

هنا يُدْغَمُ التَّنْوينُ بغيرِ غُنَّةٍ.

الأمثلة :

رجالٌ لاتُلْهيْهِم ، لَعِبْرَةً لأُوْلي الأَبْصارِ، مِنْ ثَمرةٍ رِزْقاً.

٤ - كَلِمَةٌ بآخرِها تنوينٌ، مَتْلُوَّةٌ بكلمةٍ أُخرى تبدأ بأيِّ حِرْفٍ من الحُروفِ التَالية :

بـــ ، تـــ ، ثـــ ، جـــ ، دـــ ، ذـــ ، ســـ ، شـــ

صـــ ، ضـــ ، ظـــ ، فـــ ، قـــ ، كـــ

هنا يَخْتَفِي التَّنوينُ ، مَعَ بقاءِ الغُنَّةِ ، أَيْ أَنَّهُ يُنْطَقُ وبطريقةٍ هي وَسَطٌ بَيْنَ الإِظْهَارِ كما في (أ)، والإِدْغَامِ كما في (جـ) ولكن مع بقاءِ الغُنَّةِ هنا.

الأمثلة :

كَسَرَابٍ بقيْعَةٍ، ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا، عليمٌ بِمَا، مَطْوِيَّاتٌ بيَمِيْنِهِ، يَوْمًا تَتَقَلَّبُ، سَحَابَاً ثُمَّ، كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ، مُبَارَكَةٌ زَيْتُونَةٌ، كَمِشْكَاةٍ فِيْهَا، كَظُلُماتٍ فِي ، نُوْرَاً فَمَـا، رُكَامَاً فَتَرَى، جِبَالٌ فِيْهَا، بَرَدٌ فَيُصِيْبُ، شَيءٍ قَدِيْرٌ، الأَرْضُ جَمِيعَاً قَبْضَتُهُ، صَافَّاتٍ كُلٌّ .

ثـانيًا :علاماتُ الوَقْفِ في القُرآن الكريم

العلامـــةُ	دلالَتُهـــا
مـ	وقف لازم.
لا	وقف ممنوع.
ج	جواز الوقف أو الوصل.
صلى	الوقف جائز، ولكنَّ الوصلَ أَوْلَى.
قلى	الوقف جائز ، ولكنَّ الوقفَ أَوْلَى.
∴ ∴	الوقف جائز في المَوضِعَيْن، ولكنَّكَ إذا وقفتَ على موضعٍ ، لايجوزُ لَكَ أنْ تَقِفَ على الآخر.

لاحِظْ أنَّ مُعْظَمَ هذه العَلامات موجودةٌ في النَّصَّيْنِ المُخْتَارَيْنِ من سُوَرتَي : النُّور، والزُّمر.

الوحدة الأولى :

من سورة النور

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

* ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ
ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ
زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ
تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ
وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾
فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ
لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ
وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ
يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ
ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ

مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ
كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ
يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ
ٱلۡحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ
مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ سَحَابٞۚ ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ
بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ
لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن
فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلطَّيۡرُ صَٰٓفَّٰتٖۖ كُلّٞ قَدۡ عَلِمَ
صَلَاتَهُۥ وَتَسۡبِيحَهُۥۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ ﴿٤١﴾
وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٤٢﴾
أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزۡجِي سَحَابٗا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيۡنَهُۥ ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ رُكَامٗا
فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن
جِبَالٖ فِيهَا مِنۢ بَرَدٖ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصۡرِفُهُۥ عَن
مَّن يَشَآءُۖ يَكَادُ سَنَا بَرۡقِهِۦ يَذۡهَبُ بِٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ
ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٤﴾

﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٤٥) ﴾

أولاً : التفسير[١]

بهذا التعليم. والتهذيب. وهذا التوجيه. عالج الكيان البشري، حتى أشرق بالنور؛ وتطلع إلى الأفق الوضيء؛ واستشرف النور الكبير في آفاق السماوات والأرض، وهو على استعداد لتلقى الفيض الشامل الغامر في عالم كله إشراق، وكله نور: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾..

وما يكاد النص العجيب يتجلى حتى يفيض النور الهادىء الوضيء، فيغمر الكون كله، ويفيض على المشاعر والجوارح، وينسكب في الحنايا والجوانح؛ وحتى يسبح الكون كله في فيض النور الباهر؛ وحتى تعانقه وترشفه العيون والبصائر؛ وحتى تنزاح الحجب، وتشف القلوب، وترف الأوراح. ويسبح كل شيء في الفيض الغامر، ويتطهر كل شيء في بحر النور، ويتجرد كل شيء من كثافته وثقله، فإذا هو انطلاق ورفرفة، ولقاء ومعرفة، وامتزاج وألفة، وفرح وحبور. وإذا الكون كله بما فيه ومن فيه نور طليق من القيود والحدود، تتصل فيه السماوات بالأرض، والأحياء بالجماد، والبعيد بالقريب؛ وتلتقى فيه الشعاب والدروب، والطوايا والظواهر، والحواس والقلوب..

---

١ - عن كتاب (في ظلال القرآن) للمرحوم سيد قطب.

﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ .

النور الذي منه قوامها ومنه نظامها . . فهو الذي يهبها جوهر وجودها، ويودعها ناموسها . . ولقد استطاع البشر أخيرا أن يدركوا بعلمهم طرفا من هذه الحقيقة الكبرى، عندما استحال في أيديهم ماكان يسمى بالمادة - بعد تحطيم الذرة - إلى إشعاعات منطلقة لاقوام لها إلا النور! ولا « مادة » لها إلا النور! فذرة المادة مؤلفة من كهارب وإليكترونات، تنطلق - عند تحطيمها - في هيئة إشعاع قوامه هو النور! فأما القلب البشري فكان يدرك الحقيقة الكبرى قبل العلم بقرون وقرون. كان يدركها كلما شف ورف، وانطلق إلى آفاق النور . ولقد أدركها كاملة شاملة قلب محمد رسول الله - ﷺ - ففاض بها وهو عائد من الطائف، نافض كفيه من الناس، عائذ بوجه ربه يقول : ﴿ أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت به الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ﴾. وفاض بها في رحلة الإسراء والمعراج. فلما سألته عائشة : هل رأيت ربك ؟ قال. ﴿ نور. أنى أراه. ﴾.

ولكن الكيان البشري لايقوى طويلا على تلقي ذلك الفيض الغامر دائما، ولايستشرف طويلا ذلك الأفق البعيد. فبعد أن جلا النص هذا الأفق المترامي، عاد يقارب مداه، ويقربه إلى الإدراك البشري المحدود، في مثل قريب محسوس :

﴿ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾

وهو مثل يقرب للإدراك المحدود صورة غير المحدود ؛ ويرسم النموذج المصغر الذي يتأمله الحس، حين يقصر عن تملى الأصل. وهو مثل يقرب للإدراك طبيعة النور حين يعجز عن تتبع مداه وآفاقه المترامية وراء الإدراك البشري الحسير.

ومن عرض السماوات والأرض إلى المشكاة. وهي الكوة الصغيرة في الجدار غير النافذة يوضع فيها المصباح، فتحصر نوره وتجمعه، فيبدو قويًا متألقا : ﴿ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾ . . ﴿ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ﴾ . . تقيه الريح ، وتصفى نوره، فيتألق ويزداد . . ﴿ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ ﴾ . . فهي بذاتها شفافة رائقة سنية منيرة . . هنا يصل بين المثل والحقيقة. بين النموذج والأصل. حين يرتقى من الزجاجة الصغيرة إلى الكوكب الكبير، كي لاينحصر التأمل في النموذج الصغير، الذي ماجعل إلا لتقريب الأصل الكبير . . وبعد هذه اللفتة يعود إلى النموذج إلى المصباح :

﴿ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ ﴾ ونور زيت الزيتون كان أصفى نور يعرفه المخاطبون. ولكن ليس لهذا وحده كان اختيار هذا المثل. إنما هو كذلك الظلال المقدسة التي تلقيها الشجرة المباركة. ظلال الوادي المقدس في الطور، وهو أقرب منابت الزيتون لجزيرة العرب. وفي القرآن إشارة لها وظلال حولها : ﴿ وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين ﴾ . وهي شجرة معمرة، وكل مافيها مما ينفع الناس. زيتها وخشبها وورقها وثمرها. . ومرة أخرى يلتفت من النموذج الصغير ليذكر بالأصل الكبير. فهذه الشجرة ليست شجرة بعينها، وليست متحيزة إلى مكان أو جهة. إنما هي مثل مجرد للتقريب : ﴿ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ﴾ . .

وزيتها ليس زيتا من هذا المشهود المحدود، إنما هو زيت آخر عجيب: ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْلَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾ . . فهو من الشفافية بذاته، ومن الإشـراق بذاتـه، حتى ليكـاد يضيء بغير احتـراق؛ ﴿ وَلَوْلَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾ . . ﴿ نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ ﴾ . . وبذلك نعود إلى النور العميق الطليق في نهاية المطاف !

إنـه نور الله الذي أشرقت به الظلمات في السماوات والأرض. النور الذي لاندرك كنهه ولا مداه. إنما هي محاولة لوصل القلوب به، والتطلع إلى رؤياه : ﴿ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ﴾ . . ممن يفتحون قلوبهم للنور فتراه. فهو شائع في السماوات والأرض، فائض في السماوات والأرض. دائم في السماوات والأرض. لاينقطع، ولايحتبس، ولايخبو. فحيثما توجه إليه القلب رآه. وحيثما تطلع إليه الحائر هداه. وحيثما اتصل به وجد الله.

إنما المثل الذي ضربه الله لنوره وسيلة لتقريبه إلى المدارك، وهو العليم بطاقة البشر:

﴿ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ . .

ذلـك النـور الـطليق، الشـائـع في السماوات والأرض، الفائض في السماوات والأرض، الفائض في السماوات والأرض، يتجلى ويتبلور في بيوت الله التي تتصل فيها القلوب بالله، تتطلع إليه وتذكره وتخشاه، وتتجرد له وتؤثره على كل مغريات الحياة :

﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ . .

وهنـاك صلة تصـويرية بين مشهـد المشكاة هناك ومشهد البيوت هنا، على طريقة التناسق القرآنية في عرض المشاهد ذات الشكل المتشابه أو المتقارب. وهناك صلة مثلها بين المصباح المشرق بالنور في المشكاة، والقلوب المشرقة بالنور في بيوت الله.

تلك البيوت ﴿ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ ﴾ - وإذن الله هو أمر للنفاذ - فهي مرفوعة قائمـة، وهي مطهـرة رفيعـة. يتنـاسق مشهـدها المرفوع مع النور المتألق في السماوات والأرض. وتتناسق طبيعتها الرفيعة مع طبيعة النور السنى الوضيء. وتتهيأ بالرفعة والارتفاع لأن يذكر فيها اسم الله : ﴿ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ﴾. وتتسق معهـا القلوب الـوضيئـة الـطاهرة، المسبحة الواجفة، المصلية الواهبة. قلوب الـرجـال الـذين ﴿ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ﴾. والتجارة والبيع لتحصيل الكسب والشراء. ولكنهم مع شغلهم بهما لايغفلون عن أداء حق الله في الصلاة، وأداء حق العباد في الزكاة : ﴿ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ .. تتقلب فلا تثبت على شيء من الهول والكرب والاضطراب. وهم يخافون ذلك اليوم فلا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله.

ومم مع هذا الخوف يعلقون رجاءهم بثواب الله :

﴿ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ﴾

ورجاؤهم لن يخيب في فضل الله : ﴿ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ من فضله الذي لا حدود له ولا قيود.

* * * *

في مقابل ذلك النور المتجلي في السماوات والأرض، المتبلور في بيوت الله، المشرق في قلوب أهل الإيمان .. يعرض السياق مجالا آخر. مجالا مظلما لانور فيه. مخيفًا لا أمن فيه. ضائعا لا خير فيه. ذلك هو مجال الكفر الذي يعيش فيه الكفار:

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ سَحَابٞۚ ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾

والتعبير يرسم لحال الكافرين ومآلهم مشهدين عجيبين، حافلين بالحركة والحياة.

في المشهد الأول يرسم أعمالهم كسراب في أرض مكشوفة مبسوطة، يلتمع التماعا كاذبا، فيتبعه صاحبه الظامىء، وهو يتوقع الري غافلا عما ينتظره هناك .. وفجأة يتحرك المشهد حركة عنيفة. فهذا السائر وراء السراب، الظامىء الذي يتوقع الشراب، الغافل عما ينتظره هناك .. يصل. فلا يجد ماء يرويه، إنما يجد المفاجأة المذهلة التي لم تخطر له ببال، المرعبة التي تقطع الأوصال، وتورث الخبال: ﴿ وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ ﴾! الله الذي كفر به وجحده، وخاصمه وعاداه. وجده هنالك ينتظره! ولو وجد في هذه المفاجأة خصما له من بني البشر لروّعه، وهو ذاهل غافل على غير استعداد. فكيف وهو يجد الله القوي المنتقم الجبار؟

﴿ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ﴾ .. هكذا في سرعة عاجلة تتناسق مع البغتة والفجاءة، ﴿ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴾ .. تعقيب يتناسق مع المشهد الخاطف المرتاع!

وفي المشهد الثاني تطبق الظلمة بعد الالتماع الكاذب؛ ويتمثل الهول في ظلمات البحر اللجى. موج من فوقه موج. من فوقه سحاب. وتتراكم الظلمات بعضها فوق بعض، حتى ليخرج يده أمام بصره فلا يراها لشدة الرعب والظلام!

إنه الكفر ظلمة منقطعة عن نور الله الفائض في الكون. وضلال لايرى فيه القلب أقرب علامات الهدى. ومخافة لا أمن فيها ولا قرار.. ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾.. ونور الله هدى في القلب؛ وتفتح في البصيرة، واتصال في الفطرة بنواميس الله في السماوات والأرض؛ والتقاء بها على الله نور السماوات والأرض. فمن لم يتصل بهذا النور فهو في ظلمة لا انكشاف لها، وفي مخافة لا أمن فيها، وفي ضلال لا رجعة منه. ونهاية العمل سراب ضائع يقود إلى الهلاك والعذاب؛ لأنه لاعمل بغير عقيدة، ولا صلاح بغير إيمان. إن هدى الله هو الهدى. وإن نور الله هو النور.

* * * *

ذلك مشهد الكفر والضلال والظلام في عالم الناس، يتبعه مشهد الإيمان والهدى والنور في الكون الفسيح. مشهد يتمثل فيه الوجود كله، بمن فيه وما فيه، شاخصا يسبح لله: إنسه وجنه، أملاكه وأفلاكه، أحياؤه وجماده.. وإذا الوجود كله تتجاوب بالتسبيح أرجاؤه، في مشهد يرتعش له الوجدان حين يتملاه:

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ ..

إن الإنسان ليس مفردا في هذا الكون الفسيح؛ فإن من حوله، وعن يمينه وعن شماله، ومن فوقه ومن تحته؛ وحيثما امتد به النظر أو طاف به الخيال.. إخوان له من خلق الله، لهم طبائع شتى، وصور شتى، وأشكال شتى. ولكنهم بعد ذلك كله يلتقون في الله، ويتوجهون إليه، ويسبحون بحمده: ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾..

والقرآن يوجه الإنسان إلى النظر فيما حوله من صنع الله، وإلى من حوله من خلق الله في السماوات والأرض، وهم يسبحون بحمده وتقواه؛ ويوجه بصره وقلبه خاصة إلى مشهد في كل يوم يراه، فلا يثير انتباهه ولا يحرك قلبه لطول مايراه. ذلك مشهد الطير صافات أرجلها وهى طائرة في الفضاء تسبح بحمد الله: ﴿ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ﴾. والإنسان وحده هو الذي يغفل عن تسبيح ربه؛ وهو أجدر خلق الله بالإيمان والتسبيح والصلاة.

وإن الكون ليبدو في هذا المشهد الخاشع متجهاً كله إلى خالقه، مسبحا بحمده، قائما بصلاته؛ وإنه لكذلك في فطرته، وفي طاعته لمشيئة خالقه الممثلة في نواميسه. وإن الإنسان ليدرك - حين يشف - هذا المشهد ممثلا في حسه كأنه يراه؛ وإنه ليسمع دقات هذا الكون وإيقاعاته تسابيح لله. وإنه ليشارك كل كائن في هذا الوجود صلاته ونجواه.. كذلك كان محمد بن عبد الله - صلاة الله وسلامه عليه - إذا مشى سمع تسبيح الحصى تحت قدميه. وكذلك كان داود - عليه السلام - يرتل مزاميره فتؤوب الجبال معه والطير.

﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾

فلا اتجاه إلا إليه، ولا ملجأ من دونه، ولا مفر من لقائه، ولا عاصم من عقابه، وإلى الله المصير.

* * *

ومشهد آخر من مشاهد هذا الكون التي يمر عليها الناس غافلين؛ وفيها متعة للنظر، وعبرة للقلب، ومجال للتأمل في صنع الله وآياته، وفي دلائل النور والهدى والإيمان:

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴾..

والمشهد يعرض على مهل وفي إطالة، وتترك أجزاؤه للتأمل قبل أن تلتقي وتتجمع. كل أولئك لتؤدي الغرض من عرضها في لمس القلب وإيقاظه، وبعثه إلى التأمل والعبرة، وتدبر ماوراءها من صنع الله.

إن يد الله تزجي السحاب وتدفعه من مكان إلى مكان. ثم تؤلف بينه وتجمعه، فإذا هو ركام بعضه فوق بعض. فإذا ثقل خرج منه الماء، والوبل الهاطل، وهو في هيئة الجبال الضخمة الكثيفة، فيها قطع البرد الثلجية الصغيرة.. ومشهد السحب كالجبال لا يبدو كما يبدو لراكب الطائرة وهي تعلو فوق السحب أو تسير بينها، فإذا المشهد مشهد الجبال حقا، بضخامتها، ومساقطها، وارتفاعاتها وانخفاضاتها. وإنه لتعبير مصور للحقيقة التي لم يرها الناس، إلا بعدما ركبوا الطائرات.

وهذه الجبال مسخرة بأمر الله، وفق ناموسه الذي يحكم الكون؛ ووفق هذا الناموس يصيب الله بالمطر من يشاء، ويصرفه عمن يشاء.. وتكملة المشهد الضخم: ﴿ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ ذلك ليتم التناسق مع جو النور الكبير في الكون العريض، على طريقة التناسق في التصوير.

* * *

ثم مشهد كوني ثالث: مشهد الليل والنهار:

﴿ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ ..

والتأمل في تقلب الليل والنهار بهذا النظام الذي لايختل ولا يفتر يوقظ في القلب الحساسية وتدبر الناموس الذي يصرف هذا الكون والتأمل في صنع الله. والقرآن يوجه القلب إلى هذه المشاهد التي ذهبت الألفة بوقعها المثير؛ ليواجه القلب هذا الكون دائما بحس جديد، وانفعال جديد. فعجيبة الليل والنهار كم شاقت القلب البشري، وهو يتأملها أول مرة. وهي هي لم تتغير؛ ولم تفقد جمالها وروعتها. إنما القلب البشري هو الذي صدىء وهمد، فلم يعد يخفق

لها. وكم ذا نفقد من حياتنا، وكم ذا نخسر من جمال هذا الوجود، حين نمر غافلين بهذه الظواهر التي شاقت حسنا وهي جديدة. أو وحسنا هو الجديد!

والقرآن يجدد حسنا الخامد، ويوقظ، حواسنا الملول. ويلمس قلبنا البارد. ويثير وجداننا الكليل؛ لنرتاد هذا الكون دائما كما ارتدناه أول مرة. نقف أمام كل ظاهرة نتأملها، ونسألها عما وراءها من سر دفين، ومن سحر مكنون. ونرقب يد الله تفعل فعلها في كل شيء من حولنا، ونتدبر حكمته في صنعته ونعتبر بآياته المبثوثة في تضاعيف الوجود.

إن الله - سبحانه - يريد أن يمن علينا، بأن يهبنا الوجود مرة كلما نظرنا إلى إحدى ظواهره؛ فاستعدنا نعمة الإحساس بها كأننا نراها أول مرة. فنظل نجد الكون مرات لا تحصى. وكأننا في كل مرة نوهبه من جديد؛ ونستمتع به من جديد.

وإن هذا الوجود لجميل وباهر ورائع. وإن فطرتنا لمتوافقة مع فطرته، مستمدة من النبع الذي يستمد منه، قائمة على ذات الناموس الذي يقوم عليه. فالاتصال بضمير هذا الوجود يهبنا أنسا وطمأنينة، وصلة ومعرفة، وفرحة كفرحة اللقاء بالقريب الغائب أو المحجوب!

وإننا لنجد نور الله هناك. فالله نور السماوات والأرض.. نجده في الآفاق وفي أنفسنا في ذات اللحظة التي نشهد فيها هذا الوجود بالحس البصير، والقلب المتفتح، والتأمل الواصل إلى حقيقة التدبير.

لهذا يوقظنا القرآن المرة بعد المرة، ويوجه حسنا وروحنا إلى شتى مشاهد الوجود الباهرة، كي لا نمر عليها غافلين مغمضي الأعين، فنخرج من رحلة الحياة على ظهر هذه الأرض بغير رصيد. أو برصيد قليل هزيل..

* * *

ويمضي السياق في عرض مشاهد الكون، واستثارة تطلعنا إليها؛ فيعرض نشأة الحياة، من أصل واحد، وطبيعة واحدة، ثم تنوعها، مع وحدة النشأة والطبيعة:

﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾..

وهذه الحقيقة الضخمة التي يعرضها القرآن بهذه البساطة، حقيقة أن كل دابة خلقت من ماء، قد تعني وحدة العنصر الأساسي في تركيب الأحياء جميعا، وهو الماء، وقد تعني ما يحاول العلم الحديث أن يثبته من أن الحياة خرجت من البحر ونشأت أصلا في الماء. ثم تنوعت الأنواع، وتفرعت الأجناس..

ولكننا نحن على طريقتنا في عدم تعليق الحقائق القرآنية الثابتة على النظريات العلمية القابلة للتعديل والتبديل.. لا نزيد على هذه الإشارة شيئا. مكتفين بإثبات الحقيقة القرآنية. وهي أن الله خلق الأحياء كلها من الماء. فهي ذات أصل واحد. ثم هي - كما ترى العين - متنوعة الأشكال. منها الزواحف تمشي على بطنها، ومنها الإنسان والطير يمشي على قدمين. ومنها الحيوان يدب على أربع. كل أولئك وفق سنة الله ومشيئته، لا عن فلتة ولا مصادفة: ﴿ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾ غير مقيد بشكل ولا هيئة. فالنواميس والسنن التي تعمل في الكون قد اقتضتها مشيئته الطليقة وارتضتها: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾.

وإن تملى الأحياء. وهى بهذا التنوع في الأشكال والأحجام، والأصول والأنواع، والشيات والألوان. وهي خارجة من أصل واحد، ليوحي بالتدبير المقصود، والمشيئة العامدة. وينفي فكرة الفلتة والمصادفة. وإلا فأى فلتة تلك التي تتضمن كل هذا التدبير؛ وأية مصادفة تلك التي تتضمن كل هذا التقدير؟ إنما هو صنع الله العزيز الحكيم الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى..

ثانياً – اللغة :

- المِشْكَاةُ: الكُوَّةُ، وكُلُّ كُوَّةٍ ليست بنافذة مِشْكَاة، وهي على وزن (مِفْعَلَة).
- المِصْبَاحُ: السِّراجُ، وأَصْلُه من (الصُّبْح)، وهو سَوَادٌ إلى حُمْرَةٍ، ومنه (الأَصْبَحُ) من الشَّعر، وهو الذي يُخَالِطُهُ بَيَاضٌ بحُمْرةٍ خِلْقَةً.

دُرِّيٌّ: منسوبٌ إلى الدُّرِّ، وكَوْكَبٌ دُرِّيٌّ. ثَاقِبٌ مُضِيء، والكوكبُ الدُّرِّيُّ عند العرب، هو العظيم المِقْدَار.

- تُلْهِيْهِم: تَشْغُلُهُم، وتَصْرِفُهم.
- السَّرابُ: شُعَاعٌ يُتَخَيَّلُ كالماءِ يَجْرى على الأرض، نصف النهار حينَ يَشْتَدُّ الحَرُّ وإنَّما قيل (سَرَاب) لأنَّه يَنْسَرِبُ، أي يجري كالماء.

قيعة: جَمْعُ قَاعٍ ، وهو الواسع من الأرض المُنْبَسِطَة، وفيه يكون السَّرابُ.

- لُجِّيّ: منسوبٌ إلى (لُجَّةِ البَحْر).

ولجة البحر: معظمه الذي يتراكب أمواجه، فلا يرى ساحله.

ثالثا – اَلْأَسلوبُ والصُّوَر:

الْقُرآنُ الْكَريمُ قِمَّةُ التَّعْبيرِ الْأَدَبِيِّ، وَهٰذا هُوَ سِرُّ إِعْجازِهِ. وَالتَّعْبيرُ الْأَدَبِيُّ عادَةً ما يَسْتَعِينُ بالصُّوَرِ يُوَضِّحُ بِها الغامِضَ، وَيُقَرِّبُ بِها الْبَعيدَ وَمِنْ هَذِهِ الصُّوَرِ: التَّشْبيه.

وَالتَّشْبيهُ عَمَلِيَّةٌ تَتِمُّ فيها مُقارَنَةُ شَيْءٍ بِشَيْءٍ في وَصْفٍ غَيْرِ مُباشِرٍ، وَالْغَرَضُ مِنْ هَذا الْإِجْرَاءِ لَيْسَ تَفْضيلَ واحِدٍ مِنْهُما عَلَىٰ الآخَرِ، وَلكِنْ إِعْطاءُ صِفاتٍ مِن الشَّيْءِ الْأَساسِيِّ في الْمُقارَنَةِ (الْمُشَبَّه بِهِ) إلىٰ الشَّيْءِ الْمُرادِ مُقارَنَتُهُ (اَلْمُشَبَّه).
وَعَلَىٰ ذَلِكَ فَإِنَّ أَرْكانَ التَّشْبيهِ هِيَ :
اَلْمُشَبَّهُ بِهِ : ما بَلَغَتْ فيهِ تِلْكَ الصِّفَةُ (أو الصِّفاتُ) غَايَتَهَا.

اَلْمُشَبَّهُ : ما يُرادُ اشْتِراكُهُ في صِفَةٍ ما.

وَجْهُ الشَّبَهِ : الصِّفَةُ الْمُتَحَقِّقَةُ أَساساً في الْمُشَبَّهِ بِهِ، وَيُرادُ - حينَ إِجْراءِ التَّشْبيهِ - خَلْعُها أَوْ إِعْطاؤُها لِلْمُشَبَّه.

أَداةُ التَّشْبيهِ : وَهِيَ الَّتي تُفيدُ مَعْنَى الاشْتِراكِ في الصِّفَةِ بَيْنَ كُلٍّ مِن الْمُشَبَّهِ وَالْمُشَبَّهِ به.

وَالْخَيالُ يَلْعَبُ دَوْرًا كَبيرًا في التَّشْبيهِ، إِذْ تَجيءُ الْمُشابَهَةُ بَيْنَ حالَتَيْنِ أَوْ أَمْرَيْنِ لا يَخْطِرُ بِالْبالِ تَشابُهُهُما، وَهَذِهِ هِيَ قِمَّةُ الإِبْداعِ التَّصْويريِّ.

عَلَىٰ أَنَّ الشُّعَراءَ وَالأُدباء قَد اعْتادوا عَلَىٰ تَشْبيهِ الْجَوادِ بِالْبَحْرِ أَو الْمَطَرِ، وَالشّجاعِ بِالأَسَدِ، وَالْوَجْهِ الْحَسَنِ بِالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، والْحَليمِ الرَّزينِ بِالْجَبَلِ، كَما اصْطَلَحوا عَلَىٰ تَشْبيهِ الْكَريمِ بِحاتِمٍ، وَالْفَصيحِ بِسَحْبانَ، وَالْحَكيمِ بِلُقْمانَ، وَهَكَذا. وَكُلُّ ذَلِكَ يُعَدُّ مِنْ قَبيلِ التَّشْبيهاتِ التُّراثِيَّة.

وَتَبْلُغُ تَشْبيهاتُ الْقُرآنِ الْكَريمِ غايَتَها في الإِعْجازِ: تَصْويرًا وَأَداءً عَلَىٰ حَدٍّ سَواءٍ. وَنَسْتَطيعُ هُنا أَنْ نَتَميَّزَ نَوْعِيَّتَيْنِ مِن التَّشْبيهاتِ الْقُرآنِيَّةِ، مِنْ خِلالِ الآياتِ الْمُخْتارَةِ مِنْ سورَةِ النّورِ، نَعْرِضُ كُلًّا مِنْهُما عَلَىٰ حِدَة.

أ - اَلصّيغَةُ الْبَسيطَةُ في التَّشْبيهِ:

اَلْمِثال	اَلْمُشَبَّه	اَلْمُشَبَّهُ بِه	وَجْهُ الشَّبَه	نَوْعُ التَّشْبيه	اَلسَّبَب
الله نورُ السَّمٰواتِ وَالأَرْضِ	لَفْظُ الْجَلالَة	اَلنّور	الإِشْعاعُ وَالْهِدايَة	مُؤَكَّد، مُجْمَل	حَذْفُ أَداةِ التَّشْبيهِ، مَعَ حَذْفِ وَجْهِ الشبه.
مَثَلُ نورِهِ كَمِشْكاةٍ فيها مِصْباحٌ	نورُ الله	اَلْمِشْكاةُ فيها الْمِصْباحُ	الإِشْعاعُ والإِضاءَةُ الشَّديدَة	مُرْسَلٌ، مُجْمَلٌ	ذِكْرُ أَداةِ التَّشْبيهِ، مَعَ حَذْفِ وَجْهِ الشَّبَه.
اَلزُّجاجَةُ كَأَنَّها كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ	اَلزُّجاجَة	اَلْكَوْكَبُ الدُّرِّيُّ	اَلْبَريقُ وَاللَّمَعان	مُرْسَلٌ، مُجْمَل	ذِكْرُ أَداةِ التَّشْبيهِ، مَعَ حَذْفِ وَجْهِ الشَّبَه.

نُلاحظُ هُنا أَنَّهُ لابُدَّ في كُلِّ تَشْبيهٍ مِنْ ذِكْرِ الْمُشَبَّهِ، وَالْمُشَبَّه بِهِ، وَهُما الْأَساسِيّانِ. أَمّا الرُّكْنانِ الْآخَرانِ: (أَداةُ التَّشْبيهِ وَوَجْهُ الشَّبَهِ) فالْأَمْرُ يَخْتَلِفُ بالنِّسْبَةِ لِذِكْرِ أَيٍّ مِنْهُما أَوْ حَذْفِه.

فَحينَ تُذْكَرُ أَداةُ التَّشْبيهِ، يُسَمَّى التَّشْبيهُ « مُرْسَلاً »

وَحينَ تُحْذَفُ هَذِهِ الْأَداةُ، يُسَمَّىٰ التَّشْبيهُ « مُؤَكَّداً »

لاحِظْ أَيْضاً، أَنَّهُ إذا حُذِفَ وَجْهُ الشَّبَهِ، فَإِنَّ التَّشْبيهَ يُسَمَّىٰ « مُجْمَلاً » وَعَلَىٰ النَّقيضِ ، اَلتَّشْبيهُ الَّذي يُذْكَرُ فيهِ وَجْهُ الشَّبَهِ، يُسَمَّىٰ « مُفَصَّلاً ».

مِنْ هَذا نَعْلَمُ أَنَّ تَسْمياتِ التَّشْبيهِ تَتِمُّ بِناءً عَلَىٰ وُجُودِ كُلٍّ مِنْ: أَداةِ التَّشْبيهِ، وَوَجْهِ الشَّبَهِ، أَوْ عَدَمِ وُجودِهِما.

وَحينَ تُحْذَفُ الْأَداةُ وَحْدَها، أَوْ وَجْهُ الشَّبَهِ وَحْدَهْ، تَرْتَفِعُ دَرَجَةُ التَّشْبيهِ في الْبَلاغَةِ، لِأَنَّ هَذا الْحَذْفَ يُقَوِّي ادِّعاءَ اتِّحادِ الْمُشَبَّهِ وَالْمُشَبَّهِ بِهِ بَعْضَ التَّقْوِيَةِ.

ب - اَلتَّشْبيهُ التَّمْثِيلِيُّ :

مِثالُ هَذا قَوْلُهُ تَعالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ﴾.

اَلْمُشَبَّهُ هُنا	:	أَعْمالُ الْكافِرين.
اَلْمُشَبَّهُ بِهِ	:	اَلسَّرابُ في الصَّحراء.
وَجْهُ الشَّبَهِ	:	صورَةُ الشَّيْءِ يَخْدَعُنا بِمَظْهَرِهِ، عَلَىٰ أَنَّهُ سَيِّءٌ في حَقيقَتِهِ وَجَوْهَرِه.
أَداةُ التَّشْبيهِ	:	اَلْكاف

لاحِظْ هُنا أَنَّ وَجْهَ الشَّبَهِ لَيْسَ أَمْرًا مُنْفَرِدًا أَوْ ظاهِرًا عَلَىٰ النَّحْوِ الَّذي رَأَيْناهُ في أَمْثِلَةِ الصِّيغَةِ الْبَسيطَةِ لِلتَّشْبيه.

أَعْمالُ الْكافِرينَ قَدْ تَبْدو بِالنَّظْرَةِ الْعَجْلَىٰ وَكَأَنَّها أَعْمالٌ جَليلَةٌ جَميلَةٌ وَخَيِّرَة، وَلٰكِنَّكَ حينَ تُدَقِّقُ النَّظَرَةَ إِلَيْها وَتُمْعِنُ التَّفَكُّرَ فيها، لَنْ تَجِدَ مِنْها إِلَّا مُجَرَّدَ أَعْمالٍ حابِطَةٍ هابِطَةٍ مُتَدَنِّيَة، لا نَفْعَ فيها وَلا ثَوابَ لَها، وَلِذٰلِكَ جاءَ تَشْبيهُها بِحالِ سَرابٍ بِصَحْراءَ، يَظُنُّهُ الظَّمْآنُ ماءً حَتَّىٰ إِذا اقْتَرَبَ مِنْ مَعالِمِهِ صَحا عَلَىٰ الْحَقيقَةِ الْمُرَّةِ وَأَنَّهُ لاشَيْء، وَمِنْ هُنا يَتَّضِحُ لَهُ عَدَمُ الْجَدْوَىٰ وَعَبَثُ الْجُهْدِ، بَلْ وَسَلْبِيَّةُ النَّتيجَة.

وَجْهُ الشَّبَهِ هُنا صورَةٌ أَوْ هَيْئَةٌ أَوْ حالَةٌ تَحْتاجُ مِنَّا أَنْ نُعْمِلَ عُقولَنا كَيْ نَتَأَوَّلَ لَهُ، وَنَفْهَمَهُ حَقَّ الْفَهْمِ. وَمِثْلُ هٰذا النَّوْعِ الَّذي لا يُدْرَكُ إِلّا بَعْدَ تَأَمُّلٍ وَتَفْكيرٍ نَتيجَةَ كَوْنِهُ غَيْرَ مَأْلوفٍ لَنا، هُوَ ما يُسَمَّىٰ « تَشْبيهَ التَّمْثيلِ » أَو التَّشْبيهَ التَّمْثيلِيَّ، وَذٰلِكَ في مُقابِلِ الصِّيغَةِ الْبَسيطَةِ لِلتَّشْبيهِ أَوْ ما يُقالُ عَنْها عادَةً « تَشْبيهٌ غَيْرُ تَمْثيلِيّ ».

اَلْقيمةُ الفَنِّيَّةُ لِلتَّشْبيه :

اَلتَّشْبيهُ واحِدٌ مِنْ صُوَرِ التَّعْبيرِ الْبَيانِيِّ، وَهوَ يُستَخدَمُ لِيُضْفِيَ صِفَةَ التَّجْسيدِ على الأَشياءِ أو الأشخاص. إنه أَيْسَرُ أَساليبِ الوَعْيِ خُلوصًا إلى المَعْنىٰ عن طريقِ الْمُقابَلَةِ والاسْتِنْتاج، وَلِهذا تَجيء أدواتُ التشبيهِ لِتُعينَ على الوُضوح، وَتُقَرِّبَ بَيْنَ الأشياء. إنها تُقَرِّبُ ولكنها لاتُوَحِّدُ أبدًا كما لاتَدْمجُ المشبهَ في المشبهِ به، إنها تكتفي فقط بأن تَدُلَّنا إلى أَنَّ هذا مِثْلُ ذلك ولكنه ليس هو بالذاتِ أو بالتأكيد.

من هنا ساغ لنا أَنْ نقولَ : إِنَّ أداةَ التشبيهِ تَفْصِلُ بوضوحٍ بَيْنَ الْمُشَبَّهِ والمشبَّهِ به، ولهذا فإنها تأتي عادةً لِتُمَثِّلَ سُلْطَةَ العقلِ الذي يأبىٰ أَنْ يُوَحِّدَ بَيْنَ الركْنَيْنِ الأساسِيَّيْنِ للتشبيه.

إذا كُنَّا نُحسُّ دائما بما يُحققه أُسلوبُ التشبيهِ مِنْ رَوْنَقٍ وَبَهاءٍ في العِبارةِ الأدبيةِ، فإن ثمةَ آثارًا عديدةً يُحَقِّقُها التشبيه.

أ - إنه يُوَضِّحُ الصفةَ الخَفِيَّةَ في المُشَبَّهِ، عن طريقِ استحضارِ صفةِ المشبهِ به . (حركتهُ دائما صاعدةٌ من الأدنى إلى الأعلى).

ب - وهذا التوضيحُ يُؤدِّي بالطبعِ إلى الفهمِ الْجَيِّد.

جـ - والفهمُ يؤدِّي إلى التَأَثُّرِ والانفعالِ بما نَقرأُ أو نَسمع.

د - والتـأثـرُ والانفعـالُ يُؤَدِّيان بدورِهما إلى المشاركةِ الوُجْدانِيّةِ وبالتالي إلى الاستمتاعِ والتَّذَوُّق.

وهـذه هي غايةُ الأدبِ، حيثُ يَشْعُـرُ الإنسـانُ - والحالةُ هذه - بلذّةِ وُجودِه في هذه الحياة.

رابعـا : النحـــو :

الجملـةُ الاسـمية

تَتركّبُ الجملةُ الاسميةُ من مُبْتَدإٍ وَخَبَـرٍ، وهمـا رُكْناها الأساسِيان، كَقولِهِ تعالى : ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾.

اَلْمُبْتَدَأُ : موضوعٌ يأتي به المتكلمُ لِيَبْنِيَ عليه حُكْما، أو لِيُسْنِدَ إليْه حُكْما.
اَلْخَبَـرُ : حُكْمٌ يأتي به المتكلمُ لِيُسْنِدَه إلى المبتدأ.

فإذا سمعتَ قائلا يقولُ : (محمدٌ قادمٌ)، فـ (محمدٌ) هو الموضوعُ الذي أتى به المتكلمُ ليَبْنِيَ عليه الحكمَ التاليَ بقولِه : (قادمٌ)، فقد حَكَمَ على (محمد) بالقـدومِ ، أو أَسْنَـدَ إليه القُدومَ. وقد انتظمتْ من (الموضوع) و (الحُكْم) أو (المبتــدأ) و (الخبـر) جملةٌ يَحْسُنُ السكـوتُ عليهـا. وتُسَمَّىٰ هذه الجملةُ بـ (الجملة الاسمية). وحُكْمُ المبتدأ والخبرِ الرفعُ، فالمبتدأُ مرفوعٌ دائما، والخبرُ مرفوعٌ دائما.

وينبغي أن تَتذكّرَ مايلي :

١ - علامـاتُ الـرفـع : ضَمّـةٌ ظاهـرةٌ (محمـد) أو ضمةٌ مقدَّرةٌ (مصطفى)، (القاضي)، أو (واو) وذلك في الأسماءِ الخمسةِ (أخوك، أبوك، حموها، فوك، ذو أخلاقٍ)، وفي جمع المذكر السالم (مسلمون). أو ألف، كما في المثنى (الطالبان).
٢ - قَدْ يأتي المبتدأُ مصدرًا مؤولا، ويكونُ في محلِ الاسمِ المرفوعِ، مثل : ﴿ أَنْ تصوموا خَيْرٌ لكم ﴾ .
٣ - قَدْ يأتي المبتدأُ، أو الخبرُ اسما مَبْنِيًا، كأسماءِ الاستفهام والشرطِ وأسماءِ الإشـارةِ، والأسمـاءِ المَـوْصـولةِ، والاسمُ المَبْنِيُّ، لاتَظْهَرُ عليه علاماتُ

الإعـرابِ، بل يَلْزَمُ حركةً واحدةً. وعندئذٍ، يكونُ المبنيُّ في محلِّ اسمٍ مرفوعٍ ، وسيأتي بيانُ ذلك في صُوَرِ المبتدأِ والخبر.

٤ - قَدْ يأتي الخبرُ جملةً اسميةً، أو جملةً فعليةً، أو شِبْهَ جملةٍ، وتكونُ هذه الجملةُ في محلِ اسمٍ مرفوع.

٥ - قد يتقدمُ الخبرُ على المبتدأِ في بعضِ الصورِ اللُّغَوِيَّةِ، وسيأتي بيانُ ذلك في صورِ المبتدأِ والخبر.

وهذه أهمُّ صورِ المبتدأِ والخبرِ في الأساليبِ العربية :

المبتـــدأ	الخبـــر	المثـــــال	الملاحظـات
١ - اسمٌ صريحٌ معرفة	وَصْفٌ نكرة	اللهُ بصيرٌ بالعبـادِ، أخـوك كريمٌ، الجنديان جريحان، المدرسون قادمون.	يأتي كلٌّ من المبتدأِ أو الخبرِ مفردًا أو مثنىً أو جمعًا.
٢ - اسمٌ صريحٌ معرفة	اسمٌ صريحٌ معرفة	اللهُ رُّبنا، محمّدٌ نبيُّنا، ﴿اللهُ نورُ السمواتِ﴾.	
٣ - اسمٌ مَوْصول	وَصْفٌ نكرة	الذي يُدَرِّسُنا اللغةَ العربيةَ قادمٌ، ﴿ ماعندَ اللهِ باقٍ ﴾	الاسمُ الموصولُ مبنيٌّ على السكونِ في محلٍّ رفعٍ مبتدأ
٤ - ضميرٌ مُنْفصِل	وَصْفٌ نكرة	أنتَ مجتهدٌ، هو مسافرٌ، هُنَّ طالباتٌ مؤدَّباتٌ.	الضميرُ: مبنيٌّ على حركة في محلِ رفعٍ مبتدأ

المبتـــدأ	الخبـــر	المثـــــال	الملاحظـات
٥ - اسمُ إشارة	وَصْفٌ نكرة	هذا مؤدبٌ، هؤلاءِ مسافرون.	إسمُ الإشارةِ مبنيٌ على حركةٍ في محلِ رفعٍ مبتدأ.
٦ - واحدٌ مما سَبَق	اسمٌ جامد	محمدٌ أخوك، الذي جاءنا إنسانٌ طيبٌ، هذا جبلٌ كبيرٌ، أنتَ رجلٌ عاملٌ.	
٧ - ضميرٌ مُنْفَصِل	إسمٌ مَوْصول	﴿ هُوَ الَّذي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ ﴾	يُعْرَبُ كُلٌّ مِن المبتدإِ والخبر في محلِّ رفع.
٨ - إسمُ إشارة	إسْمُ مَوْصول	﴿أهَذا الَّذي بَعَثَ اللهُ رسولا﴾.	
٩ - واحدٌ مما سَبَق	جملةٌ اسمية	محمدٌ أخلاقهُ حَسَنَةٌ، أنتم جهودُكم مشكورةٌ، ﴿ الذين يُظاهِرون من نسائِهم ماهُنَّ أمهاتهم ﴾	تُعْرَبُ الجُملةُ الاسميةُ من المبتدإِ أو الخبرِ في محلِّ رفعٍ خَبَر المبتدأ.
١٠ - واحدٌ مماسبق	جملةٌ فعلية	﴿ اللهُ يرزقُ مَنْ يَشاءُ ﴾، أنتِ تقرئينَ القرآنَ، هذا الطالبُ يَدْرُسُ اللغةَ العربية.	تُعْرَبُ الجملةُ الفعليةُ في محلِ رفعٍ خبرَ
١١ - واحدٌ مما سبق	شِبْهُ جملة	﴿ المصباحُ في زجاجةٍ ﴾، هذه الشجرةُ أمامَ دارِنا.	تُعرَبُ شبهُ الجملةِ من الجارِّ والمجرورِ، أومن الظَّرْفِ المُضافِ في محل رفعٍ خبرَ المبتدأ

المبتــدأ	الخبــر	المثــــال	الملاحظـات
١٢ - نكرةٌ موصوفة	وصفٌ نكرة	﴿ وَلَعَبْدٌ مؤمنٌ خَيْرٌ من مُشْرِكٍ ﴾ رجلٌ قَادِمٌ .	جاز الابتداءُ بالنكرةِ لأنها تخصصت بالصفة .
١٣ - نكرةٌ مسبوقةٌ باستفهامٍ أو نَفْيٍ	مُفْرَدٌ أو شبهُ جُملةٍ	هل أحدٌ قادمٌ؟ أَرَجُلٌ في دارنا؟ [أإلهٌ مَع الله] ؟ ماأَحَدٌ حَاضِرٌ.	جاز الابتداءُ بالنكرةِ لأنها وقعت في سياقِ النفي أو الاستفهام .
١٤ - نكرةٌ مسبوقةٌ بـ (إذا) الفُجائيّة	شِبْهُ جملة	خرجنا فإذا لِصٌّ بالبابِ .	لأنها مسبوقةٌ بـ (إذا) الفجائية . جاز الابتداء بالنكرة
١٥ - نكرةٌ عامة	وصفٌ نكرة، أو جملةٌ أو شبهُ جملة	إنسانٌ خيرٌ من حيوانٍ، ﴿كُلٌّ لَهُ قانِتون ﴾، ﴿سَلامٌ عليكم ﴾، ﴿وَيْلٌ للمُطَفِّفين ﴾ .	جاز الابتداءُ بالنكرةِ، لأنها عامّة .
١٦ - نكرةٌ متأخِّرَة	شِبْهُ جملةٍ مُتَقَدِّمَة	﴿ فيها مِصباح ﴾ ﴿ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ ﴾	المبتدأ واجب التأخير لأنَّه نكرة والخبر شبه جملة .
١٧ - مَعْرِفةٌ مُتأَخِّرَة	شِبْهُ جملةٍ متقدِّمة	﴿ للهِ مُلْكُ السمواتِ ﴾ ﴿ إلى اللهِ المصيرُ ﴾	المبتدأُ جائزُ التأخيرِ لأنّه معرفةٌ والخبرُ شبهُ جملة .
١٨ - اسمُ استفهامٍ أو اسمُ شَرْط	جملةٌ، أو شبهُ جملة	مَنْ جاء ؟ ماعندَكَ ؟ مَن يَفُزْ بالسباقِ يَنَل الجائزةَ .	المبتدأُ واجبُ التقديمِ لأن له الصدارةَ في الكلام .

المبتـــدأ	الخبـــر	المثــــــال	الملاحظـات
١٩ - اسمٌ مؤخّر	اسمُ استفهامٍ مقدَّم.	أين محمدٌ؟ متى السفرُ؟	المبتدأ واجبُ التأخيرِ، لأن الخبرَ له الصدارة.
٢٠ - مصدرٌ مُؤوَّل	وصفٌ نكرة	﴿ وأنْ تصوموا خيرٌ لكم ﴾	المصدرُ المؤولُ في محلِ رفعٍ مبتدأ.
٢١ - اسمٌ صريح	مصدرٌ مؤوَّل	الإيمانُ أنْ تُؤْمنَ باللهِ وملائكتِه	المصدرُ المؤوّلُ في محلِ رفعٍ خبرٌ.
٢٢ - وصفٌ مشتقٌ نكرة معتمدةٌ على نفيٍ أو استفهامٍ.	فاعلٌ سدَّ مَسَدَّ الخبر.	أَمُسافِرٌ أخوكَ ؟ ما مسافِرٌ أَبوك .	(أخوك) فاعلٌ سَدَّ مَسَدَّ الخبر.

خامسا : الصَّـــرْف :

- الميزانُ الصَّرْفِيّ -

اَلْكَلِمَةُ	وَزْنُها	
مَثَلُ	فَعَلُ	الكلمةُ الثلاثيةُ المجرَّدَةُ تُوزَنُ بِوَضْعِ
نارٌ	فَعْلٌ	الفاءِ مكانَ الحرفِ الأولِ ، والعينِ
نور	فُعْل	مكانَ الحرفِ الثاني ، واللامِ مكانَ
أَذِنَ	فَعِلَ	الحرفِ الثالثِ، مع وضعِ الحركاتِ
		حَسْبَ ترتيبِها في الكلمة.

* * *

اَلْكَلِمَةُ	وَزْنُها	
مِصباحٌ	مِفْعالٌ	الكلمـةُ المـزيدةُ، تُـوزَنُ بوضـعِ
كاتِبٌ	فاعِلٌ	الفاءِ والعيـنِ والـلامِ بـإزاءِ الحـروفِ
يَضْرِبُ	يَفْعِلُ	الثلاثـةِ الأصولِ ، ثم توضَعُ الحروفُ
تَمْسَسْهُ	تَفْعَلْهُ	الزائدةُ على الأصلِ في مَواضِعها في
تَتَقَلَّبُ	تَتَفَعَّلُ	الميزانِ، مـع مراعاةِ وضـعِ الحركاتِ
يَخافونَ	يَفْعَلونَ	حَسْبَ ترتيبِها في الكلمة.

* * *

الكلمةُ	وزنُها	
مِشْكاةٌ	مِفْعَلَةٌ	وأصلُها (مِشْكَوَة) وحدث فيها إعلالٌ بِقَلْبِ الواوِ ألفالِتَحَرُّكِهاوانفتاحِ ماقبلها
قال	فَعَلَ	وأَصْلُها (قَوَلَ).
باع	فَعَلَ	وأَصْلُها (بَيَعَ).

تُوزَنُ الكلمةُ التي حصل فيها إعلالٌ على الأصلِ قبلَ حصولِ الإعلال.

* * *

الكلمةُ	وزنُها	
يُضيءُ	يُفْعِلُ	وأصلُها (يُضْوِئُ) حصل إعلالٌ بنقلِ كسرةِ الواوِ إلى الساكنِ قبلَها، فصار (يُضِوْء) فَقُـلِبَت الـواوُ يـاءً لسكونِها وانكسارِ ماقبلَها، فصار (يُضِيءُ)
يَزيدُ	يَفْعِلُ	وأصلُها (يَزْيِدُ) حصل إعلالٌ بنقلِ كسرةِ الياءِ إلى الساكنِ قبلَها، فصار (يَزِيدُ).

تُوزَنُ الكلمةُ التي حصل فيها إعلالٌ بالنقلِ والقَلْبِ أو بالنقلِ فقط حَسْبَ أصِلها قبلَ حُدوثِ الإعلال.

* * *

الكلمةُ	وزنُها	
يَجِدْهُ	يَعِلْهُ	أصلُها الثلاثيُّ (وَجَدَ) على وزنِ (فَعَلَ) والمضارعُ (يَوْجِدُ) ، فَحُذِفَت الواوُ لوقوعِها بَيْنَ ياءٍ مفتوحةٍ وحَرْفٍ مَكْسورٍ فصار (يَجِدُ) فَوَزْنُهُ (يَعِلُ).
لم يَكَدْ	لم يَفَلْ	أصلُها الثلاثيُّ (كاد) على وزن (فَعَلَ) والمضارعُ: (يكادُ) على وزن (يَفْعَلُ) فلما جُزِم الفعلُ حُذفت الألِفُ لالتقاءِ الساكنيْن، فصارت (يَكَدْ) فوزنُها (يَفَلْ).

تُوزَنُ الكلمةُ التي حذفت بعضُ حروفِها بأن يُحْذَفَ من الميزانِ ماحُذِفَ من الأصل.

* * *

سادسا : التدريبـــات :

(١)

(أ) في الآيتيْن ٣٩ ، ٤٠ صورتـان للتشبيه. وَضِّحْ نوعَ كلٍ منهمـا بالتفصيلِ ، مُعَلِّلاً لِرَأْيِك.

(ب) بَيِّنْ أركانَ التشبيهِ وعما إذا كان تمثيليًا أو غيرَ تمثيليٍ في كلِ مثالٍ مما يأتي :

١ - قال تعالى : ﴿ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴾.

٢ - وقال أيضا : ﴿ فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾.

٣ - اَلْعُمْرُ مِثْلُ الضَّيْفِ أَوْ	كَالطَّيْفِ لَيْسَ لَـهُ إقَامَـهْ
٤ - أنـا كَالْماءِ إنْ رَضيتُ صَفـاءً	وإذا مـا سَـخِطْتُ كِنْتُ لهيبـا
٥ - لَـكَ سـيرةٌ كَصَحيفَـةِ الْـ	أبْـرارِ طاهـرةٌ نَقِيَّـه
٦ - إذا ماالرَّعْدُ زَمْجَرَ خِلتَ أُسْدًا	غِضابًا في السـحابِ لها زئَيـرُ
٧ - أنا نارٌ في مُرْتَقَىٰ نَظَرِ الحـا	سِـدِ ، مـاءٌ جـارٍ مـع الإخْـوانِ
٨ - كَشِـقَّيْ مِقَـصٍّ تَجَمَّعْـتُما	علـى غَيْـرِ شَـيْءٍ سِوىٰ التَّفْرِقَـةْ
٩ -وَاللَّيْلُ كالماءِ يُبْدي لي ضَمائِرَهُ	مَـعَ الصَّفـاءِ ويُخْفيـها مَـعَ الْكَـدَرِ
١٠ -وإذا افْتَقَرْتَ إلى الذَّخائِرِ لم	تَجِدْ ذُخْرًا يكونُ كصالحِ الأعْمالِ
١١ - كـأنَّ الـرُّبوعَ علـى خَـدِّها	بَقِيَّـةُ طَـلٍّ علـى جُلَّنـارْ
١٢ - يَطَأُ الثَّرىٰ مُتَرَفِّقاً مِن تِيهِهِ	فَكَأَنَّـهُ آسٍ يَجُـسُّ عَليـلا

(٢)

أَجِبْ عَمّا يَأْتي :

١ - ماالصورةُ التي رسمها المولى عزّ وجلّ لِمَثَلِ نورِه ؟ وَضِّحْ أثرَها في المعنى.

٢ - مالدورُ الأساسيُّ الذي أقيمت من أجله بيوتُ الله؟ وهل هناك أدوارٌ أخرى للمسجد؟ اذكرْ مايُمكِن أن يقومَ به المسجدُ كمكانِ عبادةٍ ودارِ تعليمٍ ومصدرِ توجيه.

٣ - شُبِّهت أعمالُ الكافرين في الآيتيْن ٣٩، ٤٠ بالسرابِ والظلمات.
ما توجيهُك لهذا التشبيهِ في كلِ مرة؟ وأيهُما أفظعُ وأقذع ؟ اذْكُرْ رأيَك وعَلِّلْه.

٤ - اِخْتُتِمت الآيةُ (٤٢) بحقيقةِ الربوبيةِ للهِ سبحانه وتعالى، وأن له وحدَه مُلْكَ السمواتِ والأرض. هل ترى مناسبةً بين هذا الختامِ وماذَكَرَتْه الآياتُ السابقة ؟ وضحْ كيف كان ذلك ؟

٥ - التعبيرُ بقوله سبحانه عن الشجرةِ بأنها ﴿ لاشرقية ولاغربية ﴾ قد يُفهَمُ منه أنها بَيْنَ الشرقِ والغربِ ولاتنتمي لواحدٍ منهما، وقد يقال إنها لاشرقيةٌ تماما ولا غربيةٌ تماما، بل هي مزيجٌ منهما. ناقش هذا في ضوءِ فهمِك للآية.

٦ - في الآية (٣٦) تُذْكَرُ أفعالٌ : تُرْفَع / يُذْكَر / يُسَبِّح ، وكلها كما نرى أفعالٌ مُضارِعةٌ تُفيدُ تَجَدُّدَ الحَدَثِ واستمراريّتَه.
بَيِّنْ دَوْرَ الفعلِ المضارعِ حين نَرْبطُه بمضمونِ الآية.

٧ - قال تعالى : ﴿ لاتُلهيهم تجارةٌ ولا بَيْعٌ عن ذِكْرِ الله ﴾ ماذا تجدُ من فَرقٍ بَيْنَ التجارةِ والبَيْع ؟

٨ - في الآيةِ (٣٧) قَدَّمَ المولى سبحانه كلمةَ « القُلوب » على « الأَبْصار » هل

لذلك من دلالةٍ في نظرك ؟

٩ - في قولِهِ سبحانه ﴿ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ .
نَتصوّرُ نوعًا من التعميمِ . استشهدْ من الأسلوبِ على الدافعِ إلى هذا التصور.

١٠ - في الآياتِ عَدَدٌ من صورِ الطِّباق والجِناس. استخرجْ بعضَها مُوَضِّحاً أثرَها في المعنى.

(٣)

أ - قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾، ﴿ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾، ﴿ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾، ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ .
عَيِّن المبتدأَ والخبرَ فيما سبق، واذكر علامةَ إعرابهما.

ب - قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍ ﴾، ﴿ المؤمنون والمؤمناتُ بعضُهم أولياءُ بعضٍ ﴾ . عيّن المبتدأَ والخبرَ، واذكر نوعَ الخبر، وهاتِ أمثلةً من عندِك توافقُ هذا الأسلوبَ.

جـ - قال تعالى : ﴿ والله يرزقُ من يشاء ﴾ ﴿ كُلٌّ قد علم صلاته ﴾
عَيِّن المبتدأَ والخبرَ، واذكر نوعَ الخبرِ، ثم هاتِ أمثلةً من عِنْدِك تُوافِقُ هذا الأسلوب.

د - قال تعالى: ﴿ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ ﴾، ﴿ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾، ﴿ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ﴾ ﴿ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ ﴾، ﴿ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ﴾، ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ ﴿ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ .

١ - عين المبتدأ والخبرَ فيما سبق، وبيّن نوعَ الخبرِ، ثم أَعْرِبْهما.

٢ - اِستخْرِجْ من الجملِ السابقةِ، ما تَقَدَّمَ فيه الخبرُ على المبتدِأ وُجوباً، وما تَقَدَّمَ فيه الخبرُ جَوازا، واذكرْ سببَ ذلك.

هـ - قال تعالى: ﴿ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ ﴾ ﴿ ظُلُمَٰتُۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ﴾

١ - ما مُسَوِّغُ المُبْتدأُ بالنكرةِ في الجملتيْن؟ هاتِ من عندِك أمثلةً أخرى جاء فيها المبتأ نكرةً، مع ذِكْرِ السببِ.

٢ - أعْرِب ما تحتَه خَطٌّ.

و - أُكتُبْ في كراستِك من قولِه تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ إلى قولِه تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾، واضبِطْها بالشكلِ ضَبطا كاملا.

* * *

(٤)

زِنِ الكلماتِ التي تحتها خطٌ فيما يلي:

قال تعالى: ﴿ رجالٌ لا تُلْهيهم تجارةٌ ولا بَيْعٌ عن ذِكْرِ الله وإقامِ الصلاةِ وإيتاءِ الزكاةِ... لِيَجْزِيَهم الله أحسنَ ما عملوا ويَزيدَهُم من فضلِه والله يرزقُ من يشاءُ بغيرِ حساب.

ألم تَرَ أنَّ الله يسبِّحُ له مَن في السمواتِ والأرضِ والطيرُ صافاتٍ كُلٌّ قد عَلِمَ صَلاتَه وتسبيحَه والله عليمٌ بما يَفْعَلون ﴾.

* * *

الوحدة الثانية

من سورة الزّمر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا
ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ
لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾
بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ
حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا
يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ
فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا

وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِا۟ىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ
بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ
مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟
إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ
لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ
رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ
حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟
أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾
وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا
جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ
طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى
صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ
نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ
مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم
بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾

أولاً : التفسير:

هذا القطاع الأخير في السورة، يعرض حقيقة التوحيد من جانب وحدانية الخالق الذي خلق كل شيء، المالك المتصرف في كل شيء. فتبدو دعوة المشركين للنبي - ﷺ - إلى مشاركتهم عبادة آلهتهم في مقابل أن يشاركوه عبادة إلهه! تبدو هذه الدعوة مستغربة، والله هو خالق كل شيء، وهو المتصرف في ملكوت السماوات والأرض بلا شريك. فأني يعبد معه غيره، وله وحده مقاليد السماوات والأرض؟!

﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ ﴾ وهم يشركون به وهو وحده المعبود القادر القاهر ﴿ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾ وبمناسبة تصوير هذه الحقيقة على هذا النحو يوم القيامة يعرض مشهدا فريدا من مشاهد القيامة، ينتهي بموقف الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم، وينطق الوجود كله بحمده : ﴿ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ .. فتكون هذه هي كلمة الفصل في حقيقة التوحيد.

﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾..

إنها الحقيقة التي ينطق بها كل شيء. فما يملك أحد أن يدعي أنه خلق شيئا. وما يملك عقل أن يزعم أن هذا الوجود وجد من غير مبدع. وكل مافيه ينطق بالقصد والتدبير؛ وليس أمرًا من أموره متروكا لقى أو للمصادفة من الصغير إلي الكبير: ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴾.. وإلى الله قياد السماوات والأرض.

* التفسير من « في ظلال القرآن » للمرحوم سيد قطب.

فهو يصرفها وفق ما يريد؛ وهي تسير وفق نظامه الذي قدره: وما تتدخل إرادة غير إرادته في تصريفها، على ما تشهد الفطرة. وينطق الواقع. ويقر العقل والضمير.

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾..

خسروا الإدراك الذي يجعل حياتهم في الأرض متسقة مع حياة الكون كله؛ وخسروا راحة الهدى وجمال الإيمان وطمأنينة الاعتقاد وحلاوة اليقين. وخسروا في الآخرة أنفسهم وأهليهم. فهم الخاسرون الذين ينطبق عليهم لفظ «الخاسرون»!

* * *

وعلى ضوء هذه الحقيقة التي تنطق بها السماوات والأرض، ويشهد بها كل شيء في الوجود، يلقن الرسول - ﷺ - استنكار ما يعرضونه عليه من مشاركتهم عبادة آلهتهم في مقابل أن يعبدوا معه إلهه. كأن الأمر أمر صفقة يساوم عليها في السوق!

﴿ قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ ﴾..

وهو الاستنكار الذي تصرخ به الفطرة في وجه هذا العرض السخيف الذي ينبىء عن الجهل المطلق المطبق المطموس.

ويعقب عليه بتحذير من الشرك. يبدأ أول ما يبدأ بالأنبياء والمرسلين. وهم - صلوات الله عليهم - لا يتطرق إلى قلوبهم طائف الشرك أبدا. ولكن التحذير هنا ينبه سواهم من أقوامهم إلى تفرد ذات الله سبحانه في مقام العبادة، وتوحد البشر في مقام العبودية، بما فيهم الأنبياء والمرسلون:

﴿ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾..

ويختم هذا التحذير من الشرك بالأمر بالتوحيد. توحيد العبادة والشكر على

الهدى واليقين، وعلى آلاء الله التي تغمر عباده، ويعجزون عن إحصائها، وهم فيها مغمورون:

﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾..

* * *

﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ ﴾..

نعم. ما قدروا الله حق قدره، وهم يشركون به بعض خلقه. وهم لا يعبدونه حق عبادته. وهم لا يدركون وحدانيته وعظمته. وهم لا يستشعرون جلاله وقوته.

ثم يكشف لهم عن جانب من عظمة الله وقوته. على طريقة التصوير القرآنية، التي تقرب للبشر الحقائق الكلية في صورة جزئية، يتصورها إدراكهم المحدود:

﴿ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾..

وكل ما يرد في القرآن وفي الحديث من هذه الصور والمشاهد إنما هو تقريب للحقائق التي لا يملك البشر إدراكها بغير أن توضع لهم في تعبير يدركونه، وفي صورة يتصورونها. ومنه هذا التصوير لجانب من حقيقة القدرة المطلقة، التي لا تتقيد بشكل، ولا تتحيز في حيز، ولا تتحدد بحدود.

* * *

ثم يأخذ في مشهد من مشاهد القيامة يبدأ بالنفخة الأولى، وينتهي بانتهاء الموقف، وسوق أهل النار إلى النار. وأهل الجنة إلى الجنة. وتفرد الله ذي الجلال. وتوجه الوجود لذاته بالتسبيح والتحميد.

وهو مشهد رائع حافل، يبدأ متحركا، ثم يسير وئيدا، حتى تهدأ كل حركة، وتسكن كل نأمة، ويخيم على ساحة العرض جلال الصمت، ورهبة الخشوع، بين يدي الله الواحد القهار!

ها هي ذي الصيحة الأولى تنبعث، فيصعق من يكون باقيا على ظهر الأرض من الأحياء، ومن في السماوات كذلك - إلا من شاء الله - ولا نعلم كم يمضي من الوقت حتى تنبعث الصيحة الثانية:

﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾.

ولا تذكر الصيحة الثالثة هنا. صيحة الحشر والتجميع. ولا تصور ضجة الحشر وعجيج الزحام. لأن هذا المشهد يرسم هنا في هدوء، ويتحرك في سكون.

﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾..

أرض الساحة التي يتم فيها الاستعراض. ونور ربِّها الذي لا نور غيره في هذا المقام...

﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾.. الحافظ لأعمال العباد..

﴿ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ ﴾.. ليقولوا كلمة الحق التي يعلمون.. وطوى كل خصام وجدال - في هذا المشهد - تنسيقا لجوه مع الجلال والخشوع الذي يسود الموقف العام:

﴿ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾.

فلا حاجة إلى كلمة تقال، ولا إلى صوت واحد يرتفع. ومن ثم تجمل وتطوي عملية الحساب والسؤال والجواب التي تعرض في مشاهد أخرى. لأن المقام هنا مقام روعة وجلال.

﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ﴾ ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا ﴾..

واستقبلهم خزنتها يسجلون استحقاقهم لها ويذكرونهم بأسباب مجيئهم إليها:

﴿ وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ﴾؟

﴿ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾.

فالموقف موقف إذعان وتسليم. لا موقف مخاصمة ولا مجادلة. وهم مقرون مستسلمون!

﴿ قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾!

ذلك ركب جهنم ركب المتكبرين. فكيف ركب الجنة؟؛ ركب المتقين؟

﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾..

فهو الاستقبال الطيب. والثناء المستحب. وبيان السبب. «طبتم» وتطهرتم. كنتم طيبين. وجئتم طيبين. فما يكون فيها إلا الطيب. وما يدخلها إلا الطيبون. وهو الخلود في ذلك النعيم..

هنا تهينم أصوات أهل الجنة بالتسبيح والتحميد:

﴿ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ﴾. فهذه هي الأرض التي تستحق أن تورث. وهم يسكنون فيها حيث شاءوا. وينالون منها الذي يريدون..

﴿ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾

ثم يختم المشهد بما يغمر النفس بالروعة والرهبة والجلال. وما يتسق مع جو المشهد كله وظله، وما يختم سورة التوحيد أنسب ختام؛ والوجود كله يتجه إلى ربه بالحمد؛ في خشوع واستسلام. وكلمة الحمد ينطق بها كل حي وكل موجود في استسلام:

﴿ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾..

ثانياً : اللغــة:

- مَقَالِيْد: مَقَاليدُ السَّمواتِ والأرض: مَفَاتيحُها وخَزائِنُها، واحِدُها: إقليد.
- لَيَحْبَطَنَّ: يقال: حَبط عَمَلُه: بَطَل، ومنه قوله تعالى: « لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُك » وكـأنَّ العامِلَ إذا أَكْثَرَ مِن العَملِ ثمَّ أشْرَكَ، كَانَ الشِّرْكُ سَببًا في هَلاكِ عَمَلِهِ، أي إبطالهُ.

- مَطْوِيَّات: يقالُ: طَوَي الشَّيءَ طَيًّاً: ضَمَّ بعضَهُ على بَعْضٍ، أَوْ لَفَّ بعضَهُ فوقَ بعضٍ، والشيء مَطْويٌّ بيدِهِ، أي مَضْمومٌ، فيها، مُحِيْطَةٌ يَدُهُ عليه.
- صَعِقَ: صَعِقَ الرَّجُلُ: هَلَكَ، فهو صَعِقٌ، والمَرْأَةُ صَعِقَةٌ.
- سِيْقَ: مَبْنيٌّ للمَجْهُولِ من (سَاقَ). تقول: ساقَهُ سَوْقاً: حَثَّهُ على السَّيْرِ من خَلْفِهِ.

- زُمَـراً: الـزُّمَرُ: جَمْعُ زُمْرَةٍ، وهي الجماعة لها صوت كصوت المزمار، ومنه (مَزَامِيْرُ دَاوُد) وهي أصواتٌ كانت له مُسْتَحْسَنة. قال الشاعر:

لَـهُ زَجَـلٌ كأنَّـهُ صَـوْتُ حَـادٍ   إذا طَلَـبَ الوَسِيْقَـةَ أو زَمِيْـرُ

- طِبْتُم: طابَ الشَّيءُ طِيْبَاً وطِيْبَةً: زَكا وطَهُرَ. ومعنى قوله تعالى: « طِبْتُم » أي طِبْتُم بالعَمَلِ الصَّالح في الدُّنيا وطابَتْ أعمالكم الصَّالحة وزكَتْ
- نَتَبَوَّأُ: يقال: تَبَوَّأَ المكانَ، وَتَبوَّأَ بِهِ: نزله وأقام به، ومنه قوله تعالى: « والذين تبوَّؤوا الدار والإيمان ».
حَافِّيْنَ: يقال: حفَّ القوم بفُلانٍ، وهم حَافُّونَ به: إذا أَطَافُوا به وأَحْدَقُوا به.

* * *

ثالثاً : الأسلوبُ والصُّوَرُ

أ - التَّعبير باسم الفاعل

اسم الفاعل له مستويان: المُستوى النَّحْويّ أو المُباشر، وهو لا يعني أكثر من وجود شَخْص يفعل فعلاً من نوعٍ ما. وفي هذه الحالة، تكون له صيغة خاصَّة يقودنا إليها عِلْمُ الصَّرْفِ، في حالةٍ ما إذا اشْتُقَّ من فعلٍ مُجَرَّدٍ ثُلاثِيّ، كما تكون له صيغة أخرى فيما لو اشْتُقَّ من فعل مزيد.

أما المستوى الوظيفيّ الآخر لاسم الفاعل فيتعلق بدلالته في السياق. وهنا تساعدنا الدراسة الحديثة في التَّعَرُّفِ إلى هذه الدلالة. وهي ليست دلالة جامدة راكدة ثابتة، ولكنها دلالة حَيَّةٌ مُتفاعلةٌ مُتَحَرِّكَة، تتحرك بطبيعة كُلِّ فِعْلٍ، وتتشابَكُ في النصِّ الأدبي مع دلالات مماثلة أو مخالفةٍ في سبيل بَلْوَرَةِ المعنى وإيجادِ التَّناسبِ المنشود.

وبالنظر إلى الآيات السابقة من سورة الزُّمر، نَجِدُ عدداً من صِيَغِ اسم الفاعل تتوزَّعُ في مواضعَ متفرِّقةٍ.

فالله سبحانه وتعالى: خَالِق.

والرسول ﷺ - يُطْلَبُ إليه أنْ يكونَ من: الشَّاكِريْن

والمُؤمنون يُشَارُ إليهم بصِفَاتٍ: « خَالِدِين » أو العَامِلين.

والملائكة يُصَوَّرُونَ بصفة: حَافِّيْنَ.

وفي المقابل، نجد الكافرين يُشَارُ إليهم بصفات:

خَاسِرُون / خاسِرِيْنَ

جَاهِلُون / الكَافِرِين المُتكبرين.

أما الخَلْقُ أجمعون، فهم إمَّا « قيام » (جمع: قائم) أو من: العَامِلين.

ودلالة « فاعل » مَعَ الله سبحانه وتعالى تمتَدُّ لتشمل الأزْمنة كُلَّها، فهو

« خَالِق » الماضِي ، « وخَالِق » الحَاضِر وهو كذلك « خَالِق » المُستقبل حتى يَرِثَ الله الأرضَ ومَنْ عليها. وهذا بِدَوْرِهِ يَتَّفِقُ مع صفات الذَّات العَلِيَّةِ مِنْ أَزَلِيَّة وخُلُودٍ مَعَاً.

على حين نجد أَنَّ الأزمنة تتوزع تَوزُّعاً عادِلاً مع صِيغ « الفاعل » التي أتت مع بني البشر.

ويستوقفنا هنا هذا الازدِوَاج الحيّ والمُعَبِّر بين وَصْفَي : الشَّاكِرين، والعامِلينَ، فَشُكْرُ الله على النِّعْمَةِ يقتضِي العمل من أجل المحافظة عليها، بَلْ إِنَّ جَوْهَرَ الشُّكْرِ يتعدَّي القولَ باللِّسانِ إلى العمل بالجَوَارح، وفي هذا ما فيه من التَّناسُب القرآني البديع.

وصفات الكافرين تجيء لتشمل الخُسْرَانَ والجَهْلَ والكُفْرَ والتَّكَبُّر، وإذا أَمْعَنْتَ فيها النَّظر، وجدْتَ الارتباطَ بينها نائباً مَنَابَ السَّبب والنَّتيجة، فالكُفْرُ والجهلُ والتكبرُ - كُلُّها سُبُلٌ إلى الخُسْرانِ المُبين.

هذا هو نمط الأُسلوب القرآني البليغ، وهو أيضًا من دلائل الإعجاز فيه. وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾.

ب - **وسائل تعبيرية:**

تَعَلَّمْنَا في علم النَّحْو أَنَّ واوَ العَطْفِ للاشْتِراك في حُكْم ما بعدها لما قبلها، وأَنَّ الفاء للتَّرتيب والتَّعقيب في عَرْضِ الأحداث، كما أَنَّ « ثُمَّ » تأتي لِتُفيدَ التَّرتيب والتَّراخِي أي أنها تسمح بمُهْلَةٍ في الوقت لِمَا بعدها أكثر مِمَّا تُتِيْحُهُ الفَاء. وكذلك نعرف أنَّ الأداة « إذَا » أحياناً تكون فُجَائِيَّة تَخْتَصُّ بدخولها على الجملة الاسمية ولا تحتاج في هذا الحالة إلى جواب، وتلزمها فاءٌ زائدة عادة أو استئنافية فتُصْبح : فَإِذَا.

في ضوء هذه المقولات النَّحوية أو اللُّغوية بوجهٍ عام، نستطيع أنْ نَتَفَهَّمَ رَوْعَةَ الأُسلوب القرآني، وليكن ذلك من خلال الآية ٦٨

قال تعالى ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾

هنا تَتَلاحقُ الأحداث على نَحْوٍ خاصّ، وتقوم كُلُّ أداة تعبيرية بدورها المرسوم في تشكيل الدِّلالات الخاصّة في الآية، وعرضها في نَسَقٍ مُتَمَيِّزٍ.

فالنَّفْخُ في الصُّور، وطَيّ السّمٰواتِ أَمْرانِ مُتَلازِمَانِ، ومن هنا كانت « الواو » أنسب رابطة تجمعهما، على حين يأتي النَّفْخُ في الصُّورِ حَدَثًا إلهيًّا حَتْمِيًّاً يعقبه ودوَن مُقَـدِّمات صَعْقُ الباقِين على ظهر الأرض من الأحياء، وكذلك الأمرُ في السّموات إلاّ من يَسْتَثْنِيه المولى عزَّ وجلَّ. والفاء تلعَبُ دوراً وظيفياً مُهمَّاً في هذا الأسلوب القرآني، حيث ترتب حَدَثَيْ: النَّفْخ والصَّعق بطريقة تختزل الزَّمنَ إلى حَدٍّ كبير. وتأتي « ثم » بعد ذلك لتَربط النَّفْخَةَ الأخرى بمشيئةِ الله وحدَهُ، فهو الذَّي يُعَيِّنُ لها مَسَارَهَا، وهو سبحانه - لا شريكَ له - الذي يُحَدِّدُ لها وَقْتَها، حتى إذا قال « كُنْ » هرع الجميع للحَشْـر والتَّجميع، يَحـدث هذا في لَمْحِ البَصَـر، وبفُجَـائِيَّةٍ عجيبـة تُعِيْنُ على تَصَوُّرها وفهمها « إذا » الفُجَائية في قوله سبحانه: ﴿ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾

هذا النَّسَقُ البديع في عَرْضِ هذا المَشْهد، أعان عليه - كما رأينا - عدد من أَدوَات الرَّبْط جاء استخدامها بطريقة بالغة الدِّقَّةِ والدِّلالة.

جـ - أساليب مُوْحِيَة ومُعَبِّرة :

لدينا في هذه الآيات عدد من الأساليب :

كأساليب الاستفهام، والنِّداء، والقَصْر. وكُلٌّ منها وإنْ بَدَا أنَّ له دورًا جزئيًّا فإنَّه يرتبط بالأهداف العامَّة في الآيات بسبب أو آخر.

فالاستفهام يجيء في موضعَيْنِ : ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ ﴾، ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ ﴾؟

والاستفهام في الأول خرج عن معناه الأصلى لِيُصْبِحَ استفهامًا إنكاريًا، يتمثَّلُ في غَضْبَةِ كُلِّ غَيُورٍ ضِدَّ أَيَّةِ قُوَّةٍ تُحاولُ - عبثًا - أنْ تأخُذَهُ بعيدًا عن ساحة المعبود الحقيقيّ.

على حين يأتي الاستفهامُ في الموضع الثاني ليكونَ تقريرياً غَرَضُهُ التَّبكيتُ والتَّوبيخُ لكُلِّ مَنْ أضاعوا الفُرصةَ وتمادَوْا في الضَّلال حتى حقَّ عليهم العذابُ الأليم.

والاستفهامان - وإنْ اختلفا في الطريقة - فقد اتَّفقا على الغرض الواحد وهو الحَيْرَةُ مِنْ أن يَحْدُثَ هذا، وسياق الآيات جميعها يؤكد على أحقية الله وَحْدَهُ بالعبادة فهو ﴿ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾.

﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ ﴿ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾ وهو وحده الذي إنْ شاءَ فَعَلَ. والكُلُّ ﴿ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾.

ويجيء أسلوب النِّداء في قوله سبحانه ﴿ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴾ وليس وراء ذلك تَبكيتٌ لكُلِّ مَنْ أراد أنْ يصرف عن عبادة الحقّ تعالى. ولهذا فإنَّ وَصْفَهُم في

هذا الأسلوب بـ ﴿ الجَاهِلُون ﴾ هو أقلُّ عقاب لهم ولأمثالهم. وإذْ يجيء هذا الوصف مرتبطًا بمحاولتهم الخاسرة والفاشلة في الإغْواء، فإنَّهُ من ناحية أخرى إنَّما يدلُّ على أنَّ هناك أُمورًا لايُتَهاوَنُ فيها ولايُسْكَتُ عنها، ومجابهة أصحابها في التَّوِّ والساعةِ هو ما يجب أن يكون، دون تَرَفُّقٍ أو خوف.

أما أسلوب القَصْر، فقد ورد له أكثر من نُمُوذَجٍ :
﴿ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ ، ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ ﴾ ، ﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ ﴾.

وكُلُّها كما ترى حدث فيها تقديم ما حَقُّه التأخير، ومعنى ذلك أنَّهُ يحدث في هذا الأسلوب نوع من كسر النَّمَطِ التَّقليدي في مجيء الكلام بطريقة مُرَتَّبَةٍ. وكما يقولون عادة : (ماجاء على أصله لايُسْأَلُ عنه) فلو أنَّكَ أتيت بالفعل أوَّلا يليه الفاعل فالمفعول لكان ذلك أمرًا طبيعيًّا ومُتوقَّعاً، أما لو قَدَّمْتَ المفعول على الفاعل، لحقَّ لنا أن نتساءَلَ عن السَّبب.

وتتعدَّدُ هنا أسباب تقديم ما حَقُّهُ التأخير فيما مَعَنَا من نماذج. ففي النُّموذج الأول إشارة إلى أنَّ « اللهَ وحدَهُ » « لاغيره » هو المالِكَ الوحيدُ لمفاتيح السَّمواتِ والأرضِ ، فهو المُتَصَرِّفُ الوحيد، وهذه الحقيقة يجب أنْ تَعْلُوَ على كُلِّ حقيقةٍ، ومن هنا جاء التعبير القرآني ليدلَّ على ذلك أَصْدَقَ دِلالةٍ.

وفي النُّموذج الثَّاني قُدِّمتْ قالتهم في الشرك ليكون ذلك تسجيلاً لجهلٍ ذاعَ وشاعَ، استحقوا من أجله أنْ يُخَاطَبُوا بأنَّهم « الجاهلون » بكُلِّ ماتحمله الكلمة من تَخَبُّطِ وضَيَاعٍ.

أما في النُّموذَج الأخير، فلِلمُبَادرة والاعتراف بأن «الله» وحده هو المُسْتَحِقُّ للعبادة. ولعَلَّ في مقابلة هذا النموذج الثاني مايرينا أنَّ القضيةَ واحدة وإنْ تَشَعَّبَتِ المَسالِكُ إليها.

د - استعارات رائعة :

في قَوْلِهِ سبحانه ﴿ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ استعارة مَكْنِيَّة أي إنَّ له مفاتيحَ خَيْرَاتِهما وَمَعادِنَ بَرَكَاتِهِما من إدْرَارِ الأمْطارِ وإيْرَاق الأشجار وسائر وجوه المنافع وعوائد المصالح.

لقد وصف اللهُ سبحانه وتعالى السَّماء في عِدَّة مواضع بأنَّ لها خزائنَ وأبوابًا، فناسب هذا أنْ تكونَ لها مَقَاليد (مفاتيح) للفتح، كما قال تعالى : ﴿ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴾، وللإغلاق، كما قال جل شأنه عن الكافرين : ﴿ لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ ﴾.

أما عن الخزائن، فيأتي هذا مِصْدَاقاً لقوله سبحانه : ﴿ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ قال المفسرون : خزائنُ السَّموات : الأمطارُ، وخزائِنُ الأرض : النَّبَاتُ.

شَبَّهَ السَّموات والأَرْضَ ببناياتٍ لها أبوابٌ، ومن شأنها أنْ يكون لها مفاتيح، ثم حذف المُشَبَّهَ به وهو البنايات، ورمَزَ إليها بشيء من لوازمها وهي المفاتيح، على سبيل الاستعارة المَكْنيَّة.

وسُميت مكنية لأنه كَنَّىٰ هنا عن المُشَبَّه به، أي لم يذكره في الكلام.

كذلك نجد استعارَتَيْن في قوله سبحانه :

﴿ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾ ومعنى « قبضته » ها هنا أي مُلْكٌ له خالِص قد ارتفعت عن أيدي المالكين من بَرِيَّتِهِ،

والمُتَصَرِّفينَ فيه من خليقته. وقد وَرَّثَ تعالى عبادَه ماكان مَلَّكَهُم في دارِ الدُّنيا من ذلك، فلم يَبْقَ مُلْكٌ إلاَّ انتقل، ولا مالِكٌ إلاَّ بَطَلَ.

وقيل أيضا: معنى ذلك أنَّ الأرضَ في مقدوره كالذي يَقْبِضُ عليه القابِضُ ويستولى عليه كَفُّهُ.

ومعنى قوله سبحانه: ﴿ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾ أي مجموعات في مُلْكِهِ، ومضمونات بقُدْرَتِهِ. واليمينُ هنا بمعنَى المُلْكِ أو القُوَّة.

أي أنَّه سبحانه يجمع أقطارَها، ويَطْوِي انتشارَها بقوته، كما قال سبحانه: ﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ﴾. ونشير هنا إلى أنَّ بعضَ المفسرين قد حَمَلَ الآيَتَيْنِ السَّابقَتَيْنِ على وَجهَيْهِمَا الحقيقيَّيْنِ بلا احتمالٍ لوجودِ الاستعارةِ فيهما.

رابعا النحــــو :

الجملــة الفعليــة

في اللغة العربية تركيبان من الجمل الفعلية :

١ - فعل (مبنيٌّ للمَعْلوم) + فاعل + تكملة) .

مثال : تبارَكَ اللهُ . (فعل + فاعل) وهما رُكْنَا الجملة الفعلية الأساسيّان .

يَصُومُ المُسْلِمُ رَمَضَانَ . (فعل + فاعل + تكملة) .

قال تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ ﴾ . (فعل + فاعل + تكلمة) .

قال تعالى : ﴿ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ . (فعل + فاعل) .

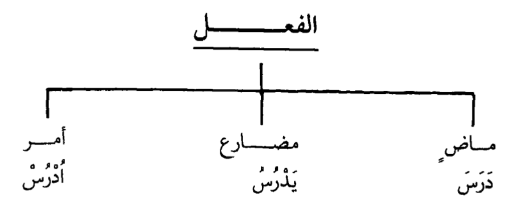
٢ - فعل (مبنيٌّ للمَجْهُول) + نائب فاعل + تكملة) .

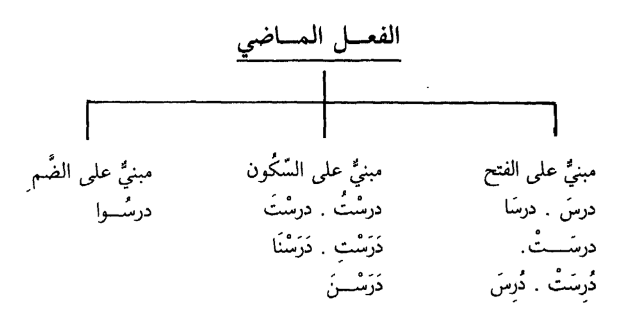
قال تعالى : ﴿ وَوُضِعَ الكِتَابُ ﴾ . (فعل مبني للمجهول + نائب فاعل) .

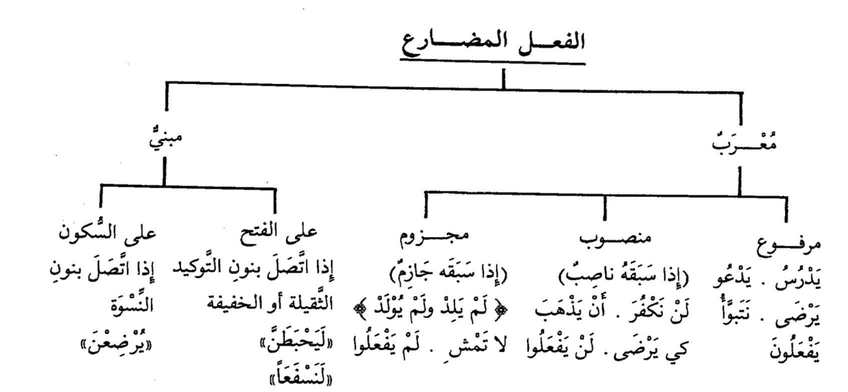
قال تعالى: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ﴾ . (فعل + نائب فاعل + تكملة) .

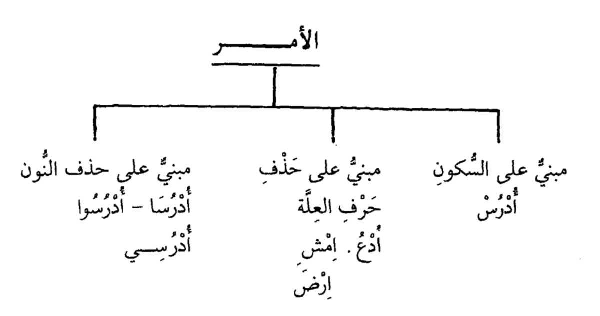
* يتبين لنا مِمَّا سَبَقَ أنَّ الجملة الفعلية تتركب من ثلاثة أجزاء : جُزْأَيْن أساسِيَّيْن هما : الفعل والفاعل، أو الفعل ونائب الفاعل، فالفعل حُكْمٌ، يُسْنَدُ إلى الفاعل، أو نائبه . وأمَّا الجُزء الثالث فهو التَّكْمِلَة .

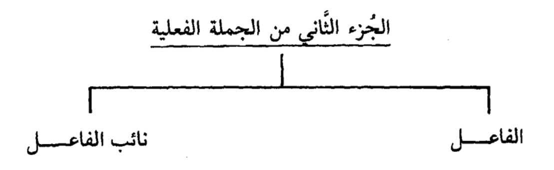
الجزءُ الأولُ من الجملة الفعلية : الفِعْلُ، وهو ثلاثة أنواع في الجملة العربيَّة كما في الجَدْوَل التَّالي:






الفعل المضارع
مُعْرَبٌ
مبنيٌّ
مرفوع
يَدْرُسُ . يَدْعُو
يَرْضَى . نَتَبوَّأُ
يَفْعَلُونَ
منصوب
(إذا سَبَقَهُ ناصِبٌ)
لَنْ نَكْفُرَ . أَنْ يَذْهَبَ
كي يَرْضَى . لَنْ يَفْعَلُوا
مجزوم
(إذا سَبَقَه جَازِمٌ)
﴿ لَمْ يَلِدْ ولَمْ يُوْلَدْ ﴾
لا تَمْشِ . لَمْ يَفْعَلُوا
على الفتح
إذا اتَّصَلَ بنونِ التَّوكيد
الثَّقيلة أو الخفيفة
«لَيَحْبَطَنَّ»
«لَنَسْفَعَاً»
على السُّكون
إذا اتَّصَلَ بنونِ
النِّسْوَة
«يُرْضِعْنَ»





الفاعل : ما أُسْنِدَ إليه الفعلُ وقامَ به حقيقةً أو مَجَازاً، مثل : حضرَ خالِدٌ، سقطَ الجِدَارُ. ماتَ المريضُ. وهو مرفوعٌ دائمًا. ويأتي الفاعلُ على صِوَرٍ أهمها:

١ - اسْمٌ ظاهِرٌ مُعْرَبٌ : حضرَ خالِدُ « أشرقَتِ الأرضُ ».

٢ - ضميرٌ مُتَّصِلٌ بارِزٌ : درستُ الأدب . الطَّالبان كتبا الدَّرْسَ - الطُّلابُ دَرَسُوا اللُّغَةَ العَربيَّةَ. الطَّالباتُ قَرَأْنَ القُرْآنَ. أَنْتِ تَسْمَعِيْنَ النَّصِيْحَةَ.

٣ - ضميرٌ مُسْتَتِرٌ : ﴿ إيَّاك نَعْبُدُ ﴾. ﴿ لتُنْذِرَ قَوْماً ﴾ . محمدٌ يَقْرَأُ القُرْآنَ.

٤ - اسْمٌ ظاهِرٌ مبنيٌّ : حضر الَّذِي أكرمتُهُ. زارني هذا الرَّجُلُ ﴿ عَزِيزٌ عليه مَاعَنِتُّمْ ﴾.

٥ - مصدرٌ مُؤوَّلٌ مِنْ (أَنْ) + فعل : يُعْجِبُني أنْ تَدْرُسَ. ﴿ لا يَحِلُّ لَكُم أنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ ﴾ .

٦ - مصدر مؤول من (أَنَّ) المفتوحَةِ الهَمْزَة واسمِهَا وخبرِهَا : يُعْجِبُني أَنَّكَ مُخْلِصٌ ، ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا ﴾ .

٧ - اسمٌ مجرورٌ لفظًا بحرفٍ زائدٍ، مرفوعٌ مَحَلًّا: وكَفَى باللهِ وَكِيْلًا، ما جَاءَنَا مِنْ بَشِيْرٍ.

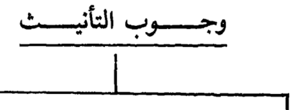
٨ - اسمٌ مجرورٌ لفْظاً بالإضَافَةِ إلى مَصْدَرِه: ﴿ ولَولَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ . . . ﴾.

وتذكر مايلي :

١ - يجبُ أنْ يكونَ الفعلُ المُسْنَدُ إلى الفاعل بصيغَةِ الإفراد دائماً، مثل: حَضَرَ الطُّلابُ. حضرَ الطَّالبانِ. حضرَتِ الطَّالِبَاتُ.

٢ - يجوزُ أنْ تَسْتَغْنِي عن الفعل المُسْنَدِ إلى الفاعل إذا دَلَّ عليه دليل في سياق الكلام، فإذا سأَلَكَ شَخْصٌ : مَنْ جَاءَ ؟ تقول : مُحَمَّدٌ. فـ (محمدٌ) فاعل اسْتُغْنِي عن فعلِه، أي : جاءَ مُحَمَّدٌ.

٣ - إذا كان الفاعلُ مُؤَنَّثاً لحِقَت الفعلَ المُسْنَدَ إليه علامةُ التَّأنيثِ، وتكونُ تَاءً ساكنة في آخر الماضى (درسَتْ) وتاء متحركة في أول المضارع (هي تَدْرُسُ)، وإلحاق التأنيث بالفعل يكون واجبًا في مواضع وجائزًا في المواضع الأخرى.



إذا كان الفاعل مؤنثاً حقيقياً ولم يفصل بينه وبين فعله فاصل
حضرَتْ فاطمةُ. قرأَتْ الطَّالبةُ. أكلَتْ البقرةُ.

إذا كان الفاعل ضميرًا مستترًا عائدًا إلى مؤنث حقيقيّ أو مجازيّ
الطَّالبةُ حضرَتْ . الشَّمْسُ طَلَعَتْ.

٤ - الأصلُ في الفاعلِ أنْ يأتيَ بعد الفعلِ ثم يليه المفعولُ به، وقد يَتقدَّمُ المفعولُ به على الفاعل، أو يتقدَّمُ على الفعلِ والفاعلِ معًا، فصِوَرُ ترتيبِ الفاعلِ والمفعولِ به في الجملةِ الفعلية ثَلاثٌ.

أ - (فعل - فاعل - مفعول به)

أكرَم المُدَرِّسُ محمدًا. (ويجوز أنْ تُقَدِّمَ المفعول به فتقول : أكرم محمداً المُدَرِّسُ).

ويجب أنْ يلتزَم المتَكلِّم بالصُّورة السَّابقة فيما يلي :

- إذَا حصرَ المفعول به بـ (إنَّما) أو بـ (إلَّا) : إنَّما أكرّم المُدَرِّسُ محمدًا، ما أكرمَ المدرسُ إلَّا محمدًا.
- إذا جعلَ الفاعِلَ ضميراً مُتَّصِلاً والمفعول به اسمًا ظاهرًا : (درسْتُ الأدبَ)، أو إذا جعل الفاعلَ والمفعولَ به ضميرَيْن متصلَيْن : (أكرَمْتُهُ).
- إذا كان الفاعلُ والمفعولُ به اسمَيْن لاتظهر عليهما علاماتُ الإعراب : تَضَارَبَ مُوسَى وعيسَى فضربَ موسَى عيسَىٰ.

ب - (فعل + مفعول به + فاعل)

أكـرمَ محمـدًا المـدرسُ (ويجـوز التصرف بالفاعل والمفعول في هذا الأُسلوب لعدم وجود مايوجب التقديم أو التأخير).

ويجب أن يلتزم المتكلم بالصورة السابقة فيما يلي :

- إذا حصرَ الفاعلَ بـ (إنَّما) أو بـ (إلاّ) : إنَّما أكرَم محمدًا المدرسُ، ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ ، ما أكرمَ محمدًا إلاَّ المُدَرِّسُ.
- إذا جعـلَ المفعـولَ به ضميرًا متصـلاً والفاعلَ اسمًا ظاهرًا : محمدًا أكرمَهُ المدرسُ، ﴿ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾، ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ ﴾.
- إذا اتصل الفاعلُ بضميرٍ يعود على المفعول به : أكرم الطلابَ مُدَرِّسُهُم ، ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ ﴾.

جـ - (مفعول به + فعل + فاعل)

محمدًا أكرمْتُ . ﴿ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾.

ويجوز التَّصرف بتأخير المفعول به، فتقول : أكرمْتُ محمدًا.

ويجبُ أنْ يلتزم المتكلم بهذه الصُّورة فيمايلي :

- إذا استعملَ المفعولَ به اسمًا له الصَّدارة في الجملة، كأسماءِ الاستفهام، وأسماءِ الشَّرط : مَنْ أكرمْتَ ؟ ﴿فَأَيَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴾، ﴿ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾.
- إذا جعل المفعول به ضميرًا منفصلاً وقَدَّمه لسبب بلاغي. ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾.
- إذا استعمل الأسلوبَ التَّالي : (أما + مفعول به + فاء الجواب + فعل متسلِّط على المفعول به المقدم).

مثل قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾.

نائــــب الفاعـــــل

هو ما أُسْنِدَ إليه الفعلُ المبنيُّ للمجهول بعد حَذْفِ الفاعل، وهو مرفوعٌ كالفاعل دائمًا.

ويأتي نائب الفاعل في الكلام العربيّ على صور أهمها:

١ - اسمٌ مُعْرَبٌ ظاهِرٌ ليس مصدرًا ولا ظرفًا: ﴿ وُضِعَ الكِتَابُ ﴾.

٢ - ضميرٌ بارزٌ متصِلٌ: ﴿ وَهُمْ لاَيُظْلَمُونَ ﴾، ﴿ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ ما عُوقِبْتُم بِهِ ﴾.

٣ - ضمير مستتر: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ ﴾، مَنْ يُقْتَلْ في سبيلِ اللهِ يَدْخُلِ الجَنَّةَ.

٤ - اسمٌ ظاهرٌ مبنيٌّ: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ﴾، أُكْرِمَ هذا الطَّالِبُ.

٥ - مصدرٌ مُتصَرِّفٌ: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴾.

٦ - جارٌ ومجرور: ﴿ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾، ﴿ ولقد أُوحِي إليْكَ ﴾.

٧ - ظرفُ مكانٍ أو زمانٍ مُنصَرِّف: جُلِسَ مكانٌ جميلٌ، صِيْمَ رمضانُ.

٨ - جملة مقول القول: ﴿ وَقِيلَ يَـٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ ﴾، ﴿ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾.

وتذكر أنَّ أحكام الفاعل في وجوب إفراد الفعل المُسْنَد إلى الفاعل، وجواز الاستغناء عن الفعل إذا دَلَّ عليه دليلٌ في سياق الكلام، وتأنيث الفعل وجوبًا أو جوازًا، كُلُّ هذه الأحكام تَسْري على نائب الفاعل.

* * *

خامسا : الصــرف.

بناء الأفعال للمجهول

١ - الأفعال الثُّلاثية المُجَرَّدَة: نَفَخَ. وَضَعَ. فَتَحَ. تُبْنَى للمجهول على وزن (فُعِلَ) - بضَمِّ الأول وكَسْرِ ما قبل الآخر فتصير : نُفِخَ. وُضِعَ. فُتِحَ.

٢ - الفعل الثُّلاثي الأجوف : قال - صام - باع - ساق

تصير بعد البناء للمجهول : قِيْلَ - صِيْمَ - بِيْعَ - سِيْقَ

(قُلِبَ حَرْفُ العِلَّةِ ياءً بَعْدَ كَسْرِ ما قَبْلَهُ).

والأصلُ : قُولَ - صُومَ - بُيِعَ - سُوقَ : على وزن (فُعِلَ) نُقِلَت الكسرة من حرف العِلَّة إلى الحرف الأول، فإنْ كان حرفُ العِلَّة واوًا قُلِبَتْ ياءً، وإنْ كانَ ياءً لم تُقْلَبْ.

٣ - الأفعـال المـزيدة. أَوْحَى - وَفَّى - سَطَّرَ - تَفَهَّمَ - انـطَلَقَ - احْتَـرَمَ - حَارَبَ - تَعَاوَنَ - اخْتَارَ - اسْتَقَامَ.

تصير بعد البناء للمجهول :

أُوْحِيَ - وُفِّيَ - سُطِّرَ - تُفُهِّمَ - اُنْـطُلِقَ - اُحْتُـرِمَ - حُوْرِبَ - تُعُوْوِنَ - اُخْتُيرَ - اُسْتُقِيْمَ.

* يُبنى الفعلُ الماضي المزيدُ للمجهولِ بضَمِّ أوَّلِهِ وكَسْرِ ماقبل أخرِهِ، فإنْ كانَ مبدوءًا بتاءٍ زائدةٍ (تَفَهَّم) ضُمَّ الحرفُ الأولُ والثاني (تُفُهِّمَ)، وإنْ كانَ مبدوءًا بهمزة وصلٍ (انْطَلَقَ) ضُمَّ الحرفُ الأولُ والثَّالثُ (اُنْطُلِقَ) وإنْ كانَ الحرفُ الثَّاني أو الثَّالث حرف مَدٍّ زائدًا (حارَبَ - تَعَاوَنَ)، قُلِبَ واوًا مع ضَمِّ الأول وكَسْرِ ماقبل الآخرِ (حُوْرِبَ)، (تُعُوْوِنَ)، وإنْ كانَ الحرفُ الرابع أو الخامس أَلِفًا منقلبةً عن أصل (اخْتَارَ) (اسْتَقَامَ)، قُلِبَ ياءً (اُخْتِيرَ)، (اُسْتُقِيْمَ).

٤ - الأفعال المضارعة : يَعْرَفُ - يَنْطَلِقُ - يَسْتَخْرِجُ - يَبِيْعُ - يَسْتَقِيْمُ تصير بعد البناء للمجهول: يُعْرَفُ - يُنْطَلَقُ - يُسْتَخْرَجُ - يُبَاعُ - يُسْتَقَامُ.

* يُبْنَى الفعـلُ المضارعُ للمجهولِ بِضَمِّ أوَّله وفَتْحِ ما قبل آخره، فإنْ كانَ آخره، مُعْتَلًا قُلِبَ حرفُ العِلَّةِ ألفًا.

سادساً : التدريبات :

(١)

١ - في الآية ٦٨ جاءت أدوات الرَّبْط لترتبط بالدلالة إلى حَدٍّ بعيد. وضح هذا في ضوء معرفتك للوظائف التعبيرية لهذه الأدوات.

٢ - حفلت الآية بالعديد من صيغ المبني للمجهول. استخرج بعضها محاولاً تبرير ارتباطها بالسِّياق.

٣ - قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا ﴾ عن جَهَنَّم، وقال: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا ﴾ عن الجَنَّة، ما دلالة زيادة « الواو » في التعبير الثاني؟

٤ - في مقابلة عقاب الكافرين بجزاء الطائعين، يقول سبحانه: ﴿ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ في مقابل ﴿ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾ما الايحاءُ المستفادُ من كلمتَيْ « مَثْوَى »، « أَجْرُ »؟

٥ - استخرج أسلوبَ قَصْر، موضِّحاً أثَرهُ في المعنى والسِّياق.

٦ - قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ وقال: ﴿ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ هل تُحِسُّ فرقاً بينهما في المعنى؟ وأيُّهما أكثرُ تعبيراً عن الخسَارَةِ؟ عَلِّلْ رَأيَكَ.

٧ - لا تقتصر دلالة اسم الفاعل دائماً على صيغة واحدة أو زمن مُعَيَّنٍ. هاتِ نموذجاً لذلك من الآيات، ثم اشرحه بالتَّفصيل.

٨ - أعطِ مثالاً لخُروجِ الاستفهام عن معناه الحقيقي.

٩ - استخرج من الآيات استعارة، واشرحها.

١٠ - وضح دلالة انتهاء الآيات بقوله سبحانه ﴿ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

(٢)

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ، قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَـٰهِلُونَ . . . لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ . . . بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ . . . وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ . . . سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ . . . فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ . . . وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا . . . وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ . . . وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ . . . حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا . . . وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا قَالُواْ بَلَىٰ وَلَـٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ . . . . ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ . . . طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَـٰلِدِينَ . وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ - وَتَرَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ . . . ﴾.

أ - استخرج الجمل الفعلية مِمَّا سبق، وَعَيِّن أفعالَها، واذكر نوعَ الفعل وإعرابَهُ.

ب - عَيِّن فاعل كل فعل، ثم أعربه.

جـ - استخرج المفعول به في الجمل الفعلية، وأعربه، ثم بَيِّنْ صورَ تَرتيبه في الجملةِ من حَيثُ التقديمُ والتأخيرُ.

د - في الجملِ السابقةِ أَفعالٌ تعدَّت بنفسِها إلى مفعولٍ به فصار منصوباً بها، وأفعالٌ لم تَتَعَدّ إلى مفعولٍ به بنفسها، بل لزمَتْ الفاعِلَ، أو تَعَدَّتْهُ بواسطة حرف الجر.

١ - سَمِّ كُلَّ طائفةٍ من الأفعالِ المذكورة.

٢ - صنف الأفعالَ المذكورة في النَّصّ إلى الطائفتَيْنِ بِعملِ جدولٍ لها في كراستك.

هـ - وردَ في النَّصّ أفعالٌ جامدة لا تَتَصَرَّف، استخرجها، واذكرْ فاعليها.

و - قال تعالى: ﴿ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾، ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ ﴾، ﴿ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ ﴾، ﴿ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ ﴾، ﴿ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾، ﴿ والوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ ﴾.

الفعل المضارع معربٌ ومبني، استخرج:

١ - الافعالَ المضارعةَ المعربة وبين علامة إعرابها.

٢ - الأفعالَ المضارعةَ المبنيَّةَ، وبَيِّنْ علامةَ بنائِها، وسببَ البناء.

ز - قال تعالى: ﴿ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾، ﴿ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ ﴾، ... ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ.. ﴾، ﴿ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾، ﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ ﴾.

١ - استخرجِ الأفعالَ التي لَحِقتْها علامةُ التأنيث، وبَيِّنْ حُكْمَ التَّأنيثِ فيها من حيثُ الوجوبُ والجَوَازُ مع ذكرِ السبب.

٢ - الأفعالُ التي تحتها خَطٌّ. هل يجوزُ إلحاقُ علامةِ التَّأنيث بها؟ ولِمَ؟

حـ - قال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ ﴾، ﴿ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ ﴾، ﴿ وَلَنْ يَنفَعَكُمُ اليَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنفسكمْ أَنكُمْ في العَذَابِ مُشْتَرِكونَ ﴾.

عَيِّنْ فاعلَ كُلٍ من الأفعال التالية: (أَلَمْ يَأْنِ)، (جَاءَكَ)، (يَنْفَعَكُم) ثم أعرب الفاعل إعربًا مفصَّلاً.

ثانيا: قال تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ... ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ.. وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ .... وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ ... وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا، حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ... قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ ﴾.

أ - بُنِيَت الأفعالُ في الجمل الفعلية للمجهول بعد حَذْفِ فاعليها، استخرجْ هذه الأفعال، ثم أعربْها.

ب - اذكر ما ناب عن الفاعل، وَبيِّنْ نوعَهُ، ثم أعرْبهُ.

جـ - لحق التَّأنيث بعض الأفعال المبنية للمجهول، اذكرها، وَبيِّنْ حكم التَّأنيث فيها.

(٣)

أعِدْ قِراءةَ الآياتِ الكريمةَ، واستخرجْ منها كُلَّ جُملةٍ اسمية وَبَيِّنْ نَوعَ الخَبَرِ فيها.

(٤)

أ - أرجع الأفعال التالية إلى أصلها، وهاتِ منها المضارع والأمر نُفِخَ - وُضِعَ - جِيْءَ - قُضِي - وُفِّيَتْ - سِيْقَ - فُتِحَ - قِيْلَ.

ب - ابن الأفعال التالية للمجهول، واذكر ما حصل فيها من تغيير.
كَتَبَ - دَحْرَجَ - انْطَلَقَ - يَدْرُسُ - قالَ - باعَ - اقْتَادَ - يقولُ - اسْتَخرجَ - اسْتَقام - قاتَلَ - تَضَارَبَ.

* * *

الوحدة الثالثة: من الحديث الشريف

١ - عن أبي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه)، قال: قال رسولُ الله (ﷺ): « إنَّما أنا بَشَرٌ. ولَعَلَ بَعْضَكُمْ أنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ. فَمَنْ قَطَعْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيْهِ قِطْعَةً، فإنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً من النّارِ ».

سنن ابن ماجة ٢ / ٧٧٧

٢ - عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: رسولُ الله ﷺ):

« إنَّ لله أَهْلِيْنَ مِنْ خَلْقِهِ. قالُوا: ومَنْ هُمْ يارسولَ الله؟ قالَ: أَهْـلُ القُـرْآنِ، هُمْ أَهْلُ الله وخَاصَّتُهُ ». فضائل القرآن، للنسائي: ٨٣، ومسند أحمد: ٣ / ١٢٧

٣ - عن أبي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه)، قال: قال رسولُ الله (ﷺ): قال الله تَبَارِكَ وتعالَى: ﴿ كل عمل ابن آدم له، إلا الصيام فإنه لى، وأنا أجزي بِهِ، والَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيَدِهِ لَخَلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ الله يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ رِيْحِ المِسْكِ. . لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: إذَا أَفْطَرَ فَرِحَ بِفِطْرِهِ، وإذَا لَقِيَ الله تعالَى فَرِحَ بِصَوْمِهِ ﴾ ﴾.

صحيح مسلم، رقم ١١٥١ (باب الصيام)، وصحيح البخاري ٤ / ١٠١، باب هل يقول: إني صائم. . .).

* * *

٤ - عن أَنَسٍ (رضي الله عنـه) أَن رسولَ الله (ﷺ) قال: « مَنْ قالَ حِيْنَ يُصْبِحُ اللَّهُمَّ أَصْبَحْنَا نُشْهِدُكَ ونُشْهِدُ حَمَلَةَ عَرْشِكَ، ومَلَائِكَتَكَ، وجميعَ خَلْقِكَ بأَنَّكَ أَنت الله لا إله إلا أَنْتَ، وحدك لا شريك لك، وأنَّ محمداً عبدك ورسولك، إلَّا غَفَرَ الله لَهُ ما أَصَابَ في يَوْمِهِ ذلك، وإنْ قَالَها حِيْنَ يُمْسِي غَفَرَ الله لهُ ما أصابَ في تلك اللَّيْلَةِ مِنْ ذَنْبٍ »

سنن الترمذي حديث رقم ٣٤٩٥ في الدعوات.

* * *

أولا : اللغــــة :

١ - أَلْحَن : لَحِنَ فُلانٌ لَحْناً: فَطِنَ لحُجَّته وانتَبه لها. وفلانٌ أَلْحَنُ من غيرِه لِحُجَّتِهِ: أكثر قدرةً من غيره على بيان حُجَّتِه وإِظْهَارها.

٢ - أَهْلِيْنَ : جمع أَهْلٍ ، ولا واحدَ لها من لفظها، وهو ممَّا أُلْحِقَ بجمع المذكر السالم.

خَاصَّتُه : الخَاصَّةُ: خلافُ العَامَّة. والخاصَّةُ : الذي تَخُصُّهُ لنَفْسِك.

٣ - أَجْزي بِهِ : مُضارِع جَزَى، يُقَالُ : جَزَى فلانٌ فُلانًا بكذا : كافأَهُ. خَلُوفُ: خَلَفَ فَمُ الصَّائِمِ خَلُوفاً : تَغَيَّرَتْ رِيْحُهُ. وخَلَفَ الطَّعَامُ : تغيرت رِيحُهُ أو طَعْمُهُ.

أَفْطَرَ الصَّائِمُ: قطَعَ الصِّيامَ بتناول مُفَطِّراتِهِ. وأَفْطَرَ فُلانٌ : دَخَل في وقت الفِطْر. والفِطْرُ : الإِفْطَارُ.

٤ - يُصْبِحُ : يدخلُ في وقت الصَّباح، يُمْسِي : يدخل في وقت المَسَاء.

ثانيا : الأسلوب والصور :

الاستعارةُ تَشْبيهٌ حُذِفَ منه المُشَبَّهُ به أو المشبه، ولابُدَّ أَنْ تكون العَلاقَةُ بينهما المُشَابهةَ دائمًا، كما أَنَّهُ لابُدَّ من وجود قرينة لفظية أو حالية تمنع من إرادة المعنى الأصلي للمُشَبه به أو المشبه.

في حالة ذكر المشبه به، تُسَمَّى الاستعارة تصريحية، وفي حالة حذفه، تُسَمَّى مَكْنِيَّة.

ففي الحديث الأول، شَبَّهَ الحَقَّ بالطعام أو الأرض في كون كُلٍّ منهما صالحاً للتقطيع والتقسيم، ثم حَذَفَ المُشَبَّه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو القطع، واشْتقَّ من القطع بهذا المعنى : قطع بمعنى أعطى أو قضى على سبيل الاستعارة المكنية (لأنَّ المحذوف هنا هو المُشَبَّه به).

وفي قول الرَّسول (ﷺ) إنَّما أنا بَشَرٌ: أسلوبُ قَصْرٍ. والقَصْرُ معناه تخصيصُ شيءٍ بشيءٍ بطريق مخصوص. الشيء الأول: المقصور، والثاني: المقصور عليه. والطريق المخصوص قد يكون :

النفي والاستثناء ، أو : إنَّما (كما في هذا الحديث) أو العطف بـ : (لا/ بل/ لكن، أو تقديم ماحقه التأخير (كما مَرَّ في الوحدة السابقة) في تعبير الرَّسول (ﷺ): إنَّما أنا بَشَرٌ، أنا: مقصور، بشر: مقصور عليه. « إنَّما » أفادت القصر لأنَّها تتضمن معنى النفي والاستثناء، وكأَنَّ أصلَ الكلام : ما أنا إلاّ بَشَرٌ. ونلاحظ هنا أن «إنَّما» تفيد إثبات ما بعدها ونفي ماسواه.

في هذه العبارة النبوية : قصر موصوف على صفة، أي قصر أنا وهي هنا شخصية الرسول (ﷺ) على صفة البشرية.

وعلينا أن نلحظ هنا أن الصفة في باب القصر لاتعني النعت بالمعنى النحوي الذي يدل على معنى في متبوعه، وإنَّما المراد بالصفة هنا الصفة المعنوية الدالة على معنى قائم بالشيء.

أهمية أسلوب القصر :

تكمن أهمية هذا الأسلوب في أنه يعبر عن الكثير بالقليل، ذلك لأنه ضَرْبٌ من الإيجاز، فَجُملةُ القَصْرِ اختصارٌ لجملَتَيْنِ، وَقَدْ يَتَّضِحُ ذلك في قَولنا: « ما شوقي إلاّ شاعر »، إذ إن معناه شوقي شاعر، ولايتصّف بصفة غير الشاعرية.

كذلك فإنَّ أُسلوبَ القَصْرِ يعمل على تأكيد المعنى وَتَمكُّنِه في ذهن المتلقي، كما يعمل على تشويق السامع لما يأتي به الكلام، ويبعثُ في نفسه حُبَّ الاستزادة من الكلام وكأَنَّهُ ينتظرُ شيئا أو يترقَّبُهُ، وفي الانتظار والتَّرقُّب تَشَوّقٌ لما سيجىء، فإذا جاءَ وقَعَ من النّفْسِ وقوعَ المَاءِ من ذي الغُلَّةِ الصَّادي على حد تعبير البلاغيين.

وفي حديث أنس بن مالك : إنَّ لله أَهْلِيْنَ من خَلْقِهِ . . . الخ.

أ - في قوله ﷺ إنَّ لله أَهْلِيْنَ «تنكير المُسْنَد إليه، وهو هُنَا اسم إنَّ، وذلك للقصد إلى نوع خاصّ من الأولياء، هؤلاء الذين يكونون قريبين منه سبحانه وتعالى، ومعنى ذلك أَنَّه بالرّغم من أنهم أَهْلٌ، فإنَّهُمْ أَهْلٌ مَخْصُوصون، لهم مَزِيَّة ترفعهم على مَنْ سِوَاهم من بني البشر.

وقد يكون سبب التنكير هنا إفادة التكثير، ودلالة هذا أنَّ الدُّنيا ماتزال بخير، وأنَّ حاضر الإسلام المتجدد فيه تفاؤل دائم، فإلى جانب الفئات التي تقترب أو تبتعد عن المحاربة الحَقَّة للدين، فإنَّ ثمة أعدادًا لابأس بهم، يوجدهم اللهُ للحِفَاظ على دينه وتعاليمه في كُلِّ عَصْرٍ وفي كُلِّ مكان.

ب - في التعبير بقوله ﷺ «مِنْ خَلْقِهِ» نوع من التحديد والقصد إلى أنَّ هؤلاء هم من خلق الله من البشر، فليسوا من المَلأ الأَعْلَى، كما أَنَّهم ليسوا من الملائكة الذين ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ وفي هذا بيان لقدر العبادة، وأَنَّها أمرٌ ميسور لمَنْ أرادَهَا.

جـ - عَرْضُ هذه القضية على هذا النحو، بما فيه من عمومية مطلقة، يجعل الاستفهام في الحديث (ومَنْ هُمْ يارَسَولُ اللهِ ؟ يأتي ليحملَ - إلى جانب غرضه الأصلي - بُذُورَ التَّشَوُّق والاهتمام، حتى إذا جاءتْ إجابةُ الرَّسولِ ﷺ ، بأنَّهُم أهلُ القُرآنِ، تَمكَّنَ المعنى من نفس السَّامع والمُتَلَقْي على أتم وجه وأكمله.

د - الخصوصية الأخرى في الحديث، هي التفصيل بعد الإجمال، إذْ يقولُ المصطفى ﷺ، بعد ذِكْرِهِ (أهلَ القُرْآنِ) « هُمْ أَهْلُ اللهِ وخَاصَّتُهُ » وتجيء هذه العبارة الأخيرة، لا لتقرر أفضلية هؤلاء الذين يقتربون من تلاوة القرآن الكريم وحفظه، ومدارسته، والعمل بما فيه فحسب، بل لِتَحُثَّ أيضاً كُلَّ راغبٍ في الاستزادة الدينية، هؤلاء الذين يتعطَّشُونَ إلى درجة التَّرقِّي ليكونوا من أهل الله وخاصته. وهنا يضعهم الحديث أمام مسئوليتهم الكاملة في الحِفَاظِ على كتاب الله، واتِّخَاذِهِ نِبْرَاسَاً حَيَّاً، مَبْدَأً وسُلوكَاً على حَدٍّ سَوَاء.

هـ - في التعبير بقوله ﷺ « أَهْلُ القُرآنِ »، « أَهْلُ اللهِ » فيها استعارة وكناية. إذْ هي تُعبِّرُ عن شِدَّةِ القُرْبِ والتَّماسُكِ، تمامًا كما يكونُ أهلُ الإنسانِ أَلْصَقَ شيءٍ به، وأقربَ أُنَاسٍ إليه.

يجيء تعبير الحديث على هذا النحو، ليصور أنَّ هؤلاءِ الأهلين هم أَقربُ إلى فَهْمِ تعاليم القرآن الكريم، والعمل بها، كما أنَّهم أقربُ إلى طاعة الله سبحانه وتعالى، في التزام أوامره واجتناب نواهيه.

وما دام اللهُ قد أوجبَ على خَلْقِهِ صِلَةَ الرَّحم، وأمرهم بالعطف على أقربائهم والقيام بالحقوق الواجبة لذويهم، جاء التعبير بـ «أهل القرآن» ناطقاً بالحضّ على صلة القرآن، على النحو الذي أوردناه.

والصورة التي يرسمها هذا الحديث صورة معبرة وموجبة، فهى تتجاوز تقرير الواقع إلى الحَثِّ على التَّشبه بأهل اللهِ، كما أنَّها تَضَعُ الأملَ العريضَ أمام كُلِّ من يرغبُ في التقربُ إلى الله كي يستحق هذا الوصف الرائع الذي يوحي للمؤمن بالثقة والطمأنينة والأمانة.

وفي حديث «كُلّ عملِ آبْنِ آدمَ لَهُ إلَّا الصِّيامَ . . . . الخ

صورتان بلاغيتان هما الكناية والتشبيه، وفيه كذلك نوعان من المُحَسِّنَات هما الطِّباقُ، وحُسْنُ التقسيم.

أ - فالصُّورتـــان :

١ - الكناية في « والَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ » أي واللهِ، وهي - كما نرى - كِنَايةٌ عن أشـرف موصوف هو المَوْلَى عزَّ وجلَّ، الذي بيده أرواح العباد، فهو الـذي منحهم إيَّاهـا، وهو وحده القادر على استردادها متَى شاء، وكيف شاء. الأسلوب قسم، عَبَّرَ عنه بطريق الكناية.

٢ - في قولـه ﴿ لَخلوف فم الصـائم أطيب عنـد الله يوم القيامـة من ريح المسك ﴾، النظرة العَجْلَى قد لاتجد في هذا التشبيه سوى أنه من النوع المؤكد، الذي حُذِفَتْ منه « الأداة » لتقوية الادعاء بأن المشبه هو المشبه به، كأنه قال: خَلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ كَرِيح المِسْكِ طِيْبَاً وعَبَقَاً وَزكَاوَةً.

وَلكنَّكَ بالتَّدقيق في أسلوب التشبيه هنا، يمكنك حَلّه على النَّحْو التالي: الرَّائحةُ العَبِقَة أكثر في فَم الصَّائم، وهي بالتالي أَقَلُّ في المِسْك، يُعينُ على هذا التَّصوُّر: استخـدام « أَفْعَـل » التفضيل (أَطْيَب) الذي قلب الصورة، فجعل شدة الرائحة أصلاً في المُشَبَّه، وفرعاً في المشبه به.

وهذا النوع يُسَمَّى التَّشْبيه المقلوب، وهو جَعْلُ المُشَبَّه مُشَبَّهاً به، بادِّعاءِ أنَّ وَجْهَ الشَّبَهِ فيه أقوى وأظهر. ولكنَّهُ مع ذلك من النوع الخفي، الذي لايدرك أمر تصنيفه في أقسام التشبيه بسهولة.

ب - والمُحَسِّنان البديعيان : طِبَاقٌ وحُسْنُ تقسيم :

١ - أما الطباق، فيأتي بين الكلمتين له/ لي ، وشَتَّان بين الضمير في التَّعبيرَيْن. (لَهُ) : أي للإنسان هذا المعبود المملوك للهِ عزَّ وجلَّ، (لي) أي لربِّ العِزَّة الذي له الحكم والملكوت.

مجيء كلمات الحديث على هذا النحو من التقابل، إنَّما تَعْكِسُ أَمْرَ كَسْبِ الخير واكتساب الشُّرور من جانب الإنسان، مقابل الجزاء الإلٰهي الذي يكون نفحةً وتفضلاً - لا استحقاقًا - إنْ كانَ ثَوَابًا، أو قد يكون عدلاً وإنْصَافًا إنْ كانَ الأمرُ عِقَابًا.

الصَّومُ منصوصٌ عليه بأنَّ جزاءَهُ أرفعُ، وثوابَهُ أعْظَمُ، وذلك لخصوصيته التي يُمَايِزُ بها غيرَهُ مِنْ سائر الطَّاعات والفرائض والقُرُبَات، فالصِّيامُ لايظهر أثره بقول اللِّسان، ولافعل الأركان، وإنَّما هونِيَّةٌ في القُلُوب، وإمْسَاكٌ عن حركات المَطْعَمِ والمَشْرَبِ، فهو يقع بين الإنسان وربِّهِ خالِصًا من غير رِيَاءٍ ولا نِفَاقٍ. أي أنَّهُ لايفعل إلَّا على مَحْضِ الإخلاص، مِصْدَاقًا لقول الرَّسول ﷺ « لَيْسَ في الصَّوْمِ رِيَاءٌ ». كلمة «أنا» التي تستحضر الذات العَلِيَّة هنا، إنَّما تُوحِي بالتأكيد على تَفَرُّدِ المَوْلَى عزَّ وجلَّ على مثوبة الصائمين. وحين يعرف الصائم أن المثوبة «الخاصَّة جداً» سوف تأتي من جانبِهِ سبحانه، فإنَّهُ قد يتصور مقدارها غير المحدود، وعظمتها التي لاتتناهى، وبالتالي فإنَّ ذلك سيكون حافزًا يدفعُ المسلم إلى الحفاظ على الصَّوم وممارسته عن رِضَى واقتناع «وفي ذلك فَلْيَتَنَافَسِ المُتَنَافِسُونَ ». وهكذا نرى أنَّ استخدام الطِّباق هنا يُفَجِّرُ الكثير من المعاني النفسية والوجدانية والروحية، وهذه هي قمة دلالته ووظيفته الفنية في التعبير.

٢ - وأما حُسْنُ التَّقسيم فيظهر في قوله « لِلصَّائِم فرحتان إذا أَفْطَرَ فَرِحَ بِفِطْرِهِ، وإذا لَقِيَ الله تعالَى فرِحَ بِصَوْمِهِ » إذْ يجيءُ التَّعبير هنا مستوفيًا أقسامَ المعنى المُعَبَّر عنه، لأنَّ الإنسانَ إمَّا في دارِ الفَنَاء أو في دار البَقَاءِ، ولا ثالثَ لَهُمَا. وهنا تَتَجلَّى خصوصية الجملتَيْنِ (فَرِحَ بفطره/ فرح بصومه).

في دار الفنـاء، يفـرح بفطره بعد آذان المغرب، ليقينه بأنه أرضى ربه، وتقرب إليه بالطاعة.

وفي دار البقاء، يفرح لأنَّ رصيدَهُ معه من الطَّاعات والقُرُبَات، ولهذا يكون مُتَشَوِّقاً إلى أنْ تكونَ حالهُ كحال من يصوره القرآن الكريم.
﴿ فأما من أوتي كتابه بيمينه، فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب إلى أهله مسرورا ﴾ .

يزيد جمال التقسيم هنا أنه قد عَبَّرَ عنه بطريق المقابلة والطِّباق معاً، وهي جميعها صورٌ بديعيةٌ لم تُحْشَدْ عَبَثاً، كما أنَّها لم تُسْتَكْرَه على التعبير، وإنَّما يأتي كُلٌّ منها ليُحَدِّدَ بُعْداً مُعَيَّناً في الصورة الفنية للتعبير ككُلٍ. ومن هنا نقول : إنَّ هذه المُحَسِّنات ماهي إلَّا وسائل تعبيرية، قَدْ وُظِّفَتْ توظيفًا جمـاليًا رائعًـا، يزيد من جماله وروعته طبيعية وانسيابية وسلاسة وتلقائية - عملت جميعها متضافرة على إثراء « أدبية » الصورة، وبالتالي زادت من وقعها الفني على القارىء، والمتلقي بوجه عام.

وفي حديث : مَنْ قَالَ حِيْنَ يُصْبِحُ ..... إلى آخره. تراه يشتمل على صورتَيْنِ للطِّباق، وأسلوبَيْنِ للقَصْرِ إلى جانب التكرار في قوله ﷺ (نَشْهَد).

أ - فمن الطبـــاق :

١ - تجد الصُّورة الأولى للطّباق في قوله ﷺ (يُصْبِحُ) في أول الحديث، و (يُمْسِي) في آخره. وبين الصُّبْحِ والمَسَاء يوم طويل، جعله الله للإنسان معاشًا يصرف فيه شؤونه، ويدبر فيه مصالحه. أَثَرُ الطِّباقِ في هذه الصورة أَنْ يُيَسِّـرَ أمـام الإنسان طريقه إلى التطهر من ذنوبه، عن طريق « قولة » يقولها في الصَّباح، ومثلها في المساء، لَن تَسْتغرقَ إلاَّ لَحَظَاتٍ، مع أنَّ الجَزَاءَ كبير.

٢ - والصورة الثانية للطباق في قوله : في يومه ذلك/ وفي تلك اللَّيلة تناسب بديع جدًا، حيث يجيء ذكر اليوم تناسبًا مع الإصْبَاحِ ، ويجيء ذكر الليلة لتتنـاسب هي الأخـرى مع الإمْسَـاء. فتسبيحَةُ الصَّباحِ يَظَلُّ أَثَرُهَا طَوَالَ اليوم، وتسبيحــةُ المَسَـاءِ يمتَـدُّ تأثيرُهَـا إلى آخـرِ اللَّيل. ومعنَى هذا أنَّ التَّسبيحـةَ في هذَيْنِ الوقتَيْنِ (الصُّبْحِ والمَسَاءِ) سبيلٌ إلى غُفْرانِ ذنوب اليوم كُلِّه واللَّيل بتمامِهِ، أي أَنَّها السبيلُ إلى غفران ذنوب اليوم واللَّيلة معاً. فإذا داوم الإنسانُ عليها كان ذلكَ مَدْعَاةً لغُفْران ذُنُوبه في أيامه كُلِّها.

ب - ومن صور القصر :

١ - في عبارةِ التوحيد « لا إلٰه إلاَّ أَنْتَ » صورة من صور القصر، وطريقتهُ هنا النفيِّ والاستثنـاء، ومعنى ذلك أنَّ المقصورَ عليه هنا هو الواقعُ بعد أداةِ الاستثناء، وهذا يفيدُ قَصْرَ الألوهيةِ وتخصيصَها بالله سبحانه وتعالى لاتتعداه ولايشاركه فيها سواه . وعبارة التوحيد هذه، هي جماعُ الدين كله، وذلك لما يَتْبعها من شعائر الإسلام، وقواعد الإيمان، فهي زِمَامٌ لكُلِّ مايأتي به الدِّين. طريق القصر - كما أشرنا - هو النفي والاستثناء، وقد مضى وأشرنا

إلى طريق القصر بـ « إنَّما » في حديث المصطفى (ﷺ) الذي يقول أوله « إنَّما أنا بشر ».

وهذَانِ طريقَانِ للقَصْرِ، يُضَافُ إليهما تَقْديمُ ماحَقُّهُ التأخير، والعطف بالأدوات (لا / بل / لكن)

ويُطْلَقُ على هذه الطرق الأربعة: القصر الاصطلاحي .

٢ - وهناكَ نَوعٌ من القصرِ يُقالُ له : قَصْرٌ غيرُ اصطِلاحي، أو بالأَحْرَى : قَصْرُ مباشـر، ومثـال هذا في الحـديث قوله ﷺ : « وَحْدَكَ » فاستخدم كلمة (وحـد)، مضـافاً إليها الضمير المتصل لتعني التَّفَرُّد، وهي بدورها تُفيد مايُفيد القصر الاصطلاحى من خصوصية، وإنْ كانَ ثَمَّةَ فرقٌ بينهما، فهو الفارق بين ماهو « أدبي » وماهو « مباشر » من الأساليب.

جـ - ومن التِّكـــــرار :

نرى في تكـرار الفعـل (نشهد) نوعًا من الاعتراف الحَقِ بالفَرْقِ الشَّاسِعِ والبَوْنِ الوَاسِعِ بين ماهو إلٰهيّ، وما هو مخلوق لله، لأنه لو عَطَفَ بدون تكرار هذا الفعل، لجاء الإشهادُ شاملاً المَوْلَى عزَّ وجلَّ، وكُلَّ المذكورين مِنْ بَعْدُ، على نَسَقٍ واحدٍ. تعالى الله عن ذلك عُلُوًّا كبيرًا. فمن مُنْطَلَقِ الإحساس بالبعد بين ماهو الهيٌ وما هو دون ذلك، جَاءَ التعبيرُ وهو يعكس هذا الإحساس، الذي يَنِمُّ عن التَّأَدُّبِ في حَقِّ الذَّاتِ العَلِيَّةِ.

إنْ كانَ لذلك من دلالة، فهي الدّقةُ في التعبير، والتي تنمُّ عن عَظمةِ الرسول ﷺ وفصاحته التي لاتدانيها فصاحة.

* * *

ثالثـا : النحـــو :

النَّواسخ الداخلة على الجملة الاسمية.

النّواسخ الداخلة على الجملة الاسمية نوعان : حروف وأفعال.

أولا : من الحروف الناسخة (إنَّ) وأخواتها :

أ - أخوات (إنَّ) هي : أنَّ - كأنَّ - ليـتَ - لَعَلَّ - لكِنَّ.

ب - ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾.

الجملة الاسمية: ﴿ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾، وقـد دخل عليهـا الحـرف النّـاسخ (إنَّ) فأفاد توكيد الخبر، وغَيَّرَ إعرابَها، فصار المبتدأ منصوباً بـ (إنَّ)، والخبر مرفوعاً بها.

- ﴿ كل عمل ابن آدم له ، إلا الصيام فإنه لي ﴾.

اسم (إنَّ) ضميرٌ مُتَّصِلٌ، وهو في مَحَلِّ المنصوب. وخبرها شبه الجملة من الجار والمجرور (لي)، وهي في مَحَلِّ المرفوع.

- ﴿ وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ ﴾.

الجملة الأسمية (الـرسـول حقٌّ) قد دخـل عليها الحرف الناسخ (أنَّ) فأفاد توكيد الخبر، وغيَّرَ إعرابها، فصار المبتدأ منصوبًا بـ (أَنَّ) والخبر مرفوعًا بها.

لاحظ أنَّ الجملة المنسـوخة بـ (أنَّ) لم تقع في صدر الكلام، لأنها مُكَمِّلةٌ لجملةٍ أو كلامٍ سابقٍ، فتكون (أنَّ) أداةَ رَبْطٍ يحصلُ بها تأويلُ الجملة الاسميَّة بمفردٍ يرتبطُ في الإعراب والمعنى بما قبله.

- ﴿ أَلم تر أن الله يسجد له من في السمٰوات ومن في الأرض ﴾

اسم (أنَّ) : (الله) ، وهو منصوب بها، وخبرها الجملة الفعليَّة: ﴿ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾، وهي في مَحَلِّ المرفوع.

- ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾

اسم (أنَّ) : (الله) ، وهو منصوب بها، وخبرها شبه الجملة من الظرف (مع) المضاف إلى (المُتَّقين). وهي في مَحَلِّ المرفوع.

- ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾.

الجملة الاسمية (السَّاعةُ قَرِيْبٌ) ، وقد دخل عليها الحرف الناسخ (لَعَلَّ) فأفاد معنى الإشفاق من حصول الخبر، وغَيَّر إعرابها، فصار المبتدأُ منصوباً بـ (لَعَلَّ)، والخبر مرفوعًا بها.

* * * *

- ﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

اسم (لَعَلَّ) : الضَّميرُ المُتَّصلُ، وهو في محلِّ المنصوب، وخبرها الجملة الفعلية (تُفْلِحُونَ) وهي، في مَحَلِّ المرفوع، وأفادت لعل الرجاء في حصول الخبر.

- لَيْتَ المُسَافِرَ عَائِدٌ.

الجملة الاسمية (المُسَافِرُ عَائِدٌ)، وقد دخل عليها الحرف الناسخ (ليت) فأفاد تَمَنِّي وقوع الخبر، وغَيَّر إعرابها، فصار المبتدأُ منصوبًا بـ (ليت) والخبر مرفوعًا بها.

- ﴿ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴾.

اسم (ليت) : الضمير المتصل ، وهو في محل المنصوب، وخبرها الجملة الفعلية : (لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَليلًا)، وهي في محل المرفوع.

- كَأَنَّ الأرضَ في الرَّبيعِ بِسَاطٌ مُلَوَّنٌ.

الجملة الاسمية (الأَرضُ بِسَاطٌ)، وقد دخل عليها الحرف الناسخ (كأَنَّ) فأفاد

تشبيه المبتدأ بالخبر، وغَيَّر إعرابها، فصار المبتدأ منصوبًا بـ (كأنَّ)، والخبر مرفوعًا بها.

- ﴿ كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾.

اسم (كأنَّ) : الضميرُ المُتَّصِلُ، وهو في مَحَلِّ المنصوب، وخبرها (بُنْيَانٌ) وهو مرفوع بها.

- ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾

الجملة الاسمية (اللهُ ذُو فضل)، وقد دخل عليها الحرف الناسخ (لكنَّ)، وقد استُعْمِلَ للاستدراك على كلام سابق، وتَغَيَّرَ به إعرابُ الجُملة، فصار المبتدأ منصوباً بـ (لكنَّ)، والخبر مرفوعاً بها.

- ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾

اسم (لكن) : (الله)، وخبرها الجملة الفعلية : (يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ)، وهي في محلّ المرفوع.

- خرجَ الطُّلاَّبُ لكنَّ مُحَمَّدًا في الفَصْلِ.

اسم (لكن) : (محمـداً)، وخبرها: شبه الجملة من الجار والمجرور (في الفصل)، وهي في مَحَلِّ المرفوع.

- إنَّ اللُّغَةَ العَربيَّةَ قَواعِدُهَا رَاسِخَةٌ.

اسم (إنَّ) : (اللُّغة العربيَّة)، وخبرها : الجملة الاسمية (قواعدُهَا راسِخَةٌ)، وهي في مَحَلِّ المرفوع.

* * *

تذكر ما يلي:

١ - الحروف النَّاسخة (إنَّ)، (أنَّ)، (كأنَّ)، (لَيْتَ)، (لَعَلَّ)، (لكِنَّ) تدخل على الجملة الاسمية، فتُغيِّر إعرابها، حيثُ تجعل المبتدأ منصوباً بها، والخبر مرفوعاً.

٢ - الحرفان (أنَّ، لكنَّ) لا يَتَصَدَّرُ بهما الكَلامُ، لأَنَّ الأول يُكَمِّلُ معنى كلامٍ سابقٍ، والثَّاني يُسْتَدْرَكُ به على كلامٍ سابقٍ.

٣ - يكون اسم هذه الحروف ظاهراً معرباً، أو مَبنيًّا، أو ضميراً متصلاً بارزاً.

٤ - يأتي خبرُ هذه الحروف الناسخة مُفْرَداً، أو جملة فعلية، أو جملة اسمية أو شبه جملة.

٥ - الحرفان (إنَّ) و (أَنَّ) يُستعملان بكسرِ الهمزة، أو بفتحِها، فإذا كانتِ الجملةُ المَنْسُوخَةُ مُكَمِّلةً في المعنى لكلامٍ سابق، أي أَنَّ الجملةَ المنسوخة يمكن تأويلها بمفرد يرتبط في الإعراب والمعنى بما قبله، وجب أنْ تكونَ الهمزةُ مفتوحةً. وإذا لَمْ تَكُنْ الجملة المنسوخة كذلك كُسِرَتْ همزة (إنَّ).

جـ - قال تعالى: ﴿ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾.

- قال تعالى: ﴿ كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ﴾.

- قال تعالى: ﴿ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ ﴾.

- قال تعالى: ﴿ يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ ﴾.

في الآيات الكريمات تقدم فيها خبر (إنَّ) وأخواتها على اسمها، لاحظ أَنَّ الخبر في جميعها شبه جملةٍ، ففي الآية الأولى جاء الخبر (مَعَ العُسْرِ) مُتَقَدِّمَاً على الاسم (يُسْـرَاً)، وفي الثَّانية جاء الخبر (في أُذُنَيْهِ) متقدماً على الاسم (وَقْرَاً)، وفي الثَّالثة جاء الخبر (لَهُ) متقدماً على الاسم (نار جهنم)، وفي الرابعة جاء الخبر (لنا) متقدما على الاسمِ (مِثْلَ):

* - تذكر أن الجملة المنسوخة بـ (إنَّ) وأخواتها يجوز أَنْ يتوسَّطَ الخبرُ فيها بين الحرف الناسخ واسمه، إذا كان الخبرُ شِبْهَ جملةٍ.

* * *

* - قال تعالى: ﴿ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ﴾

وفي الحديث الشريف: « لَخَلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ الله . . ».

اللام الداخلة على المبتدأ في الجملة الاسمية في الآية والحديث هي لام الابتداء وتفيد التوكيد، ففي قوله تعالى: (لَعَبْدٌ) تَصَدَّرَتْ الجملة الاسمية، وكذلك في الحديث: (لَخَلُوفُ) تصدرت الجملة الاسمية، لأنَّ هذه اللام إذا دخلتْ على الجملة الاسمية اختصت بالابتداء وكان لها الصدارة.

فإذا أدخلنا على الجملة الاسمية المبدوءة بلام الابتداء (إنَّ) الناسخة، تعارض دخولُهَا مع هذه اللام، لأنَّ لكُلٍّ منهما الصَّدارة، وهما بمعنى التَّوكيد، لذلك فإنَّ العربيَّ نقلَ هذه اللام من الصدارة إلى موضع آخر، كما يلي:

- قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِي خُسْرٍ ﴾، ﴿ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾، ﴿ إنَّا لنحن نحيي ونميتُ ﴾ - انتقلت اللّام من الابتداء إلى الخبر.
- قال تعالى: ﴿ إنَّ في ذلك لعبرةً لِمَنْ يَخْشى ﴾، ﴿ إنَّ في ذَلِكَ لآيةً لقوم يَتَفَكّرون ﴾ - انتقلت اللّامُ من الصدارة إلى الاسم الذي تأخر وتقدم عليه الخبر.
- قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ﴾

انتقلت الّلام من الصَّدارة إلى ضمير الفصل (هو).

*- تذكر أن الّلام الداخلة على المبتدأ في الجملة الاسمية هي لام الابتداء وفائدتها التوكيد فإذا دخلت على الجملة الاسمية (إنَّ) الناسخة المكسورة الهمزة، انتقلت هذه اللام من الصَّدارة إلى الخبر، أو إلى الاسم بشرط تأخيره عن الخبر، أو انتقلت إلى ضمير الفصل إنْ كان موجوداً في الجملة. . ويُسَمّي بعضهم هذه اللام بـ (اللّام المُزَحْلَقَةِ).

* * *

هـ - قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾، ﴿ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﴾ ، ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾.

- قال تعالى: ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾، ﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾.

- قال تعالى: ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾.

- قالوا: كَأَنَّما أَنْتَ حَالِمٌ.

- قالوا: لَعَلَّمَا جاءَكَ الرِّزْقُ مِنْ حَيْثُ لا تَدْرِي.

- قال النَّابِغَةُ الذُّبْيَانِيّ:

قالَتْ أَلَا لَيْتَمَا هـذا الحَمَـامُ لنـا   إِلَـي حَمَامَتِنَـا أو نِصْفُـهُ فَقَـدِ

فيما تقدَّمَ جملٌ دخلَ عليها حرفٌ ناسخ مقترن بـ (ما)، ولكنَّ هذا الحرفَ لم يُغَيِّر إعرابَ الجملة الاسمية الَّتي دخل عليها، كما أَنَّه لم يختصّ بالدخول على الجملة الاسمية، بَلْ تركها ودخل على الجملة الفعلية، مثل: « إِنَّما يتقبلُ. . »، « أَنَّمـا يُوحى. . »، « فكأَنَّما خَرَّ. . »، « لَعَلَّما جَاءَكَ. . ». والسبب في هذا الاستعمال دخول (ما) الكافَّة على الحرف الناسخ.

ثانيا: (لا) النَّافية للجنْس

ومِمَّـا يُلْحَقُ بـ (إنَّ) وأخواتها في نسخ الجملة الاسمية (لا) التي تنفي الجنس. ومعنى «نفي الجنس» أَنَّهـا تنفي جنس النَّكرة التي تدخل عليها ولا تنفي واحداً من هذا الجنس. فإذا قلت (لا رَجُلَ في الدَّارِ) فقد نفيتَ جِنْسَ الـرِّجال. وإذا قلت (لا طالبةَ في الفَصْلِ) فقد نفيت جنس الطالبات. وإذا قلتَ: لا كتابَ عِنْدِي، فقد نفيتَ جنس الكتاب. ولم ترد بذلك كُلِّه أَنْ تنفي

واحداً. وهذا المعنى هو الفرق الجَوْهَرِيُّ بين (لا) النافية للجنس، وبين (لا) العـاملة عمل (ليس)، لأنَّ (لا) العاملة عمل ليس يجوز أنْ تُسْتَعْمَلَ لنفي الواحد، كقولك: (لا رَجُلٌ في الدَّارِ)، وأنت تريد معنى: لا يُوجَدُ رجلٌ واحِدُ في الدَّارِ، بَلْ رَجُلاَنِ أو أكثر.

و (لا) النافية للجنس تُستعملُ في ثلاثة أنواع من أساليب نفي الجنس، وهي:

١ - نفي النَّكرة المفردة، كقولك: لا طالبَ في الفَصْلِ، لا طالبَيْنِ في الفَصْلِ، لا طالباتٍ في الفَصْلِ، لا مُدَرِّسِيْنَ في المدرسة.
(طالبَ)، (طالبَيْنِ)، (طالبـاتٍ)، (مُدَرِّسِيْنَ) كُلٌّ منهـا انتصب بـ (لا) النـافية للجنس، وهـو اسمها، وعلامة نصب الأول فتحة ظاهرة، وعلامة نصب الثّاني ياء، لأنّه مثنى، وعلامة نصب الثالث كسرة بَدَلاً من الفتحة، لأنه جَمْعٌ مؤنَّثٌ سالم، وعلامة نصب الرابع ياء، لأنه جمعٌ مُذَكَّرٌ سالم[1]. والخبر هنا هو شبه الجملة، وهو في مَحَلِّ رفع[2].

٢ - نفي النكرة المضافة، كقولك: لا طالبَ عِلْمٍ معنا، لا بائعَ صُحُفٍ.

٣ - نفي الشبيه بالمضاف، كقولك: لا قَبِيْحَاً فِعْلُهُ عندنا، لا خيراً مِنْ مُدَرِّسِنَا في المـدرسـة. (قبيحـاً فِعْلُهُ) شبيهٌ بالمضـاف، وكـذلـك (خيراً مِنْ مُدَرِّسِنَـا)، والشبيه بالمضـاف هو ما كان الثّـاني فيه مُتَمِّمَـاً في المعنى للأول، وليس مضافاً إليه.

* * *

---

١ - ويرى النحويون أنَّ اسم (لا) النافية للجنس هنا مبني على ما ينصب به، وماأثبتناه في إعراب اسمها، موافق لرأي بعضهم وهو أفضل.

٢ - وقد يكون الخبر محذوفاً تقديره (موجود)، مثل: لا طالبَ.

رابعا: التدريبات

(١)

١ - لماذا مَهَّدَ الرَّسولُ ﷺ في بداية الحديث الأول بإثبات بَشَرِيَّتِهِ؟

٢ - بماذا تُوْحِي كلمة « لَعَلَّ » هنا؟

٣ - لماذا يُسَوِّي الرسولُ الكريم بينَ النَّارِ والحكم الذي تم بناء على معلومات خاطئة؟

٤ - كلمة « الَّلحْن » تُطْلَقُ وُيَرادُ بها واحدٌ من عِدَّة أمور:

الغناء وترجيع الصوت، التورية، الخطأ في اللغة، الَّلهْجَة الخاصَّة، الفِطْنَة، معنى القول وفحواه. أي هذه المعاني مراد بها في الحديث؟

٥ - الكلمة سلاح ذو حَدَّيْن. اشرح هذا في ضَوءِ فَهْمِكَ للحديث.

٦ - « إنَّما أنا بشرٌ » فيها أُسلوبُ قَصْرٍ بلاغيّ. هل هناك إمكانات أُسلوبية أخرى تفيد تقريباً نفس المعنى؟ ما هي؟

٧ - لماذا قال الرسول (ﷺ): مِنْ حَقِّ أخيه، ولم يقل: من حَقِّ خَصْمِهِ؟

٨ - تكررت الفاء في هذا الحديث. وضح وظيفتها في كُلٍّ مرة.

- اقرأ القصة التالية، ثم وضح ما اشتملت عليه من أسلوب القصر:

زَعَمَ العربُ أنَّ أرنباً التقطتْ تمرةً، فاختلسها الثُّعْلَبُ، فأكلها، فانطلقَا يَخْتَصِمَانِ إلي الضَّبِّ، فقالت الأرنبُ: يا أبا الحسل، فقال: سميعاً دَعَوْتِ قالتْ: أَتَيْنَاكَ نَخْتَصِم، قال: عادِلاً حَكَّمْتُمَا، قالتْ: فاخرج إلينا، قال: في بيته يُؤتي الحَكَمَ، قالتْ إنِّي وجدْتُ تمرةً، قال: حُلْوة فكُلِيْهَا، قالتْ: فاختلسها ثعالة، قال: لنفسه بَغَى الخيرَ، قالتْ: فَلَطَمْتُهُ لَطْمَةً، قال: بحقِّكِ أَخذْتِ، قالتْ: فَلطَمَنِي أُخرى، قال: حُرٌّ انْتَصَرَ، قالتْ: فَاقْضِ بيننا، قال: قَدْ فَعَلْتُ.

(٢)

١ - اشرح الحديث الثَّاني شرحاً وافياً، مُبَيِّناً الغرض منه.

٢ - ما المراد بقوله ﷺ « أَهْلُ القُرْآنِ »؟

٣ - لماذا اختصَّ الرسولُ ﷺ أهلَ القُرآن بهذه الخُصوصية؟

٤ - جاءت كلمة أهلين نكرة. وضح دلالتها في إطار السِّياق العام للحديث.

٥ - في هذا الحديث سؤال وجواب. وَضِّح كُلا منهما، مع بيان الأثر الذي يحدثه أسلوب السؤال في المستمع أو المتلقي عُموماً.

٦ - يشير الرَّسولُ ﷺ في حديثٍ آخرَ إلى أنَّ القرآن الكريم فيه خَبرُ مَنْ قَبْلَنَا، وحُكْمُ ما بَيْنَنَا، ونَبَأُ ما بَعْدَنَا، اشرح هذا في ضوء الهدف العام للحديث المدروس.

٧ - دَلِّلْ على بلاغة المصطفى ﷺ من واقع هذا الحديث.

٨ -اكتب خطبة قصيرة تحث فيها المسلمين على مداومة حفظ القرآن الكريم وتحفيظه.

(٣)

١ - في الحديث الثّالث ثلاثة أفكار جوهرية، تدور كلها حول هدف واحد . . . اشرح هذا.

٢ - يلعب « الطِّباق » دوراً أساسياً نحو فهم الحديث فهماً أعمق . وضح ذلك.

٣ -ما القيمة الوظيفية لحسن التقسيم في هذا الحديث؟

٤ - يقول أمير الشعراء أحمد شوقي عن الصوم:

« حِرْمانٌ مشروعٌ، وتأديبٌ بالجُوع، وخشوعٌ لله وخضوع، لكُلِّ فريضة حِكْمَةٌ، وهذا الحُكْمُ ظاهِرُهُ العَذَابُ، وباطِنُهُ الرَّحْمَةُ يستثير الشَّفَقَةَ،

ويَحُضُّ على الصَدَقَةِ، يَقْطَعُ الكِبْرَ، ويُعَلِّمُ الصَّبْرَ، ويَسُنُّ خِلالَ البِرِّ، حتى إذاَ جاعَ مَنْ أَلِفَ الشَّبَعَ، وحُرِمَ المُتْرَفُ أسبابَ المُتَع، عَرَفَ الحِرْمَانَ كَيْفَ يَقع، والجوعَ كَيْفَ أَلَمُهُ إذَا لَذَع»

اشرح هذا مستأنساً بحديث رسول الله ﷺ.

٥ - استخرج من الحديث نموذجاً لكُلٍّ من:

الكِنَاية - التَّشبيه - الطِّبَاق - حُسْن التقسيم - مع شرح ما تقول.

(٤)

١ - في الحديث الرابع، ما الذي تفهمه من أهمية تكرار التَّسبيح في الصَّباح والمَسَاء؟

٢ - في عبارة التوحيد «لا إِلَهَ إلّا الله» نوع من القصر. وَضِّح طريقه مُبيناً أثره في المعنى.

٣ - هل لتكرار فعل «نشهد» معنى وظيفي في السِّياق؟ وَضِّحْ ذلك.

٤ - في هذا الحديث نوع من العلاج الذي لا يكلف المسلم كثيرًا، حَتَّى يَغْفِرَ الله له ذنوبَه. اشرح هذا.

٥ - الدين الإسلامي يشمل العقيدة، والعبادات، والمعاملات، والسّلوك بوجه عام.

أين تضع الأحاديث التي درستها تحت واحدٍ أو أكثر من هذه التصنيفات؟

(٥)

في الحديث «إنَّما أنا بَشَرٌ. ولَعَلَّ بَعْضَكُم أنْ يكونَ أَلْحَنَ بحُجَّتِهِ من بَعْضٍ».

وفي الحديث «بأنَّكَ أنتَ الله لا إلَهَ إلّا أنْتَ وَحْدَكَ لا شريكَ لَكَ».

أ - استخرج مما سبق حرفاً ناسخاً عاملاً، وبَيِّن اسمه وخبره، واذكر نوع الخبر.

ب - استخرج (لا) النافية للجنس، وبين اسمها وخبرها.
جـ - استخرج حرفا ناسخا مكفوفا عن العمل، وأعرب الجملة التي بعده.

(٦)

في الحديث الشريف: « إنَّ لله أَهْلِيْنَ من خَلْقِهِ، قالوا: ومَنْ هُمْ يارسول الله ؟ قال: أَهْلُ القُرآنِ، هُمْ أَهْلُ الله وخَاصَّتُهُ ».
أ - استخرج منه حرفاً ناسخاً، وبَيِّنْ اسمه وخبره، واذكر نوع الخبر.
ب - لِمَ تقدم الخبر في الجملة المنسوخة على الاسم؟ هاتِ جُمَلاً من عندك توافق هذا الاسلوب.
جـ - أدخل على الجملة الاسمية: « هُمْ أَهْلُ الله » حرفاً ناسخاً، ثم أعرب الجملة المنسوخة.
د - أعرب ما تحته خط.

* * *

(٧)

في الحديث الشريف كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدمَ لَهُ، إلاّ الصيام فإنَّهُ لي .. لَخَلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ الله يوم القيامة من رِيحِ المِسْكِ. لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ..... ».
أ - استخرجْ منه حرفاً ناسخاً، وبيِّن اسمه وخبره، واذكر نوع الخبر.
ب - قوله ﴿ لِلصَّائِمِ فرحتَانِ ﴾ أدخل على هذه الجملة حرفاً ناسخاً، وغَيِّرْ فيها ما يلزم تغييره، ثم أعرب الجملة المنسوخة.
جـ - قوله: ﴿ لَخَلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ عِنْدَ الله ﴾.
- ما نوعُ اللاَّم الداخلة على الجملة الاسمية؟ وما فائدتها؟

- ادخل على الجملة السابقة حرفاً ناسخًا، وغَيِّرْ فيها ما يلزم تغييره، واذكر موضع اللام في الجملة المنسوخة.
د - أعرب ما تحته خط.

* * *

(٨)

في الحديث الشريف: « اللّهُمَّ أَصْبَحْنَا نُشْهِدُكَ ونُشْهِدُ حَمَلَةَ عَرْشِكَ وملائِكتَك وجميع خَلْقِكَ بأَنَّكَ أَنْتَ الله لا إِلَهَ إلاَّ أنتَ... وأَنْ محمداً عبدُك ورسولُك... »

أ - استخرج منه حرفاً ناسخاً، وبَيِّن اسمه وخبره؟
ب - جاء في الحديث استعمال (أَنَّ) المفتوحة الهمزة، فما سببُ ذلك؟
جـ - أعرب ما تحته خط.
د - جاء في الحديث استعمال الضمير (أنت) بين اسم (أَنَّ) وخبرها، فما اسم هذا الضمير؟ وهل له مَحَلٌّ من الإعراب؟

* * *

(٩)

أ - استخرج من الأحاديث الشريفة كُلَّ جملة فعلية، وبَيِّنْ نوع الفعل فيها، واذكر فاعلها وبَيِّنْ نوعه.
ب - ما نوع الأسلوب في قوله: ﴿ والذي نفس محمد بيده ﴾؟ وما موضوع (الَّذِي) من الإعراب؟
جـ - في الحديث الشريف: « قالوا: مَنْ هُمْ يارسول الله؟ قال: أَهْلُ القُرآنِ ».

- أعرب ما تحته خط.
- لِمَ اسْتُغْنِي عن المبتدأ في قوله « أَهْلُ القُرآنِ »؟

* * *

(١٠)

اقرأ الأحاديثَ الشريفةَ، واستخرج منها كُلَّ فعلٍ ورَدَ فيها ثُمَّ اذكر وَزْنَهُ.

* * *

الوحدة الرابعة

الخطَابــة المعجــزة

عن أبي سعيد الخدري قال: لمّا أعطى رسول اللهُ ﷺ ما أعطى من تلك العطايا الكبار في قريش وفي قبائل العرب ولم يكنْ في الأنصارِ منها شيء وجد [1] هذا الحيُّ من الأنصارِ في أنفسهم حتى كثُرتْ فِيهم القالُة [2] حتى قال قائلهم: لقي واللهِ رسولُ الله ﷺ قومهَ. فدخلَ عليه سعدُ بنُ عبادة فقال: يارسولَ الله إنّ هذا الحيَّ من الأنصارِ قَدْ وجدوا عليك في أنفسِهم لما صنعتَ في هذا الفيء [3] الذي أصبتَ. قسمتَ في قومِك وأعطيتَ عطايا عِظامًا في قبائلِ العرب ولم يكنْ في هذا الحيِّ من الأنصارِ منها شيء. قال: فأينَ أنتَ من ذلك ياسعد؟

قال: يارسول الله ما أنا إلا من قومي! قال: فاجمع لي قومَكَ في هذه الحظيرة [4]

قال: فجـاءَ رجالٌ من المهاجرين فتركهم فدخلوا وجاء آخرون فَردَّهم فلما اجتمعوا، أتى سعد فقال: قد اجتمع لك هذا الحيُّ من الأنصارِ فأتاهم رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال:

«يامعشرَ الأنصارِ ما قالة بَلغتني عنكم وجِدَةٌ [5] وَجدتموها في أُنفسكم؟ ألم آتكم ضُلالا فهداكَم الله بي. وَعَالةً [6] فأغناكم الله بي. وأعداءً فألَّفَ اللهُ

---

(١) وجَدَ: حَزنَ، ووجَدَ عليه: غضب.

(٢) القالة: اسمَ للقول الفاشي في الناس، خيرًا كان أو شرًا.

(٣) الفيء: الغنيمةُ، تُنال بلا قتال. جمعها (أفياء).

(٤) الحظيرة: الموضع الذي يجتمع الناس فيه.

(٥) جدة: الغضب والسخط.

(٦) عَالة: فقراء.

بين قلوبكم؟ قالوا اللهُ ورسِولُه أَمَنُّ وأفضل ! ثم قال: ألاْ تجيبوني يامعشرَ الأنصار ؟!

قالوا : بماذا نُجيبُكَ يارسولَ الله . للهِ ولرسولِهِ المنُّ والفَضْل ! قال: واللهِ لو شئتم لقلتم فلصـدقتم ولصـدَقتكم؛ أتيتنـا مُكَـذَّبـا فصدقناك . وَمَخْذولا [1] فَنَصـرنـاك. وطريدًا فآويناك .[2] وعائلا فواسيناك .[3] أَوَجدتُم عليَّ يامعشرَ الأنصارِ في أنفسكم فيَّ لعاعة[4] من الدنيا تألفتَ بها قوماً ليسلموا ووكلتكم إلى إسـلامِكم ألا ترضـون يامعشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاء والبعير وترجعون برسول الله إلى رحالِكم فوالذي نَفْسُ محمد بيده لما تنقلبون به خير مما ينقَلبون به، ولولا الهجرةُ لكنت امرأً من الأنصار ولو سَلَكَ الناسُ شِعبًا[6] وواديًا وسلكتْ الأنصارُ شِعبًا وواديًا لسلكتُ شِعبَ الأنصارِ وواديها.

الأنصارُ شِعار[7] والناسُ دِثار[8] اللهم ارحم الأنصارَ وأبناءَ الأنصارِ وأبناءَ أبناء الأنصارِ، قال: فبكى القوم حتى أخضلوا[9] لحاهُم وقالوا رضينا برسولِ الله ﷺ قسماً وحظاً [10]

---

(١) مخذولاً : تخلّى الآخرون عن نصرته.
(٢) آويناك : أنزلوه عندهم.
(٣) واسيناك: شاركناك وأسهمنا في المعاش والرزق معك.
(٤) لعاعة: هو اسمٌ لنبات ، وأُطلِقَتْ هنا على الشيء الزائل القليل البقاء.
(٥) الشاء : جمع شاة.
(٦) شِعبًا : طريقًا.
(٧) شعار : ماوَلِي جسد الإنسان دون سواه من الثياب، ويُراد به هنا شدّة القُرب.
(٨) دثار : الثوب يكون فوق الشعار.
(٩) أخضلوا : بلّوا.
(١٠) حظًا : نصيبا.

أولاً : التَّعليـــق الأدبـــي:

يَنْهَجُ الرَّسول ﷺ في خُطبتِهِ العصماء تلك نَهْجًا رَبَّانيًا واضحًا لاعِوَجَ فيه، إنَّهُ يتحدَّثُ إلى الأنصارِ بلغةٍ يَفهمُها القليل، ويَعْجزُ عن إدراكها كثيرٌ من الناس، أولئك الذين جَعلوا من المالِ والفَيْءِ مَوَازينَ للمكانةِ والمنزلة. إنَّهُ يتحدَّثُ إليهم بلغـةِ المـودَّةِ والسَّكَنِ والأُلْفَةِ، لقد كانَ صريحًا غاية الصَّراحة، سأل فأجابوا، وعندما سكتوا جاءتْ إجابتُه على ألسنتِهم قَويَّةً لاشَكَّ فيها، إنَّه المُعَلِّمُ والمُوَجِّهُ، يَنْظرُ إلى أبْعَد مما ينظرون ويضع الناس في منازلهم، ويُوَفِّيهم حقوقهم.

يبـدأُ ﷺ خطبَتَـه بالاستفهـام عن هذا الكـلام الدائر بينهم، وهذا السَّخَطِ والغَضَبِ الَّذي يجدهُ فيهم، ويَقفُ قليلاً ليذكِّرَهم بأمورٍ كادوا يَنْسَوْنَها في زَحْمَةِ هذا الكلامِ والغَضَب. لقد كانوا على الضَّلالِ فَهَدَاهم اللهُ به، وفقراءَ فأسبغَ اللهُ عليهم نِعَمَهُ ظاهِرَةً وَبَاطِنَةً ببركته وحُلُولِهِ بينهم وَكَانُوا اعداءً يَقْتُلُ بَعْضُهُم بعضًا فانقلبـوا إخْـوَةً متآلفِيْنَ، هذه الحقائقُ الماثلةُ للعَيَانِ يَعرفُها الصَّديقُ والعَدُوُّ قد وقعتْ وهم يَرْفُلُونَ بها وَيَنْعُمونَ بنِعَمِ الإسلام الوفيرة. ونلاحظُ أنَّ الرسولَ ﷺ قد عرض هذه الحقائقَ بأسلوبِ الاستفهام. ومن المؤكد أنَّه لم يطلبْ منهم جَوَاباً. فالجَوابُ ساطعٌ مِثْلُ نورِ الشَّمس، بَيِّنٌ مثلُ الحَقِّ الأَبْلَجِ. ولكنَّهُ أسلوبُ التَّقرير وتأكيدِ المعنى في أذهانهم، انتباهٌ للوَهْلَةِ الأُولَى ثُم تَصْدِيقٌ بعد هذا الانتباه، واستسلامٌ لتلك الحقائقِ الكبيرة. فلم يكُنْ منهم بعدَ هذا إلَّا الاعترافُ بأنَّ اللهَ ورسولَهُ أكثرُ مِنَّةً وفَضْلاً. ومَنْ غَيْرُ اللهِ ورسولُهُ مُنْعِمٌ مُتَفَضِّلٌ؟ ولايَكتفي الرَّسولُ ﷺ بهـذا الجوابِ، إنَّهُ يُوَجِّهُ القضيَّةَ وِجْهَةً أُخْرَى، . يُفكِّرُ بتفكيرهم، وَيَنْطِقُ بلسانهم، ولعلَّهم لم يستطيعوا البَوْحَ بمَكْنُونِ أنفسهم خَجلاً أو احترامًا لشخصه ﷺ، فَراحَ يُذَكِّرُهم مَرَّةً أُخرى بما كانَ عليه الحالُ يَومَ جاءهم مهاجرًا من مكَّةَ، كَذَّبَـهُ القَـوْمُ وصَـدَّقَـهُ الانْصـار. خذلَهُ القومُ ونَصَرَه الأنصار، طردَهُ القومُ وآواه

الأنصار، جاءهم فقيرًا فَواساه الأنصار بمالِهم وما يملكون، حقائقُ هي الأخرى لايَملكُ أحدٌ رَدَّها أو تَكْذِيبَهَا، إنْصَافٌ وعَدْلٌ لَيْسَا غريبَيْن عَنْهُ ﷺ، ونلاحظ أنَّهُ قد أَكَّدَ صِدْقَ هذه الأمورِ بقولِهِ ﴿ لقلتم فلصدقتم ولصَدَّقْتُكُم ﴾.

عرضَ الرَّسولُ ﷺ إذَنْ القضيَّةَ بوجهَيْهَا، مايراه ومايراه غيُرهُ، والوَجْهَانِ حَقٌّ وصِدْقٌ، وهنا لابُدَّ مِنْ أنْ يَتَّخِذَ الحديثُ وِجْهَةً أُخْرَى، وقد كان، إنَّ ماأغضبهم هو إعطاؤه المالَ للناسِ وحبسُه عنهم، ألهذا وجَدِوا؟ لقد أعطى مَنْ أعطى ليتألَّفَ قلوبَهَم، ويستميلَ أفئدتَهم للإسلام. والأنصار يعلمون مَنْ هم المؤلَّفَةُ قلوبُهم، ولماذا يعطيهم الرَّسول ﷺ، ولكنَّهُ وَكَلَ الأنصارَ إلى إسلامهم وإيمانهم، فهم غَيْرُ مُحتاجين لهذا التَّأَلُّف، فهم أكبرُ من المال، وإيمانُهم أرسخُ من فَيْءٍ يُوَزَّعُ، وعَرَضٍ دنيا يُقْتَسَم، دَرسٌ بليغٌ وموعظةٌ نافذة، ويستمرُّ الرَّسولُ ﷺ فَيسألُهم : سيعود الناسُ بالشَّاءِ والإبل التي أخذوها وستعودون برسول الله ﷺ فمَنِ الأغنى؟ ومَنِ الفَائِزُ؟ لاشَكَّ في أنَّ الأنصارَ هم الفائزون، لقد عادوا برسول الله ﷺ فأيُّ رِبْحٍ ؟! وأيُّ دُنْيَا وآخرةٍ فازَ بها الأَنصارُ دونَ النَّاس ؟!

ويكمل الرَّسولُ ﷺ كلامَهُ المُؤَثِّرَ المُبْكِي حين يختارُ طريقَ الأنصار تاركاً ما سواه، وحين يصفُ الأنصارَ بأنَّهم الأقربُ إلى قلبه ونفسه، ويدعو لَهُمْ ولأولادِهم بالرحمة، إنَّه الدَّمعُ يَتَفجَّرُ من عيونِ الأنصار، دموعُ النَّدم على ماحدث، وطلب الصَّفْحِ من رسولِ الله ﷺ، دُمُوعٌ غِزَارٌ يعلم الرَّسول ﷺ مَدَى صدقِها ودلالتِها على الحال.

نُموذَجٌ رائعٌ يُقَدِّمُهُ الرَّسولُ ﷺ في وَضْعِ الأمورِ في مواضعِها وإحلالها مكانَها الذي تَسْتَحِقُّ، وعِبْرَةٌ نافِعَةٌ على مدى العصور يستفيدُ المسلمون منها دومًا، بعيدًا عن التَّسَرُّعِ والتَّعَجُّلِ ومحاولة النظر إلى الأمور برَوِيَّةٍ وأَنَاةٍ، فهذه وحدها هي الكفيلةُ بكشفِ الحُجُبِ وإيضاحِ الرُّؤْيَةِ.

ثانياً : الأســلوب والصــور:

أ - الخصائص الأسلوبيَّة في هذه الخُطْبَة :-

١ - البَدْءُ بحَمَدِ الله والثَّناء عليه بما هو أَهلُهُ.

٢ - نِدَاء المستمعين لتحضيرهم لما سَيُقَالُ.

٣ - الدُّخولُ في الموضوع من الجملة الأولى.

٤ - تتابع التَّساؤلات في البداية، لجذب الانتباه إلى خطورة الموضوع.

٥ - إعطاءُ الفُرْصَةِ للأنصار للرَّدِّ على أَكثر من نقطة.

٦ - طرح تساؤلات والرَّدُّ عليها في آنٍ واحدٍ.

٧ - التَّـدَرُّجُ في الإقناع ، أوَّلاً بتحضير ما تبتغيه الأنصـار، وثانياً بجَعْلِ خَيَارِ الرَّسُولِ (ﷺ) أَفْضَلَ من خَيَارِ العَرَض الزَّائل.

٨ - الاعتراف بفضل الأنصار ، وأنَّهم أقْرَبُ مِنْ غيرِهم.

٩ - الدُّعاء لهم ولذويهم تأليفًا لقلوبهم.

١٠ - تحقيق الخطبة غَرَضَها في الإقناع والتأثير، ولا أَدَلَّ على ذلك من بكاء الأنصار، ورِضَاهُم بما اختاره لهم رسولُ ﷺ .

ب - وسائل الإقناع في الخطبة

لَيْسَتْ هذه خُطْبَةً عادِيَّةً، بل هي خطبةٌ خاصَّةٌ جاءت لتُعَالِجَ ظرفًا معيَّناً في أمر بالغ الحَسَاسِية، وذلك إذْ يظُنُّ إنسانٌ أنَّهُ مظلوم، وأنَّ غيره قد مُيِّزَ عليه أو فُضِّلِ . هنا، يحتاج إلى إقناع، وهكذا فَعَلَ الرَّسولُ ﷺ مع الأنصار.

فمن وسائل الإقناع هنا :

١ - مُكَاشَفَةُ الرَّسول (ﷺ) لهم بأنَّهُ على عِلْمٍ بسبب تَذَمُّرِهم.

٢ - تذكيرهم بنِعَمِ الله عليهم، في مُقَابل ماكانوا فيه من نِقَم:
كانوا ضَالِّيْنَ، فُقَراء، أعداءً، والآن صاروا مُهْتَدِيْنَ أغنياء، مُتَآلِفيْنَ.
هذا التَّقابل الأُسلوبي كان له أثرُهُ ولاشَكَّ في تثبيت المعنى في أذهان المُتَلَقِّيْنَ، ولذا لم يملكوا إلاَّ الإذعان والانقياد.

٣ - قوة الملاحظة والنفاذ إلى مايبغون الاحتجاج به، وهنا وضع الرَّسولُ (ﷺ) نفسه مكانهم، وعرض حججهم وكأنَّهم يملون عليه ما يقول. بهذا التَّصرُّف الحكيم يُعَلِّمُنَا الرَّسولُ ﷺ طريقةً تَغْسِلُ بها صَدْرَ مَنْ أمامَكَ، وتمتصُّ صَدْمَةَ غَضَبِهِ.

٤ - إيجاد التَّقابل الحيِّ بَيْنَ ماكان عليه الرَّسول (ﷺ) مِنْ أحوالٍ وبين مَسْلكيَّات الأنصار في تأييده ونصرته. وتتشكل الصورة هنا من بُعْدَيْن.
في أحدهما، كانَ الرَّسولُ (ﷺ) مُكَذَّباً، مَخْذُولاً، طَرِيْدَاً، فقيرًا. وفي الآخر، كان الأنصار، حيث صَدَّقُوه ونَصَرُوهُ، وآوَوْهُ وواسَوْهُ.

٥ - في قول الرَّسولِ (ﷺ): أَوَجَدْتُم عليَّ يامَعْشَرَ الأنصارِ»؟ البُذورُ النَّفْسِيَّةُ الحَقِيقيَّةُ للإقناع، وذلك عن طريق قوله :
« عَلَيَّ » كأنَّهُ بهذا يُذَكِّرُهم - على تَذَكُّرِهم - أنَّهُ « رسولُهُم » الَّذي يبغي لهم الخَيْرَ كُلَّهُ، وهو الَّذي ماينْطِقُ عن الهَوَى، كما لايتصرف أبدًا بِهَوَى .
ومناداتُهم هنا «يامعشرَ الأنصار» فيها نَوْعٌ من الاستمالَةِ بشِقَّيْهَا : تَقَرّب وتقريب، بَلْ وعِتَاب الحبيب لمَنْ يُحِبّ.

٦- التَّرقِّي في الإقناع، عن طريقِ الإشارة إلى أنَّ وَضْعَ النِّزَاعِ لايعدو إلاَّ أنْ يكونَ مُجَرَّدَ «لَعَاعَة»، نَبْتَةٌ لاتُسْمِنُ ولاتُغْنِي من جوعٍ، مصيرُها إلى الزَّوَالِ.

٧- يَصِلُ الإقناعُ غايتَهُ ببيانِ السَّبَبِ الحقيقيِّ الَّذِي أَدَّى بالرَّسول ﷺ إلى مثل هذا التصرف (تَأَلَّفت بها قوماً ليُسْلِمُوا) ثُم أَيُّهَا أَفْضَلُ الآنَ: مَتَاعُ الدُّنْيَا الزائِلِ؟ أم الرسول (ﷺ)؟.
بَلْ أَكْثَرُ من هذا، فإِنَّهُ صَلَّى الله عليه وسلم قد اسْتَرْضَاهُمْ إلى أبعد غايةٍ مُمْكِنَةٍ، ولو كان هناك خيار لصَوَّتَ في جانبهم، ولمَشَى في رِكَابِهِم، فهم الخاصَّةُ والأقربُ، وإنَّ اعتزازَهُ بِهِمْ يجعلُه يُؤَمِّلُ الخَيْرَ لَهُمْ دُنْيَا وأُخْرَى.

٨- النَّتيجَـةُ لهـذا كُلِّه، أنَّ الانْصارَ لم يَمْلِكُوا مع هذه البلاغة النَّبوية وذلك الإقناع العقليّ والنَّفْسِي معًا، إلا أن يتأثروا بما قاله الرَّسولُ (ﷺ)، وأَنْ يبتعـدوا عن وَسْـوَسَـاتِ الشَّيْطَانِ، نافضين عن أنفسهم غُبَارَ السُّخْطِ والغَضَبِ، قانِعِيْنَ بحَظِّهم مع رسول الله ﷺ.
وهذه هي الغاية المزدوجة من الخطبة: إقناعٌ وتأثيرٌ. كان ذلك بفضل بلاغة المصـطفى (ﷺ) ولا غَرْوَ، فقـد وُلِـدَ في بني هاشم، ونَشَـأَ في قُرَيْشٍ واسْتُرْضِعَ في بَنِي سَعْدٍ، فَأَنْعِمْ بِكُلِّ هذا وأَكْرِمْ.

ثالثًا : النحـــو.

الأفعال الخمسة

أ - صياغتهـــا :

يَدْرُسُ : يَدْرُسَانِ - تَدْرُسَانِ - يَدْرُسُونَ - تَدْرُسُونَ - تَدْرُسِيْنَ.
يَجْرِي : يَجْرِيَانِ - تَجْرِيَانِ - يَجْرُونَ - تَجْرُونَ - تَجْرِيْنَ.
يَرْضَى : يَرْضَيَانِ - تَرْضَيَانِ - يَرْضَوْنَ - تَرْضَوْنَ - تَرْضَيْنَ.
يَدْعُو : يَدْعُوَانِ - تَدْعُوَانِ - يَدْعُونَ - تدْعُونَ - تَدْعِيْنَ.

* * *

ب - إعرابهـــا:

الرَّفع : قال تعالى : ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴾
تَجْرِيَان : فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، لأنَّهُ من الأفعال الخمسة، وألفُ الاثنين ضَميرٌ مُتَّصِلٌ في مَحَلٍّ رفع فاعل.

- قال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾
يَعْقِلُونَ : فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، لأَنَّهُ من الأفعال الخمسة، وواو الجماعة ضمير مُتَّصِلٌ في مَحَلٍّ رفع فاعل.

- أَنْتِ تُجِيْدِيْنَ قِرَاءةَ القُرْآنِ.
تُجِيْدِيْنَ : فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، لأنه من الأفعال الخمسة، وياء المخاطبة: ضمير متصل في مَحَلٍّ رفع فاعل.

* * *

النصب :

- قال تعالى : ﴿ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾

تصوموا : فعل مضارع منصوب، وعلامة نصبه حذف النون، لأنه من الأفعال الخمسة، وواو الجماعة: ضمير متصل في محل رفع فاعل.

- قال تعالى : ﴿ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا ﴾

يخرجاكم : فعل مضارع منصوب، وعلامة نصبه حذف النون، لأنه من الأفعال الخمسة، وألف الاثنين ضمير متصل في محل رفع فاعل.

- « فقال لها أبوها: يافاطمةُ لَنْ تَجِدِي شيئاً أنفع لك من طَلَبِ العِلْمِ في عِفَّةٍ ووَقَارٍ ».

تَجِدِي : فعل مضارع منصوب، وعلامة نصبه حذف النون، لأنه من الأفعال الخمسة، وياء المخاطبة: ضمير متصل في محل رفع فاعل.

* * *

الجزم :

- قال تعالى : ﴿ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

تَجْعَلُوا : فعل مضارع مجزوم، وعلامة جزمه حذف النُّون، لأنه من الأفعال الخمسة. وواو الجماعة: ضمير متصل في محل رفع فاعل.

- قال تعالى : ﴿ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ ﴾

يَكُوْنَا : فعل مضارع ناسخ، مجزوم، وعلامة جزمه حذف النون، لأنه من

الأفعال الخمسة، وألف الاثنين ضمير متصل في محل رفع اسم (يكونا).

- قال المُدَرِّسُ: يافاطمةُ أَلَمْ تَدْرُسِي اللُّغَةَ العربيَّةَ مِنْ قَبْلُ؟

تَدْرُسِي : فعل مضارع مجزوم، وعلامة جزمه حذف النون، لأنه من الأفعال الخمسة، وياء المخاطبة: ضمير متصل في محل رفع فاعل.

* * *

تذكر أَنَّ الأفعال الخمسة تُصاغُ من كُلِّ فعلٍ مضارعٍ ، بإسنادِهِ إلى ألف الاثنين، أو واو الجماعة، أو ياء المخاطبة، وأنها ترفع بثبوت النُّون، وتنصب وتجزم بحذفها.

* * *

رابعا : <u>الصــرف</u>:

الأفعال المُعْتَلَّة

الأفعال المعتلة في اللُّغَة العربيَّة ثلاثة أنواع:

١ - أفعالٌ جاء فيها حرفُ العِلَّة في موضع الفَاءِ، مثل: وَزَنَ، وَجَدَ، يَسَرَ. ويُسمَّى كُلُّ فعلٍ منها (مِثَالاً).

٢ - أفعالٌ جاء فيها حرفُ العِلَّةِ في مَوْضِع العَيْنِ، مثل: قالَ، بَاعَ، نالَ. ويُسمَّى كُلُّ فعلٍ منها (أَجْوَفَ).

٣ - أفعالٌ جاء فيها حرف العلة في موضع اللاّم، مثل: رَمَى، دَعَا، رَضِي، سَرُوَ. ويُسَمَّى كُلُّ فعلٍ منها (ناقصاً).

* * *

خامسا - التدريبات

(١)

أجب عما يأتي

١ - كيف عرف النبيُّ (ﷺ) بمَوْجِدَة الأنصار؟

٢ - ما الأمور التي أراد الرَّسول (ﷺ) أن يُذَكِّرَ بها الأنصار؟

٣ - ما الفضائِلُ التي يثبتها الرَّسول (ﷺ) للأنصار؟

٤ - ما السِّرُّ الذي جعل الرَّسولَ (ﷺ) يُقَسِّمُ العَطَايا على هذا النَّحو؟

٥ - تَألَّفَ الرَّسولُ (ﷺ) الأنصار ببعض الأمور وكانَ لذلك رَدُّ فعلٍ من جانبهم. وَضِّحْ هذا وذاك؟.

(٢)

استدل مِنَ الخطبةِ الشَّريفة على كُلٍّ مِمَّا يأتي:

١ - تحضير المستمعين إلى ما يقول الخطيب، وهو هنا المصطفى. ﷺ.

٢ - جذب انتباه المستمعين إلى خطورة الموضوع المطروح.

٣ - تميز الخطبة بإعطاء الفرصة للحوار.

٤ - تَحْقِيقُ الخطبة غَرَضَها.

٥ - استمالةُ الأنصارِ.

(٣)

- وَضِّح الإيحاءات الدِّلاليَّة التي يؤديها كُلُّ لفظٍ أو تركيبٍ مِمَّا يلي:

١ - الإشارَةُ إلى مصدر النِّزَاع بأنَّهُ مُجَرَّدُ « لَعَاعَة ».

٢ - قول الرسول (ﷺ): « أَوَجَدْتُم عليَّ يامَعْشَرَ الأنصار؟

٣ - تكرار الرسول (ﷺ) « يامَعْشَرَ الأنصار ».

٤ - أنْ يذهَبَ النَّاسُ بالشَّاءِ والبعير، وترجعونَ برسولِ الله (ﷺ) إلى رحالكم.

٥ - « الأنصار شِعَارٌ والناس دِثَارٌ ».

(٤)

١ - ورد في خطبة الرسول (ﷺ):

« أَوَجَدْتُم عليَّ يا معشرَ الأنصار في أنفسكم في لَعَاعَةٍ من الدُّنيا تألفت بها قوماً ليسلموا، وَوَكَلْتُكُم إلى إسلامكم، أَلاَ تَرْضَوْنَ يا معشرَ الأنصار أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بالشَّاءِ والبَعير، وتَرْجِعُونَ برسول الله إلى رِحَالِكُم، فَوَ الذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيدِهِ لَمَا تَنْقَلِبُونَ به خَيْرٌ مِمَّا يَنْقلبون به، ولولا الهِجْرَةُ لَكُنْتُ آمْرَأً من الأنصار ».

أ - استخرج من النصِّ السابق كُلَّ فعلٍ من الأفعال الخمسة، وبَيِّنْ علامةَ إعرابه، واذكر فاعله.

ب - قوله: « أنْ يذهبَ النـاسُ بالشَّـاءِ والبَعير » أجعـل الفعل المضارع في الجملة مُسنداً إلى واو الجماعة، وغَيِّرْ فيها ما يلزم تَغْيِيْرُهُ.

(٥)

قال رسول الله (ﷺ):

« يا معشرَ الأنصار ما قالَةٌ بَلَغَتْنِي عنكم، وَجِدَةٌ وَجَدْتُمُوهَا في أَنْفُسِكُم؟ أَلَمْ آتِكُمْ ضُلَّالاً فَهَـدَاكُمُ الله بي، وعَـالةً فأغنَاكُم الله بي، وأعداءً فأَلَّفَ الله بَيْنَ قُلوبِكُم؟ قالُوا: الله ورسولُهُ أَمَنُّ وأَفْضَلُ! ثم قال: أَلا تُجِيْبُوني يا معشرَ الأنصار؟ قالوا بماذا نُجِيْبُكَ يارسولَ الله . . »

أ - استخرج من النص فعلاً من الأفعال الخمسة، وبين علامة إعرابه، واذكر فاعله.

ب - إستخـرج الجمـل الفعلية من النص السابق، واذكر نوع الفعل في كُلٍّ منها، وعَيِّنْ فاعله.

جـ - عَيِّن المفعول به في الجمل الفعلية الواردة في النَّصِّ، واذكر حكمه في التقديم والتأخير عن الفاعل.

د - أعرب ما تحته خط.

هـ - قولهم « الله ورسولُه أَمَنُّ وأَفْضَلُ »

أدخل على هذه الجملة حرفاً ناسخاً، وغيِّر ما يَلْزَمُ تغييره فيها.

(٦)

- جاء في خطبة الرسول (ﷺ):

« الأنصـارُ شعارٌ، والنَّاسُ دِثَارٌ اللّهُمَّ ارْحَمِ الأنصارَ، وأبناءَ الأنصارِ، وأبناءَ أبناءِ الأنصارِ. قال: فبكى القومُ حَتَّى أَخْضَلُوا لِحَاهُم وقالُوا: رَضِيْنَا برسول الله (ﷺ) قَسَماً وحَظّاً ».

أ - أسْنِـدْ الفعـل (رَضِي) إلى ألف الاثنين مرة وواو الجماعة أخرى في جمل مفيدة مع الضبط بالشكل.

ب - استخرج منه كُلَّ جُمْلَةٍ اسميّةٍ، وعَيِّن المبتدأ والخبر فيها.

جـ - أعرب ما تحته خَطّ.

(٧)

- اقرأ الخطبة بإمعان واستخرج منها كُلَّ فعلٍ مُعْتَلٍّ، واذكر نوعَهُ.

الوحـــدة الخامســـة

بَشَامةُ بنُ حَزَن النَهشلي

أولاً :

صاحب النَّص : هو بَشَـامَةُ بنُ حَزَن (النَّهشَلِيّ)، نهشل بن دارم، ومعنى البَشَامَة العُود من شجرٍ معين يُستاكُ به، ترجمتهُ وأخبارهُ تكاد تكونُ معدومةً في الكتبِ، وأشـارَ صاحبُ الخـزانةِ صراحة إلى هذا الأمرِ ولكّنه يرجّح أنّه شاعرٌ إسـلامي، وعُـرِفَ بقصيدتـهِ التي سنـوردهـا بعد قليل حيث نقلتْها العديدُ من المصادر، وبعض هذه المصادر نَسَب شيئاً من أبياتها إلى غيره من الشُعراء.

ثانيا : النص :

١ - إنَّا مُحيُّوكِ [١] ياسَلْمَى فَحَيِّنَا ... وإنْ سَقَيْتِ كرامَ النَّاسِ فَاسْقِينا

٢ - وإنْ دَعَوْتِ إلى جُلَّي [٢] ومَكْرُمَةٍ [٣] ... يَوْمَاً سُرَاةَ [٤] كِرَامِ النَّاسِ فادْعِيْنَا

٣ - إنّا بَنِي نَهْشلٍ لاندَّعِي لأبٍ ... عَنْـهُ ولا هـو بالأَبْنَـاءِ يَشْـرِينا [٥]

٤ - يَكْفِيْه إنْ نحنُ مِتْنا أنْ لايُسَبَّ بِنا [٦] ... وهــو إذَا ذُكِـرَ الآبــاءُ يَكْفِيــنَا

---

١ - يقال : حَيَّى فلانٌ فلاناً : دَعَا له بالحياة. وحَيَّاهُ: سَلَّمَ عليه. وحَيَّاه اللهُ : أَبْقَاهُ. والتَّحية : السّلام.

٢ - الجُلَّي : الأمر الشديد ، والخَطْبُ العظيم.

٣ - المَكْرُمَة : فِعْلُ الخير ، وجمعها : مَكَارِم.

٤ - سُرَاة النّاس : أَشْرَافُهم . وفلانٌ سَرِيٌّ، أي شريف ، وجمعه : سَرَاة ، وأَسْرِيَاء.

٥ - يقال : شَرَاهُ : يَشْرِيه ، شِرَى : باعَهُ ، قال تعالى : ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ ﴾ وقال تعالى : ﴿ ومن النّاس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله﴾. ويقال: شَرَاهُ: أخذه بثمن.

٦ - يقال : سَبَّه يَسُبُّهُ سَبّاً : شَتَمهُ.

٥ - إنْ تُبْتَدَرْ (٧) غايةُ يَوْمًا لمَكْرُمَةٍ تَلْقَ السَّوابقَ مِنَّا والمُصَلِّينا(٨)
٦ - ولَيْسَ يَهْلِكُ مِنَّا سَيِّدٌ أَبَدًا إلَّا افْتَلَيْنَا (١) غُلامًا سَيِّدًا فِينا
٧ - إنَّا لَنُرْخِصُ يَوْمَ الرَّوْعِ (٢) أَنْفُسَنَا ولَوْ نُسَامُ(٣) بهَا في الأَمْنِ أُغْلِيْنَا
٨ - بيْضٌ مَفَارِقُنَا تَغْلِي مَرَاجِلُنَا نَأْسُو (٤) بأَمْوَالِنَا آثارَ أَيْدِيْنَا
٩ - إنِّي لَمِنْ مَعْشَرٍ أَفْنَى أَوَائِلَهُمْ قَوْلُ الكُمَاةِ (٥) ألَا أَيْنَ المُحَامُونَا
١٠ - لَوْ كَانَ في الأَلْفِ مِنَّا وَاحِدٌ فَدَعَوْا مَنْ فَارِسٌ خَالَهُمْ إِيَّاهُ يَعْنُونَا
١١ - إِذَا الكُمَاةُ تَنَحَّوْا أَنْ يَنَالَهُمُ حَدُّ الظُّبَاتِ (٦) وَصَلْنَاهَا بأَيْدِيْنَا
١٢ - ونَرْكَبُ الكُرْهَ (٧) أَحْيَانًا فَيَفْرُجُهُ عَنَّا الحِفَاظُ(٨) وأَسْيَافٌ تُوَاتِيْنَا
١٣ - ولا تَرَاهُمْ وإنْ جَلَّتْ مُصِيبَتُهُمْ مَعَ الكُمَاةِ عَلَى مَنْ مَاتَ يَبْكُونَا

---

٧ - يقال : بَدَرَ فلانٌ إلى الشَّيءِ : أَسْرَعَ إليه.

٨ - السَّابق والمُصَلِّي : تقول العرب لِلذي يَسْبِقُ من الخيل: سابق، وسَبُوق.
وسبق الفَرَسُ في الحَلْبَةِ : تَقَدَّمَ الأفراسَ وجاء قبلها.
وقالوا للفرس الذي بَعْدَ السَّابق في الحَلْبَةِ : المُصَلِّي، وهو مشتق من (الصَّلا) وهو مَغْرَزُ الذَّنَبِ من الفَرَسِ ، وقيل للفَرَسِ الذي بَعْدَ السَّابق في الحَلْبَةِ : (المُصَلِّي) لأنَّ رَأسَهُ عند صَلَا السَّابق.

١ - يقال : فَلَى الخَبَرَ، وَفَلى فلانٌ الرَّجُلَ : اختبره. وفَلَى القَضِيَّةَ : أَطَالَ التَّأمل فيها والنظر. ويقال : افْتَلَى القومُ الغُلامَ والصَّبيَّ : اختبروه.

٢ - الرَّوْع : الحرب، مشتق من : رَاعَ فلانٌ رَوْعًا : فَزِعَ، والرَّوعُ : الفَزَعُ، وإنَّما سُمِّيَتْ الحرب رَوْعًا، لما فيها من الفزع والخوف.

٣ - يقال : سام فلانٌ فلانًا : أراده أنْ يكون ذليلاً.

٤ - يقال : أَسَا فلانٌ بين المُتَخاصِمَيْن : أَصْلَحَ . وأَسَا الجُرحَ والشَّيءَ : أصلحه.
وأَسَا المرضَ والمريضَ : داواه وعالجه.

٥ - الكُمَاةُ : جمع (كَمِيّ) وهو الفارس الذي لبس سلاحه، أو الشجاع المقدام الجريء.
كان عليه سِلاحٌ أو لم يَكُنْ.

٦ - الظُّبَاتُ : جمع (ظُبَةٍ)، وهي حَدُّ السَّيْف، أو حَدُّ السِّنان، أو الخِنْجَر، وتجمع على (ظُبَاتٍ) و (ظُبًا) و (ظِبُونْ).

٧ - الكُرهُ والكَرهُ - بضم الكاف وفتحها المشقة، والمكروه أو ما أكرهك عليه غَيرُكَ.

٨ - الحِفَاظُ : الذَّبُّ عن المحارِمِ، والمنع عند الحروب، والحِفَاظُ : الوفاءُ بالعهد.

ثالثًا : الشَّرح والتَّعليق :

تدور هذه القصيدة حول معنى واحد تتفرَّعُ عنه معانٍ جزئية «وهذا المعنى هو الفخر» الفخر بالنَّفس والقبيلة «لا» بل نرى أنَّ الاعتداد بالقبيلة يكاد يطغى على النَّفْس «ويَفوقُ الحديث عنها» والشَّاعر على أية حال يَعُدُّ نفسه جزءًا من قبيلته يدافع عنها ويظهر مفاخرها، فما توصف به يوصف هو الآخر به، فكأنهما شيء واحد وأمران لاينفصلان، أَمَّا المعانى الجزئية فهي تفصيل لذلك الفخر، وتدقيق في أوصافه، إنَّه يُقَدِّمُ الأدلَّة على مايقول، وهم لم يصلوا إلى ماوصلوا إليه، عِزًّا ورِفْعَةً، إلَّا بهذه الأدلةِ التي راح الشَّاعرُ يسوقُها، ويُمْعِنُ فيها تدقيقًا وتوضيحًا.

يدخل الشّاعر إلى موضوعهِ مُنْذُ البيتِ الأول، فهو يبدؤها بإلقاءِ التَّحية على سَلْمَى وطلبهِ أن تردَّ عليهم، أَمَّا السُّقيا للكرام فينبغي أنْ تَشْمَلهُم فهم كِرَامٌ أَجْوَادٌ معروفون، كما إنَّ الدَّعوةَ إلى المكارمِ والأمورِ الكبيرةِ يجبُ أنْ تنالهَم أيضاً فهم لها، وهم رجالٌ هذه المكارمِ وأبناؤها المخلصون، فنرى وصفَ الشاعرِ لقومهِ بالكرمِ والمروءةِ ساعةَ افتتاحِ القصيدةِ، وإنْ دَلَّ الكلام في ظاهره على شيء آخر، وبعد هذا الافتتاحِ يبدأ الحديثُ المُبَاشر، وَيبدَأُ الفَخْرَ، وتَنْثَالُ الأوصافُ انثيالاً، فهم بنو نهشلٍ لايرغبون عنه ولايرغبُ عنهم، لايطلبون سواه أبًا ولايريدُ غيرَهم أبناء، قد رَضِيَ كُلٌّ بأبيه وأبنائهِ، ونلاحظُ الشاعرَ - إمعانا منه في المدحِ والاختصاصِ - قد نصبَ كلمة (بني) فجعلَها مُتَفَرِّدَةً وَحْدَها في البيت لاتعمل فيها (إنَّ) قبلها، فهم وحدَهم لايُشْبِهُهم أحدٌ أو يُدَانِيهم في أفعالِهم، ولايحتاجُ إلى تعريفهم فهم معروفون مشهورون، وهم صادقون مع هذا الأبِ يمنعون عنه اللَّعْنَ والشَّتْمَ حين يموتون لأنَّ موتَهم دِفَاعٌ عن مُثُلِهم ومايعتقدون.

ويستمر الشَّاعِرُ في العزفِ على هذه النغمةِ، فالسيادةُ فيهم أبدًا لاتخلو القبيلةُ من سَيِّدٍ فإن ماتَ كان غيرهُ موجودًا، حتى أطفالهُم تلوح عليهم سِيْمَاءُ السِّيادةِ ومظاهرُها.

أمَّـا عنـد اللقـاءِ والحـربِ فأرواحُهم رخيصـةٌ، ولكنها غاليةٌ وقتَ السلمِ ، ونلاحظ تلْك المفارقةَ بين الموقفين، الرِّجالُ هم الرِّجالُ، أرواحهُم رخيصةٌ في موضعٍ غاليةٌ في آخرَ، وهذا ما تتطلَّبُهُ الشَّجاعةُ والعزةُ في موضعَيْنِ مختلفَيْن، ويعمق الشَّاعر من معاني الشجاعةِ والشرفِ فيما سيأتي، وجوههُم بيضاء دلالة على نقـاء العِـرْضِ وعـزمهم لايُفَلُّ، لايرضَوْنَ القَوَدَ والدِّية من أحد، ولكنهم يدفعـونها لأهل مَنْ يقتلونه. ويبين في البيت التاسع سبب انتشار الفَنَاء والقَتْل بينهم، إنَّه الدِّفاعُ عن الأعراض ونَشْرُ الحماية على مَنْ يطلبها، وكُلُّهم فارس مغوار، إنْ طلبَ الأعداءُ واحدًا منهم يتميَّزُ بالشَّجاعة والإقدام لينازلوه لم يتخلف أَحَدٌ، وقد تيقَّنَ أنَّهم يطلبونه لايريدون سِواه، أمَّا الحرب فهم يدخلونها، وهم متأكدون من النصر، قلوبُهم حديدٌ ودمعهم جامد على مَنْ فقدوا، فهم لايبكون عليه لعلمهم أنَّهُ مَضَى مُدَافِعَاً عن الشِّيم النبيلة والمروءة العالية.

وَلعَلَّنا استكثرنا هذا الإفراط في الفخر والمديح للعشيرة، ورأيناه أمراً غريبًا علينا اليوم، ولكننا ننظر إلى الشِّعر من خلال القِيم التي كان يمثلها الشاعر ويؤمن بها، وتلك القيم التي أوردها الشَّاعر في قصيدته كانت مألوفة متداولة في عصره، يصنعها غيره أيضًا ويحرص عليها الآخرون، أرادَ أنْ يَصِفَ شجاعتهم وكرمهم ومـروءتهم، فاستخـدم الطرق السائدة والعُرْفَ المُتَداوَلَ وهو ليس بغريب على مجتمعه وأخلاقه.

رابعا : عروض النص :

تعلم أن علم العَـروض « هو العلم الذي يعني ببيان الوزن أو البحر الذي تنسج عليه قصيدة ما » وفي الشعر العربي - لو عرفت وزن البيت الأول، وإلى أي البحور ينتمى، أمكنك معرفةُ مفتاحِ بقيةِ أبياتِ القصيدة.

وإنَّك إذا قرأت البيتَ الأول مِن نَصّ «بشامة» حين يقول :

إنَّـا مُحَيُّـوكِ ياسَـلْمَى فَحَيِّيْنَـــا وإنْ سَقَيْتِ كِرَامَ النَّاسِ فَاسْقِيْنَا

حكمت عليه أنه من « البحر البسيط »

وهذا البحر قد وَزَنَهُ العروضيون على التفعيلات أو الوحدات النغمية الآتية:

مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُـنْ مُسْتَفْعِـلُنْ فَاعِـلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِـلُنْ مُسْــتَفْعِلُنْ فَاعِـلُنْ

وقـد يطرأ عليه بعض التغيير في إحـدى تفعيلاته كمـا هو الحال في هذه القصيدة حيث أصبحت التفعيلة الرابعة فاعلن = فعلن = فعلن.

وعلى هذا - لو أردت تقطيع البيت المذكور، وتقسيمه إلى الوحدات النغمية أو التفعيلات لجاء على النحو الآتي :

إنا محيـ	يوك يا	سلمى فحيـ	يينا
/ه/ه//ه	/ه//ه	/ه/ه//ه	/ه/ه
مستفعلن	فاعلن	مستفعلن	فاعِلْ (فَعْلُنْ)

وان سقيـ	ت كرا	م الناس فاسـ	قينا
//ه//ه	///ه	//ه//ه	/ه/ه
مُتَفْعِلُنْ	فَعِلُنْ	مستفعلن	فاعِلْ (فَعْلُنْ)

وهكذا بقية أبيات القصيدة

* * *

خامسا : الأسلوب والصور :

أ - الخبر والإنشاء

ندرس دائمًا في علم النَّحْو نوعَيْنِ من الجمل هما : الجملة الاسمية، والجملة الفعلية، ولكن في البلاغة، أو علم الجمال الأدبي يقسم الكلام عمومًا إلى خبر، وإنشاء.

الخبر : مايصحّ أنْ يقالَ لقائلهِ إنَّه صادقٌ فيه أو كاذب، فلو قلتَ مثلا: لولا المتنبي لما ذاعت شهرةُ سيفِ الدولة إلى هذا الحدّ، فإن ذلك يحتملُ أن يكونَ صدقا أو كذبا، ومن هنا يُقال إنَّه خبر.

الإنشاء : مالا يصح أن يقال لقائله إنّه صادق فيه أو كاذب. فمثلا لو قلت لك : اقرأ الجريدةَ اليومَ، أو: لاتضيِّعْ وقتكَ، أو: هل قابلتَ المديرَ؟
في كل هذه الجمل، لايمكن أن يحتمل المعنى أكثر مما تقول: أمرًا/ نهياً/ أو استفهامًا، أي إنَّ كُلَّ ذلك لايحتمل صِدْقًا أو كذبًا.
لكل من الخبر والإنشاء أغراض أصلية، وأغراض أخرى تفهم من السياق.
- الغرض الأصلى من الخبر : إفادة المتلقي حكماً عن شيء ما.
وقد يلقى الخبر لأغراض أخرى تفهم من سياق الجمل، إليك بعضها :
١ - قال تعالى على لسان زكريا عليه السلام : ﴿ قالَ رَبِّ إنِّي وَهَنَ العَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً ﴾ الغرض هنا إظهار التحسر على شبابه الذي انقضى.
٢ - قال الشاعر :
إذَا بَلَـغَ الفِطَـامَ لَنَا صَـبيٌّ تَخِـرُّ لَـهُ الجَبَابِـرُ سَاجِدِيْنَـا
الغرض هنا الفخر.

٣ - وقال شاعر آخر :

وليّسَ أخُو الحَاجَاتِ مَنْ بَاتَ نَائِماً ولكنْ أخُوها مَنْ يَبِيْتُ عَلَى عجلِ

الغرض هنا : الحثُّ على السَّعى والجد والعمل والمثابرة.

- الغرض الأصلي من الإنشاء، وهو يختلف حسب نوعية الإنشاء :

الأمر : يقصد به طلب شيء.

النَّهْي : يقصد به الكَفّ عن فعل شيء

الاستفهام : يقصد به طلب العلم بشيء.

التَّمنِّي ، طلب أمر محبوب لايرجى حصوله.

النِّداء : طلب الإقبال بحرف نائب مناب الفعل « أدعو ».

وقد يلقي الإنشاء ، ويراد به أغراض أخرى تفهم من السياق:

فالأمر قد يلقى ، ويراد به واحد أو أكثر مما يلي :

الإرشاد - الدّعاء - الالتماس - التَّمنِّي - التَّخْيير - التَّسْوية - التَّعْجيز - التَّهْدِيد - الإباحة . وذلك حسب سياق الكلام.

والنَّهْي : قد يلقى ويقصد به أي من :

الدّعاء - الالتماس - التّمني - الإرشاد - التَّوبيخ - التَّيئيس - التَّهديد - التَّحقير

الاستفهام : قد يقصد به واحد من ·

الإنكار - التَّقرير - التَّوبيخ - التَّعظيم - التَّحقير - الاستبطاء - التَّعَجُّب - التَّسوية - التَّمَنّي - التشويق.

التَّمني : قد يقصد به التَّرجى أحيانًا.

والفرق بينهما أنَّ التَّمني يكون لشيء لايُرْجَى حصولُهُ، كقول عجوز :

ألَا لَيْـتَ الشَّـبَابَ يعـودُ يومـاً فـأُخْبِرَهُ بمـا فَعَـلَ المَشِـيْبُ

النداء : وقد يراد به :

الزَّجْر - التَّحسّر - الإغراء.

في ضوء هذا، ننظر في قصيدة بشامة ونستخرج[1] منها :

١ - بعض الجمل الخبرية، والمقصود بها في كُلٍّ مرة، وعَمّا إذا كانت تفيد أغراضًا أصلية، أو أنها تخرج لتفيد معاني أخرى حسب السياق.

٢ - بعض الجمل الإنشائية، ونوع كل منها، مع إيضاح المقصود بها في كل مرة، وعَمَّا إذا كان يراد بها حقيقتها، أو أنها تخرج لتفيد أغراضا أخرى.

جماليات أسلوبية :

١ - مطلع القصيدة متوازن، ليس فيه تفاوت، ولهذا فقد نعدّه من أحسن الابتداءات، أو نقول: إنَّ فيه براعة استهلال، لما له من أثرٍ قويّ في النَّفْس، وحفز السامع إلى التنبه والإصغاء.

٢ - أحيانا يأتي الشَّاعر بكلمة زائدة في البيت، يقصد بها إلى تحديد مقصوده أكثر. وهذا يُسَمَّى «الاحتراس».

والشاعر بَشَامَةُ قد استخدم «الاحتراس» بهذا المعنى في أكثر من موضع من قصيدته.

البيت الثاني فيه احتراس في قوله « سُرَاة كرام النّاس » ولولا هذا لكانت الدعوة إلى المكارم عامة لكُلِّ النَّاس: كرامهم والعاديِّين منهم على السَّواء.

كذلك نجد الاحتراس في البيت الرابع، في قوله: «إذا ذُكِرَ الآباء» فالفخر لاحق بهم، وهم يستأهلونه لماضي آبائهم وأجدادهم الذين سجلوا أروع صفحات العزة والسؤدد للأجيال التالية:

وأيضًا نجد الاحتراس في البيت الأخير، في قوله : « وإنْ جلت مصيبتهم »

ومعنى هذا أَنَّهم فُرسانٌ صناديد لايأبهون بكل ماينزل بهم مهما اشتد.

الاحتراس وظيفة مهمة، إذْ يعمل على تحديد المعنى المقصود، ويورد الـدلالـة في ثوبها الدقيق، وكُلَّما كان المعنى أقلَّ إبهامًا وأكثر تبيانًا عن المراد، خلع على الأُسلوب وضوحا وإشراقا.

كذلك فإنَّه يُقَرِّبُ المعنى إلى الواقع، ويُضْفِي عليه خصوصية معينة، وبهذا تتضح أصالة الشاعر وتفرده، ولا تجيء القصيدة لتكون تكراراً تقليديًا يفقدها المزية، ويخلخل من قيمتها الفنية.

بالاحتـراس نستـطيع أنْ نضع أيدينا على البصمة المميزة لشاعر ما، وبالتالى على ميزة التعبير، وهندسة التشكيل في القصيدة العربية.

٣ - لاحظ أنَّ القصيدة تبدأ بقول الشاعر «إنَّا» التي تعني «نحن»، ولهذا دلالته الجماعية في الفخر. فالقصيدة من أولها إلى آخرها تزخر بالبثّ الجماعي، ولا أدلّ على ذلك من كلمات : أنَّا - نحن - منا - فينا - بالإضافة إلى كل كلمات قوافيها.

وبـالمثـل، تجيء كل معـانيها الجزئية لتعمل متضافرة على تأصيل نغمة « نحن »، أو بتعبير أدق: نغمـة الاعتزاز بالذات الجماعية، تلك الذات التي تذوب فيها «أنا» الفرد، وكأنه وقد أصبح في الكُلِّ يشعر بالانتماء أكثر وهذه إحدى ميزات شعرنا العربي القديم.

على هذا النحـو من الإيقاع الجَمْعِيّ والجماعي معًا، تجد الشاعر يسير بخطى متئدة وثابتة، يتخذ من الصور والأفكار الجزئية جميعها طريقه إلى إثبات اعتزازه وفخاره بالقبيلة كلها. وهنا تتجلى الوحدة الفنية الشعورية، وتجيء تراكيب القصيدة وهي تشي بالعاطفة المتأججة وتبرهن عليها.

لقـد نجح الشاعر في بَلْوَرَةِ وِجْدَانِ الذَّوق العربيِّ، وتغنّيه بمفاخر الآباء والأجـداد من شهامة ونجدة وفروسية، ومن هنا فإنَّ الصَّوت الشِّعْريّ في

القصيدة يظلُّ واحـداً لايتعدد، وليس هذا بعيب، بل هو ميزة حين نرى التعبير عنــه في القصيدة لم يأخـذ الشكـل المتـوازي، بقـدر ماجـاءت المسارات المتعددة لتصب في بؤرة واحدة.

نجـح الشـاعـر كذلـك في تحريك عدد من الأفعال والأسماء، وبالتَّالي دلالاتهـا لتخـدم الهدف العام، وقد حاول أنْ يقيم بينها علاقات تربطها بعضهـا ببعض، وجاءت النتيجة تعبيرًا عن موقف انفعاليّ صادق، وحالة وجدانية متميزة.

سادسًا : النحو

أ - جمع المُذَكَّر السَّالم

* أعـلام الذكور العقلاء الخالية من تاء التأنيث وليست مركبة، تُجْمَعُ جمعاً مذكَّرًا سالمًا، مثل : محمد ، خالد ، سعد، زيد ، فتجمع هذه الأعلام بزيادة واو ونون ، في حالة وقوعها مرفوعة، أو ياء ونون في حالة وقوعها منصوبة أو مجرورة.

تقول: جاء المحمدُونَ ، السَّعدُونَ ، الخالِدُونَ ، الزَّيدُونَ.

- رَأَيْتُ المُحمدِيْنَ ، السَّعْدِيْنَ، الخالِدِيْنَ، الزَّيدِيْنَ.

- سَلَّمْتُ على المُحمدِيْنَ، السَّعدِيْنَ، الخالدِيْنَ، الزَّيدِيْنَ.

* صفات الذكور العقلاء الخالية من تاء التَّأنيث، وليست مركبة، ولا من باب (أفعل فعلاء) مثل أبيض بيضاء، ولا من باب (فعلان فعلى) مثل: عَطْشَان عَطْشَي، ولا مِمَّـا يستوى فيه المذكّر والمؤنث مثل: تائب، عابد، حامد، ساجد، مُؤَدَّب، مجتهد، فتجمع هذه الصفات جمعًا مذكرًا سالمًا بزيادة واو

ونون، في حالة وقوعها مرفوعة، أو ياء ونون في حالة وقوعها منصوبة أو مجرورة .

- قال تعالى : ﴿ التائِبونَ العَابِدونَ، الحامِدونَ، السّائِحون، الراكعون، السّاجدون، الآمِرون بالْمَعْروف والناهون عن المنكر، والحافظون لِحُدود الله ﴾ . .
- قال تعالى : ﴿ إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين ﴾ .
- تقول : سَلَّمْتُ على الطُّلّابِ المُؤدَّبِيْنَ .
- هذا رَجُلٌ أَسْودُ. تقول في جمعها: (هؤلاءِ رِجَالٌ سُوْدٌ) لا يُجْمَعُ واحدٌ من هذه الأسماء جمعاً مذكرًا سالمًا لعدم كونها أعلامًا أو صفاتٍ لذكورٍ عُقَلاء بالشُّروط المذكورة.
- رأيتُ مسافرًا عَطْشَانَ. تقول في جمعها: (رأيتُ مُسافِريْنَ عُطَاشَى، أَوْ عَطْشَىٰ). لاتُجْمَعُ (عطشان) جمعًا مذكرًا سالمًا، لأنَّها من باب (فَعْلَان فَعْلَى).
- هذا مُحَارِبٌ جَرِيْحٌ . تقول في جمعها: (هؤلاءِ مُحارِبُونَ جَرْحَى). لاتُجْمَعُ (جريح) جمعًا مذكرًا سالمًا، لأنَّها مِمَّا يَسْتَوي فيه المذكَّر والمؤنَّث، فيقال : هذا رَجُلٌ جريحٌ ، وهذه امرأةٌ جريحٌ .

* * *

إعراب جمع المذكَّر السَّالم :

الرفع : قال تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ المُؤْمِنُون ﴾ . (المُؤْمِنُونَ) : فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الواو .

النَّصب : قال تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ المُؤْمِنينَ ﴾ . (المؤمنين) : مفعول به منصوب ، وعلامة نصبه الياء.

الجَرّ : قال تعـالـى : ﴿ وإنَّـهُـمْ عِنـدَنَـا لَمِـنَ الـمُصْـطَفَيْنَ الأَخْيَارِ﴾ .
(المُصْطَفَيْنَ) : مجرور بحرف الجر (مِنْ)، وعلامة جره الياء.

إضافة جمع المذكر السّالم :

الرفع : هؤلاء مُسْلِمُو الْمَدِيْنَةِ. (حُذِفَت النُّون من (مسلمون) لإضافته إلى مابعده.

النصب : إنَّ مُدَرِّسِيْ المـدرسةِ قادِمُونَ (حُذِفَت النُّون من مُدَرِّسِيْنَ) لإضافته إلى مابعده.

الجَـرّ : ذهبتُ إلى بَائِعيْ الصُّحُفِ. (حُذِفَت النُّون من (بائِعيْنَ) لإضافته إلى مابعده.

* * *

ماألحق بجمع المذكر السالم

هنـاك أسماء استُعْمِلَت في اللغة استعمال الأَسماء المجموعة جمعًا مذكرًا سالمًا، وليست أعلامًا وصفاتٍ لذكور عقلاء بالشروط المذكورة آنفًا، فصارت في حالة الرفع بالواو، وفي حالتي النصب والجرِّ، بالياء. ومن هذه الأسماء :

- عشرون - ثلاثون - أربعون . . . إلى التسعين.
- أرضون - أهلون - عالَمُون - عِلِّيُّونَ - سنُونَ.
- أُوْلُو عِلْمٍ.

* * *

ب - أسلوب الاختصاص

أ - تقول : نحنُ - الطُّلَّابَ - نَبْنِي الوَطَنَ

(الطُّلابَ) منصوب على الاختصاص، وعلامة نصبه الفتحة.

- تقول : إنَّا - بَنِي الإِسلام - نُدَافِعُ عن دِيْنِنَا.

(بني) منصوب على الاختصاص، وعلامة نصبه الياء، لأنَّه جمع مذكّر سالم.

ب - تقول : أَنَا - أَيُّها الرَّجُلُ - أُكْرِمُ الضَّيْفَ.

(أيّ) : مبنيٌّ على الضَّمِّ في محلِّ نصب على الاختصاص، والهاء للتنبيه، و(الرَّجل) صِفَة لأيّ. وتَعْنِي بقولك (أَيُّها الرَّجُلُ) نَفْسَكَ.

- تقول : عَلَيْكُم - أَيُّها الطُّلابُ - يَعْتَمِدُ الوَطَنُ.

- قالوا : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لنا أَيَّتُها العِصَابَةُ.

(أَيَّة) : مبنيٌّ على الضَّمِّ في محلِّ نصب على الاختصاص، والهاء للتنبيه، و (العصابة) صفة لأيَّة.

* * *

أسلوب الاختصاص هو أسلوب يختصُّ به المتكلّم نفَسه، أو المتكَلِّمُونَ أنفسهم، أو يختص المتكلم به من يخاطب بِفَخْرٍ، أو تواضعٍ، أو تعظيمٍ، أو شَتْمٍ، ونحو ذلك، ويكون الاسم الذي وقع عليه الاختصاص منصوبًا.

وللاختصاص طريقان:

الأول : الاختصاص بـ (أي) في التذكير، إفرادًا وتثنيةً وجمعاً، أو بـ (أَيَّة) في التَّأنيث إفراداً وتثنيةً وجمعاً، ويكونان متبوعَيْن بوصفٍ مُحَلًّى بـ (أل) (أَيُّهَا الرَّجُلُ) (أَيُّها الطُّلابُ)، (أَيَّتُها العِصَابَةُ).

الثاني : الاختصاص بِغيرِ (أيّ) أو (أيّة)، وهذا الأُسلوب يكون بسائر الأَسماء، (الطُّلاب) - (بني الإِسلام).

سابعاً : الصرف

الأفعال التّالية الواردة في القصيدة : سَقَيْتِ ، فحَيِّنا، دَعَوْتِ، نَدَّعي، يَشْرِيْنَا، يَكْفِيْه، أفعالٌ ناقصة (معتلَّة الآخر)، وأصلها:
سَقَى، حَيَّى، دَعَا، ادَّعَى، شَرَى، كَفَى.

تصريف الأفعال الناقصة :

الأفعال الناقصة ثلاثة أنواع: ما كانت لامُهُ أَلِفاً منقلبة عن واو أو ياء، مثل: (سَقَى) فالألِفُ فيه منقلبة عن ياء، و(دَعَا) فالألف فيه منقلبة عن واو.

وما كانت لامه ياء، مثل: (بَقِي)، (وَقِي).

وما كانت لامه واواً مثل: (سَرُوَ) أي صار شريفاً.

وتصريف الأفعال الناقصة بأنواعها الثّلاثة يتمُّ على النَّحْوِ التَّالي:

أ - إذا أتينا بالمضارع من هذه الأفعال، فإنَّهُ إذَا كان على (يَفْعَلُ) صارت اللّام فيه ألفاً مثل: رَضِيَ: يَرْضَى، وبَقِي: : يَبْقَى. وكذلك النّاقص المزيد إذا كانت عينُه مفتوحةً، مثل: تَمَطَّى: يَتَمَطَّى، وتَصَابَى: يَتَصَابَى. وإنْ كان المضارع على (يَفْعُلُ)، صارت اللّام فيه واواً، مثل: سَرُو: يَسْرُو. وإنْ كان المضارعُ على (يَفْعِلُ)، صارت اللّام فيه ياءً، مثل: سَقَى: يَسْقِي ، وشَرَى: يَشْرِي، وكَفَى: يَكْفِي وكذلك النّاقص المزيد إذا كانت عينه مكسورة، مثل: حَيَّى: يُحَيِّي، وادَّعَى: يَدَّعِي، واسْتَدْعَى: يَسْتَدْعِي.

ب - يُحْذَفُ حرفُ العِلَّة في حالة جزم الفعل المضارع، مثل: لم يَسْقِ، لم يَدْعُ، لم يَرْضَ فإنْ كانَ حرفُ العِلَّة ياءً بَقِيَت الكسرة دليلاً عليه بعد حَذْفِهِ، وإنْ كان واواً بقيت الضَّمةُ دليلاً عليه، وإنْ كانَ أَلِفاً بقيت الفتحةُ دليلاً عليه.

جـ - يُصَاغُ الأمْـرُ من النّـاقص بحـذف حرف العِلّة من مُضـارعه، فإنْ كان المحـذوفُ ياء بقيت الكسـرةُ دليلاً عليه مثـل: اسْق، ارْم . وإنْ كانَ المحذوف واواً، بقيت الضمة دليلاً عليه، مثل: ادْعُ، اُلْهُ، اُغْزُ وإنْ كان المحذوف ألفاً بقيت الفتحة دليلاً عليه، مثل: ارْضَ، انْهَ، اخْشَ.

د - يُصَاغُ اسم الفاعل من الثّلاثِيّ النَّاقِص على وزن (فَاعِل) ويصير آخره ياءً سواء أكانَ المضارع منه معتلاً بالواو أم بالياء، أم بالألف، مثل: دَعَا: يَدْعُو: دَاعِي: سَقَى: يَسْقِي: سَاقِي، بَقِيَ: يَبْقَى بَاقِي، وتُحْذَفُ هذه الياء، ويُعَوَّضُ عنها بالتنوين إذا اسْتُعْمِلَ اسمُ الفاعل في موضع الرفع أو الجَرّ: هذا داعٍ، سلمت على داعٍ.

ويُصَـاغُ اسمُ الفـاعـل من غير الثُّـلاثي بإبـدال حرف المضـارعـة ميماً مضمومة، مع كسر ما قبل آخره، ويصير حرف العلة ياء في آخره، كما تقدَّم في اسم الفاعل من الثلاثي، مثل: ادَّعَى: يَدَّعِي: مُدَّعِي: حَيَّى: يُحَيِّي: مُحَيِّي.

هـ - يصاغ اسم المفعول من الثلاثي على وزن (مفعول)، فإن كان النَّاقص واوياً من باب (فَعَلَ يَفْعُلُ)، مثل: دَعَا يَدْعُو، غَزَا يَغْزُو، تُدْغَمُ واو الفعل مع واو (مفعول) وتُصْبِحُ واواً مشددة كما يلي:
يَدْعُو - مَدْعُوْوٌ - مَدْعُوٌّ.

وإنْ كانَ أصلُ حرف العلَّة واواً، مثل: رَضِي يَرْضَىٰ، وحَظِيَ يَحْظَى، صِيْغَ اسْمُ المفعول منه على: (مَرْضُوْوٌ) و (مَحْظُوْوٌ)، ثُمَّ تُقْلَبُ الواو الأخيرة (واو الفعل) ياءً، لتطرُّفِهَا بعد ساكن، فيصير: (مَرْضُويٌ) و (مَحْظُويٌ) ثم

تُقْلَبُ الواو ياءً، وتُدْغَمُ في الياء بعدها، فيصير: (مَرْضِيٌّ) و (مَحْظِيٌّ)

رَضِيَ : يَرْضَى : مَرْضُوْوٌ: مَرْضُوي : مَرْضِيٌّ.

وإنْ كان الفعل الناقص يائياً مثل: رَمَى: يَرْمي، سَقَى: يَسْقِي، فإنَّه تقلب واو (مفعول) ياءً وتدغم في ياء الفعل على النحو التالي:

رمَى : يَرْمي - مَرْمُويٌ - مَرْمِيٌّ

سَقَى: يَسْقَى - مَسْقُويٌ - مَسْقِيٌّ

* * *

سابعاً : التدريبات :

(١)

عيّن المقصود بكُلٍّ من الخبر و الإنشاء في كُلِّ مثال مِمَّا يأتي :

١ - ﴿ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴾

٢ - لَمّا دَعَوْتُ الصَّبْرَ بَعْدَكَ والأسى أجابَ الأَسى طَوْعاً ولم يُجِبِ الصَّبْرُ

فإنْ يَنْقَطِعْ مِنْكَ الرَّجاءُ فإنَّهُ سَيَبْقَى عليكَ الحُزنُ ما بَقِي الدَّهْرُ

٣ - ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾

٤ - وَمكارمي عَدَدُ النُّجومِ ومَنْزلي مَأْوَى الكِرامِ ومَنْزِلُ الأَضْيافِ

٥ - لا تَطْلُبِ المَجْدَ إنَّ المَجْدَ سُلَّمُهُ صَعْبٌ، وعِشْ مُسْتَريْحاً ناعِمَ البالِ

٦ - دَعَوْتُكَ يا بُنَيَّ فَلَمْ تُجِبْنِي فَرُدَّتْ دَعْوَتي بَأْساً عَلَيَّا

٧ - ﴿ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا ﴾

٨ - ﴿ فأْتوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ﴾

٩ - ما لِلمَنازِلِ أَصْبَحَتْ لا أَهْلُها أَهْلِي، ولاَ جِيْرَانُها جِيْرَانِي

١٠ - فمنْ شاء فَلْيَبْخَلْ ومَنْ شاءَ فَلْيَجُدْ كَفانِي نَداكُم عَنْ جميعِ المَطالِبِ

١١ - ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴾

١٢ - فَوَا عَجَباً حَتّى كُلَيْبٌ تَسُبُّنِي كأَنَّ أَباها نَهْشَلٌ أَوْ مُجاشِعُ

١٣ - ﴿ ربنا لا تؤاخذنا إنْ نسينا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾

١٤ - فَلَيْتَ الشَّامِتِيْنَ بِهِ فَدَوْهُ فَلَمْ يَكُنْ لِدَنِيءٍ عِنْدَها طَمَعُ

١٥ - لَيْتَ المُلُوكَ عَلَى الأَقْدارِ مُعْطيةٌ فَلَمْ يَكُنْ لِدَنِيءٍ عِنْدَها طَمَعُ

(٢)

أ - يقول المُقَنَّعُ الكِنْدِيُّ في الفخر مشيراً إلى قومه:

فإنْ أَكَلُوا لَحْمِي وَفَّرْتُ لُحومَهم ... وإنْ هَدَمُوا مَجْدِي بَنَيْتُ لَهُمْ مَجْدَا

وإنْ ضَيَّعُوا غَيْبِي حَفِظْتُ غُيُوبَهُمْ ... وإنْ هُم هَوَوْا غَيِّي هَوَيْتُ لَهُمْ رُشْدَا

وإنْ زَجَرُوا طَيْراً بِنَحْسٍ تَمُرُّ بِي ... زَجَرْتُ لَهُمْ طَيْراً تَمُرُّ بِهِمْ سَعْدَا

ولا أَحْمِلُ الحِقْدَ القَدِيْمَ عَلَيْهِم ... ولَيْسَ رَئِيسُ القَوْمِ مَنْ يَحْمِلُ الحِقْدَا

بَيِّنَ هذه الأبيات وقصيدة بَشَامة نِقاطُ تَشَابُهٍ ونقاطُ اختلافٍ، سواء في الاتجاه العام أو الأفكار الجزئية. وَضِّحْ ذلك بالتفصيل.

ب - قال عمرو بن كلثوم:

كَأَنَّا والسُّيوف مسلَّسلات ... وَلَدْنَا النَّاس طُرّاً أجمعينا

وهنا يقول بشامة:

إنِّي لَمِنْ مَعْشَرٍ أَفْنَي أَوَائِلَهُم ... قَوْلُ الكُمَاةِ أَلَا أَيْنَ المُحَامُونَا

قارنْ بينَ البيتَيْنِ فيما يتعلق بـ:

الغرض، الفكرة، الأسلوب، الصّورة

(٣)

١ - استخلصْ قِيَمَ الفَخْرِ الجَماعي كما تعكسها قصيدة بشامة.

٢ - من مطالع البحتري:

ما على الرَّكب من وقوف الرِّكاب فـي مغاني الصِّبا ورسم التَّصابي

ومن مطالع المتنبى :

هـذى بَـرَزْتِ لَنَـا فهِجْـتِ رَسِيْسَـا ثُمَّ انصرَفْـتِ، وما شَفَيْـتِ نَسِيْسَـا

(الرسيس: الحبّ الثابت في القلب، النسيس: بقية النفس)

وهنا يقول مطلع بشامة:

إنَّـا مُحَيُّـوكِ ياسَلْمَـى فَحَيِّينَـا وإنْ سقيتِ كـرامَ النَّـاسِ فاسقينا

اشرح كلًا منها مُشيرًا إلى أيّها أجملُ في نظرك، ولماذا؟

٣ - يقول بشامة:

إنَّـا بني نهشل لا نَدَّعِي لأبٍ عنـه، ولا هـو بالأبنـاء يَشْرِينـا

في هذا البيت خصوصية عجيبة، ومعنى متفرد. وَضِّح هذا.

(٤)

في الأبيات التالية احتراس. وضحه في كل منها، مع ربطه بالسياق، وبيان قيمته الفنية.

١ - صَبَبْنَا عليها ظالميـنَ سِيَاطَنَـا فطـارَتْ بَهـا أَيْـدٍ سِـرَاعٌ وأَرْجُـلُ

٢ - ويَهْتَـزّ للجَـدْوَى إذا ما مدحتـه كمـا اهتَزَّ حاشـا وصفه شاربُ الخمرِ

٣ - وما بي إلى ماءٍ سوى النّيل غلـة ولـو أنَّـهُ أستغفـر الله زَمْـزمَ

٤ - يُخْبـرك مَنْ شَهِـدَ الوقيعـةَ أنّنـي أَغْـشَى الوَغَي وأعفّ عِنْـدَ المَغْنَمِ

٥ - هل اجْتَمعَتْ أحياءُ عَدْنانَ كُلُّها بَمُلْتَحـمٍ إلاّ وأنـتَ أميرُهَـا

نموذج إجابة التدريب الأول

رقم المثال	الخبر	الانشاء	المقصود به
١		أمر	الدعـــاء
٢	✓		التحسّـــــر
٣		استفهام	النفـــي
٤	✓		الفخر
٥		نهـى	التحقير
٦		نـــداء	التحسّـــر
٧	✓		التحسّـــر
٨		أمـــر	التعجيز
٩		استفهام	التحسّر
١٠	✓		التخيير
١١		استفهام	التقرير
١٢		نـداء	التعجـــب
١٣		نهـــى	الدعـــاء
١٤		تمـــن	التمنـــي
١٥		تمـــن	الترجـــى

* * *

(٥)

١ - قال الشاعر :

إنــا محيــوك ياســلمى فحيينـا ∴ وإنْ سـقيت كـرام النـاس فاسقينا
إنا - بني نهشل - لاندَّعى لأب ∴ عنـه ولا هـو بالأبنـاء يشـرينا

أ - استخـرج جمـع المـذكـر السَّالم من البيتَيْنِ السَّابَقيْنِ، واذكُرْ علامة إعرابه، وموضعه من الإعراب.
ب - لِمَ انتصب (بني نهشل) في البيت الثاني؟ وما اسم هذا الأسلوب؟ هاتِ من عندك جُملًا توافق هذا الأسلوب.
جـ - الأصل في (محيوك) : محيون، وفي (بني نهشل): بنين، لِمَ حُذِفَت النون هنـا؟ هاتِ أمثلة من عنـدك لأسمـاء أو صفاتٍ جُمِعَتْ جمعاً مذكرًا سالمًا وحُذِفَتْ منها نونات الجمع.
د - أعرب ماتحته خط.

(٦)

قال الشاعر:
إنْ تبتـدر غايــة يومــا لمكرمــة ∴ تَلْــقَ السَّــوابق منا والمُصَلِّينـا
إنّـي لَمِــنْ معشـرٍ أفنى أوائلهــم ∴ قــول الكُمـاة ألا أيــنَ المُحامونا

أ - استخرج جمع المذكر السَّالم من البيتين، ثم اذكر علامة إعرابه.

ب - اجعل العبارة التالية في حالة الجمع ، وبين ما يجمع من الأسماء الواردة فيها جمعًا مذكر سالمًا، ومالا يجوز جمعه كذلك، مع ذكر السبب.

هذا رجلٌ مقاتلٌ يركبُ فرسًا سابقًا.

جـ - أعرب ماتحته خط.

(٧)

- أعد قراءة الأبيات الواردة في القصيدة، واستخرج منها الجمل المنسوخة بحروف ناسخة، ثم أعرب هذه الجمل إعرابًا مُفَصَّلاً.

(٨)

- اقرأ الأبيات الواردة في القصيدة، واستخرج منها الجمل الفعلية التي بُنِيَتْ أفعالها للمجهول، ثم اذكر نائب الفاعل، وأعربه.

(٩)

أ - أعرب البيت الرابع إعرابا مُفَصَّلاً.

ب - أدخل على الجمل التالية حرفًا ناسخًا من أخوات (إنَّ)، وغَيِّرْ مايلزم تغييره، ثم أعرب الجملة المنسوخة:

العاملون محترمون يقدِّرهم الشعب. في البلاد مُدَرِّسُونَ مخلصون. أنتم مجتهدون.

(١٠)

قال الشاعر :

أَبَـى اللهُ إلاَّ أَنَّنـا آلَ خِنْـدف ∴ بِنَا يَسمعُ الصوتَ الأَنـامُ وَ يُبْصِرُ

١ - استخرج أُسلوب الاختصاص من البيت السَّابق وأعربه.

٢ - استخـرج جملة فعلية تقـدم فيها المفعول به على الفاعل، واذكر حكم هذا التقديم، من حيث الجواز أو الوجوب.

(١١)

- المسلمون - الرجال - الطالبات -

استعمل هذه الكلمات في جمل من عندك منصوبة على الاختصاص.

* * *

(١٢)

أعد قراءة القصيدة، واستخرج منها كل فعل ناقص، ثم صَرِّفْهُ إلى المضارع، والأمر، واسم الفاعل، واسم المفعول، وبين مايحدث في التصريفات من تغيير.

* * *

الوحـــدة الســـادسة

سَـــعْدُ بْـــنُ ناشِـــب

أولا : صاحب النص : -

هو سَعْدُ بنُ ناشب من بني العَنْبَر، كان من شُجعان بني تميم وفتّاكهم في البصرة، من شعراء الدولة الأموية، أخبارهُ قليلة نَزْرة في المصادر وهي تشير إلى بُزوغ نَجمِه في يومٍ من أيام العـرب يقـال له (الوَقيط) مما يُشير إلى شجاعتِه وإقدامِه، ولعلَّ قصيدتَه التي سَتَردُ تُمثِّلُ جانبًا كبيرًا من هذه الشجاعة وهذا الإقدام. (الشعر والشعراء ٦٩٦/٢ ، العِقْدُ الفَريد ١٨٢/٥ - ١٨٥، خِزانةُ الأدب ٤٤٦/٣).

* * *

ثانيا : النـــص :

١ - سَأَغْسِلُ عَنِّي الْعَارَ بِالسَّيْفِ جالِبًا	عَلَـيَّ قضـاءُ اللهِ ماكـانَ جالبـا
٢ - وَأُذْهَلُ عن داري وأجعلُ هَدْمَها	لِعِرْضِـيَ مِـنْ باقـي المَذَمَّةِ حاجبـا
٣ - وَيَصْغُرُ في عَيْني تِلادي إذا انْثَنَتْ	يَمينـي بإدراكِ الـذي كُنْـتُ طالبـا

---

٢ - أُذْهَلَ : يُقال : ذَهَل عن الشَّيْء، يَذْهَلُ : غَفَلَ عنه.

اَلْمَذَمَّة : العَيْب ، وهي (مَفْعَلَة) من (الذَّمّ). يُقال: ذَمَّ فلانا ذمًا، وَمَذَمَّةً: عابَه ولامَه.

٣ - تِلادي . التِّلاد : المال الأصليّ القديم.

٤ - فإن تَهْدِموا بالغَدْر داري فإنها ... تُــراثُ كريـمٍ لا يخـافُ العواقبـا

٥ - أخـي عَزَماتٍ لايُريدُ علىٰ الّذي ... يَهُـمُّ بـه مِـن مُقْطِـعِ الأمـرِ صاحبا

٦ - إذا هَمَّ لم تُرْدَعْ عزيمةُ أمرِهِ ... وَلَمْ يأتِ ما يأتي من الأمرِ هائبا

٧ - فَيا لَرزامٍ رَشِّـحوا بي مُقَدِّمـاً ... إلـى المـوتِ خَوَّاضًا إليْهِ الكَتائبا

٨ - إذا هَمَّ أَلْقىٰ بين عينيْه عَزْمَهُ ... وَنَكَّـبَ عـن ذِكْـرِ العواقـبِ جانبا

٩ - ولم يَسْتَشِرْ في رأيهِ أَمْرَ غَيْرِهِ ... ولم يَرْضَ إلاّ قائمَ السيفِ صاحبا

١٠ - فلا تُوعدوني بالأمير فإنَّ لي ... جَنانًـا لأَكْتَـافِ الْمَخـاوِفِ راكبـا

١١ - وقَلْـبًا أَبِيًّا لا يُـرَوَّعُ جَأْشُـهُ ... إذا الشَّـرُ أَبْدَى بِالنَّهـارِ الكواكبـا

---

٥ - أخي عَزَماتٍ : صاحب صبرٍ وجلاد - يُقال: عَزَمَ فلانٌ عَزْماً، وعزيمةً، وعَزْمَةً : صَبَرَ وجَدَّ وعَزَمات جمع (عَزْمَة).

٦ - رَدَعَ : رَدَعَ فلانٌ فلانا : زَجَرَهَ ومَنَعَه وكَفَّه.

هائبا : يُقال: هابَ فلانٌ فلانا، حَذِرَهُ وخافه، فهو هائب.

٧ - رَشَّحوا: يقال : رَشَّحَهُ للشيء : هَيَّأه وأَهَّلَه.

٨ - نَكَّبَ : يقال : نَكَّبَ عنه : عَدَلَ عنه وتَنَحَّىٰ.

١٠ - جَنانا : الجَنان من كل شيء جَوْفُه، وجَنان الإنسان : قَلْبُه.

أَكْتاف : جمع (كَتف)، والكَتَف : جانبُ الشيء.

١١ - يروَّع فلانٌ، وتَرَوَّعَ منه : خافَ وفَزِع. وأراعَهُ وروَّعه : أفزعَه وأخافَه.

الجَأْش : النَّفْسُ أو القَلْب . يقال : فلان رابط الجَأْش : ثابتٌ عندَ الشّدائد.

ثالثا : الشرح والتعليق : -

لانستطيعُ فَهْمَ هذه القصيدةِ فهما دقيقا بمَعْزِل عن معرفة السبب الذي قيلت له، إذ إن فيها إشاراتٍ إلى هذا السبب. فقد أجمع الدارسون على أن الشاعر قد أصاب دَمًا - قتل شخصا - فهدم الوالي دارهَ بالبصرة وحرَّقها، فقال هذه القصيدةَ ردًا علىٰ فِعلةِ الوالي تلك ومفتخرًا بنفسه ومُشيدًا بشجاعته، ولذلك نراه يَبدؤها بالإصرار في المضيّ على ماتعوَّدَ عليه من فعال فهو غاسلُ العارِ عن نفسه وأهله بالسيف، سوف يَظلُّ مُستخدِما هذا السيفَ في أعدائِه مدافعًا عن نفسِه الظلمَ، ولْيَكُنْ ما يَكون، ولْيَنْفُذْ قضاءُ اللهِ فهو لا يستطيعُ ردَّه أو تغييرَه، وسوف يَنسىٰ تلك الدارَ التي هُدِمَت ويَجعلهُا وِقاءً لنفسِه من العارِ الباقي لايَأْبُه بدارٍ أو مالٍ قديمٍ إذا حقَّق غرضَه مِنْ دَفْعِ العار والضَّيْمِ عن نفسِه، ويَنتقلُ بعدَ هذا إلى مخاطبةِ مَنْ هَدَمَ دارَه غَدْرًا مُنبِّهًا إياه إلى حقيقةٍ ربما كان غافلاً عنها وهي أن هذه الدارَ تُراثٌ كريم، وكيف تكونُ تراثا وهو حيّ؟ إنه يَعتدُّ بأولاده ومَنْ سوف يَرثُهُ، فهم قادرون على إعادةِ بناءِ الدارِ مرةً أخرى، وقادرون على استعادةِ المَجْدِ القديم، ونراه يَصِفُ نفسَه بأوصافٍ مُختلفةٍ لِيَدُلَّ بها على تَماسُكِه وشِدَّتِه، فهو أخو العَزَمات والشّدائد، لايَتَّخِذُ فيها صاحبا، وهو يُقْدِمُ على الموتِ غيرَ هَيَّابٍ ولا وَجِل، رائدهُ العزمُ والإقدامُ لا يُلْقي للعواقبِ بالا، يُديرُ لها ظهرَه ويُوَلِّي وجهَه شَطْرَ الموتِ يَطلبهُ فَلَهُ خُلِقَ وعليه تَعَوَّد، كما أنه مُتَفَرِّدٌ برأيه لايأخذُ من أحدٍ، دلالـةُ على الحِكمة والسيادة ولم يتخذْ صاحباً غيرَ السيفِ يخوضُ به المعاركَ ويدفعُ الضَّيْم، ويَلتفتُ بعد هذا إلى أولئك الذين يُوعِدونه بالأمير ويُخيفونه منه، ألم يُقَدِّم ما قَدَّم، ويَقُلْ ماقال دفعاً لهذا التخويفِ وهذا الوعيد، وكيف يَخاف وقد حاز تلك الصفاتِ كلَّها، وآثرأن يُضيفَ إليها أشياء كي تَقَرَّ في أذهانِهم ولايُعاوِدوا

الحـديثَ عن الـوعيدِ والخوف، فجنَانهُ لايَركبُ إلا الخوفَ وعليه اعتاد فكيف يَخافُ من الأمير، وقلبُه مرةً أخرى رابطُ الجأشِ ثابتُ البُنيان حتى حينَ يُبْدِي الشَّرُ بناجِذَيْه، فهل يَخاف؟ أخلاقٌ عاليه ومعانٍ ساميةٌ بثَّها الشاعرُ في الأبياتِ مُدافعًا عن نفسِه ورَادًّا الظلمَ عنها، فلن يَستطيعَ أحدٌ أن يَهْدِمَ مَجْدَه ويثلّ عَزْمَه مادام يَحْمِلُ بيْنَ جَنْبَيْه تلك القوةَ والصبرَ وفي رأسِه تلك الحكمةَ والتعقّل.



رابعا : عَروُض النَّصّ : -

حَاوِلْ قراءةَ البيْتِ الأولِ بدقةٍ وأَناة، يقول:

سَأَغْسِـلُ عَنِّـي الْعَــارَ بِالسَّيْفِ جَالِبًا   عَلَـيَّ قَضَـاءُ اللهِ مَـاكانَ جالِبـــا

والبيتُ من قصيدةٍ تَنتمي إلى «البحر الطويل» الذي تفعيلاتُه :
فَعولـــن مَفاعيلـن فَعولـــن مَفاعلـــن   فَعولـــن مَفاعيلـــن فَعولـــن مَفاعلـــن

وقـد أشـرنـا سابقـا إلى أَنَّ هذا البحرَ يَطْرَأُ عليه شيءٌ من التغييرِ فتُصبِحُ مفاعيلن = مفاعلن، مثل هذه القصيدة، ولو حاولتَ تقسيمَ البيت - أو أيِّ بيْتٍ بعدَه - إلى تفعيلات العَروضِيِّين أو وحداته النَّغَمِيَّة، لَجاء تقسيمهُ على النحوِ الآتي : -

سَـأَغْسِـــ	/ لُ عَنّي الْعـا	/ رَ بالسّيْـ	/ فِ جالبا
//ه/	//ه/ه/ه	//ه/ه	//ه//ه
فَعُولُ	مَفاعِيلنْ	فَعولُنْ	مَفاعِلُنْ

عَلَيَّ	/ قَضاءُ اللَّـ	/ ـهِ ما كا	/ نَ جالِبا
//ه/	//ه/ه/ه	//ه/ه	//ه//ه
فَعُـولُ	مَفاعيلـن	فَعولن	مَفاعِلُـن

وهكذا بقيةُ أبياتِ النص . .

خامسًا : الأسلوب والصـور :

أ - النزعة الفردية في القصيدة :

«الشعر يحاكي الشعور» مقولةٌ لاتكذب. وقصيدةُ سعد بن ناشب أكبرُ دليل، العـربيُ حينَ يصـطدمُ ببعض القـوىٰ الغاشمةِ في الحياة، فإنه يثورُ لكرامته، ويغضب، ويُزَمْجِر، ويُوعِد، وَيَتَوَعَّد، ويُصبح بُركانًا يَقذِف الحِمَم، وثورةً عارمةً لاتُبقي ولاتَذَر.

وهكـذا كان سعـدٌ بعد أن هُدمت دارُه: أَنَفَةً وغَضْبةً وكبرياءً. وجاءت كل المسلكيّات الأسلوبيةِ لِتَدْعَمَ هذه الحقيقةَ، وتُدَلِّلَ عليها.

لقد رأينا في قصيدة «بَشامة» كيف سيطرت الروحُ الجماعية على القصيدة، لأن المجالَ كان مجالَ فخر. أما هنا، فعلى العكس: حادثةٌ خاصةٌ يأتي التعبيرُ عنها من منظور مَنْ وَقَعَتْ له، وهو هنا «واحد» وليس «جماعة»، لهذا تسيطر الـ «أنا» على القصيدة بأكملها.

النزعةُ الشخصيةُ واضحةٌ بِجَلاء في العزمِ على الانتقام، وطريقتِه، بل إنها طاغيةٌ في بلورة تجارب الشاعر فارسًا خَطِرًا، ومحاربًا لايَهاب، كان له تاريخهُ المشرِّف، ومازال لديه تصميمُه الأكيد. الحلُّ أولاً (في البيت الأول) وأخيرًا (في البيت التاسع) : هو السيفُ ولاشيءَ غيُره، فالغَلَبَةُ للقوة، وهي وحدها الكفيلةُ بردِّ الأمورِ إلى نِصابِها، أو نقول: إعادةِ الحقوقِ الضائعةِ إلى أصحابِها.

ومن هذا المُنطلَق (فلسفةُ القوةِ لدىٰ الشاعر) تجيُ تعبيراتُ القصيدة بأكملها لتتراسلَ تراسلا حيا وفَعَّالا مع الموقف الشِّعْري، وتُصادفنا هنا تعبيرات سوف نقوم بربط بعضِ العناصر اللغوية فيها لتوضيح المقصود.

سأغسل عني العار بالسيف/ أجعل هَدْمَها حاجبا لعرضي/ إذا انثنت يميني الآن فلا فخرَ بالقديم/ كريمٌ لايَخاف العواقبا/ لم تردع عزيمة أمره/ لم يأت مايأتي من الأمر هيابا/ ألقى بيْنَ عينيْهِ همَّه/ لم يَرْضَ صاحبا إلا قائمَ السيف/ لي جَنان راكبٌ لأكناف المخاوف/ قلبٌ أَبِيٌّ لايَخاف ولا يَهاب.

لهـذا كله نقول: إن التجربةَ الشِّعريةَ تجيءُ لتتراسلَ مع التجربةِ الشُّعورية على نحوٍ حيّ ٍ ومُؤَثِّر، مما يُقَوِّي نزعةَ الـ «أنا» وتجعلُها تبدو وهي مسيطرةٌ على القصيدةِ، على نحوٍ طاغ ٍ ومُعَبِّرٍ معا.

ب - الحقيقة والمجاز :

حين نُعبِّرُ عن الأشياء أو الأشخاص، قد يأتي تعبيرُنا حقيقةً أو مجازا. فالتعبيرُ بالحقيقة يكونُ باستخدام ِ الكلماتِ فيما وُضِعَتْ له من المعاني، على حين يجيءُ التعبيرُ بالمجازِ عن طريقِ استخدام ِ الكلماتِ في غيرِ ماوُضِعَتْ له.

مثالُ ذلك : كلمةُ « اللسان » في العبارتَيْن التاليتَيْن:

١ - أدواتُ النطقِ هي اللسانُ والأسنانُ والشِّفاهُ والحَنْجَرة وما إليها.

٢ - قال تعالى: ﴿ ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم. ﴾

« اللسان » في العبارة الأولى معناه: العُضو الموجودُ بالفمّ، الذي يلعبُ دورًا كبيرًا في عملية نُطْقِ الأصوات والألفاظ، وهو بذلك حقيقة.

أما كلمةُ « الألسنة » في الآية، فمرادٌ بها اللغاتُ، فهي إذًا تُستخدَم لتدلَّ على غير ماوُضِعتْ له حقيقـةً وهي الجـوارح. ومن هنا نقول: إن استخدامَها بهذا المعنى مَجازٌ، لابُدَّ في كل مَجاز من علاقة ، وقرينة.

والعَلاقةُ هنا بين اللغةِ واللسانِ واضحة، لأنّ اللسانَ هو أداةُ اللغة، ومن هنا، نَاسَبَ أن يُطلَقَ على «اللغة» لفظةُ «لسان».

أما القرينةُ فهي الدليلُ أو الشاهدُ أو العلاقةُ التي تَمنَعُ من إرادةِ المعنى الأصلي، فكلمةُ «الألسنة» في الآية مجاز، لاحقيقة، لأن الذي يَمنعُ هنا من إرادة كونها حقيقةً، تلك «القرينةُ» المستفادةُ من سياقِ الآية، في أنه لامعنى لتخصيص اختلافِ الألسنةِ من بينِ الجوارحِ كلِّها بأنها آية. العِبرةُ هنا بأن قدرةَ اللهِ الشاملةَ هي التي اقتضت أن يكونَ لكلِ جماعةٍ أو قومٍ لغةٌ يَتخاطبون بها، ويَفهم بها بعضَهم بعضا.

جـ - المجازات في القصيدة :

في ضوء فهمِنا لفكرة الحقيقة والمجاز، نستطيع الآن أن نضع أيديّنا على المجازاتِ الواردة في القصيدة، ومنها:

سأغسل عني العار بالسيف : حيث شَبَّه العارَ بدَنَسٍ مُسْتقبَح، تجبُ إزالتهُ وغَسْلُه ومَحْوُه وحَـذَفَ الدَّنَس ورمز بشيءٍ من لوازمه وهو الغسل، مُشْتقًا بهذا المعنى فِعْلَ «أغسل» بمعنى أُمحو وأُزيل، على سبيلِ الاستعارةِ المَكْنِيَّة.

«إذا انثنت يَمينى» كناية عن الضَّعف، إذ يُشار دائما باليمين على أنها مصدرُ قوة، فكلُ مايطرأُ عليها من خَلَلٍ يكونُ مَدْعاةً لِجَعْلِها واهيةً ضعيفة، لا تأثيرَ لها، ولا نَفْعَ فيها.

«أَخي عَزَماتٍ» كناية عن ملازمته كبارَ الأمور وجلائلَ الأعمال، وأنه حُرٌّ يأبىٰ الضيْم، ويركب الصعب دائما.

« ألقىٰ بيْنَ عينيْه عَزْمَه » ، فيها استعارة وكناية :

استعارة تصريحية، حيث يشبه هدفه بالعزم، ويحذف المشبّه ويُبقي على المشبّه به.

وكناية عن مضائه دائما، وحرصه على تحقيق مايُصَمِّم عليه، فهي إذًا كناية عن صفة.

هذا بالإضافة إلى مجازاتٍ أخرى، تجدها في:

جعل هدم الدار حاجبا لعِرضه من باقي المذمة/ لم يَرْضَ صاحبًا إلا سيفَه/ جَنانُه راكب لكل أنواع المخاوف/ الشرُّ يُبدي ناجِذَيْه فيبدوان لامعيْن، كالكواكب.

وفي كل هذا - كما نرى - عُدولٌ بالكلمةِ عن دلالِتها الأصلية. وهو مانعنيه بـ «المجاز».

د - الوظيفة التعبيرية للفعل المضارع:

نلاحظ هنا أن معظمَ التعبيراتِ في هذه القصيدة جاءت بالفعلِ المضارع. والفعـلُ المضـارعُ له وظيفـةٌ تعبيرية مُهمةٌ في الأسلوب الشعري، لأنه - كما نعلم - يَدُلُّ على التجدّدِ والحدوث. ومعنى هذا أن كلَّ الأفعال التي عبَّر بها الشاعرُ هنا (وهي الأفعال المضارعة) تُبيِّنُ أن نشاطَه متجدد، لايَكِلُّ ولا يَفْتُر، وكأنَّ عزمةَ وهِمَّتَه وشجاعتَه وإقدامهَ - كُلُّها أمورٌ باتت من لوازمه، يُمارسُها كلَّ وقتٍ وكلَّ آن، فهي إذًا لاتقتصرُ على فترةٍ زمنيةٍ معيّنة أو محدّدة في حياته، بل إنها تتجدّدُ كلما تجددت البواعثُ إليها من إثارة أو استثارة، كما هو موقفُه الآنَ بعدَ هَدْمِ دارِه ظُلما وعُدْوانا.

وقـد يُضـاعفُ من دلالـةِ التعبيرِ بالمضارع هنا، أن الشاعرَ راح يُزاوِجُ بيّن صيغتيْ الإثبات والنفي.

ففي جانب الإثبات، تبرُز أفعال : أغسل .. أذهل .. أجعل

وفي جانب النفي ، تجيء الأفعال : لايخاف .. لا يريد .. لم يأتِ لم يستشر .. لم يرضَ.

في الإثبات، يُعبِّرُ بصيغةِ المتكلم، وفي النفي ، يتحدثُ بصيغةِ الغائب، وهذا التلوينُ في الأسلوب يجيءُ ليحاكيَ حالتَه النفسيةَ الثائرةَ وأنها بين «الفِعل» و«التَّرْك» ، أو بهما معا، إنما تجيءُ لتعبّرَ عن واقعٍ لا خيال، وعن حقيقةٍ لا وَهْم، ومعنى هذا أنه يُهدِّد وكفى ، بل إنه فعلا عازمٌ على الانتقام ، وهو قادرٌ عليه . .

سادسا : النحــــو :

جَزْمُ الفِعْلِ المُضارعِ :

يُجزمُ الفعلُ المضارعُ إذا دخلت عليه أداةٌ من أدواتِ الجزم، والأدوات التي تَجزمُ الفعلَ المضارعَ قسمان:

الأول : أداوتٌ تَجزمُ فعلا مضارعا واحدًا في الجملة.

الثاني : أدواتٌ تَجزم فعليْن مضارِعيْن في الجملة.

الأول : الأدواتُ التي تَجزمُ فعلا مضارعا واحدًا في الجملة:

(لم) :

قال تعالى : ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾.

(يَلِدْ) و (يولَدْ) : فعلان مُضارِعان مجزومان بـ (لم)، وعلامةُ جَزْمِهما السكون.

قال تعالى : ﴿ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ﴾

(يُؤْتَ) : فعـلٌ مضارعٌ مجزوم، وعلامةُ جزمِهِ حذفُ حرفِ العلّة، والفتحةُ دليلُ الألفِ المحذوفة.

قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا ﴾

(تُغْنِ) : فعل مضارع مجزوم، وعلامةُ جزمِهِ حذفُ حرفِ العِلَّة، والكسرةُ دليلُ الياء المحذوفة.

قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ﴾

(يَدْعُ) فعل مضارع مجزوم، وعلامةُ جزمه حذفُ حرفِ العلة، والضمةُ دليلُ الواوِ المحذوفة.

قال تعالى : ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾.

(تفعلوا) : فعل مضارع مجزوم ، وعلامة جزمه حذف النون، لأنه من الأفعال الخمسة، وأصله (تفعلون).

(لَمَّـــا) :

قال تعالى : ﴿ ولَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ ﴾

قال تعالى : ﴿ لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ ﴾

قال تعالى : ﴿ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ﴾

(لا الناهية) :

قال تعالى : ﴿ لاتحزن إن الله معنا ﴾.

قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ ﴾

(لام الأمر) :

قال تعالى : ﴿ لِيُنفِقْ ذو سعة من سعته ﴾

قال تعالى : ﴿ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾.

الثاني: الأدواتُ التي تَجزمُ فعلَيْن مضارعَيْن في الجملة، وهذه الأدواتُ تَدْخُلُ على الجملةِ الشرطيةِ المؤلَّفةِ من جملتَيْن تَرْبِطُ بيْنَهما الأداة، تُسمَّى الأولى: جملةَ الشَّرْط، وفِعْلُها فِعْلَ الشَّرْط. وتُسمَّى الثانية: جملة جواب الشرط، وفعلها: جواب الشرط.

= (إن):

قال تعالى : ﴿ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ ﴾

يَشَأْ: فعل مضارع مجزوم بـ (إنْ ﴾، وعلامةُ جزمِهِ السكونُ، وهو فِعلُ الشَّرْط.

يَرْحَمْكم : جواب الشرط، مجزوم أيضاً.

= (إذ ما):

تقول: إذ ما تَقُمْ أَقُمْ مَعَك.

= (مَن):

قال تعالى: ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ ﴾.

(يعمل): فعل مضارع مجزوم - بـ (مَنْ)، ، وعلامةُ جزمِه السكونُ، وهو فعلُ الشرط.

يُجْـزَ: فعل مضارع مجزوم بـ (مَنْ)، وعلامة جزمِهِ حذفُ حرفِ العِلَّة، وهو جوابُ الشرط.

= (مـا)

قال تعالى ﴿ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ﴾

= (مَهْمَا)

قال تعالى: ﴿ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾

تأْتِ: فعل مضارع مجزوم بـ (مَهْما)، وعلامةُ جزمِهِ حذفُ حرفِ العلة، وهو فعلُ الشرط..

وقـد وقعت الجملةُ الاسمية (ما نَحْنُ لَكَ بمؤمنين) مَوْقعَ جَوابِ الشَّرْط، فهذه الجملةُ يكون محلها الجزم.

= (مَتىٰ):

تقول: متى تسافرْ أُسافرْ معك.

= (أَيَّانَ):

تقول: أَيَّانَ تعملْ يراقبْك الله.

= (أَيْنَ):

قال تعالى: ﴿ أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ﴾

= (أَنَّىٰ):

تقول: أَنَّىٰ تَجْلِسْ أَجْلِسْ معك.

= (حَيْثُما):

قال الشاعر:

حَيْثُما تَسْتَقِمْ يُقَدِّرْ لَكَ الله نجاحاً في غابِرِ الأَزْمانِ

= (أَيّ):

تقول أَيَّ سيارةٍ تَرْكَبْ أَرْكَبْ معك.

* * *

تَذَكَّر أَنَّ الفعلَ المضارعَ إذا كان صحيحَ الآخِر، جُزِمَ بالسكون، وإذا كان معتـلَّ الآخرِ جُزِمَ بحذفِ حَرْفِ العِلّة، فإن كان الحرفُ المحذوفُ ألفاً بَقِيَت الفَتحةُ دليلاً عليه، وإن كان ياء بَقِيَت الكسرةُ دليلاً عليه، وان كان واواً بَقِيَت الضمةُ دليلاً عليه.

وإن كان الفعلُ المضارع من الأفعال الخمسةِ جُزم بحذفِ النون.

* - الصَّرْف: -

وَرَدَ في القصيدةِ الفعلُ (هَمَّ)، وهو فعلٌ مُضَعَّفٌ، يكونُ فيه الحرفُ الثاني والحرفُ الثالثُ من جنسٍ واحد، فيُدغَمان في حرفٍ مُشَدَّد واحد.

ومن أمثاله: (شَدَّ.. عَدَّ.. ظَلَّ.. مَدَّ..).

وكذلك المَزيد: (اِشتدّ.. اِعتدّ.. اِستعدّ.. اِمتدّ.. اِ ستمدَّ).

والفعل المضعّف يُفَكُّ فيه الإدغام إذا صيغ منه المضارع، ودخل عليه أداةُ جزم. مثل: (لم يَشْدُدْ. لم يَعْدُدْ.. لم يَمْدُدْ..)

وإذا صيغ منه الأمرُ جَازَ فَكُّ الإدغام وجاز إبقاؤه.

مثل: (اشدُدْ، أو شُدَّ . وأُعْدُدْ، أو عُدَّ، وأُمْدُدْ، أو مُدَّ).

ويُفَكُّ الإدغامُ إذا اتصلَ به ضميرٌ من ضمائرِ الرفع المتحرّكة المتّصلة.

مثل: (شَدَدْتُ.. عَدَدْتُ.. ظَلَلْتُ.. مَدَدْنَ.. اِشْتَدَدْنا..)

ويبقى الإدغامُ إذا اتصل به ضميرٌ من ضمائر الرفع الساكنةِ المتصلة.

مثل: (عَدَّا.. شَدُّوا.. اِشْتَدُّوا.. اِسْتَعَدَّا.. أنتِ تَشُدِّينَ)

* * *

سابعاً : التدريبات :-

(١)

أجب عما يأتي:

١) تَنعكسُ في هذه القصيدةِ ثورةٌ عارمة، كما تنعكسُ فيها بعضُ الجوانبِ من شخصيةِ الشاعرِ الأبية.

- اِستخرِجْ من القصيدةِ ما يدلُّ على هذا وذاك.

٢) ما الصفاتُ التي عَرَضَها الشاعرُ يُبَلْوِرُ فيها شخصيةَ المُحارِبِ الفارس؟

٣) كيف نستطيعُ أن نَرْبِطَ بيْنَ مَطْلَعِ القصيدةِ ومَضْمونِها؟

٤) أُذكُرِ الأفكارَ الجزئية في القصيدة، مع ربطِها بالغرض العام.

(٢)

استخرج من القصيدة ما يلي:

١) ما يدل على النزعة الذاتية.

٢) فلسفة القوة لدى الشاعر.

٣) بعض نماذج تلوين الأسلوب.

٤) بعض التعبيرات المجازية.

٥) أمثلة للتعبير بالحقيقة، لا بالمجاز.

(٣)

للشاعر أن يختار ما بين النزعة الذاتية أو الجماعية في عرض تجربته.

اكتب مقالة توازن فيها بين النزعتيْن، كما يتراءىٰ لك في قصيدتيْ بَشامة، وسعد ابن ناشب.

(٤)

قال الشاعر :

فإنْ تهدموا بالغدر داري فإنها	تُراثُ كريمٍ لا يخافُ العواقبا
إذا هَمَّ لم تُرْدَعْ عزيمةُ أمرِهِ	ولم يأتِ ما يأتي من الأمرِ هائبا
ولم يَستشرْ في رأيهِ أمرَ غيرِهِ	ولم يرضَ إلا قائمَ السيفِ صاحبا
فلا توعدوني بالأميرِ فإنَّ لي	جَنانا لأكنافِ المخَاوف راكبا

أ) استخرج من الأبيات السابقة كلَّ فعلٍ مضارعٍ مجزوم، واذكر أداةَ الجَزْم، وعلامَتَه.

ب) أَعْرِبْ ما تحتَه خطٌّ إعراباً مفصَّلا.

(٥)

اقرأ الأبيات قراءةً جيدة، واستخرج منها ما يلي :

أ) الأفعال المضارعة المرفوعة، وبين علامة إعرابها واذكر فاعل كل منها.

ب) الجمل المنسوخة بحرف ناسخ، وأَعْرِبْها.

٣) يدعو . . يرمي . . يكتب . . يقول . . يبيع . . يرضىٰ . .

استعمل الأفعال المضارعة السابقة مجزومة في جمل مفيدة من عندك، واضبطها بالشكل.

(٦)

أ) يدرس – ينجح

ب) يعمل بإخلاص -- يحترمه الناس.

جـ) تسافر إلى أهلك -- يستقبلك إخوانك.

د) تتوجهون -- تجدون أصدقاء يرحبون بكم.

هـ) يلهـو أيـام دراسته -- يجد الفشل في حياته.

و) يمشي إلى الحقول الخضراء -- يبتهج بمنظرها الجميل.

اربط كل جملتين من الجمل السابقة بأداة من أدوات الشرط، ليصبحا جملة شرطية واحدة، واضبط فعل الشرط وجوابه بالشّكل الإعرابي الصحيح.

(١) صَرِّف الفعل (هَمّ) إلى المضارع المجزوم، وإلى الأمر، ثم أُسنده إلى ضمائر الرفع المتحركة والساكنة، واذكر ما يحدث فيه من تغيير.

(٢) استخرج من القصيدة كل فعل ناقص، وصَرِّفه إلى المضارع والأمر، واسم الفاعل واسم المفعول، واذكر ما يحدث فيه من تغيير في كل مرة.

* * *

الوحدة السابعة

لأمير المؤمنين علّي بن أبي طالب
كرم الله وجهـــهُ

مِن خُطبةٍ له يذكرُ فيها بَديعَ خِلْقَةِ الخُفَّاش:

الحَمْدُ لله الذي انْحَسَرتِ [1] الأوصَافُ عَنْ كُنْهِ [2] مَعْرِفَتِهِ ورَدَعَتْ [3] عَظَمَتُهُ العُقُولَ فَلَمْ تَجِدْ مَسَاغاً إلى بُلُوغِ غايةِ مَلَكُوتِهِ، [4] هُوَ الله الحَقُّ المُبين أحَقُّ وأبْيَنُ ممّـا تَرى العُيُونُ، لَمْ تَبْلُغْهُ العقولُ بتحديدٍ فيكونَ مشبَّهاً، ولم تَقَعْ عَلَيْه الأوْهَامُ بتَقْدِيْرٍ فيكُونَ مُمَثَّلاً، خَلَقَ الخَلْقَ على غَيْرِ تَمْثِيلٍ ولا مَشُورَةِ مشير، ولا مَعُونَةِ مُعِيْنٍ، فَتَمَّ خَلْقُهُ بأمْرِهِ، وأذْعَنَ لِطَاعَتِهِ، فَأَجَابَ ولَمْ يُدَافِعْ، وانْقَادَ ولَمْ يُنَازِعْ. ومِنْ لَطَائِفِ صنعته وَعَجائِبِ خِلْقَتِهِ مَـاأرَانَا مِنْ غَوَامِضِ الحِكْمَةِ في هذه الخَفَافِيْشِ.

---

١ - انْحَسَرتْ : انْكَشَفَتْ، وانحسرت الأوصاف عن كُنْهِ معرفته: ارْتَدَّتْ، فلم تَصِلْ إلى حقيقته.

٢ - كُنْهُ الشَّيء : حَقِيْقَتُهُ ونهايتُهُ.

٣ - رَدَعَتْ : رَدَعَ فُلانٌ فُلانًا، رَدْعًا : زَجَرَهُ وكَفَّهُ وَمَنَعَهُ.

٤ - الملكوتُ : عَالَمُ الغَيْب المُخْتصّ بالأرْوَاح والنُّفوس والعَجَائب. وَمَلَكُوتُ اللهِ : سُلْطَانُه وعَظَمتُهُ.

٥ - أذْعَنَ : أذْعَنَ الخَلْقُ لطاعَةِ اللهِ : انْقَادَ. وأذْعَنَ فُلانٌ بالحَقِّ: أقَرَّ به.

يَقْبِضُها [١] الضِّيَاءُ البَاسِطُ لِكُلِّ شيءٍ ويَبْسُطُهَا الظَّلاَمُ القَابِضُ لِكُلِّ حَيٍّ. وكَيْفَ عَشِيَتْ [٢] أعْيُنُهَا عَنْ أنْ تَسْتَمِدَّ مِنَ الشَّمْسِ المُضِيئَةِ نُوراً تَهْتَدِي به في مَذَاهِبِهَا [٣] وتتصل بعَلاَنِيَةِ برهان الشَّمْسِ إلَى مَعَارِفِهَا. ورَدَعَهَا بتَلأْلُؤ ضِيَائِهَا عَنِ المُضِيِّ في سُبُحَاتِ [٤] إشْرَاقِهَا وأكَنَّهَا [٥] في مَكَامِنِهَا عَنِ الذَّهَابِ في بَلَجِ ائْتِلاَقِهَا [٦]، فهي مُسْدِلَةُ الجُفُونِ بالنَّهارِ عَلَى أحْدَاقِهَا [٧]. وجَاعِلَةُ اللَّيْلِ سِرَاجاً تَسْتَدِلُّ به في الْتِمَاسِ أرزَاقِهَا فلا يَرُدُّ أبْصَارَهَا إسْدَافُ [٨] ظُلْمَتِهِ ولا تَمْتَنِعُ من المِضِيِّ فيه لِغَسَقِ دُجُنَّتِهِ [٩]. فإذَا ألْقَتِ الشَّمْسُ قِنَاعَهَا، وبَدَتْ أوْضَاحُ [١٠] نَهارِهَا، ودَخَلَ مِنْ إشْرَاقِ نُورِهَا عَلَى الضِّبَابِ [١١] في وُجَارِهَا [١٢] أطْبَقَتِ الأجْفَانَ على مَآقِيْهَا [١٣] وتَبَلَّغَتْ [١٤] بمَا اكْتَسَبَتْ مِنْ فَيءِ ظُلَمِ لَيَالِيْهَا [١٥].

---

١ - يَقْبِضُهَا الضِّياءُ : يَمْنَعُهَا من الطَّيران. يقال : قَبَضَ يَدَهُ عن الشَّيء : امْتَنَعَ.

٢ - عَشِيَتْ : العَشَا - مقصور - سوء البَصَرِ ليلاً. يُقَال : عَشِيَ عَشاً وعَشَاوَةً: ساءَ بَصَرُهُ ليلاً.

٣ - مذاهبها : جمع (مَذْهَب) ، وهو الطَّريقة.

٤ - سُبُحَات : يقال : سَبَحَ فُلانٌ : تَقَلَّبَ مُتَصَرِّفاً في مَعَاشِهِ، قال تعالَى : ﴿ إنَّ لَكَ في النَّهارِ سَبْحَاً طَوِيْلاً ﴾. وقوله: ﴿ في سُبُحاتِ إشْرَاقِها ﴾ أي مَنَعَها ضياءُ الشَّمس المُتَلأْلِيء عن التَقَلُّبِ في دَرَجَاتِ إشْرَاق الشَّمْسِ ، طَلَباً للمَعَاش.

٥ - أكَنَّهَا : كَنَّ الشَّيءَ وأكَنَّهُ : سَتَرَهُ وحَجَبَهُ.

٦ - بَلَجَ ائْتِلاقِها : وضوح لَمَعَانِهَا. يقال بَلَجَ الصُّبْحُ : أسْفَرَ وأنَارَ. وأبْلَجَتِ الشَّمْسُ توضح ضَوْؤُهَا ونُورُهَا.

٧ - أحداقها : جمع (حَدَقَة)، وهي السَّواد المستدير وسط العين.

٨ - أسْدَافِ ظُلْمَتِهِ : يقال أسْدَفَ اللَّيلُ: أظْلَمَ.

٩ - غَسَقَ دجنَّته : شدة ظلمته. الدُّجُنَّة والدُّجْنَةُ : الظُّلْمَةُ. والغَسَقَ : ظُلْمَةُ اللَّيْلِ ، وأضاف الغَسَقَ إلى الدجنة، لبيان شدة الظُّلْمَة.

١٠ - أوْضَاحُ : جمع (وَضَح)، وهو الضَّوء ، أو بياض الصُّبْحِ.

١١ - الضباب : جمع (ضَبّ) وهو الحيوان المعروف.

١٢ - وِجَارَهَا. الوِجَارُ : جُحْرُ الضَّبْعِ ، والأسد والذئب، واستعارَهُ هنا للضَّبِّ.

١٣ - مَآقِيْهَا : جمع (مَاقٍ) أو (مَأْقٍ) ، وهو طرف العين مِمَّا يلي الأنف، ومجرى الدمع.

١٤ - تَبَلَّغَتْ : يقال تَبَلَّغَ بكذا ، اكتفي به.

١٥ - فَيءِ ظُلَم لياليها : ماغنمته في لياليها المظلمة. والفيء : الغنيمة بلا قتال.

فَسُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ اللَّيْلَ لَهَا نَهاراً ومَعَاشاً. والنَّهَارَ سَكَناً وقَرَاراً. وجَعَلَ لها أَجْنِحَةً مِنْ لَحْمِهَـا تَعْرُجُ بها عِنْدَ الحَاجَةِ إلى الطيران، كَأَنَّها شَظَايَا الآذان [1]، غَيْرَ ذَوَاتِ ريش ولا قَصَب [2] . إلاّ أَنَّكَ تَرَى مَوَاضِعَ العُرُوقِ بَيِّنَةً أَعْلَاماً [3] . لها جَنَاحَانِ لَمَّا يَرِقَّا فَيَنْشَقَّا. ولَمْ يَغْلُظَا فَيَثْقُلاَ. تَطِيْرُ وَوَلَدُهَا لا صِقٌ بها، لاجِىءٌ إليها يَقَـعُ إذا وَقَعْت. ويَرْتَفِـعُ إِذَا آرْتَفَعَتْ، لا يُفَـارِقُهَـا حَتَّى تَشْتَدَّ أركَانُهُ. ويَحْمِلَه لِلنُّهُوضِ جَنَاحُهُ. ويَعْرِفَ مَذَاهِبَ عَيْشِهِ ومَصَالِحَ نَفْسِهِ. فَسُبْحَانَ البَارِيءِ لِكُلِّ شَيءٍ على غَيْرِ مِثَالٍ خَلاَ مِنْ غَيْرِهِ.

* * *

١ - شَظَايَا الآذان ، الشَّـظَايَا : رُؤوسُ الأضـلاع السُّفْلَى ، وهي شَبِيْهَـة بالغَضَـارِيف ، وشـظايا الآذان غضاريفها. وأصل الشَّظية: الفِلْقَة من كل شيء.

٢ - القَصَب : جمع قصبة، وهي عمود الرِّيشة المتَّصل بالجناح.

أعلامًا : جمعُ (عَلَم)، وهو الأثر والعلامة.

أولا : - الشَّرحُ والتَّعْلِيقُ : -

احتلَّ الحَيوانُ وَوَصْفُ طَبَائِعِه وعَاداتِه مكاناً مُتَمَيِّزًا في التُّراث العربيّ الإسلاميّ واهْتمَّتْ به طَوائِفُ من العُلَمَاءِ والشُّعَرَاءِ وأُلِّفَتْ فيه الكُتُبُ، ولَعَلَّنا نذكر بفخر موسوعة الجاحظ عن الحَيوان التي بلَغَتْ سبعةَ أجزاءٍ فَصَّل الحديثَ فيها تفصيلًا عجيباً عنه حاشدًا الآيات والأحاديث والأقوال والأشعار التي تُؤَيِّدُ كلامه وتُوَضِّحُهُ. ولاغرابةَ بعد هذا أنْ ينالَ وصفُ الحَيَوانِ عَنايةً فائِقَةً مِنْ لَدُنِ الإمام عليّ كَرَّم اللهُ وَجْهَهُ وهو الخطيبُ المُفَوَّهُ، والبَليغُ الذي قَلَّ نظائِرهُ، وقد وَظَّفَ الإمامُ على هذا الوصف لِتِبْيَان عَظَمَةِ الخالق وقُدْرَتِهِ الواسعة في تصوير هذه المخلوقات بصور مختلفة متباينة، وأطوار شَتَّى، ولذلك كانت البِدَايةُ التي افْتَتَحَ بها خُطْبَتَهُ مُخَصَّصَةً للحديث عن عَظَمَةِ الخالق وبَدِيْعِ صِفَتَهِ، فنراه يَفْتَتِحُ كلامه بحمد الله الذي عجزت الأوصافُ عن إدْراكِهِ وكَلَّتِ العُقُول عن الإحاطة بعظيم مُلْكِهِ، خَلَقَ الخَلْقَ وَحْدَهُ بلا مُعِيْنٍ أو مثالٍ سابقٍ.

ويسترسل الإمامُ عليّ في تعداد جوانب عظمته التي لاتُحْصَى حَتَّى يخْرُجَ منها إلى خِلْقَةِ الخُفَّاشِ. ذلك الحيوان الذي اختاره في هذه الخطبة دون سائر الحيوان لِيُطِيْلَ الحديث عنه ويُبَيِّنَ شيئًا يسيرًا من جوانب عظمة الخالق من خلاله، فيقف عند أغرب مافيه ذلك الذي باينَ به سائر المخلوقات وهو طيرانه ليلاً والتماسه معاشه فيه، ومعلوم شائع أن غيره من المخلوقات تصنع العكس من هذا مِصْدَاقًا لقول تعالى :

﴿ وجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسَاً. وجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشَاً ﴾ (النبأ ١٠و١١).

ولكنَّ قُدْرَةَ الخَالِق تَجَلَّتْ في هذا الاختلاف بينَهُ وبين سائر ما خَلَقَ، يطلقه الظَّلاَمُ من مكمنه وتقبضه الشَّمسُ إلى وَكْرِهِ، فكأن الظلامَ أصبح نورًا له يَهْتَدِي به، وسِرَاجاً يَستنيرُ بظُلْمَتِهِ في حياتِهِ، ويقف الإمام عليٌّ عند جسم هذا الحيوان

الغريب مُتأمِّلاً في أجنحته التي جعلها الله من لحمه لا من رِيش أو سواه مثل بقية الطيور، وقد شَبَّهَهَا الإمامُ عليّ بشظايا الآذان لرقتها واستقامتها، وهي تستخدم هذه الأجنحه للطيران والبحث عن الرزق ونلاحظ أنَّ الجَاحِظَ وقف بعد الإمام عليّ عند هذه الظاهرة الغريبة حين قال: « . . . . وقد رأينا طائراً شديدَ الطَّيَرَانِ بلا ريش كالخُفَّاش » (الحيوان ٣/ ٢٣٣) فهذا مَظْهَرٌ من مظاهر عَظَمَةِ الخالق وبديع صفته . . ومظهر آخر أشار إليه الإمام عليّ وهو عَلاَقَةُ هذا الحيوان بصغاره فهو يطير وفَرْخُهُ لاصِقٌ به، كأنه أصبح جُزءاً منه يطير بطيرانه، وينزل بنزوله، وهذا المظهر يبين بجلاءٍ حُنُوَّ الأمِّ على صغارها وشدة حَدَبِهَا عليهم، وهذا الأمر هو الآخر قد لفت نظر الجاحظ وهو يتحدث عن طبائع هذا الحيوان فقال وهو ينقل عمن سبقه : « . . . . ويبلغ من ضَنٍّ أُنثى الخَفَافِيش بولدِهَا ومن خوفها عليه أنها تحمله تحت جناحها، وربما قَبَضَتْ عليه بِفِيْهَا، وربما أرضعته وهي تطير « (الحيوان ٣/ ٥٣٠) ونرى الإمامَ علياً يكمل الحديث عن هذا المظهر بقوله : إنَّ الأمَّ لا تَتْرُكُ صغيرَها إلَّا بعد أنْ تتأكَّدَ من قدرتِه على الطيران، وتَمَكُّنِه من طَلَبِ الرِّزق معتمدًا على نفسه.

ولا يملكُ الإنسانُ وهو يقرأ هذا الكلام إلَّا أنْ يُسَبِّحَ للهِ العظيم، ويسجد له معترفًا بربوبيته مُقِرّاً بعظَمَتِهِ، فسبحانه القادر على كُلِّ شيءٍ الخالق بلا قصور أو نقص.

* * * *

ثانيا : ـ الصياغـة :

١ - معالجة هذا الموضوع أدبية، والكتابة تبدو طبيعية، غير مُتَكَلَّفَةٍ، وكما نرى فإنَّ للموضوع غايةً خَلْقِيَّةً ودينية كبيرة، حيث يكون التَّأمُّلُ في خَلْقِ الخُفَّاش مَدْعَاةً لتثبيت الاعتقاد بقدرة الخالق المصور.

فالمطلع أو المقدمة مرتبطة بالغرض الأصلي ومُبينَة عنه بدقَّة، فالإمام عليّ (رضي الله عنه) يضع لنا في أول جملة صفة المعرفة التي تشير إلى علم الله الواسع، في مقابل قصورنا كبشر عن إدراك مرامي الحكمة في مَلَكُوتِهِ. وهو يؤكد هذا في الإشارة إلى خَلْقِ الخَلْقِ، وعَظَمَةِ صَنْعَتِهِ.

كان ذلك ليخلص إلى العَجَب في خَلْقِ الخَفَافيش، وهو خُلُوصٌ جَيِّدٌ، جاء مُنْسَابًا دون تكلف أو تعسف.

جاءت كُلُّ جملة لتضيف جديدًا إلى ماسبق، فلم يكن الكلام ترددًا أو تكرارًا معِيْبًا لما تَمَّ إيراده.

لقد استوحى الإمام عليّ (رضي الله عنه) بعض المعاني القرآنية، ولكنه لم يقتبس من آياته بطريقة مباشرة، وهذا شيء يدل على بلاغته الفائقة.

الأفكار مترابطة، يعين عليها صياغة ممتازة، جمعت اللفظَ الجيّدَ بالمعنى الشريف، فالألفاظ فصيحةٌ، مُعَبِّرةٌ، دقيقةٌ، لاغرابةَ فيها ولا ابتذالَ، وكذلك فإنَّ المعاني مُبْتَكَرَة، لأنَّ الموضوع طريف.

جاءت النهايةُ تتويجاً للموضوع كُلِّهِ، ونتيجةً لقدرة الباريء سبحانه وتعالى، في خَلْق هذا الحيوان على ذلك النحو الغريب.

تعكس المعلومات الواردةُ خِبْرةَ الإمام عليّ (كرم الله وجهه) ومعرفته بهذا الحيوان، وأنه لم يقف فقط عند معرفةِ صفاتِهِ أو طبائعِهِ الظاهرةِ، ولكنه كذلك تأمَّلَ دِقَّةَ خَلْقِ بعض أعضائه. وهذا معناه أنَّ ملاحظاته لم تأتِ

عابرةً، ولكنّها جاءت دقيقةً مُسْتَبْطِنَةً (المظهر والمَخْبَر معاً).

٢ - ارتكز عرض الموضوع كُلِّه على السَّجع والازدواج.

السَّجَعُ : اتّفاق الفواصل من الكلام المنثور في حرفٍ واحدٍ، كَأنْ تقول : ــــــــ حَقَّاً، ــــــــ صِدْقَاً. أما الازدواج، فهـو الاختـلاف في الحـرف الأخير، مثـل : ــــــــ المتين، ــــــــ المنير ، وأحيانًا يكون بالكلمة كلها : ــــــــ أبيض ، ــــــــ أسود.

بعضُ الجمل المسجوعةِ والمزدوجةِ، جاءت وهي تفصلها جملٌ أخرى على نفس النسقِ من السَّجع والازدواج.

مثال ذلك: ـ مما ترى العيون (ثلاث جمل بعدها) ثم قال: ولا معونة مُعِين، وإذًا فليس شرطًا استواءُ الأوزانِ في السَّجَع.

إن كانَ لذلـكَ من ميزةٍ، فإنَّـه يكسـرُ رتابةَ السجع المتتابع ، وبهذا يريحُ الأذنَ، ويعمِّقُ الفكرةَ، ويوصلُها وقد اكتملت عناصرها التي لم تُقْسَرْ أو يُتَكَلَّفْ لها.

السَّجَعُ والازدواجُ لا يأتيانِ هنا ليكررا نفسَ المعاني، بل على العكس، نجد دائماً إضافاتٍ، ومن هنا نجد أنَّ كلمةَ «مذاهبها» تعني الطُّرُقَ، وكلمةَ «معارفها» تشير للخيراتِ. وكذلك الحال، لو تأملت السجعتين : «أحداقها» ، «أرزاقها».

حَتَّى في الكلماتِ التي قد يُظَنُّ أنَّها مترادِفَةٌ، تأتي هي الأخرى لتشيرَ الثانيةُ منها إلى فضلِ زيادةٍ ليست، في الأولى ، وذلك مثل :

« ظلمته » ، « دُجُنَّته » حيث إنَّ الأخيرةَ هي شدةُ الظلمةِ، فهنا ارتفاع عن الكلمة الأولى بدرجة. وهكذا الحال في المقال كله.

٣ - مصاحبة السجع لمحسناتٍ أخرى كالجناسِ أو الطّباقِ أو المقابلةِ، إنَّما يرفعُ من شأنِ هذا السَّجع . وهكذا تجيءُ صورُ المقابلةِ في المقالِ لتضيفَ جديداً على جديد، وترفع من الصياغةِ والأسلوبِ على حَدٍّ سَوَاء.

وقد نَجْتَزِئُ هنا بذكر بعض صور «المقابلة» على النحو التالي :

١ - يقبضها الضياء الباسط لكل شيء/ ويبسطها الظلام القابض لكل حيّ.

٢ - فهي مسـدلة الجفون ، بالنهار على أحداقها/ وجاعلة الليل سراجا تستدل به في التماس أرزاقها.

٣ - فسبحان من جعل الليل لها نهارًا ومعاشًا / والنهار سكنًا وقرارًا.

٤ - لها جناحان لَمَّا يَرِقَّا فينشقَّا / ولم يغلظا فيثقُلاَ.

٥ - يقع إذا ماوقعت / ويرتفع إذا ارتفعت.

والمقابلةُ لها دلالتُها الكبيرةُ في الأسلوب، إذْ هي تشير إلى شموليةِ المعنى، وتضعه بأبعادِه المختلفةِ أمامَ المتلقى، فتجيءالاستجابةُ له أتم، وتلقيِّه أوضح.

كذلـك فإنَّ تقليبَ الفِكْـرَة على وَجْهَيْها (وهي ماتفعله المقابلة في الأسلوب) إنَّما هو تدقيق فيها، وتعميق لها.

ومن الشُّمولية، والتَّعميق، تصل الفكرة إلى المُتَلَقّي دقيقة، مُحَدَّدَةً، وَاضِحَـةً، لاتحجبهـا عن انفعـالـه واستجابته أيةُ حواجز أو موانع، وهكذا دائماً يكون أثرُ الأدبِ على قُرَّائِهِ أو مستمعيه.

ثالثا : ـ النحـــو :

نصب الفعل المضارع

يُنصبُ الفعل المضارع إذا دخلت عليه أداة من أدوات النصب وهي :

- (أن) المصدرية . قال تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ ﴾

(يتـوبَ : فعـلٌ مضارعٌ منصوبٌ، وعلامةُ نصبِهِ الفتحةُ الظاهرةُ، والمصدرُ المؤوَّلُ من (أنْ) والفعل المضارع في مَحَلِّ نَصْبٍ مفعول به، أي : يريد التوبة.

- (لَنْ) : قال تعالى : ﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾.

(تنالوا) : فعل مضارع منصوب، وعلامة نصبه حذف النون، لأنه من الأفعال الخمسة، وواو الجماعة ضمير متصل في محلّ رفع فاعل.

- (كي) : قال تعالى : ﴿ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ﴾.

(يعلمَ) : فعـل مضارع منصوب، وعلامةُ نصبِهِ الفتحةُ الظاهرةُ، والمصدرُ المؤول من (كي) والفعل المضارع في محلِّ جَرٍ باللاَّم المقترنة بـ (كي).

- (إذَنْ) : إذَا قال لك مُحَدِّثُكَ: يَسْتَعِدُّ الأعداءُ لِغَزْوِ بِلادِنَا.

تقول له : إذَنْ نُلْحِقَ بِهِمْ هَزِيمةً نَكْراءَ.

(نلحق) : فعل مضارع منصوب ، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة.

* * *

- لام الجحود (في الأصل حرف جَرّ) : قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ ﴾

(يظلمّ) : فعل مضارع منصوب، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة.

- لام التعليل (في الأصل حرف جَرّ) : قال تعالى : ﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ ... ﴾.

(تسكنوا) : فعل مضارع منصوب، وعلامة نصبه حذف النون، لأنه من الأفعال الخمسة، وواو الجماعة ضمير متصل في محلِّ رفع فاعل.

- (حَتَّى) (في الأصل حرف جّر، وقد تُسْتَعْمَلُ لمعنى العطف أو لمعنى الابتداء ﴾:

مثال : دخولها على الفعل المضارع قوله تعالى : ﴿ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴾.

(يرجعَ) : فعل مضارع منصوب، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة.

- فاء السَّببية (في الأصل حرف عطف)، وإذا نُقِلَتْ من أصلها وأُدْخِلَتْ على الفعل المضارع بقصد نصبه، تقدم عليه واحد من الأمور التالية :

نَفْيٌ : قال تعالى : ﴿ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ ﴾.

نَهْيٌ : قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

أَمْرٌ : قال تعالى ﴿ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾.

تَمَنٍ : قال تعالى : ﴿ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾

عَرْضٌ أَوْ تَحْضِيضٌ : قال تعالى : ﴿ لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ ﴾

استفهامٌ : قال تعالى : ﴿ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ ﴾.

- واو المعية (في الأصل حرف عطف) وإذا نُقِلَتْ من أصلها وأُدْخِلَتْ على الفعل المضارع بقصد نصبه، تقدم عليه الأمور السابقة نفسها التي ذُكِرَتْ في فاء السَّببية.

قال تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾.

قال الشاعر :

لا تَنْـهَ عَـنْ خُـلُقٍ وَتَأْتِيَ مِثْلَهُ ... عَـارٌ عَلَيْـكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيْمُ

- (أو) (في الأصل حرف عطف).

تقول : لأعْمَلَنَّ بجِدٍّ أو أُدْركَ غايتي.

قال امرُؤُ القيس :

فَقُلْتُ لَـهُ : لاتَـبْكِ عَيْنُـكَ إنَّمَا نُحَـاوِلُ مُلْكَـاً أو نَمُـوتَ فَنُعْـذَرَا

* * * *

رابعـا : الصـــــرف : -

الأفعال الثلاثية المجردة والأفعال المزيدة

ورد في الخطبة الأفعال الثلاثية التالية:

رَدَعَتْ : رَدَعَ . والمضارع : يَرْدَعُ (بابه : فَعَلَ يَفْعَلُ).

تبلغه : بَلَغَ . والمضارع : يَبْلُغُ (بابه : فَعَلَ يَفْعُلُ).

يقبضها : قَبَضَ . والمضارع : يَقْبِضُ (بابه : فَعَلَ يَفْعِلُ) .

عَشِيَتْ : عَشِيَ . والمضارع : يَعْشَى (بابه : فَعِلَ يَفْعَلُ).

يغلظا : غَلُظَ والمضارع : يَغْلُظُ (بابه : فَعُلَ يَفْعُلُ).

ورد في الخطبة - كما مر - خمسة أبواب من الأفعال الثلاثية المجردة، وهي :

١ - باب : فَعَلَ يَفْعَلُ. مثل : رَدَعَ يَرْدَعُ.

٢ - باب : فَعَلَ يَفْعُلُ. مثل : بَلَغَ يَبْلُغُ.

٣ - باب : فَعَلَ يَفْعِلُ. مثل : قَبَضَ يَقْبِضُ.

٤ - باب : فَعِلَ يَفْعَلُ. مثل : عَشِيَ يَعْشَىٰ.

٥ - باب : فَعُلَ يَفْعُلُ. مثل : غَلُظَ يَغْلُظُ.

ويقى باب سادس لم يرد له مثال في الخطبة وهو:

٦ - باب : فَعِلَ يَفْعِلُ. مثل : حَسِبَ يَحْسِبُ.

فهذه ستة أبواب تأتي عليها الأفعال الثلاثية المجردة في اللغة العربية.

وورد في الخطبة الأفعال المزيدة التالية : -

أَذْعَنَ. وزنه : أَفْعَلَ.	مزيد بحرف ، وهو الهمزة.
دَافَعَ. وزنه : فَاعَلَ.	مزيد بحرف، وهو الألف.
بَلَّغَ. وزنه : فَعَّلَ.	مزيد بحرف، وهو تضعيف العين.
انْحَسَرَ. وزنه : انْفَعَلَ.	مزيد بحرفين، وهما الهمزة والنون.
انْقَادَ. وزنه : انْفَعَلَ.	مزيد بحرفين، وهما الهمزة والنون.
امْتَنَعَ. وزنه : افْتَعَلَ.	مزيد بحرفين، وهما الهمزة والتاء.
اكْتَسَبَ. وزنه : افْتَعَلَ.	مزيد بحرفين، وهما الهمزة والتاء.
اسْتَمَدَّ. وزنه : اسْتَفْعَلَ.	مزيد بثلاثة أحرف، هي الهمزة والسين والتاء.

فالأفعال المزيدة كما ترى ثلاثة اقسام :

أفعـال مزيدة بحرف واحد. وأفعال مزيدة بحرفين، وأفعال مزيدة بثلاثة أحرف.

* * *

خامسا : التدريبـــات : -

(١)

١ - في هذا المقـال، تجيء النهاية لتتفق مع البداية حول التسبيح بقدرة الخـالق وإبـداعـة. وَضِّح إلى أيّ مدى تجيء البداية والنهاية مرتبطتَيْن بالموضوع الرئيسي في المقال.

٢ - هل جاء عرض هذا الموضوع شاملاً يحوى كُلَّ خصائص الخُفَّاش، أم أنَّهُ جاء انتقائِيًّاً، يُركِّزُ فقط على بعض الخصائص؟ وَضِّحْ هذا.

٣ - كان تناول الإمام عليّ للخُفَّاش مدعاة لِلَفْتِ نَظَرِ بعض الأُدباء في عصور تالية لأَهمية الموضـوع. ماالجـوانب التي استفـاد منهـا هؤلاء الأُدباء - وبخاصَّة الجاحظ - من ملاحظات الإمام عليّ كَرَّمَ الله وجهه ؟

٤ - كان اكتشاف الرادار ثمرة المدارسة لخصائص الخفاش. كيف كان ذلك؟.

٥ - للخفافيش صفات تكاد تنفرد بها دون سواها من المخلوقات الأخرى. اذكر بعض هذه الصفات.

٦ - هل يُوْحِي لك هذا الموضوع بالتفكر في نوعيات أخرى مماثلة، قد تجد غرابة في شكلها لحكمة ما؟ اذكر شيئًا مِمَّا تعرف.

٧ - أيُّهمـا أسهل: حَمْلُ الحيوان وليدَهُ علـى الأرض، أمْ حَمْلُهُ وهو يطيـر؟ أجب عن هذا في ضوء معرفتك بخصائص كُلٍّ من الكنغر والخُفَّاش.

٨ - ضع يدك على بعض المعاني القرآنية التي استوحاها الإمام عليّ في تناوله لهذا الموضوع.

٩ - يقـال: إنَّ المـلاحظات الواردة قد شملت المظهر والمخبر معاً لصفات الخفافيش. وضح هذا.

١٠ - جاء استغلال السَّجع والازدواج في هذا الموضوع على نحو وافر. وضح ذلك، مع ذكر أمثلة.

١١ - اذكر بعض صور « المقابلة » مشيراً إلى ما تضيفه علي الأسلوب بوجه عام.

١٢ - إلى أيّ الجانبين يميل هذا الموضوع: مجرد رصد صفات الخفافيش، أم التدليل على قدرة الله وعجيب صنعه؟ اشرح رأيك؟

* * *

(٢)

١) ورد في النص قوله: « لم تَبْلُغْهُ العقول بتحديد فيكون مُشَبَّهاً، ولم تقع عليه الأوهام بتقدير فيكون مُمَّثلاً . . . ومن لطائف صنعته وعجائب خلقته ما أرانا من غوامض الحكمة في هذه الخفافيش التي يقبضها الِّضياء الباسط لكل شيء. ويبسطها الظَّلام القابض لكل حَيّ. وكيف عَشِيَتْ أَعْينُها عن أنْ تستمدّ من الشَّمس المضيئة نوراً تَهتدي به في مذاهبها وتتصل بعلانية برهان الشمس إلى معارفها. . . لها جناحان لما يرقّا فينشقّا. ولم يغلظا فَيَثْقُلاَ - تطير وولدها لاصق بها لاجىء إليها، يقع إذا وقعت ويرتفع إذا ارتفعت. لا يفارقها حتى تَشْتَدَّ أركانه. . . ».

أ - استخرج من النص الأفعال المضارعة المرفوعة، والأفعال المضارعة. المنصوبة، وبين أداة النصب، واذكر علامته.

ب - اضبط النص السابق بالحركات ضبطاً كاملاً.

جـ - أعرب ما تحته خط.

٢) أعد قراءة الخطبة، واستخرج منها كل فعل أُدْخِلَتْ عليه علامة التأنيث واذكر حكم التأنيث فيه من حيث وجوبه أو جوازه.

٣) اقرأ النص مرة أخرى واستخرج منه الجمل الاسمية، وبيِّن رُكْنَي كُلٍّ منها.

٤) وردت في النص جمل منسوخة بحروف ناسخة، استخرجها، وأعرب كُلًّا منها إعراباً مفصلاً.

٥) قال - عليه السلام - : « ومن لطائف صنعته وعجائب خلقته ما أرانا من غوامض الحكمة في هذه الخفافيش... ».

أ - ما نوع هذه الجملة؟

ب - اذكر موضعَ إعراب (ما) في الجملة.

٦) استخرج الفعل المضارع المنصوب مِمَّا يلي، واذكر أداةَ النصبِ، ثم أعربه:

أ - قال تعالى: ﴿ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ﴾.

ب - قال تعالى: ﴿ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ﴾.

جـ - قال تعالى: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ ﴾

د - قال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ﴾.

هـ - قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ﴾.

و - قال تعالى: ﴿ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ ... ﴾.

ز - قال الشاعر:

لأُجَدِّ لَنَّكَ أو تَمَلَّكَ فِتْيتي ... بِيَدَي صَغَارٍ طَارِفًا وتَلِيْدَا

حـ - قال الشاعر:

إذَنْ والله نَرْمِيَهُمْ بِحَرْبٍ ... تشيبُ الطِّفْلَ مِنْ قَبْلِ المَشِيْبِ.

(٣)

١) اقرأ الخطبة السابقة، واستخرج منها كُلَّ فعل ثلاثي مجرد، واذكر مضارعة ثم بَيِّنْ بابه.

٢) استخرج من الخطبة السابقة كُلَّ فعل مزيد، واذكر وزنه، ثم بَيِّنْ أحرف الزيادة فيه.

٣) استخرج الأفعالَ الناقصةَ من الخطبة السابقة، ثم صَرِّفْهَا إلى المضارع والأمر واسم الفاعل واسم المفعول.

* * *

* - اَلْوِحْدَةُ الثَّامِنَة - *

العُدَيْل بن الفَرْخ العِجْلِيّ

أولا : صاحب النص:-

العُدَيْلُ بْنُ الْفَرْخ بن مَعَدِّ بنِ الأسوَدِ بنِ عمروِ بنِ عَوْفِ بنِ ربيعةَ بنِ جابرِ بنِ ثعلبة. وينتهي نَسَبُه إلى أَسَدِ بنِ ربيعةَ بنِ نزار، ولَقَبُهُ العُباب. وهو شاعرٌ مُقِلٌّ مِن شعراء الدولةِ الأموية، وكانَ قد هجا الحَجّاج، فطلبه، فهرب إلى قيصرِ الروم، وبعد تهديد الحَجَّاج لقيصرَ بعث بالعديل، وجرى بينهما حديثٌ انتهى بالعفو عنه.

(الشعر والشعراء ١ / ٤١٣ - ١٤)، وجمهرة أنساب العرب/ ٣١٤، والخزانة ٢ /٣٦٧ - ٣٦٨).

ثانيا : النص:-

١ - أَلَا يا اسْلَمي ذاتَ الدماليجِ والعِقْدِ وذاتَ الثنايا الغُرِّ والفاحمِ الجَعْدِ

٢ - وذاتَ اللِّثاثِ الحُوِّ العَارِضِ الّذي بِهِ أَبْرَقَتْ عَمْدًا بأَبْيَضَ كَالشُّهْدِ

١ - الدَّماليج : جمع (دُمْلُج) أو (دُمْلوج) ، وهو سوار يحيط بالعَضُد.

الثنايا : جمع (ثَنِيَّة)، وهي إحدى الأسنان الأربع في مقدَّم الفم، اثنتان من فوق واثنتان من تحت.

الغُرّ : يقال : غَرَّ وجهُهُ : ابيضَّ، وغَرَّ الغلامُ : طلعَ أولُ أسنانِهِ، كأنه أظهرَ غُرَّةَ أسنانه أي بياضَها.

والغُرَّة : بياضٌ يكونُ في جبهةِ الفَرسَ. والغُرَّةُ من الأسنان : بياضُها.

الفاحم : صفة تكون للشَّعر إذا كان شديدَ السواد. يقال : شعرٌ فاحمٌ، وقد حَذَفَ الشاعرُ الموصوفَ وأقام الصفة مَقامَه. يقال : فَحُمَ الشيء : اسودَّ، فهو فاحم.

الجَعْد : يقال : الشّعرُ : جُعودَة : اجتمع والتوى وتَقَبَّض.

٢ - اللِّثاث : جمع (لِثَة)، وهي ماحول الأسنان من اللحم.

الحُوّ: يقال : حَوِيَ الشيء، حَوَىً وحُوَّةً : خالط سوادَه خُضرَة، أو خالط حمرتَه سواد. فالحُوَّة لونٌ يكونُ مائلا إلى السواد، وجمعها (حُوٌّ).

العارض : الثَّنِيَّة من الأسنان، وجمعها عوارض.

٣ - كَأَنَّ ثنايَاهــا اغْتَبَقْــنَ مُدامَـــةً ... ثَــوَتْ حِجَجًــا في رَأْسِ قُنَّــةٍ فَــرْدِ

٤ - لَعَمْـري لَقَـدْ مَـرَّت لِـيَ الطَّيْـرُ آنِفًـا ... بما لَـمْ يَكُـنْ إِذْ مَـرَّت الطَّيْـرُ مِنْ بُـدُّ

٥ - ظَلِلْتُ أُساقي الْمَـوْتَ إِخْوَتـيَ الأُولى ... أَبوهُــمْ أَبـي عِنْـدَ الْمُـزاحِ وَفـي الْجِـدُّ

٦ - كِلانـا يُنـادي يانِــزارُ وبَيْنَنَــا ... قَنــاً مِـنْ قَنـا الْخَطِّيِّ أَوْ مِنْ قَنا الْهِنْـدِ

٧ - قُـرومٌ تَسامَــىٰ مِـنْ نِـزارٍ عَلَيْهِــمُ ... مُضاعَفَــةٌ مِـنْ نَسْـجِ داوُدَ والسُّغْــدِ

٨ - إذا مــا حَمَلْنـا حَمْلَـةً ثَبَتـوا لَنـا ... بِمُرْهَفَــةٍ تُـذْري السَّواعِـدَ مِـنْ صُعْـدِ

٩ - وإِنْ نَحْــنُ نازَلْناهُــمُ بِصَــوَارِمٍ ... رَدَوْا فـي سَرابيــلِ الْحَديـدِ كمـا نَـرْدي

١٠ - كَفَـىٰ حَـزَنًا أَنْ لا أَزالَ أَرىٰ الْقَنـا ... يَمُــجُّ نَجيعاً مِـنْ ذِراعِــي وَمِن عَضُـدِي

---

٣ - اغتبقْنَ : شَرِبْنَ الغَبوق. والغَبوق: الشُّرْبُ بالعَشِيِّ.
ثوت : يُقال : ثَوَىٰ بالمكان، ثَواء وثُوِيًا: أقامَ واستقرَّ.
القُنَّة : أعلىٰ الجَبَل.

٦ - قنا : جمع (قناة) ، وهي الرمح.
الخَطِّي : الرمح المنسوبُ إلى الخَطّ، وهو موضع ببلاد البحرين، تُنسَب إليه الرماح الخطية، لأنها تُباع فيه.

٧ - قُروم : جمع (قَرْم) ، وهو في الرجال: السيِّد المعظَّم.
تَسامَىٰ: أي تتسامىٰ ، فحذفَ إحدى التاءيْن للتخفيف. وتَسامىٰ الرجلُ: علا وارتفع شأنُهُ.
السُّغْد : جبل معروف، أو مدينةٌ اشتُهرت بصناعةِ الدروع.

٨ - المرهفة : السيوف. يقال : سَيْفٌ رهيفٌ ومُرْهف، إذا كان حَادّاً رقيقَ الحَدّ.
تُذْري : يقال : أذرت الريحُ الترابَ : أطارته وفرَّقته. وأذرت الدابّةُ راكبَها : ألقته، وأذرى السيفُ رأسَه: أطارَه وألقىٰ به.

٩ - رَدَوْا : يقال : رَدَىٰ فلانٌ على الأرض، أو في البئر : سقط.

١٠ - يَمُجُّ : يقال : مَجَّ الماءَ أو الشرابَ مِن فيه : لَفَظَه.
النجيع : دمُ الجَوْف. يقال : طعنه طعنةً تَمُجّ النجيع. أي أخرجت دمَ الجَوفْ.

ثالثا : الشرح والتعليق :-

القصيدة للعُـذَيْل، وقيل لأبي الأخيل العِجْلِيّ: والشـاعـر يبـدأُ قصيدتَـه بالنَّسيب. وهو الافتتاحُ المعهودُ الذي تبدأُ به القصيدةُ العربيةُ القديمةُ مع الوقوفِ على الطَّلَل، فنراه، يطلب السلامةَ لتلك المرأةِ التي راح يَصِفُها وصفًا شاملًا دقيقا، فهي مُتَزَيِّنَةٌ بالسّوار والقِلادة، ذاتُ أسنانٍ بيضاءَ لامعةٍ وشعرٍ أسودَ متجعّد، وهي ذاتُ وجهٍ أبيضَ ولثاتٍ حمراءَ مائلةٍ إلى السوادِ من شدّةِ الحُمْرة. ونلاحظُ هنا إلحاحَ الشاعرِ على استخدامِ التضادّ في الألوان: الأسود والأبيض، الأحمر والأبيض. وهو مما يُضفي جَمالًا على الوصف ويُعمِّقُ الفكرةَ ويُعطيها دفقاتٍ من الجَمال ويلفت الأنظارَ إليها.

وينتقلُ بعد هذا المدخل إلى وصفِ وقعة دارت بينه وبين مَنْ سَمَّاهم إخوته، فالأب واحـدٌ لا يتغيرُ في الأحـوال كلها، والجميعُ ينادي: يانزارا يستنهضون الهممَ بها، ويُقَوّون أنفسَهم بهذا النداء، مما يُشير بقوةٍ إلى وحدة الأصل وتقارب الأُرومـة، ولكنَّ هذا كلَّه لم يمنعْ من قيامِ الرماح بينهم، تلك الرماح الخَطِّيَّة القوية أو الهندية المشهورة بنفاذها، وهو بلا ريب يتحدثُ عن هذه الحربِ التي وَقعتْ وكانت الرماحُ هي الحديث الفاصل بينه وبينهم، ويستمر في الحديث عن هذه الحرب إذ خاضها رجالٌ شجعان أقوياء يلبسون الدروع المُحكَمة الصنع وهي تُشبه في إحكامها وشدّة حبكتها دروعَ داودَ عليه السلام أو تلك الدروعَ التي تأتيهم من السُّغْد وهي بلدةٌ مشهورةٌ بصناعتها، وينتقلُ إلى الجانبِ الآخرِ فقد قابلوهم بسيوفٍ مواضٍ حِدادٍ تقـطعُ السـواعدَ والأيادي، وردَّ هو وأهلهُ بمثلها فسيوفُهم باترةٌ أيضا، ومشى الفريقان بالحديد مُتَسَرْبِلين به داخلين حَمْوة الوَغَىٰ، لقد دارت رَحَىٰ الحرب وحَمِيَ وطَيسُها حتَّى بلغتِ القلوبُ الحناجرَ، ولم يَعُدْ، الاحتمال ممكنا، فالسيوفُ قد صَبَّت الدِّمَاءَ صبًّا، ولكن ما مصدرُ هذه الدماء؟

وهذا النجيع المتدفقُ من الفريقيْن، من أين يأتي؟ إنهم الأهل والقوم، أهله وقومه تجري دماؤهم ويقتلُ واحدُهم أخاه وابنَ عمِّه، وهي بَلِيَّةٌ وحزنٌ مُخَيِّمٌ وشرٌّ مستطير، ولكنها الحرب التي حَصَدَت الرؤوس، وأذ هبت العقول حتى لم يبقَ للحِكمة والتروِّي موضع، وهو موقفٌ صعبٌ شديد.

* * *

* - رابعا : عَروض النص :-

إذا قرأتَ البيتَ الأوّل من قصيدةِ « العُدَيْل » بِرَوِيَّةٍ وأناة، وهو قوله:

ألَا يـا اسْلَمي ذاتَ الدَّماليـجِ والعِقْدِ   وذاتَ الثَّنايا الغُـرِّ والْفاحِـمِ الجَعْــدِ

وجدتَ البيتَ والقصيدةَ كلَّها تنتمي إلي « البحر الطويل » وهو نفسُ الوزنِ الذي عليه قصيدةُ « سعد بن ناشب » السابقة، وتفعيلاتُه المعروفةُ عندَ العَرُوضيّين:

فَعولُــن مفاعيلــن فَعولُــن مَفاعيلــن   فَعولُــن مفاعيلــن فَعولُــن مفاعيلــن

وبعدَ البيتِ الأولِ تتحـولُ التفعليةُ الاخيرةُ في كلِّ شَطْر (مفاعلين) إلى (مفـاعلن). وعندَ تقسيمِ البيتِ الأولِ إلى تفعيلاته العَروضية، تجدها على النحوِ الآتي :-

ألَا يَا اسْ	/لَمي ذاتَ الدْ	/دَماليـ	/جِ وَالْعِقْدِ
//٥/٥	//٥/٥/٥	//٥/٥	//٥/٥/٥
فَعولُـ	مَفاعيلــن	فَعولُــن	مفاعيلــن
وَذاتَ الثْـ	ثَنايا الْغُرْ	/رِوَ الْفا	/حِمِ الْجَعْدِ
//٥/٥	//٥/٥/٥	//٥/٥	//٥/٥/٥
فَعولُــن	مَفاعيلــن	فَعولُــن	مَفاعيلــن

* * *

خامسا : الأسلوب والصور:-

الشعـرُ تعبيرٌ عن إحسـاسٍ معيّن، هدفُـهُ تعميقُ إحساس الآخرين بموقفِ الشاعر. والتشكيلُ الشعريُّ في حاجةٍ إلى أدواتٍ هي :-
المـوضوع/ البناء أو المِعْمار/ الصورة الشِّعْريّة/ الرُّموز/ الموسيقي أو الشَّكْل المـوسيقي/ المُعْجَمُ الشعـري/ وبنـاء الجُمَـل، بالإضـافة إلى أساليب تعبيرٍ أخرى، قد تكونُ مستمدَّةً من فنونٍ أخرى على نحو ماسترىٰ في الشعر الحديث.
نقتصرُ هنا على توضيحِ جانبيْن من عناصرِ التشكيلِ الشعريّ، وهما الصورةُ الفنية، والرُموز.

أ) الصورة الفنية:

هناك أنواع عديدة من الصور الفنية، أهمها:

الصورة التشخيصية: تشخيصُ مظاهرِ الطبيعـةِ الصامتةِ والمتحركةِ، لتكونَ شُخوصا عاقلة، تسمعُ وتتحركُ وتتفاعلُ، وترى وتتكلمُ وتُحِسّ.

الصورة التجريدية: تُشبِّهُ المحسـوسَ بالمعقـول، كتشـبيهِ شُـروق الشمسِ بالأمل، وقد تَفعلُ غيرَ ذٰلك، فتُشَبِّهُ المعقولَ بالمعقـول، كمـا فـي تشـبيه العذاب باللذة.
(وهنا تَسقطُ الحواجزُ بيْنَ ما هو مادّي ومـا هـو معنويّ).

الصورة الوصيفة أو التشكيلية: يُرادُ بها مُطلَقُ التجسيمِ والتكبير، بصرف النظرِ عن ارتباطِهـا بالوجـدان، أو رمزِهـا لحـالاتٍ نفسيـةٍ خاصـة، ويكـونُ مجالُهـا

المحسوسات، حين يُلْحَقُ الأقلُّ بالأكثر، والأخفىٰ بالأظهر.

الصورة الدرامية: وهي تَحْفِل بالحركةِ والتوتّر والنموّ، فتتدافعُ، فيها الأحداث، وتنمو المواقف، وتتتابع المشاهدُ في وحدةٍ ناميةٍ مُتآزرة، ويتركّز الاهتمامُ فيها على الفِعل والحركة.

وفي ضوءِ هذه المُعْطَيات، نُركِّز فقط على الصورة الوصفية في قصيدة العُدَيْل، وبصفةٍ خاصةٍ في الأبياتِ الثلاثةِ الأولى منها.

سلمي تبدو ذاتَ دماليجَ وعقد، وذاتَ أسنانٍ لا معة، وشَعْرٍ فاحم، وذاتَ لثات حُوّ.

الشاعرُ هنا يَرْسُمُ صورةً مجسَّمة لسلمىٰ. الوصف تقريريٌّ مباشر، وهو بهذا المعنى وصفٌ « ثابتٌ ساكن »، في مقابل « المُتحرِّك المُتطوِّر ».

يؤكدُ هذا الثباتَ والسكونَ، ويُعينُ عليه: التعبيرُ بكلمةِ « ذات » التي تأتي لتجعلَ من الحبيبة مالكةً لكل هذه المواصفات، وهي مِلْكيةٌ لها خصوصيتُها التي لا تنفكُّ عنها ولا تَزول.

هكذا رآها الشاعرُ في مثاليةٍ مُطْلَقة، وعندما خَشِيَ الوقوعَ في الغُلُوِّ والإسراف، سَارَعَ في البيتِ الثالث، فصدَّره بلفظة « كَأَنَّ » التي تُفيد التقارب، وكأنه أراد بذلك أن يُحقق لنا شيئا من الواقعية على نحوٍ ما.

لهذا لا نتردد إذ نقول: إن الشاعر هنا - عن طريق الصورة الوصفية - قد حاول أن يَمْزِج « المثالية » بـ « الواقعية » في كُلٍّ عجيب.

ب) الرمـــــز:-

أما فيما يتعلقُ بالرمز الشعري، فنقول باختصار إن لدينا نوعيتْين: رموزاً تراثية، ورموزاً يبتدعُها الشاعرُ من عنده.

والرموزُ التراثيةُ قد تكون: أسطوريةً كقصة إيزيس وأوزوريس، أو تاريخية، كأشخـاص القادة العسكريين عالميا كنابليون أو هرقل، أو إسلاميا كخالد بن الـوليد، وصلاح الدين الأيوبي وعمرو بن العاص، أو أدبية كبعض الشعراء، أمثـال: عنتـرة وقيس، أو شعبية تَسْتَلْهِمُ عنـاصـرَهـا من الحكـايات والأمثـال والأغاني، وما إليها.

والرموز تثري الشعر، وتظهر قدرة الشاعر وبراعته، بل وتقفنا أيضا على ثقافته واطلاعه، بالإضافة إلى إثارة خيال المتلقي، وإيجاد التفاعل الحي بينه وبين النص.

وبـالنـظر إلى قصيدة « العُدَيْل » نجد أن الشاعِرَ قد وَظّفَ عددًا من الرموز أهمُّها: الطير / نزار / الهند /
ولكـل من ذلـك دلالتـه الخاصةُ، وإيحاءاتُه المُثيرة، وبالتالي دورُه في التعبيرِ الشعري، والتذوقِ الجماليّ للقصيدة.

فالطيرُ ، رمزٌ تاريخيٌ، ارتبط بحياةِ العربِ قبلَ الإسلام، وعُرِفَ عنهم زَجْرُ الطَّيْر، وذلك يرتبِطُ بفكرة السانح والبارح. وبالتالي : التفاؤل والتشاؤم.

إن كان لذلك من دلالةٍ، فهي أن الشاعرَ هنا قد عَجَز، ولهذا فقد أسلم نَفْسَه لِلْقَدَرِ المحتوم، بل أكثر من ذلك: فكرةُ القَدَرِ تسيطرُ عليه لتُصبح يقينا، يؤكِّدُهُ قولُه: « لعمري » في بدايةِ البيتِ الرابع، الذي وَظَّفَ فيه الشاعرُ رَمْزَ الطير.

ونزار ، وهو الجَدُّ الأعلىٰ للعرب، يتوسّطُ قصيدةَ العُدَيْل، ليُشير إلى أن أُرومةَ المتحالفين واحدة، فالكلُّ - وإن كان يعودُ إلى أب بعيد هو آدم - كذلك ينبغي أن يتـذكـرَ الأبَ القريبَ وهو « نزار » هذا الذي يَرْمُزُ للوحدةِ، وبالتالي لعدمِ الشِّقاق والخِلاف.

والهند ، رمز البلد الذي اشتُهر بإنتاج أجودِ الرماح وأشدِّها فَتْكا. وفي إيراد هذا الرمز - تِلْوَ رمز « نزار » - ما يُوحي بدهشةٍ وتعجب، إذ كيف يكونُ الأبُ واحدًا ويسعىٰ الأبناءُ إلى التسابقِ في المعاداة والمحاربة بأشدِّ الأسلحة فتكاً وضراوة.

وهكـذا نرى أنَّ الـرمـوز في القصيدة قد جاءت لِتَخْدُمَ الأفكارَ والمعانيَ، ولتُسايرَ المضمونَ العام، وتكشفَ عن التجربة في أدقِّ معانيها وجوهرِها.

سادساً : النحـــو : ـ

* - الممنوع من الصرف - *

أ - قال تعالى : ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ ﴾

(مَحاريب): اسمٌ مجرورٌ بِـ (مِنْ) وعَلامةُ جرِّهِ الفتحة، لأنه ممنوعٌ من الصَّرْف.

قال تعالى : ﴿ كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴾.

(لظى) : خبر (إن) مرفوع، وعلامةُ رفعِه الضمةُ المقدَّرةُ على آخرِه، ولم يُنَوَّنْ، لأنه ممنوعٌ من الصرف.

تقول : في مَدينةِ الْعين مَساجِدُ كَثيرةٌ.

(مَساجد) : مبتدأٌ مُؤخَّر، مرفوع، وعلامةُ رفعهِ الضمةُ الظاهرةُ، ولم يُنَوَّنْ لأنه ممنوعٌ من الصرف.

قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ﴾.

(غضبان) : حالٌ منصوب، وعلامةُ نصبِه الفتحةُ الظاهرة، ولم يُنوَّن لأنه ممنوعٌ من الصرف.

تَذَكَّرْ أنَّ الممنوعَ من الصرف لايُنَوَّن، ويكونُ مجرورًا بالفتحةِ بدلاً من الكسرة.

ب) قال تعالى : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾

(أحسنِ) : ممنوعٌ من الصرف، ولكنْ جُرَّ بالكسرةِ على الأصل، لأنه أُضيفَ إلىٰ مابَعْدَه، وهو (تَقويم).

تقول : سلمتُ على الأحمدِ، ومررتُ بالطالبِ الأفضلِ

(أحمـد) و (أفضـل) ممنـوعـان من الصـرف، ولكن جُرّا بالكسرةِ على

الأصل، لأنهما اقْتَرَنا بـ (ألـ).

تَذَكَّرْ أَنَّ الممنوعَ من الصرف إذا أُضيف أو اقْتَرَنَ بـ (أل) جُرَّ بالكسرةِ على الأصلِ مِثْلَ سائرِ الأسماء.

جـ) - تقول : هذه دَعْوَىٰ أمامَ القاضي.

سِرتُ في صحراءَ مُقْفِرَةٍ.

* (يمتنع الاسمُ من الصرف إذا كانت فيه ألفُ التأنيثِ المقصورةُ أو الممدودة).

- تقول : مررتُ برجلٍ غضبانَ.

* (يمتنع الأسم من الصرف إذا كان صفةً على وَزْن (فَعْلان).

- تقول : في مدينةِ العين مساجدُ كثيرة.

قال تعالى : ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ ﴾.

* (يمتنع الاسمُ من الصرف إذا كان على صيغةِ منتهىٰ الجموع، على وزن (مَفاعل) أو (مَفاعيل).

تقول : جاءت فاطمةُ وإيمانُ، رأيتُ فاطمةَ وإيمانَ، سلمتُ على فاطمةَ وإيمانَ.

* يمتنع الاسم من الصرف إذا كان عَلَمًا مؤنّثا، سواء أكانت فيه علامةُ التأنيث أو لم تكن.

- قال تعالى : ﴿ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ﴾.

- قال تعالى : ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾.

* يَمتنـع الاسمُ من الصـرف إذا كان معـدولاً في العَدد مثل : (مَثنىٰ وثُلاثَ ورُباع) أو كان معدولاً في الصفة مثل (أُخَر).

- تقول : رأيت رجلاً أبيضَ ، ومررت برجلٍ أبيضَ.
- قال تعالى : ﴿ وإذا حُيِّيتم بتحيةٍ فَحَيُّوا بأَحْسَنَ مِنْها ﴾

* يمتنعُ الاسمُ من الصرفِ إذا كان صفةً على وَزْن (أفْعَل).
- تقول : سَلَّمتُ على داودَ وإبراهيمَ.

* يمتنعُ الاسمُ من الصرف إذا كان علماً أَعْجَمِيّا زائدًا علىٰ ثلاثةِ أَحْرُف.
- تقول : جاء أحمدُ ، لعلَّ أحمدَ قادمٌ ، سلمتُ على أحمدَ .
- تقول : قرأتُ عن يزيدَ في كتبِ التاريخ.

* يمتنعُ الاسمُ من الصرف إذا كان علمًا على وَزْنِ الْفِعْل.
- تقـول : كان مَعْـد يكَربُ من رجالِ العربِ المعروفين. عمروبنُ معديكربَ شاعرٌ فارسٌ. إنَّ معد يكربَ من الرجالِ العظماء.

* يمتنع الاسم من الصرف إذا كان عَلَمًا مُرَكَّبا.
- تقول : إن حسانَ شاعرٌ إسلاميٌّ - سلمتُ على سلمانَ

* يمتنع الاسم من الصرف إذا كان علمًا زِيدَ في آخرِه ألفٌ ونُون.
- تقول : جاء عمرَ خليفةُ المسلمين - سلمتُ على عمرُ.

* يمتنع الاسم من الصرف إذا كان علما معدولا.

سابعًا : التدريبـــات : ـ

(١)

أجب عما يأتي : ـ

١ - ماالصفاتُ التي رسمها الشاعرُ لمحبوبته ؟

٢ - اعتمد الوصفُ هنا على الخيال البَصَرِيِّ وحدَه. ناقش هذا.

٣ - يُسَوِّي الشاعرُ بيْن المتحاربين في الكفاءةِ القتالية. اذكرْ من الأبياتِ مايَدُلُّ على ذلك.

٤ - يقول شاعرٌ آخرُ :

وَظُلْـمُ ذَوي الْقُرْبـىٰ أَشَـدُّ مَضـاضَـةً
عَلىٰ النَّفْسِ مِنْ وَقْعِ الْحُسامِ الْمُهَنَّـدِ

وَضِّحْ كيف يتلاقىٰ هذا المعنى مع قصيدةِ العُدَيْل.

٥ - هل نَجَحَ الشاعرُ في الانتقالِ من النسيب إلى وصفِ المعركةِ ؟ وَضِّح رأيك.

(٢)

١ - تَحَدَّثْ عن أنواعِ الصور الفنية عموما، مع بيان الفروقِ بينها.

٢ - تَغْلِبُ على قصيدةَ العُدَيْل، الصورةُ الوصفية، اشرحْ هذا.

٣ - ماأنواعُ الرموزِ الشعرية؟ وما قيمةُ الرمزِ في الشعر؟

٤ - أُذكرْ دلالةَ الرمزِ في كلٍ من « الطير » ، « نزار ».

٥ - وَضِّحْ دلالةَ الرمزِ في : « الهنـد ».

(٣)

اِستخرِجْ من الأبيات نُموذجًا لكلٍ من :
الطِّباق / الاستعارة / التشبيه / أُسلوب نداء.
مع رَبْطِ كلٍ منهما بالغرضِ العامِ للقصيدة.

(٤)

قال الشاعر :

ألا ياسلمي ذات الدماليج والعقد	وذات الثنايا الغر والفاحم الجعد
وذات اللثات الحو والعارض الذي	به أبرقت عمدا بأبيض كالشهد
قروم تسامي من نزار عليهم	مضاعفة من نسج داود والسغد

أ - اِستخرِجْ من الأبيات الأسماءَ الممنوعةَ من الصرف، واذكر سببَ منعِها من الصرف ثم أَعرِبْها.
ب - لِمَ لَمْ يُمنع (الدماليج) من الصرف، مع كونه على صيغةِ منتهىٰ الجموع ؟

(٥)

اِستخرِجْ من الأبياتِ الأسماءَ الممنوعةَ من الصرف، واذكرْ سببَ منعِها، وأَعربه :
١ - أَمِنْ ريحانة الداعي السميعُ يُؤَرِّقني وأصحابي هُجوعُ

٢ - نخلات من نخل بيسان أَيْنَعْـ نَ جـميعا ونبتهـن تـؤام

٣ - فبئس الفتى إن كنتُ أعورَ عاقرًا جبانًا فما عـذري لـدى كُلِّ مَحْضَر

٤ - لابنـةِ حِطّـان بـن عـوف منـازل كما رَقَّشَ العُنـوانَ فـي الـرِّقِّ كاتـبُ

٥ - أبـا كَـربٍ والأَيْهَمَيْـن كـليْهما وقَيْسًا بأعلـى حَضْـرَمَوْت اليمانيا

٦ - وإلى ابنِ ماريَّة الجواد وهل شـروى أبـي حسـان فـي الإنْـسِ

٧ - ينتابنـا جبريـلُ فـي أبياتنـا بفرائـض الإسـلامِ والأحكـامِ

(٦)

١ - اِقرأ القصيدةَ قراءةً جيدة واستخرِجْ منها كُلَّ جملةٍ فعلية، واذكُرْ فاعلَها، ثم أَعرِبْها.

٢ - قالَ الشـاعر : « أبوهـم أبي » وقال : « وبيننا قنًا » ، ما نوعُ الجملة في القولْين ؟ وما إعرابهما ؟

(٧)

تَدريـبٌ صَـرْفِيّ : -

١ - استخرِجْ من القصيدةِ فعلاً مُضَعَّفا، ثُمَّ صَرِّفْه، وَاذْكُر ما يَحْدُثُ فيه مِنْ تَغيير.

٢ - هاتِ من القصيدةِ فعلاً مزيدًا بحرف ، وآخرَ مزيدًا بحرفيْن، وصَرِّفْهُما.

٣ - اِستخرِجِ من القصيدةِ الأفعالَ الناقصةَ، وصرِّفْها، وبيِّنْ ما يَحْدُثُ فيها من تَغيير.

٤ - أُذكر وزنَ كلِ كلمةٍ من الكلمات التاليةِ مع ضبطِ الميزانِ بالشَّكل :
أِغْتَبَقْنَ - ثَوَت - مَرَّت - لَمْ يَكُنْ - رَدَوْا .

* - الوحدة التّاسعة - *

من رسالة المَعَاد والمَعَاش للجاحظ

أولاً : صاحب النص : -

عمرو بن بحر محبوب الكِنَانيّ، البَصْرِيّ المُعْتَزِليّ، وُلِدَ بالبصرة وسَمِعَ من أبي عُبيدة والأصمعي وأبي زيد الأنصارِيّ، وأخذ النَّحْوَ عن الأَخْفَش أبي الحسن، وأخذ عِلْمَ الكلام عن النّظام. وتلقف الفصاحة من العرب شفاها بالمِرْبَد.

كُتُبُه رياضٌ زاهرةٌ، ورسائله أفنان مثمرة، ما نازعه منازع إلاّ رشاه آنفا، ولاتعرض له منقوص الا قدم له التواضع استيفاء، الخلفاء تعرفه، والأمراء تصافيه وتنادمه، والعلماء تأخذ عنه، والخاصّة تُسلِّم له، والعامّة تُحبُّه.

جمع بين اللِّسان والقلم، وبين الفِطْنَةِ والعِلْمِ، وبين الرَّأي والأدب، وبين النَّثر والنَّظم، وبين الذَّكاء والفهم.

من كلامه : ﴿ احذر من تأمن كأنك حذر ممن تخاف ﴾.

ويقول : ينبغي للكاتب أنْ يكون رقيقَ حواشي اللّسان ، عَذِبَ ينابيع البيان، إذا حَاوَرَ سدَّدَ سَهْمَ الصَّواب إلى غرض المعنى، لايُكَلِّم العامَّة بكلام الخاصَّة، ولا الخاصَّة بكلام العامَّة.

ترك الجاحظ عددًا من المؤلفات القيمة منها :

الحيوان في سبعة أجزاء، والبيان والتبين في أربعة أجزاء ، البُخَلاء، رسائل الجاحظ وغيرها.

وُلِدَ في حدود سنة (١٦٠ هـ) ، وتُوفِّى سنة (٢٥٥ هـ).

ثانيا : النـــص : ـ

وأعْلَمْ أَنَّ الحُكَمَاءَ لَمْ تَذُمَّ شيئاً ذَمَّهَا أربعَ خِلَال :[1] الكَذِبَ، فإنَّهُ جِمَاعُ كُلِّ شَرّ.[2] وقَدْ قالُوا: لَمْ يَكْذِبْ أَحَدٌ قَطُّ إلاَّ لِصَغِرِ قَدْرِ نَفْسِهِ عِنْدَهُ. والغَضَبَ، فإنَّهُ لُؤْمٌ وسُوءُ مَقْدُرة. وذلك أَنَّ الغَضَبَ ثَمرةٌ لخلافِ ماتهوى النَّفْسُ، فإنْ جاءَ الإنسانُ خِلافَ مايَهْوَى مِمَّن فَوْقَهُ أَغْضَى [3] وسَمَّى ذلك حُزْناً، وإنْ جاءَهُ ذلك مِمَّن دُونَهُ حَمَلَهُ لُؤمُ النَّفْسِ وسُوءُ الطِّباعِ على – الاستطالَةِ بالغَضَبِ والمَقْدرة بالبَسْطَةِ [4]. والجَـزَعَ [5] عنـد المُصِيبـةِ التي لا ارْتِجَاعَ لها فإنَّهم لَمْ يجعلُوا لصاحبِ الجَزَعِ في مثل هذا عُذْراً، لِمَا يتعجَّلُ من غَمِّ الجَزَعِ ، مَعَ عِلْمِهِ بفَوْتِ المَجْزُوعِ عليه. وزعموا أَنَّ ذلك مِنْ إِفْرَاطِ الشَّرَهِ،[6] وأَنَّ أَصْلَ الشَّرَه والحَسَدِ واحِدٌ وإنْ افْتَرَقَ فَرْعَاهُما. وذَمُّوا الحَسَدَ كذَمِّهم الجَزَعَ، لِمَا يَتَعجَّلُ صاحِبُهُ مِنْ ثِقَلِ الاغْتِمَامِ وكُلْفَةِ مُقَاسَاةِ الاهْتِمَامِ ، مِنْ غير أنْ يَكُونَ عليه في ذاك شيءٌ. فالحَسَدُ اغْتِمَامٌ والغَدْرُ لُؤْمٌ. وقال بعضُ الحُكَماءِ : الحَسَدُ خُلُقٌ دَنِيءٌ، ومِنْ دَنَاءَتِهِ أَنَّهُ يَبْدَأُ بالأَقْرَبِ فَالأقرب. وَزَعَمُوا أَنَّهُ لم يَغْدِرْ غَادِرٌ قَطُّ إلاَّ لِصِغَرِ هِمَّتِهِ عَنِ الوَفَاءِ وخُمُولِ قَدْرِهِ عَنِ احْتِمَالِ المَكَارِهِ في جَنْبِ نَيْلِ المَكَارِمِ.

---

١ – خِلَال: جمع (خَلَّة)، وهي الخَصْلَة، يقال : في فلان خَلَّةٌ حَسَنة، وخَلَّة سَيِّئَة.
وتقول : أربع خِلال مذمومة هي: الكذب والغضب والجزع والحسد.

٢ – جِمَاعُ كُلِّ شَرّ : جِمَاعُ كُلِّ شيءٍ : مجتمع أصله، وتقول: الكذب جِمَاع كُلّ شَرّ، أي أصل يجتمع فيه كلُّ شَرّ، والخَمْرُ جِمَاع كُلّ إثم.

٣ – أَغْضَى : يقال : أَغْضَى فلان على الشَّيء : سَكَتَ وصَبَرَ، و(غَضَى) مثله.

٤ – البَسْطَة : الزِّيادة، قال تعالى : « وزادَهُ بَسْطَةً في العِلْمِ والجِسْمِ ».

٥ – الجَزَعُ : مصدر (جَزِعَ) ، يقال : جَزِعَ فلان جَزَعاً، وجَزُوعاً، لم يصبر على مانزل به من البلاء، فهو جَزِعٌ، وجَازِعٌ، وجَزُوع.

٦ – الشَّرَه : مصدر (شَرِهَ)، يقال: شَرِهَ فلانٌ على الشيء: اشتدَّ حِرْصُه عليه، واشتهاؤه له. وشَرِهَ إلى الطعام وغيره، مثل (شَرِهَ).

وبقدرِ ما ذَمَّت الحُكَماءُ هذه الأَخلاقَ الأربعةَ فكذلك حَمِدَتْ أضْدَادَها من الأخلاقِ، فأكثرتْ في تَفْضِيلها الأقاويل وضَرَبَتْ فيها الأمثال، وزَعمَتْ أنَّها أَصْلُ لكُلِّ كَرمٍ وجِماعٌ لكلِّ خَيْر، وأنَّ بها تُنَالُ جِسَامُ الأُمورِ في الدُّنيا والدِّين فاجْعَلْ هذهِ الأخلاقَ إمامًا لك وَمَثلاً بَيْنَ عينَيْكَ،[7] ورُضْ[7] عليها نَفْسَكَ وحَكِّمْهَا في أَمْرِكَ، تَفُزْ بالرَّاحَةِ في العَاجِلِ والكَرَامَةِ في الأَجِلِ.

والصَّبْرُ صَبْرَانِ، فأَعْلاَهُما أنْ تَصْبِرَ على ماتَرْجُو فيه الغُنْمَ[8] في العاقِبَةِ. والحِلْمُ حِلْمَانِ، فأشرفُهُمَا حِلْمُكَ عَمَّنْ هو دُوْنَكَ. والصِّدْقُ صِدْقَانِ، أَعْظَمُهُما صِدْقُكَ فيما يَضُرُّكَ والوَفَاءُ وَفاءَانِ، أَسْنَاهُمَا[9] وفاؤكَ لِمَنْ لا تَرْجُوه ولا تَخافُهُ. فإِنَّ مَنْ عُرِفَ بالصِّدْقِ صارَ النَّاسُ له أَتْباعَاً، ومَنْ نُسِبَ إِلى الحِلْمِ أُلْبِسَ ثَوْبَ الوَقَارِ والهَيْبَةِ وأُبَّهَةِ الجَلالَةِ، وَمنْ عُرِفَ بالوَفَاءِ اسْتَنَامَتْ إلى الثِّقَةِ به الجَمَاعَاتُ، ومن اسْتَعَزَّ بالصَّبْرِ نَالَ جَسِيماتِ الأُمور. ولَعَمْري ما غَلِطَتِ الحُكَماءُ حينَ سَمَّتْهَا أركانَ الدِّين والدُّنيا. فالصِّدقُ والوفاءُ تَوْأَمَانِ، والصَّبْرُ والحِلْمُ تَوْأَمَانِ، فبِهِنَّ تمامُ كُلِّ دِيْنٍ وصَلاَحُ كُلِّ دُنْيا، وأَضْدَادُهُنَّ سَبَبُ كُلِّ فُرْقَةٍ وأَصْلُ كُلِّ فَسَاد.

واحْذَرْ خَصْلَةً رَأيتُ النَّاسَ قَد اسْتَهَانُوا بها وضَيَّعُوا النَّظَرَ فيها، مع اشْتِمَالِهَا على الفَسَادِ وقَدْحِهَا البَغْضَاءَ في القُلوبِ والعَدَاوَةَ بَيْنَ الأَوِدَّاءِ:[10] المُفَاخَرة بالأَنْسَابِ. فإِنَّهُ لَمْ يَغْلَطْ فيها عاقِلٌ، مع اجْتِمَاعِ الإِنْسِ جَميعاً على الصُّورَةِ

---

٧ - رُضْ عليها نَفْسَكَ: أمْرٌ من (رَاضَ)، يقال: راضَ فلانٌ المُهْر رَوْضاً ورياضاً، ورِيَاضَةً: ذَلَّلَهُ. ورَاضَ نَفْسَهُ بالتَّقْوَى: ذَلَّلها وألْزَمَها التَّقْوى.

٨ - الغُنْمُ: الفَوْزُ بالشَّيء من غير مَشَقَّةٍ. والغُنْمُ: الغَنِيمَةُ.

٩ - أَسْنَاهُما: أعلاهُما وأرفعُهُما، مُشْتَقٌ من (سَنَا)، يقال: سَنَا فلانٌ إلى مَعَالي الأمور، أي ارْتَفَعَ، مثل (سَمَا).

١٠ - الأَوِدَّاء: جمع وَدِيْدٍ، وهو المُحِبُّ.

وإقْرارِهم جَميعاً بتَفرُّقِ الأُمُورِ المَحْمُودَةِ والمَذْمُومَةِ، من الجَمَالِ والدَّمَامَةِ واللُّؤْمِ والكَرَمِ والجُبْنِ والشَّجَاعَةِ في كُلِّ حِيْنٍ، وانْتِقَالِهَا مِنْ أُمَّةٍ إلى أُمَّةٍ، ووجُودِ كُلِّ مَحْمُـودٍ وَمـذْمُـومٍ في أَهْـلِ كُلِّ جِنْسٍ من الآدمِيِّيْنَ. وهذا غيرُ مَدْفوعٍ عِنْدَ الجَمِيْعِ. فلا تَجْعَلَنَّ لَهُ من عَقْلِكَ نصيباً ولا من لِسَانِكَ حَظّاً، تَسْلَمْ بِذَلِكَ على النَّاسِ أجْمَعِيْنَ مَعَ السَّلامَةِ في الدِّيْنِ.

واعْلَمْ أَنَّكَ مَوْسُومٌ بِسِيْمَا مَنْ قَارَنْتَ ومَنْسُوبٌ إِلَيْكَ أَفَاعِيْلُ مَنْ صَاحَبْتَ، فَتَحَرَّزْ مِنْ دُخَلاَءِ السُّوءِ ومُجَالَسَةِ أَهْلِ الرِّيَبِ. وقَدْ جَرَتْ لَكَ في ذلِكَ الأَمْثَالُ وسُطِّرَتْ لَكَ فيه الأَقَاوِيْلُ، فَقَالُوا: المَرْءُ حَيْثُ يَجْعَلُ نَفْسَهُ. وقَالُوا: يُظَنُّ بالمَرْءِ ما يُظَنُّ بقَـرِيْنِـهِ. وقـالُوا: المَرْءُ بشكْلِهِ والمَرْءُ بأَلِيْفِهِ ولَنْ تَقْدِرَ على التَّحَرُّزِ مِنْ جَمَاعَةِ النَّاسِ، ولكنْ أقِلَّ المُؤَانَسَةَ إلاّ بأَهْلِ البَرَاءَةِ مِنْ كُلِّ دَنَسٍ.

واعْلَمْ أَنَّ المَرْءَ بِقَدْرِ ما يَسْبقُ إِلَيْهِ يُعْرَفُ وبالمُسْتَفِيْضِ مِنْ أَفْعَالِهِ يُوْصَفُ، وإنْ كانَ بَيْنَ ذلِكَ كثيرٌ مِنْ خلافِهِ أَلْغَاهُ النَّاسُ وحَكَمُوا عليه بالغَالِبِ مِنْ أَمْرِهِ فَاْجْهَـدْ أَنْ يَكُـونَ أَغْلَبُ الأَشْيَاءِ عَلَى أَفَـاعِيْلِكِ ما تَحْمَـدُهُ العَـوَامُّ ولا تَذُمُّـهُ الجَمَـاعَاتُ، فإنَّ ذلك يُعَفِّي [١١] على كُلِّ خَلَلٍ إنْ كَانَ. فَبَادِرْ أَلْسِنَةَ النَّاسِ فَاْشْغَلْهَـا بِمَحَـاسِنِـكَ فَإِنَّهُمْ إلى كُلِّ شَيءٍ سِرَاعٌ. واسْتَـظْهِـرْ عَلَى مَنْ دُوْنَـكَ بالتَّفَضُّـلِ وعَلَى نُظَرائِـكِ بالإِنْصَـافِ وعَلَى مَنْ فَوْقَكَ بِالإِجْلاَلِ، تَأْخُذْ بِوَثَائِقِ الأُمورِ وأَزِمَّةِ التَّدْبِيْرِ.

واعْلَمْ أَنَّ كَثْرَةَ العِتَابِ سَبَبٌ للقَطِيْعَةِ واطِّرَاحَهُ كُلَّهُ دَلِيْلٌ على قِلَّةِ الاكْتِرَاثِ بأَمرِ الصَّـدِيْقِ، فَكُنْ فيه بَيْنَ أَمْرَيْنِ: عاتِبْهُ فيما تَشْتَرِكَانِ في نَفْعِهِ وضُرِّهِ وذلِكَ في الهَنَاتِ [١٢]، وتَجَافَ لَهُ عن بَعْضِ غَفَلاَتِهِ تَسْلَمْ لَكَ نَاحِيَتُهُ، وبِحَسَبِ ذلِكَ

---

١١ - يُعَفِّي على كُلِّ خَلَلٍ : يزيلُ كُلَّ خَلَلٍ ويَمْحوُه. وأصله الثلاثي : (عَفَا)، والمزيد: عَفَّى تقول: عَفَتِ الرِّيحُ الأثَرَ، وعَفَّتْ : ازالَتْهُ وَمَحَتْهُ.

١٢ - الهَنَاتَ : الأخطاءُ الصَّغيرةُ.

فَكُنْ في زِيَارَتِهِ، فإنَّ الإِلْحَاحَ في الزِّيارة يَذْهَبُ بالبَهَاءِ وربَّما أَوْرَثَ المَلاَلَةَ، وطول الهِجْرَانِ يُعْقِبُ الجَفْوَةَ ويَحُلُّ عُقْدَةَ الإِخَاءِ ويَجْعَلُهُ صاحبُهُ مَدْرَجَةً للقَطِيْعَةِ. وقد قال الشاعر:

إذَا مَا شِئْتَ أَنْ تَسْلَى حَبِيْبَاً ... فَأَكْثِرْ دُوْنَهُ عَدَدَ اللَّيَالِي
فَمَا يُسْلِي حَبِيْبَكَ مِثْلُ نَأْيٍ ... وَلاَ يُبْلِي جَدِيْدَكَ كابْتِذَالِ

وأَقْتَصِدْ في مِزَاحِكَ، فإنَّ الإِفراطَ فيه يَذْهُبُ بالبَهَاءِ ويُجرِّىءُ عَلَيْكَ أَهْلَ الدَّنَاءَةِ، وإِنَّ التَّقْصِيرَ فيه يَقْبِضُ عَنْكَ المُؤَانِسِيْنَ. فإنْ مَزَحْتَ فَلاَ تَمْزَحْ بالَّذِي يَسُؤُ مُعَاشِرِيْكَ.

وأَنا أُوْصِيْكَ بِخُلُقٍ قَلَّ مَنْ رَأَيْتُهُ يَتَخَلَّقُ به، وذلِكَ أَنَّ مَحْمِلَهُ شَدِيْدٌ ومُرْتَقَاهُ صَعْبٌ، وبِحَسبِ ذلك يُوْرِثُ الشَّرَفَ وحَمِيْدَ الذِّكْرِ: أَلاّ يُحْدِثَ لَكَ انْحِطَاطُ مَنْ حَطَّتِ الدُّنيا من إِخْوانِكَ اسْتِهَانَةً بِهِ ولا لِحقةً إِضَاعَةً، ولِمَا كُنْتَ تَعْلَمُ مِنْ قَدْرِهِ اسْتِصْغَاراً، بَلْ إِنْ زِدْتَهُ قليلاً كانَ أَشْرفَ لَكَ وأَعْطَفَ للقُلوبِ عَلَيْكَ. ولا يُحْدِثُ لَكَ ارْتِفَاعُ مَنْ رَفَعَتِ الدُّنْيا مِنْهُم تَذَلُّلاً وإِيْثَاراً لَهُ على نُظَرَائِهِ في الحِفْظِ والإِكْرَام، بَلْ لَوْ انْقَبَضْتَ عَنْهُ كانَ مادِحُكَ أَكْثَرَ مِنْ ذَامِّكَ وكانَ هُو أَوْلَى بالتَّعَطُّفِ عَلَيْهِ. إلاّ أَنْ يَكُونَ مُسَلَّطا تَخافُ شَذَاتَهُ (١٤) ومَعَرَّتَهُ (١٥) وتَرْجو عندَهُ جَرَّ مَنْفَعةٍ لصديقٍ أو دَفْعَ مَضَرَّةٍ عنه أو كَبْتاً لعَدِوّ.

---

١٣ - تَسْلَى : سَلَى فَلانٌ صديقَهُ يَسْلَى، وسَلَيْتُ عَنْهُ أَسْلَى، سُلِيّاً، وسَلاَ فُلانٌ، يَسْلُو صديقَهُ، سَلْوَاً، وسُلُوّاً، وسُلْوَانًا: نَسِيَهُ، وطابَتْ نَفْسُهُ بَعْدَ فِرَاقِهِ. وأَسْلَى يُسْلِي كذلك.

١٤ - شَذَاتُهُ : بَقِيَّةُ قُوَّتِهِ وشِدَّتُهُ.

مَعَرَّتُهُ : أَذَاهُ، والمَعَرَّةُ : المَكْرُوهُ والإِسَاءَةُ.

ثالثاً : الأسلوبُ والصُّور:

أ) الخصائصُ الأسلوبيَّةُ:

١ - إحالةُ المعلوماتِ ونِسْبَتُها إلى الحُكَماءِ، كخُطْوةٍ للإقْناع .

٢ - المَيْلُ إلى التَّحديدِ والتَّعْريفِ، عن طريقِ الكَشْفِ عن الغَرَض، وليس بِبَيَانِ الجَوْهرِ أو المَضْمُونِ.

٣ - النُّزوعُ إلى التَّقسيماتِ الأَصِيلَةِ، وتفريغ تَقْسيماتٍ أُخْرَى منها.

٤ - شُموليَّةُ العَرْضِ عن طريقِ مقابلةِ الخِصَالِ المَذْمُومَةِ بنَقَائِضِهَا من خِصالٍ مَحْمُودةٍ.

٥ - الاعْتمادُ على ذَكاءِ القارِىءِ في فَهْمِ بعضِ التَّلْميحاتِ، دُونَ التَّصْريحِ بها.

٦ - تَدَخُّلُ الكاتِب أَحْيَاناً، وتَوْجيهُهُ الحديثَ إلى المُخَاطَب.

٧ - النَّثْرُ هنا مُرْسَلٌ غيرُ مُقَيَّدٍ بالسَّجعِ ، إلاّ مَا نَدَرَ.

٨ - الجُملُ طويلةٌ، تَتَراوحُ بينَ المُركَّبَةِ والبَسِيْطَةِ، وإنْ كانَتْ المُركَّبَةُ أَغْلَبَ.

ب) الصُّور والمُحَسّنات:-

جاءتْ بعضُ الصّورِ والمُحَسّناتِ مُتَناثِرةً في الرِّسالةِ بِدَرَجاتٍ مُتَفاوتَةٍ، ففيهـا صورٌ للتَّشْبيهِ، والاسْتِعَارَةِ، والكِنَايَةِ، إلى جانبِ مُحَسّناتٍ أُخْرىَ كالطِّبَاقِ والمُقَابَلَةِ وصِحَّةِ التَّقْسِيمِ ، وقد جاءَ الطِّبَاقُ فيها على نَحْوٍ طاغٍ ، حَيْثُ تَكَدَّسَتْ صورهُ أساساً في الفقرةِ الرابعةِ.

وفيما يلي، نُبيِّنُ بعضَ الصّورِ والمُحسنّاتِ.

١ - تُشْبيهٌ في قوله: الصّدْقُ والوَفَاءُ تَوْأَمَانِ. وهو تَشْبيهٌ « مُؤكّدٌ » حيث حُذِفَتْ منه الأَداةُ، « ومُجْمَلٌ » حُذِفَ مِنْهُ وَجْهُ الشَّبَه.

وهذان الإجراءَانِ قد يَضَعَانِهِ في مَرْتَبةِ التَّشْبيه البَليغ .

٢ - استعاراتٌ مَكْنِيَّةٌ في قوله:
- اسْتَعِزَّ بالصَّبْرِ، حيث شَبَّه الصَّبْرَ بإنسانٍ قويٍّ له سِيادَةٌ وسَطْوَةٌ، ومن شَأْنِهِ أنْ يَسْتَعِزَّ به النَّاسُ ويَسْتعِينُونَ. حَذَفَ المُشَبَّهَ به ورمَزَ إليه بشيءٍ من لَوَازِمِهِ.
- المُفَاخَرةُ بالأَنْسَابِ تَقْدَحُ البَغْضَاءَ، شَبَّهَ البَغْضَاءَ بالنَّارِ التي مِنْ شَأْنِهَا أَنْ تُدَمِّرَ وتُحْـرِقَ، وحَذَفَ النَّارَ، ورَمَزَ إليها بشيءٍ من لوازِمِهَا وهو القَدْحُ والإِشْعَالُ، على سبيلِ الاستعارةِ المَكْنِيَّةِ.
- يحلُّ عقدةَ الإِخَاءِ، شَبَّه الإِخاءَ بثَوْبٍ مُترابطٍ من شَأْنِهِ أَنْ تكونَ به عُقَدٌ تُرْبَطُ وتُحَلُّ حذَفَ الثَّوْبَ ورَمَزَ إليه بِشَيءٍ من لوازِمِهِ وهو حَلُّ العُقَدِ، على سبيلِ الاستعارة - المَكْنِيَّةِ.

٣ - تَشْبيهٌ بليغٌ (وهو ما يُضَافُ فيه المُشَبَّهُ بِهِ إلي المُشَبَّهِ) مثل:
ثَوْبُ الوَقَارِ، أَرْكَانُ الدِّيْنِ والدُّنْيَا.
إلي جانبَ التَّركيبِ كُلِّه من وجودِ استعاراتٍ مَكْنِيَّةٍ أيضاً.

(ب) المُحَسِّنَات:-
١ - طِبَاقٌ بَيْنَ أسماءٍ (أو صفاتٍ) أو أَفْعَالٍ:
مثالُ الطِّباقِ بَيْنَ الأَسْمَاءِ: المَحْمُودَةُ والمَذْمُومَةُ، والجَمَالُ والدَّمَامَةُ، اللُّؤْمُ والكَرَمُ، الجُبْنُ والشَّجَاعَةُ، محمودٌ ومَذْمُومٌ، نَفَعَ ضَرَّ، مادِحٌ ذَامٌّ.
ومثاله بين الأفعال: تَحْمَدُهْ/ تَذُمُّهُ.

٢ - مقابلة، مثل: جَرُّ مَنْفَعَةٍ لـ... / دَفْعُ مَضَرَّةٍ عَنْ...

٣ - صِحَّةُ تَقسيمٍ، مثل: دونك - نظرائك - فوقك، حيث استوفى بذلك كلَّ الأحوالِ للإنسان.

* * *

رابعًا : النحـــو:

المَبْنيُّ من الأَسْمَاءِ

(المَبنيُّ : مالَزِمَ آخِرُهُ حَرَكَةً واحِدَةً، مَهْمَا تَغَيَّرَ مَوْقِعُهُ في الجُمْلَةِ، وعَكْسُهُ المُعْرَبُ)

أ - قال الجاحظ: « وقَدْ قَالُوا. . . . » واوُ الجَمَاعَةِ ضميرٌ مَبْنيٌّ على السّكونِ في محلِّ رفعٍ فاعل.

= « إنْ جَاءَهُ. . . . » الهاءُ ضميرٌ مبنيٌّ على الضَّمِّ في محلِّ نَصْبِ مفعولٌ به.

« مَعَ علمِهِ. . . . » الهاءُ ضميرٌ مبنيٌّ على الكَسْرِ في محلِّ جَرٍّ مُضَاف إِلَيْه.

= « ورُضْ عليهَا نَفْسَكَ وحَكِّمْهَا في أَمْرِكَ ».

الهاءُ: في (عليهَا): ضميرٌ مبنيٌّ على السكُونِ في محلِّ جَرٍّ بـ (عَلَى). والكافُ في (نَفْسَكَ) ضميرٌ مبني على الفَتْحِ في مَحَلِّ جَرٍّ مضاف إليه، وكذلك الكافُ في (أَمْرِكَ). والهاء في (حَكِّمْهَا) ضميرٌ مبني على السكون في مَحَلِّ نَصْبِ مفعول به.

= « عَمَّنْ هُوَ دُونَكَ. . . . » هو: ضمير منفصل مبنيٌّ على الفَتْحِ في مَحَلِّ رفعٍ مبتدأ.

= « واحذَرْ خَصْلَةً رأَيْتُ النَّاسَ. . . . » التاء: ضمير مبني على الضَّم في محلِّ رفع فاعل.

* * *

تذكر أنَّ الضمائرَ كُلَّهَا مَبْنِيَّةٌ، ضمائِرُ الرَّفْعِ المُتَّصِلَة مبنيَّةٌ في مَحَلِّ رفعٍ. وضمائِرُ النَّصْبِ المُتَّصِلَة مبنيةٌ في مَحَلِّ نصب، وضمائرُ الجَرِّ المُتَّصِلَة مبنيةٌ في مَحَلِّ جَرّ. وضمائِرُ الرَّفْع المُنْفَصِلَة مثل:

(أنتَ، أَنَا، هِيَ، هُوَ. .) مبنيةٌ في مَحَلِّ رَفْعٍ، وضمائِرُ النَّصْبِ المُنْفَصِلَة مثل:

(إيَّايَ، أيَّاكَ، إياهُ. . .) مبنيةٌ في محلٍّ نَصْبٍ.

* * *

(ب) قال الجاحظ:

= « وذلِـك أَنَّ الغَضَب. . . ». (ذَا): اسمُ إشَـارةٍ مبنيٌّ على السُّكُونِ، في مَحَلِّ رفع مبتدأ. واللّامُ للبُعْدِ، والكَافُ للخِطَاب.

= « في مْثِلِ هذا. . . » (ذَا): اسمُ إشَارَةٍ مبنيٌّ على السُّكُونِ في مَحَلِّ جَرٍّ مضاف إليه. والهاءُ للتَّنْبيه.

= « وبقَدرِ ما ذَمَّتِ الحُكَمَاءُ هذهِ الأَخْلاَقَ. . . » (ذِهِ): اسمُ إشارةٍ مبنيٌّ على الكَسْرِ في مَحَلِّ نَصْبٍ مفعولٌ به. والهاء للتَّنْبِيْه.

* * *

تَذَكَّرْ أَنَّ أسماءَ الإشارة (هٰذَا، هذِهِ، هذِي، تِهْ، تِهِ. تي، ذاك، ذلك، ذا، ذِهِ، ذِي، هاتي، أُولاءِ، هؤلاءِ) كُلها مبينَّةٌ، ما عدا اسمَيْن يُعْرَبَانِ إعرابَ المُثَنَّى وهما: (هذانِ، هاتانِ)، فيُرْفَعَانِ بالألفِ، ويُنْصَبَانِ ويُجَرَّانِ بالياءِ.

* * *

(جـ) قال الجاحظ:

= « الغَضَبُ ثَمَـرَةُ لخلافِ ما تَهْوَى النَّفْسُ » (ما): اسمٌ موصولٌ مبنيٌّ على السُّكون في مَحَلِّ جَرٍّ مُضَافٌ إليه.

= « فإِنْ جَاءَ الإِنْسَانَ خِلاَفُ ما يَهْوَى مِمَّنْ فَوْقَهُ. . . » (مِمَّنْ) أصلها: (مِنْ مَنْ). (مَنْ): اسمٌ موصولٌ مبنيٌ على السُّكونِ في مَحَلٍّ جَرٍّ بـ (مِنْ).

= « فإِنَّ مَنْ عُرِفَ بالصِّدْقِ. . . ». (مَنْ): اسمٌ موصولٌ مبنيٌّ على السُّكونِ في مَحَلٍّ نَصْبِ اسم (إنَّ).

= « فلا تَمْـزَحْ بالَّـذي يَسُؤُ مُعَـاشِـرِيْكَ ».. (الـذي) اسمٌ موصولٌ مبنيٌ على السُّكونِ في مَحَلٍّ جَرٍّ بالباء.

* * *

تَذَكَّرْ أَنَّ الإِسْمآء الموصولةَ (الذي، التي، الذين، اللاّتي، اللَّواتي، مَنْ، مَا. .) كُلَّهـا مبنَّيَة، ما عدا اسمَيْن، يُعْـرَبَانِ إعرابَ المُثَنَّى، وهما: (اللَّذَانِ واللَّتَانِ)، فَيُرْفَعَانِ بالألفِ، ويُنْصَبانِ ويُجَرَّانِ بالياء.

* * *

(د) قال الجاحظ:

= « لَمْ يَكْذِبْ أَحَدُ قَطُّ. . . ». (قَطُّ): ظرفُ زمانٍ لاستغراقِ الماضي، مبنيٌّ على الضَّمِّ في مَحَلِّ نَصْبٍ على الظَّرفيَّةِ.

= « المَرْءُ حَيْثُ يَجْعَلُ نَفْسَهُ». . (حيثُ) ظرفُ مكانٍ مبنيٌّ على الضَّمِّ في مَحَلٍّ نَصْبٍ على الظَّرفيةِ.

* * *

بعض ظروف الزّمان مَبْنِيَّةٌ، مثل: (قَطُّ)، و (عَوْضُ)، كقولك: ما أفْعَلُ هذا عَوْضُ، و(مُنْذُ) و (مُذْ)، و (إِذْ) وإذا.

وبعضُ ظروفِ المكانِ مبنية، مثل (حَيْثُ)، (أَنَّى).

(هـ) تقـول: مَنْ يَدْرُسْ يَنْجَحْ. . (مَنْ) اسمُ شرطٍ مبنيٌّ على السّكونِ في مَحَلِّ رَفْعٍ مبتدأ.

- تقول: مَن الطَّارِقُ؟ . . . (مَنْ) اسمُ استفهامٍ مبنيٌّ على السكونِ في مَحَلِّ رَفْعٍ مبتدأ.

- تقول: أَيْنَ ذَهَبَ خالِدٌ؟ (أَيْنَ) اسمُ استفهامٍ مبنيٌّ على الفَتْحِ في مَحَلٍّ نَصْبٍ على الظرفيَّةِ.

* * *

أسمـاءُ الشَّرْطِ، وأسماءُ الاستفهامِ كُلُّها مبنيَّةٌ، ما عدا (أَيّاً) فهي مُعْرَبَةٌ، وتأتي اسْمَ شَرْطٍ، واسْمَ استفهامٍ.

وهنـاك أسمـاءُ أُخـرى مبنيَّةٌ كالأسمـاءِ المختومَةِ بـ (وَيْه) مثل: سِيْبَوَيْهِ)، والأعدادِ المُركَّبَةِ مثل (خَمْسَةَ عَشَرَ) والأحوالِ المُركَّبةِ مثل (فُلانٌ جاري بَيْتَ بَيْتَ).

خامسًا : التَّدريبــات :

(١)

١ - ماالصِّفَاتُ الحِسِّيَّةُ التي رَكَّزَ عليها الجاحِظُ؟ وما أضْدَادُها المَعِيبَةُ ؟
٢ - هل تعتقِدُ أنَّ هذه الصِّفَاتِ هي كُلُّ ما يحتاجُ إليه الإنسانُ ؟
٣ - لماذا شَدَّدَ الجاحِظُ النَّكِيْرَ على المُفَاخَرةِ بالأنْسَابِ ؟
٤ - قالوا في الأمثال : يُظَنُّ بالمَرْءِ ما يُظَنُّ بقرينِهِ. اشرحْ هذا مع ذِكْرِ رَأْيِكَ.
٥ - هل تَتَّفِقُ مع الجاحِظِ في حَتْمِيَّة إرضاءِ الجَمَاعاتِ كي لاتَذُمَّكَ ؟ ناقِشْ هذا مَعَ زميلِك وأمامَ الأُستاذِ.
٦ - هذه الرِّسالةُ لاتستغل فقط جوانِبَ المعرفةِ بالنَّاسِ ، بل تشملُ أيضاً بعضَ الجوانبِ النَّفسيةِ. استخرجْ من الرِّسالة ما يدلُّ على هذا وذاك.
٧ - قد يُقالُ : من الأَصْوَبِ أنْ نُطْلِقَ على رسالةِ الجاحِظِ : رِسَالَةَ الطِّبَاقِ أو رسالةَ الاسْتعاراتِ. دَلِّلْ على كُلٍ.
٨ - ما خصائِصُ أُسلوبِ الجاحظِ، كما تَعْكِسُهُ هذه الرِّسالة ؟

(٢)

١ - قال الشــاعر :

وَلَسْـــتَ بِمُسْـتَبْقٍ أَخَـاً لاتَلُمْـــه عَلَى شَـعَثٍ، أَيُّ الرِّجـالِ المُهَذَّبُ

وقال آخر :

مَـــنْ ذَا الَّــذي مـا سَــاءَ قَــطّ وَمَـــنْ لَـــهُ الحُسْــنَى فَقَـــطْ

اشرح البيتَيْن مُسْتَشْهِداً برأي الجاحظ في هذا المعنَى.

٢ - اكتب مقالاً مُوجَزاً تُقارِنُ فيه بين صُحْبَةِ الْأَخْيَارِ، وصَدَاقَةِ الْأَشْرَارِ.

٣ - ما مواصفاتُ الصَّديقِ المِثَاليّ في نظرِكَ ؟

(٣)

- اقرأ النصَّ قراءةً جيدةً، واستخرجْ منه الأسماءَ المبنيَّةَ وبَيِّنْ علامةَ بنائِها، واذكُرْ نَوْعَ كُلّ منها.

- قال تعالى : ﴿ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ.. الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾

وقالَ تعالى ﴿ قالُوا ادع لنا ربك يبين لنا مالونها .... ﴾.

وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾.

أ - استخرجْ من الآيات الكريماتِ كُلَّ اسمٍ مبنيّ، وبَيِّنْ نَوْعَهُ، واذكُرْ علامَةَ بنائِهِ ومَوْضِعَهُ من الإعرابِ.

ب - استخرجْ منها الأفعالَ المُضارِعَةَ المنصوبةَ، والمجزومةَ، واذكُرْ أداةَ النَّصْبِ، أوِ الجَزْمِ وعلامة إعراب كل فعل.

جـ - استخرجْ الأفعالَ الخمسةَ الواردةَ فيها، وبيِّنْ علامةَ إعرابها.

د - أَعْرِبْ ما تحتَهُ خطٌّ.

(٤)

قال الجاحظ : ـ

« فإنْ جاءَ الإنْسَانَ خِلافُ ما يَهْوىَ . . . وإنْ جاءَهُ ذلِك مِمَّنْ دُونَهُ حَمَلَهُ لُؤمُ النَّفْسِ وسُوءُ الطِّباعِ على الاستِطَالَةِ بالغَضَبِ . . . فإنَّهم لَمْ يَجْعَلوُا لصاحبِ الجَزَعِ في مِثْلِ هذا عُذْرًا، لِمَا يَتعَجَّلُ مِنْ غَمِّ الجَزَعِ . . .

وبقدر ما ذَمَّت الحُكَماءُ هذهِ الأَخْلاقَ الأربعةَ، فكذلك حَمِدتْ أضْدَادَهَا مِنَ الأَخْلاَقِ ».

أ - استخـرج الفـاعـلَ والمفعولَ به من الجُملِ الفِعْليَّةِ السَّابقةِ، واذكُرْ رُتْبَةَ المفعولِ بهِ في كُلِّ جملةٍ من حيثُ تقديمُهُ على الفاعِلِ ، أو تأخيرُه عَنْهُ.

ب - فيما تحتَهُ خَطٌّ أفعالٌ لَحِقَتْهَا تاءُ التَّأنيث هل التأنيثُ فيها جائِزٌ أو واجِبٌ ؟ وما سَبَبُ ذلِكِ ؟

(٥)

قال الجاحظ : ـ

« وأنَّ بها تُنَالُ جِسامُ الأمورِ في الدّنيا والدِّيْنِ . . . فإنَّ مَنْ عُرِفَ بالصِّدْقِ صارَ النَّاسُ له أتباعاً، ومن نُسِبَ إلى الحِلْمِ أُلْبِسَ ثَوْبَ الوَقَارِ والهَيْبَةِ . . ومَنْ عُرِفَ بالوَفَاءِ اسْتَنَامَتْ إلى الثِّقَةِ به الجَمَاعاتُ . . . وقد جَرَتْ لك في ذلك الأمثالُ، وسُطِّرَتْ لك فيه الأقاويلُ، فقالوا : المَرْءُ حيثُ يَجْعَلُ نَفْسَهُ، وقالوا : يُظَنُّ بالمَرْءِ ما يُظَنُّ بقرينِهِ . . . واعْلَمْ أنَّ المَرْءَ بقدرِ ما يَسْبِقُ إليه يُعْرَفُ، وبالمُستفيضِ من أفعالِهِ يُوْصَفُ . . . . ».

أ - استخرجْ مِمَّا سَبَقَ الجُملةَ الفعليةَ التي بُنِيَتْ أَفْعَالُهَا للمجمهولِ ، ثم اذكُرْ نائِبَ الفاعِلِ ، وأَعربْهُ .

ب - استخرجْ الافعالَ التي لَحِقَتْهَا تاءُ التّأنيثِ، واذكُرْ حُكْمَ التأنيثِ فيها، وهل تَجْرِي أحْكَامُ التّأنيثِ في الفِعْلِ المَبْنيِّ للمعلومِ على الفِعْلِ المبنيِّ للمجهولِ ؟

جـ - استخرْج الجُمَلَ المنسوخةَ الواردةَ فيما سَبَقَ، وَبيِّنْ أداةَ النَّسْخ، واسْمَهَا وخَبَرَها.

(٦)

قال الجاحظ : «لَمْ يَكْذِبْ أَحَدٌ قَطُّ إلَّا لِصِغَرِ قَدْرِ نَفْسِهِ عِنْدَهُ».

وتقول : مَا أَفْعَلُ هذا عَوْضُ .

أ - استخرجْ الاسمَ المبنيَّ مما سَبَقَ، واذكُرْ علامةَ بنائِهِ، وموضِعَهُ من الإعراب.

ب - هل الأسلوبُ الّذي اسْتُعْمِلَتْ فيه قَطُّ وعَوْضُ منفيٌّ أم مُثْبَتٌ ؟

جـ - قارِنْ بَيْنَ قَطُّ وعَوْضُ في الدّلالة على الزّمن.

د - أكمل العبارةَ التّاليةَ :

قَطُّ وعَوْضُ . . . . زَمَانٍ ، مَبْنِيّانِ على . . . . في مَحلِّ نَصبٍ على الظرفية، ولا يُسْتَعْمَلانِ إلّا في أسلوب . . . .

(٧)

تدريب صرفي

١ - استخرج الأفعالَ المبنيَّةَ للمَجْهُولِ الواردةَ في النَّص، واذكُرْ طريقةَ بنائِهَا.

٢ - قال الجاحظ :

« واعْلَم أنَّ الحُكَماءَ لم تَذُمَّ شيئاً ذَمَّهَا أربعَ خِلاَلٍ . . . .

والوَفَاءُ وفَاءَانِ أَسْنَاهُما وَفَاؤكَ لِمَنْ لا تَرْجُوهُ ولا تَخَافُهُ . . . . فَكُنْ فيه بَيْنَ أمرَيْنِ : عاتِبْهُ فيما تشتركانِ في نَفْعِهِ وضُرِّه، وذلك في الهَنَاتِ، وتَجَافَ لَهُ عن بعضِ غَفَلاَتِهِ تَسْلَم لَكَ نَاحِيَتُهُ ».

أ - أرجِع الأفعالَ التي تحتها خَطٌّ الى أَصلِهَا الثُّلاثيّ، ثم هاتِ منها الأَمر واسْمَ الفاعِلِ واسْمَ المفعولِ.

ب - زن الكلمات التّالية، واضْبطِ الميزانَ بالشَّكْلِ :

تَذُمُّ - تَخَافُ - كُنْ - تَشتَرِكَانِ - الهَنَات - غَفَلاَته.

٣ - اقرأ النصَّ قراءة جيدة، واستخرجْ منه الأفعالَ المزيدَةَ، واذكُرِ الحُروفَ الزَّائِدَةَ على الأَصْلِ الثُّلاثِيّ في كُلِّ فِعْلٍ.

الوحدة العاشرة

في وصف الفرس للبحتري

أولا : صاحب النص :

هو الوليدُ بنُ عُبَيْدٍ بنِ يَحْيى بنِ عُبَيدٍ الطَّائِيّ، كُنْيَتُهُ أبو عُبَادة. أديب، شاعر، وُلِدَ بمَنْبِج من أعمال حلب ٢٠٦ هـ ، وبها نشأ، وخرج منها إلى العراق. وأقام بهـا طويلاً، ثم عاد إلى مسقط رأسه وتُوفِّي هناك، وقيل تُوفِّي بحلب سنة ٢٨٤ هـ. يُقَال : إنَّ أبا تَمَّام قد شَهِدَ له بعد أن استمع لشعره، وقد قال له : أنت أَشْعَرُ مَنْ أَنْشَدَنِي.

قال له الحسن بن إسحاق يوماً : إنَّ النَّاسَ يَزْعُمونَ أنَّك أَشْعَرُ من أبي تَمَّام. فقال البحترى: واللهِ ما يَنْفَعُني هذا القول، ولا يَضُرُّ أبا تَمَّام. واللهِ ما أكلتُ الخبزَ إلّا بِهِ، ولَوَددْتُ أنَّ الأمر كما قالوا، ولكنِّي واللهِ تابعٌ له، لائِذٌ به نَسِيمي يَركُدُ عند هوائِهِ، وأرضي تَنْخَفِضُ عند سمائِهِ (ياقوت الحموى : معجم الأدباء جـ ١٩ ص ٢٤٨ وما بعدها).

شَهِدَ له العديد من النُّقاد وعلى رأسهم الآمدي الذي كتب عنه وعن أبي تمام كتابه المشهور : « الموازنة بين أبي تمام والبحتري » وقد قال عنه : إنَّ شعره مُسْتَوٍ يُشْبِهُ بَعْضُهُ بعضاً. لاتفاوتَ فيه كما هو الحال لدى أبي تمام (عمر فروخ : تاريخ الأدب العربي جـ ٢، صفحة ٣٥٧ وما بعدها). وأيضا جـ ٣ ص ٦١، ٦٢.

ديوانه ضخم يقع بخمسة مجلدات كبار.



ثانيا : النص :

١ وأغَرَّ في الزَّمَنِ البَهيمِ مُحَجَّلٍ	قَدْ رُحْتُ مِنْهُ عَلَى أغرَّ مُحَجَّلِ
٢ كَالهَيْكَلِ المَبْنِيِّ إلاّ أنَّهُ	في الحُسْنِ جَاءَ كَصُورَةٍ في هَيْكَلِ
٣ وافِي الضُّلوعِ يُشَدُّ عَقْدُ حِزَامِهِ	يَوْمَ اللِّقَاءِ عَلَى مُعَمٍّ مُخْوَلِ
٤ أخْوَالُهُ للرُّسْتَمَيْنِ بِفَارِسٍ ،	وجُدُودُهُ للتُّبَّعِيْنَ بِمَوْكَلِ
٥ يَهْوِي كَمَا تَهْوِي العُقَابُ وَقَدْ رَأَتْ	صَيْدَاً ، ويَنْتَصِبُ انتصاب الأجْدَلِ
٦ مُتَوجِّسٌ بِرَقِيقَتَيْنِ كَأَنَّمَا	تُرَيَانِ مِنْ وَرَقٍ عَلَيْهِ مُوَصَّلِ
٧ مَا إنْ يَعَافُ قَذَىً ولَوْ أوْرَدْتَهُ	يَوْمَاً خَلائِقُ حَمْدَوَيْهِ الأَحْوَلِ
٨ ذَنَبٌ كَمَا سُحِبَ الرِّدَاءُ يَذُبُّ عَنْ	عُرْفٍ، وعُرْفٌ كالقِنَاعِ المُسْبَلِ

١ - الأغرّ : من القوم : الكريم الأفعال والسَّيد الشَّريف : والأغرُّ من الخيل: ماكان بجبهته بياض، وقد قصد في صدر البيت ممدوحَهُ، وفي عَجُزِ البيت : الفرس الذي أهداه إليه.

المُحَجَّل : المشهور، ومن الخيل : ما كان في قوائمه بياض.

٢ - الهَيْكَل : الضخم من كلّ شيء . يقال : فَرَسٌ هيكل : طويل ضَخْمٌ، وشجر هيكل: طويل عظيم، وبناء هيكل . . . .

٣ - مُعَمّ مُخْوَل : كريم الأعمال والأخوال.

٤ - الرُّسْتَمَيْنْ : نسبة إلى (رُسْتُم)، وهو اسم فارسي، تَسَمَّى به بعض عظمائهم، والتُّبعِيْنَ : جمع (تُبع)، وهم أقيال اليمن.

ومَوْكَل : اسم موضع باليمن ، ويقال : إنَّها دارُ مملكة حِمْيَر . وهو مفتوح الكاف، وقد قدم بلاد اليمن رجل ممن يسكن البادية فصيح ينتهي إلى زُبَيْد من مِذْحِجٍ ، فسمع فتى ينشد هذه القصيدة، فلما انتهى إلى قوله : (بموكل) كسر الكاف، فقال الزُّبَيْدِي : (مَوْكَلٍ) - بفتح الكاف - وكذا حكاه أَهْلُ العلم.

٥ - العُقَاب : طائرٌ من الجوارحِ ، قويُّ المخالبِ، له منقارٌ قصيرٌ أعقفُ، حادُّ البصرِ، الأَجْدَلُ : الصَّقر.

٦ - التوجُّس : التَّسَمُّعُ إلى الصوتِ الخفي.

الرقيقتان : الأذنان.

٧ - القَذَى : مايقع في العين أو الشراب من تبنة ونحوها.

٨ - العُرف : الشعر النابت في محدَّبِ رقبةِ الفرس.

٩ جَذْلَانَ يَنْفُضُ عُذْرَةً في غُـرَّةٍ   يَقَقٍ تَسِيْلُ حُجُـولُها فـي جَـنْدَلِ
١٠ كَالـرَّائح النَّشْـوَانِ أَكْثَرُ مَشْيِهِ   عَرْضَـاً عَلَى السَّنَنِ البَعِيْـدِ الأَطْـوَلِ
١١ ذَهَب الأَعالِي حيثُ تَذْهَـبُ مُقْلَةٌ   فِـيه بِنَاظِـرِهَا، حَدِيـدُ الأَسْـفَلِ
١٢ تُتَوَهَّـمُ الجَـوْزَاءُ فـي أَرْسَاغِهِ   والبَـدْرُ غُرَّةُ وَجْهِـهِ المُتَـهَلِّلِ
١٣ صافِـي الأَدِيـمِ كأنَّمـا عُنِيَـتْ لَهُ   بِصَفَـاءِ نُقْبَتِهِ مَدَاوِسُ صَيْقَلِ
١٤ وَكَأَنَّمـا نَفَضَـتْ عَلَيْـهِ صِبْغَـهَا   صَهْبَـاءُ لِلبَـرَدَانِ أَوْ قُطْرُ بُّـلِ

٩- العُذْرَة : الشَّعَر على النَّاصية.

الغُرَّة : بياض في ناصية الفرس.

الحُجُول : جمع (حِجْل) ، وهو الخلخال، أو القيد. وأراد الشاعر بالحجول هنا: البياض الذي في موضع الخلاخيل، أو في موضع القيد من قوائم الفرس. ومنه قولهم : فَرَسٌ مُحَجَّل.

الجَنْدَل : مكان في مجرى النهر، فيه حجارة تشتد حولها سرعة التيار، أي أنَّ فَرَسَه تجري في هذا المكان الذي يَصْعُبُ السَّيْرُ فيه.

١٠ - النَّشْوَان : السَّكْران في أول أمره. وقوله : كالرّائح النَّشوان : يجوز أن يريد كالذي شَربَ الرَّاحَ، وهو الخَمْرُ، فسكر، أو كالذي عادَ بعد الغروب فَرِحَاً. يقال: راحت الإبل وغيرها، رَوْحَاً : عادت بعد الغروب إلى مراحها، وراح للأمر : فَرِحَ به.

١٢ - أَرْسَاغُه : جمع (رسغ) ، وهو الموضعُ المستدقُّ بين السَّاعدِ والكفِ، والسَّاق والقدم.

١٣ - الأديم : الجِلْد الذي يُغَلِّفُ جسم الإنسان أو الحيوان.

مداوس صيقل: (المداوس) : جمع (مِدْوَس)، وهو المصقلة، و (الصَّيقل)، الذي يشحذ السيوف ويجلو الصدأ عنها.

١٤ - الصهباء : اسم من أسماء الخمر، سُمِّيت بذلك للونها، والأصهب: ما كان فيه حمرةٌ أو شقرة.

البردان : اسم موضع ، ولعلَّه الموضع الذي يبعد عن بغداد بسبعة فراسخ، بالقرب من نواحي (دُجَيل).

قُطْرُبُّل : اسم موضع.

١٥ لَبِسَ القُنُوَّ مُزَعْفَراً ومُعَصْفَراً   يَدْمَى فَرَاحَ كَأَنَّهُ في خَيْعَلِ
١٦ وَتَخالُهُ كُسِي الخُدُودَ نَواعِماً   مَهْمَا تُوَاصِلُهَا بِلَحْظٍ تَخْجَلِ
١٧ وتَرَاهُ يَسْطَعُ في الغُبَارِ لَهِيْبُهُ   لَوْناً وشَذّاً كالحَرِيْقِ المُشْعَلِ
١٨ وَتَظُنُّ رَيْعَانَ الشَّبابِ يَرُوعُهُ   مِنْ جِنَّةٍ أو نَشْوَةٍ أَوْ أَفْكَلِ
١٩ هَزِجُ الصَّهِيْلِ كَأَنَّ في نَغَمَاتِهِ   نَبَرَاتِ مَعْبَدَ في الثَّقِيلِ الأَوَّلِ
٢٠ مَلَكَ العُيُونَ فإِنْ بَدَا أَعْطَيْنَهُ   نَظَرَ المُحِبِّ إلى الحَبِيْبِ المُقْبِلِ

* * *

١٥ - القُنُوّ : شدة الحمرة ، يقال : قَنَا لونُ الشيء قُنُوّاً : احمرَّ، فهو قانٍ.
المُزَعْفَرُ : المصبوغُ بالزعفران ، وهو نبات أصفر.
المُعَصْفَرُ : المصبوغُ بالعُصْفُر، وهو نبات يُسْتَخْرَجُ منه صِبغٌ أحمر يُصْبَغُ به الحرير.
الخيعل : قميص بلا كُمَّيْن.
١٧ - شَذّاً : الشَّذُّ : ارتفاع النار. يقال : شذَّ النهارُ : ارتفع، وشذَّت النار : ارتفعت.
١٨ - الأَفكل : الارتعاد من خوف أو برد ، يقال : أخذه أَفْكَلٌ : ارتعد من برد أو خوف.
١٩ - مَعْبَدَ : هو اسم موسيقار مشهور.
الثقيل الأول : ثلاث نقرات متتالية ثقال في الايقاعات الموسيقية العربية.

ثالثا : الشرح والتعليق :

احتلَّ الوصفُ مكاناً متميزاً بين أغراض الشِّعْرِ العربيّ لارتباطه الوثيق بالحياة على اختلاف أشكالها سِلْمَاً أو حَرْبَاً، ومازال الشعراء منذ العصر الجاهلي يصفون ماتقع عليه أعينهم من طبيعة جامدة أو متحركة، ويجعل الدارسون من هذه الأوصاف مِعْيَارًا للتقدم والتميّز، وللشعراء في وصف الفَرَسِ قَصَائِدُ كثيرةٌ معروفةٌ لعلَّ من أشهرها أَبْيَاتَ امرىءِ القَيْسِ الذائعةَ المُتَداوَلَةَ، وكان البحتريُّ على عِلْمٍ بهذه الحقيقة وهو يطرق باب وصف الفَرَسِ. ولكنّ مكانته الشعرية وتجويده في الوصف قد طوّعا هذا الموضوع بين يديه، واستطاع أنْ يقدّم لنا تلك اللوحة الرائعة عن هذا الصديق الذي طالما أولع به الشعراء، وأوسعوه مدحاً وتقريظاً.

يُلاحظ المتمعِّنُ في قصيدة البحتريّ أنَّهُ عَمَدَ إلى الإكثارِ من التَّشبيهات في أبياتها. فهو يُشَبِّهُ الفَرَسَ بأشياء كثيرة مختلفة وكأنَّه يرمي بهذا إلى استحضار صورته في الذهن، تلك الصورة المُفصَّلة التي رسمها له، ومن جهة أخرى نلاحظ ذلك الاستقصاء في وصف أجزاء جسم الفَرَسِ فهو يَصِفُ مظهرَهُ العامَّ وأضلاعَهُ وأُذُنَيْهِ، وذَنَبَهُ، وساقَيْهِ، ووَجْهَهُ، ولَوْنَهُ، ولا ينَسى أنْ يتعرَّضَ لنسبه وصهيله فيقف عندهما مُسْتَكْمِلاً رَسْمَ اللَّوْحَةِ في جميع تفصيلاتها.

نراه يبدأ في البيت الأول بالتسوية بين هذا الفَرَسِ وممدوحه. فكلاهما أغرُّ مُحَجَّلٌ، ممدوحه سَيِّدٌ شريف مشهور، وعلى جبهة فرسه وساقيْه بياضٌ، وهي إشارةٌ واضحةٌ تُبَيِّنُ مدى اعتزازه به واحتلاله مكانةً عاليةً في نفسه. وتَسْتَمِرُّ الأوصاف بعد هذا فهو مثل الهيكل شِدَّةً وقُوَّةً، ولكنَّه أصبحَ صُورةً في هذا الهَيْكَل جمالاً وحُسْنَ تَنَاسُقٍ. ويشير بعد هذا إلى كَرَمِ نَسَبِهِ عماً وخالاً، فهو ينتمي إلى تلك الخُيول التي كانت عند عظماء الفُرْسِ ومُلُوكِ اليَمَنِ، وهي خيولٌ أصيلةٌ معروفةٌ. وهذا ليس بغريب فهو مِثْلُ العُقَاب التي تنزل طالبةً الصَّيْدَ ومثلُ الصَّقرِ

الجَارِحِ قوةً وتَمكّنًا، أمّا أُذُنَاه فهما دقيقتَا الحِسّ تلتقطانِ أَدْنَى الأصواتِ مثل ورق الشجر الذي يُحَرِّكُه الهواء الخفيف. وهذا الذَّنَبُ الذي يسحبه طويل يختال فيه مثلمـا تختال الحَسْنَاء في رِدَائِها، ويراه الناظر جَذْلَانَ سعيداً مثلَ النَّشْوان يُسْرِعُ في مِشْيَتِهِ فَرِحَاً بالشَّعَرِ الأبيض على كاهله، حوافره قويّة، وسيقانه مُحْكَمَةٌ، ولونُه صافٍ جذَّابٌ مثلُ ذلك السَّيف الذي عالجه واعتنى بصَقْلِهِ شحَّاذُ سُيوفٍ خبير، فجـاء مجُلوًّاً صافِيَاً، ويُعَمِّقُ الشَّـاعـرُ فِكْرَةَ اللَّوْنِ هذه فكأنّه يُشَبِّهُ تلك الصَّهْبَاءَ المُعَتَّقَةَ من « بَرَدَان » أو «قُطْرُبُّل » وكأن تلك الألوانَ الصفراءَ والحمراءَ التي كَسَتْ جَسَدَهُ قد أصبحت عليه مثلَ القميصِ يلبسه، وفي هذا تجسيمٌ له وإظهارُهُ بصورةِ الإنسان، ولم يقف عند هذا الحدّ من إضفاءِ الإنسانيةِ عليه بل تجاوز ذلك حَتَّى جَعَلَ من خدودِه ناعماتٍ تخجلُ وتَحْمَرُّ إذا أُمْعِنَ النَّظَرَ فيها مثل الفتاةِ الخَجْلَى والحسناءِ المستترة، ولكنه مع هذا كُلّه قَويٌ مثلُ اللَّهَبِ يخترقُ الغُبَـارَ ومِثْـلُ النَّـارِ المـرتفعـةِ سُرْعةً وتَمَاسُكاً، فكأنَّ الشاعرَ أراد أنْ يَجْمَعَ له الأوصافَ المتناقضةَ من لِيْنٍ وقُوَّة، وخَجَلٍ واندفاع وما إليها، ولم ينسَ في غَمْرةِ هذه الأوصـاف أنْ يُشِيْدَ بصهيلِه العَـذْبِ الـذي يُشْبِـهُ أَلْحَـانَ « مَعْبَـد » ذلك الموسيقارُ المعروفُ ذو الألحانِ الشجيّة. ويختمُ كلامَه عن هذا الفَرَسِ بأنّه قد مَلَكَ العُيُونَ فلم تعد ترى فيه نَقْصَاً أو عَيْبَاً، وهذه العيونُ ترمقُهُ وتنظرُ إليه مثلَما ينظرُ المُحِبُّ إلىَ حبيبه شوقًا وانتظارَ لِقَاء.

رابعا : عَـروضُ النَّـص :

لو قَرَأْتَ البيتَ الأولَ من نصّ البحتري في وصف الفَرَسِ في دِقَّة وَرويَّةٍ، عندما يقول:

وأغَرَّ في الزَّمَنِ البَهِيْمِ مُحَجَّلٍ	قَدْ رُحْتُ منه عَلَى أغرَّ مُحَجَّلِ

لوجدته ينتمي مع بقيةِ أبياتِ النَّصِّ إلى «البحر الكامل» الذي تفعيلاته :

مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ	مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ

وإذا رغبتَ في تقطيعِ البيتِ المذكور إلى تفعيلاته العروضية، وجدته على النحو الآتي :

وأغَرَّ في الز	زمن البهيـ	م محجَّل
///٥//٥	///٥//٥	///٥//٥
مُتَفَاعِلُنْ	مُتَفَاعِلُنْ	مُتَفَاعِلُنْ

قد رحت منـ	ـه على أغرْ	رَ مُحَجَّلِ
/٥/٥//٥	///٥//٥	///٥//٥
مُتْفَاعِلُنْ	مُتَفَاعِلُنْ	مُتَفَاعِلُنْ

وهكذا بقية أبيات قصيدة البحتري.

خامساً : الأسلوب والصُّور:

١ - الصورة : -

الصـورة التي يرسمهـا البحتـري للفَـرَس صورةٌ مثـاليةٌ. تتناسب فيها كُلُّ الأوصافِ والألوانِ واللَّقطاتِ، لِيُجَسِّمَ في النِّهاية صورةَ الفَرَس في حالَتَيْ الثَّبات والحركة، على حَدٍّ سواء.

ويبدو الشّاعر وقد تأمَّل الفَرَسَ تأمُّلاً عميقاً في هاتَيْنِ الحالتَيْنِ، فراح يَرْسُمُ بريشة فَنَّانٍ بارع حاذق تلك اللُّوحَةَ الفَنِّيَّةَ الرائِعَةَ، التي تنبض بالحيوية والعذوبة والجمال.

انطباعات الشاعر عن حالتَيْ الثَّبات والحركة في الفَرَس ، جاءت لتنعكس فيها صِفَتَا النَّفع والجمال في آنٍ واحد. ويرجّح أنَّ الشَّاعر قد أَسَرَهُ الجمال أكثر، فراح يتغنى به، ويسكبه إلينا مشاهد حية معبرة، تتناسب فيها الخطوط والألوان والأصباغ، بأسلوب رقيق سَيّال.

عنـاصر الصُّورة تَجيء لتتأرجح بين شَكْلِ الفَرَسِ وهو واقف، ومنظره وهو يعـدو، وفي الحالتَيْن تكون عدسةُ الشَّاعرِ في حالِ عملٍ ، تلتقط المنظر هنا وهنـاك، ولكننـا مع هذا ترانـا نشعر بأنَّ تجهيزاتٍ من نوع ما، قد حدثتْ في المنـاظر المُصَوَّرة، فراحتْ تُرَتِّبُها حَسْبَمَا تراءَى للشّاعر، وإنْ كان ثَمَّةَ تَدَاخُلُ أحيانًـا فهو الشَّاهدُ الوحيدُ على أنَّ استعارة الشاعر للفَرَس في حالتي السُّكون والحَرَكَة قد جاءت استعارةً صادقة، سَجَّلت الواقعَ دون تزييف أو تصنُّع.

كما نعلم ، كان الفَرسُ «هَدِيَّةَ» الممدوحِ إلى الشاعر، فليس بِدْعَاً أنْ تكون هذه الهديةُ موضعَ تأملِ الشاعرِ وتمنعه، تماماً كما يحدث لواحدٍ منا حين يُهْدَي شيئاً ثميناً. فإِنَّهُ يظلُّ يقلِّبُهُ على كلِّ وجه، ويتفرَّسُ فيه، وكأنه يرى «جنسَهُ» لأولِ

مرة. وهكذا كان البحتري حين تفرَّس في الهديةِ المُهْدَاةِ إليه، ظَلَّ يتأملها ويُمْعنُ النَّظر فيها، وكأنه يرى حقيقةَ الفَرَس لأول مرة في حياته، فكانت هذه الانطباعات.

الفَـرَسُ - وهـو في حالـة السكون - يعجبك منه تداخلُ البياضِ في غُرَّتِهِ وسـاقَيْه مع لونه الأصلي المغاير للبياض. وفي هذا تناسقٌ جماليٌّ في اللَّوْن، يصل به إلى أنْ يجعلَ منه مثالاً للجمالِ، فهو كصورةِ نقشٍ على جدرانِ قصرٍ منيف. وجمالُ الصورةِ لا يُنْسِي قُوَّةَ الفَرَسِ، فالجسمُ متينٌ مشدودٌ، شأنُ كلِّ الخيولِ العتيقة، والمنحدرة مِن سُلَالاتٍ أصيلة.

٢ - هنا يَفْجَؤنا الشَّاعر بتوليد الحركة مع السكون، فهذا الأغرّ المتين سرعان ما تراه عظيم الأداء في عَدْوِه السَّريع.

إضـافـة الحركة إلي الصُّورة الساكنة بهذا الشكل، إنما هو نوع من الترقّي يجعلنـا نحكم ببراعة الشاعر في الصعود بالصورة وتطويرها وتنميتها على نحو فريد. وسرعان ما يرتّدّ الشّاعر إلي الجانب المقابل من جديد: « السُّكون في مقابل الحركة » وهنا يستأنف رحلته إلى وصف الأعضاء: الأُذُنَيْن، الذَّيْل. وعَوْدٌ إلي الجَرْي مَرَّة أخرى ولكنَّهُ على نحو مخصوص (أكثر مشيه عرضاً) وتداخلٌ جديدٌ مع المُقْلَةِ ولونِ الجلد، ثم قفزة للمرة الثالثة إلى عَدْوِ الفرس.

وتَرَاهُ يَسْطَعُ في الغُبَارِ لَهيبُهُ

يفعل ذلك بهمةٍ ونشاطٍ وَوَفْرَةِ شباب.

الشَّاعر في كُلِّ ما مَضَى من عناصر الصُّورة، قد رَكَّز على حاسَّة البصر التي تستقطب كُلَّ ما عرضه علينا من معطيات.

وإنه لم ينس توظيف حاسة أخرى، هي حاسة السَّمع، إذْ عَرَضَ لصهيل الفَرَسِ الذي يذكرنا بأنغام أشهر العازفين والموسيقيين، ولكنه مع هذا قد ختم أبياته عن الفَرَس بما يتراءى للبصر دائماً، إذْ جَعَلَ هذا الفرس كالحبيب الذي تملأ العين طلعته بهجة وأُنْساً على الدَّوَام.

لا جدالَ في أَنَّ وَصْفَ الفَـرَس حالَ عَدْوِهِ، يخلع على الصُـورة حركـةً وتحـريكاً في آن واحد، ومع هذا فإِنَّ الشاعر قد وُفِّقَ أيضاً، إذْ حرَّكَ أوصافَ الفَرَس وهو ساكن ، وذلك أنَّه لم ينقل لنا صورَ الأعضاءِ بطريقةٍ « فوتوغرافيةٍ » مباشرةٍ تقريرية، ولكنه خلع عليها الحركة كذلك. فالأذنانِ في حالة تسمُّعٍ ، والـذيلُ ضاربٌ متحـركٌ، حتى لونُ الجلدِ جاء متمـوجاً ليسايرَ الوصفَ الحيَّ الحركيَّ كذلك.

ومن خلال ما تقدّم ، نستطيعُ الدخولَ جزئياً إلى عالمِ القصيدةِ فنضع اليدَ على شيءٍ من التشبيهاتِ والاستعاراتِ التي حَفَلَتْ بها، فتطالعنا صورةُ التَّشبيهِ في البيتِ الثّاني حين جعل من هذا الفَرَسِ هَيْكَلاً متيناً ليشيرَ إلى متانتهِ وقوتهِ، وهل هناك أقوى من الهيكلِ وأمتنُ منه؟، ونلاحظ التَّشبيهَ مرةً أخرى في البيتِ الخـامسِ حين شَبَّـهُ انقضاضَ الفَرَسِ وشدَّةَ سرعته بالعُقَابِ وهو يَهْوي حتى يحسبهُ الناظرُ ساقِطَاً لشدةِ سرعتهِ. وأضاف البحتريُّ إلى هذه الصورةِ بُعْدَاً جديداً حين جعل لانقضاضِ العُقَابِ سبباً وهو الصَّيْدُ، فهذا أدعى لسرعةِ نزولها وشدّةِ هذا النزْول، فكُلٌ من الفَرَسِ والعُقَابِ سريعٌ مُهَاجِمٌ لايَأْبَهُ بما يَنْتَظِرُهُ. ونقفُ أخيراً عند الصورةِ الرائعةِ في البيتِ الثاني عَشَرَ، فهو يجعل الجَوْزَاءَ في أُرْسَاغِهِ والبَدْرَ في وَجْهِهِ، لقد استكملَ هذا الفَرَسُ المَحَاسِنَ كُلَّهَا، قوّةً وارتفاعاً وجمالاً وإشراقاً، ولم يَعُدْ هناك زيادةٌ لمُسْتَزِيد، فهي صورةٌ مُعَبِّرةٌ، ولوحةٌ ناطقة.

سادسا: التدريبات:

(١)

- أجب عمَّا يأتي:

١ - حُسْنَ الخُروجِ هو انتقالُ الشاعرِ من غرضٍ إلى غرضٍ في نفسِ القصيدة.

وَضِّح هذا في البيتِ الأول، مشيراً إلى نجاحِ الشاعرِ أو إخفاقِه في هذا.

٢ - استخرج نموذجاً لتشبيهٍ، وآخرَ لاستعارةٍ، وثالثا لردِّ العَجُزِ على الصَّدْرِ، مُوَضِّحاً أَثَرَ كُلٍّ منها في المعنى والسياق.

٣ - بيِّن مواضعَ التكرارِ في القصيدة، ومدى ملاءمةِ ذلك لتحقيقِ الموسيقى الداخلية فيها.

٤ - في البيت:

تُتَوَهَّمُ الجوزاءُ في أرساغِه ... والبدرُ غُرَّةُ وجهِهِ المتهلِّلِ

قَلَبَ الشاعرُ التَّشبيهَ. وَضِّحْ هذا مع بيان التسميةِ الاصطلاحية لهذه الظاهرة.

٦ - اكتب مقالةً موجزةً تشرح فيها أبعادَ الصورةِ الفنيةِ في وصف البحتري للفرس.

٧ - قال امرؤ القيس:

غَدَائِرُهُ مُسْتَشْزِرَاتٌ إِلَىٰ العُلَا ... تَضِلُّ العِقَاصُ في مُثَنًّى ومُرْسَلِ

لم يستحسن النقادُ كلمة « مُسْتَشْزِرَات » هنا. هل توافق؟ ولماذا؟

٨ - استغلَّ البحتريُّ حاسَتَيْ البصرِ والسمعِ. وهو يعرضُ لوصفِ فرسه.

استخرج من القصيدة ما يدلُّ على كلٍّ منهما.

٩ - قال امرؤ القيس في وصف الفَرَس:

مِكَـرٍّ مِفَـرٍّ مُقْبِـلٍ مُدْبِـرٍ مَعَـاً ... كجُلْمُود صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ

كُمَيْتٍ يَزِلُّ اللِّبْدُ عن حالِ مَتْنِهِ ... كمـا زَلَّـت الصَّفْـواءُ بالمُتَنَـزِّلِ

على الذَّيْلِ جَيَّاشٌ كأنَّ اهْتِزَامَهُ ... إذَا جَـاشَ فيـه حَمْيُـهُ غَلْـيُ مِرْجَـلِ

مِسَحٍّ إذا ما السَّابِحاتُ على الْوَنَىٰ ... أَثَـرْنَ غبـاراً بالكَـدِيْـدِ المُرَكَّـلِ

لَـهُ أَيْطَـلاَ ظَبْـيٍ وسَاقَـا نَعامَـةٍ ... وإرْخَـاءُ سَرْحَـانٍ وتَقْرِيْـبُ تَتْفُـلِ

اكتب مقالـة تشـرح فيهـا الجـوانب المشتـركة بين كُلٍّ من امرىء القيس والبحتري في وصف كل منهما للفرس. أشر أيضاً إلي جوانب الاختلاف. ثم اذكر أيَّ الوصفين أجمل في نظرك، مُعَلِّلاً لما تقول.

(٣)

قال الشاعر:

وأغـرَّ فـي الزمـن البهيـم محجّـل ... قـد رحـتُ منـه علـى أغرَّ مُحَجَّلِ

كالهيكـــل المبنـــيّ إلا أنَّـــهُ ... يـوم اللقـاءِ على مُعَـمّ مُخْـوَلِ

أ - قولـه: (وأغرّ) أصله: (ورُبَّ أغرَّ)، حُذِفَتْ (رُبَّ) وبقيت واوها. قالوا وهي واو (ربّ)، و (أغرّ) اسم مجرور بـ (ربّ) المحذوفة وعلامة جرّه الفتحة بدلا من الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للوصفية ووزن (أفعل).

ب - قوله (محجّل): صفة لـ (أغرّ) مجرور، وعلامة جرّه الكسرة الظاهرة.

* تذكـر أن الصفـة تتبـع المـوصوف في الإعراب، فإذا كان الموصوف مجروراً كانت الصفة مجرورة.

جـ - استخرج المجرورَ بالحرفِ والمجرورَ بالإضافةِ من البيتيْن السابقيْن، وأعربه.

د - استخرِج المجرورَ بالتبعيّةِ من البيتْين السابقيْن، وبيِّن علامة جرِّه .
هـ - أعرب البيت الأول إعراباً مفصلا .

* * *

(٤)

قال الشاعر:

أخوالـــه للرستمـــين بفـــارس   وجـــدوده للتبعـــين بموكـــل
متوجّـــس برقيقتـــين كأنمـــا   تريـــان مـــن رق عليـــه مُوَصَّـــل

أ - استخرج من البيتين المجرور بعلامة جرّ غير الكسرة، وأعربه.
ب - اضبط البيتين بالشكل ضبطاً كاملاً.
جـ - أعـرب ما تحتـه خـط.

* * *

(٥)

قال الشاعر:

مـا إن يعـاف قـذىً ولـو أوردتـه   يومـاً خلائـق حَمْدَويْـهِ الأَحْـوَلِ

أ - استخرج اسماً من البيت السابق، وبين علامة بنائه واذكر محلّه من الإعراب.
ء - استخرج منه اسمًا مجرورًا بالتبعِيَّة، واذكر علامة جرّه.
جـ - أعـرب ما تحتـه خـط.

* * *

(٦)

أ - اقـرأ القصيدةَ قراءةً جيّدةً، واستخـرج منها كلَّ فعلٍ مجزوم، واذكر أداةَ الجزمِ ، وعلامَته.

(٧)

١ - أرجع كُلًّا من الأفعالِ المضارعةِ التاليةِ إلى ماضيها، ثم هاتِ منها الأمرَ، واسمَ الفاعلِ واسمَ المفعولِ ، واذكر ما حدث لكلٍّ منها من تغيير.
يَهْـوِي - يَعَـافُ - تسيـلُ - تَـرَى.

٢ - استخـرج الأفعـالَ المـزيدةَ الواردةَ في القصيدة، وزِنْهَا، ثم اذكر أحرفَ الزيادة فيها.

* * *

الوحدة الحادية عشرة

من القصائد الحجازيات للشَّريف الرَّضِيّ

أولا : صاحب النص:

هو محمد بن الحسين بن موسى بن محمد، ينتهي نَسَبُهُ إلى الإمام عليّ بن أبي طالب كرَّم الله وَجْهَهُ. كُنْيَتُهُ أبو الحسن.

وهو عالم وأديب وشاعر. وقد وُلِدَ في بغداد، سنة ٣٥٩ وتولَّىٰ نقابة الطالبيين فيها، وتُوفِّي بها. كانت مُهَمَّتُهُ في نقابة الطالبيين: النَّظَرَ في المظالم والحكم بين العامة ومن يتعدى عليهم من الأمراء وذوي الجاه، كما كان له أيضاً الإشراف على الحج.

(كحالة: معجم المؤلفين جـ ٩ ص ٢٦١).

وكان شاعراً بارعاً، في شعرِه سلاسةٌ ومتانة، وسهولةٌ ورصانة، غلبَ على شعرِه: الحماسةُ والفخر، ولكنَّهُ بَرعَ في الرِّثاءِ والغزلِ العفيف. تغلبُ على شعرِهِ نَفْحَةٌ دينية. وقد جَمَعَ خُطَبَ الإمام عليّ في كتابٍ أسماه « نهج البلاغة ». (عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي جـ ٣).

من خيرة مؤلفاته: تلخيص البيان في مجازات القرآن، والمجازات النبوية.

تُوفِّي سنة ٤٠٦هـ. وله ديوان كبير أخرج الجزء الأول منه الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد، ثم قام على تحقيقه بعد هذا الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو وأصدر منه الجزء الأول فحسب.

ثانياً: النص:

١ - ياظَبْيَةَ البَانِ تَرْعَى في خَمَائِلِهِ،	لِيَهْنَكِ اليَوْمَ أنَّ القَلْبَ مَرْعَاكِ
٢ - المَاءُ عِنْدَكِ مَبْذُولٌ لِشَارِبِهِ	ولَيْسَ يَرْوِيكِ إلا مَدْمَعِي البَاكِي
٣ - هَبَّتْ لَنَا مِنْ رِيَاحِ الغَوْرِ رائِحَةٌ	بَعْدَ الرُّقَادِ عَرَفْنَاهَا بِرَيَّاكِ
٤ - ثُمَّ انْثَنَيْنَا، إذا ما هَزَّنا طَرَبٌ	عَلَى الرِّحَالِ، تَعَلَّلْنَا بِذِكْرَاكِ
٥ - سَهْمٌ أَصَابَ وَرَامِيهِ بِذِي سَلَمٍ	مَنْ بالعِرَاقِ، لَقَدْ أَبْعَدْتِ مَرْمَاكِ
٦ - وَعْدُ لِعَيْنَيْكِ عِنْدِي مَا وَفَيْتِ بِهِ	يا قُرْبَ مَا كَذَبَتْ عَيْنَيَّ عَيْنَاكِ
٧ - حَكَتْ لِحَاظُكِ مَا في الرِّيمِ مِنْ مُلَحٍ	يَوْمَ اللِّقَاءِ فكَانَ الفَضْلُ لِلحَاكِي
٨ - كأَنَ طَرْفَكِ يَوْمَ الجزْعِ يُخْبِرُنَا	بِمَا طَوَى عَنْكِ مِنْ أَسْمَاءِ قَتْلاَكِ
٩ - أَنْتِ النَّعِيْمُ لِقَلْبِي والعَذَابُ لَهُ	فَمَا أَمَرَّكِ في قَلْبِي وأَحْلاَكِ
١٠ - عِنْدِي رَسَائِلُ شَوْقٍ لَسْتُ أَذْكُرُهَا	لَوْلاَ الرَّقِيْبُ لَقَدْ بَلَّغْتُهَا فَاكِ
١١ - سَقَى مِنَيً ولَيَالِي الخَيْفِ ما شَرِبَتْ	مِنَ الغَمَامِ وحَيَّاهَا وحَيَّاكِ
١٢ - إذْ يَلْتَقِي كُلُّ ذي دَيْنٍ ومَا طِلَهُ،	مِنَّا، ويَجْتَمِعُ المَشْكُوُّ والشَّاكِي
١٣ - لَمَّا غَدَا السِّرْبُ يَعْطُو بَيْنَ أَرْحُلِنَا،	مَا كَانَ فِيْهِ غَرِيْمُ القَلْبِ إلاَّكِ
١٤ - هَامَتْ بِكِ العَيْنُ لَمْ تَتْبَعْ سِواكِ هوىً،	مَنْ عَلَّم البَيْنَ أَنَّ القَلْبَ يَهْوَاكِ
١٥ - حَتَّى دَنَا السِّرْبُ، مَا أَحْيَيْتِ مِنْ كَمَدٍ	قَتْلى هَوَاكِ، ولاَ فَادَيْت أَسْرَاكِ
١٦ - يا حَبَّذَا نَفْحَةٌ مَرَّتْ بِفِيْكِ لَنَا،	وَنُطْفَةٌ غُمِسَتْ فيهَا ثَنَايَاكِ
١٧ - وحَبَّذَا وَقْفَةٌ، وَالرَّكْبُ مُغْتَفِلٌ	عَلَى ثَرَيً وَخَدَتْ فيهِ مَطَايَاكِ
١٨ - لَوْ كَانَتِ اللِّمَّةُ السَّوْدَاءُ مِنْ عُدَدِي	يَوْمَ الغَمِيْمِ، لَمَا أَفْلَتِّ أَشْرَاكِي

* * *

١ - البَانُ: شَجَرٌ سَبْطُ القوام، لَيِّنٌ، تُشَبَّهُ به الحِسانُ في الطُّول واللِّين.

ليهْنَك: أصله: لِيَهْنَئْك -بحذف الهمزة، من: هَنَأَهُ بالأمر والولاية، هَنْأً، أو هَنَّأَهُ تَهْنِئَةً، أي سَرَّهُ. يقال: لِيَهْنَئْك الولدُ: لِيَهْنَك، فهذه لغةُ العَامَّةِ من النّاس، ولجأ إليها الشاعر لضرورة الوزن.

٣ - الرَّيّا: الرِّيحُ الطَّيبة.

٤ - تَعَلَّلْنَا: يقال تَعَلَّلَ فلانٌ بالذِّكْرى، أو بالأمر: تَلَهَّى به واكْتَفَي.

٧ - لحاظك: الِّلحَاظُ: مُؤْخَرُ العَيْنِ مِمَّا يلي الصِّدغ.

الرِّيم: الظَّبْي الخالص البَيَاض، وتُشَبَّهُ به النِّساء.

١١ - الخَيْفُ: ما انحدر عن غِلظِ الجبل وارتفعَ عن مَسِيل الماء. ومنه خَيْفُ منى.

١٢ - ما طِلَهُ: يقال: مَطَلَ فلانٌ دَيْنَ فُلانٍ: أَجَّلَ موعد الوَفَاءِ به مرَّةً بعد الأخرى، ومَاطَلَهُ بدَيْنِهِ، مِطَالاً ومُمَاطَلَةً: بمعنى مَطَلَه.

١٣ - أرْحُلنا: جمع (رَحْلٍ)، والرَّحْلُ: الموضع الذي يقيم به الإنسان، من مسكن ونحوه، والرَّحْلُ: كُلُّ شيء يُعَدُّ للرَّحيل، وكذلك ما يَسْتَصْحِبُهُ الإنسان معه من الأثاث.

الغَريم: المَدِين، وصاحِبُ الدَّيْنِ أيضاً، وهو الخَصْمُ، مأخوذٌ من ذلك، لأنه يصير بإلحاحه على خصمه ملازماً.

١٤ - البَيْن: الفراق والهجر.

١٥ - كَمَدٍ: يقال: كَمِدَ الرّجل كَمَداً: كَتَمَ حُزْنَهُ، أو حزن حزناً شديدًا، والكَمَدُ: الحزن الشديد.

فَادَيْتِ: يقال: فَادَاهُ مُفَادَاةً، وفِدَاءً: دَفَعَ فِدْيَتَهُ. وفاديتُ الأسيرَ: حَرَّرتُه مقابل دفع فِدْيته، أو تحرير مثله من الأسرى.

١٦ - النُّطْفَةُ: الماءُ الصافي، يقال: سقاني نُطْفَةً عذبة.

١٧ - وخَدَتْ: يقال: وَخَدَ البعيرُ يَخِدُ وَخْداً: أَسْرَعَ ووسَّعَ الخَطْوَ.

١٨ - اللِّمّة: شَعرُ الرَّأْسِ المُجَاوِزُ شَحْمَةَ الأُذنِ.

ثالثـا : الشرح والتعليق :

يَضُمُّ ديوان الشَّريف الَّرضِيِّ مجموعة من القصائد والمقطعات اُصْطُلِحَ على تسميتهـا بالحجـازيات وهي تلك التي يتشـوَّقُ فيها الشَّاعر إلى الحجاز ومدنه ومرابعه وطبيعته، وكأنَّهُ من خِلَالِ تلك القصائد يستعيدُ ذكريات زياراته المتعدِّدة للحجاز مع أبيه تارةً، ومُنْفَرِدًا تارةً أخرى. وقد صبَّ الشاعر هذا كُلَّهُ في غَزَلٍ عفيف رقيق يقترب من الفخامة العربيَّة الأصيلة ويَنْأى عن الفُحْشِ والابتذال، وقد شاعتْ حِجَازِيَّاتُ الرَّضِيِّ شُيُوعًا واسعًا ونَسَجَ الشُّعراء من بعده على منوالها وأصبحت مَعْلَمَـاً من معـالم الشِّعْـرِ العَبَّاسي إلى جانب خَمْرِيَّات أبي نؤاس، وزهديات أبي العتاهية وغيرها.

والقصيدة السابقة واحدة من تلك الحجازيات التي أَشْبَعَها الرَّضِيُّ شَوْقَاً وحنيناً إلى الحجـاز وسَـاكِنيه، فهو مُنْذُ البيت الأول يذكرُ البَانَ؛ وهو شَجَرٌ من نبات الحجاز وتلك الظبية التي عافَتِ الرَّعْيَ فيه، وظَلَّتْ تَرْعَى في فؤاده وتَشُبُّ النَّار فيه، وهي قاسية لاتروي من الماء إلاَّ تلك المدامع التي يذرفها، تاركةً الماءَ الكثيرَ المبـذولَ لهـا، إمْعَانَاً في تعذيبه، واستمرارًا على إيذائِهِ، ولا يَفْتَأُ يذكُرُ الحجازَ من خلال مواضعه، فالغَوْرُ وذو سَلَم والجِزْعُ وغيرها من أماكن الحجاز، يتذكَّرها الشَّاعِرُ، ويتذكر ما فَعَلَتْهُ به من حرقة الوَجْدِ والعذاب المُسْتَدِيم، ونلاحظ البيت الخامس من خلال هذا السَّهْمِ الذي أُطْلِقَ من الحجاز فأصابَ قَلْبَ مَنْ بالعراق دلالة على التَّأثير من جهة والتَّواصل المستمرّ بينه وبين أهل الحجاز من جهـة أخـرى. ويقف عند هذه التي أَضْنَتْهُ وعَذَّبَتْهُ فهي مثل الظَّبية والرِّيْم رقَةً وشُـروداً، إنَّ أوصـافَهُ تَقْطُرُ بالعَفَافِ والنُّبْلِ، وتَكْشِفُ عن نفسه الغَالِيَة وهِمَّتِهِ الأبيَّة. ويعود مَرَّةً أُخرى ليصف موقفًا كان بينه وبين تلك الظَّبْيَةِ فهي تمطله الدَّيْن دومًا. لاتفي بوعودها، تقتل مَنْ يَقْتَرِبُ منها، ولا تفكُّ مَنْ يقع أسيرًا عندها. قوَّةٌ

وسيطرةٌ لايَجِدُ الشَّاعر إزاءَهَا إلَّا الاستسلامَ والقبول، ومع هذا كُلِّه فهو يتمنَّى لو عادتْ تلك المواقف، ورجعتْ تلك النَّفَحَاتُ العَبِقَةُ وذلك الشوق المتّصل، هو شوق من يَحِنُّ بعَفَافٍ، ويتذَكَّرُ بحُزْنٍ.

لقد عبَّرت القصيدة السَّابقة عن عواطف شاعرٍ تِجَاهَ مَنْ أَحَبَّ من بلادٍ وأَهْلِها، إنَّهُ الوفاءُ لتلك المعاني والثَّبَاتُ على الشَّوْقِ رغم بُعْدِ الشُّقَّةِ وطُولِ المَسَافَةِ. ولم يَكُنْ غَيْرُ الشَّريفِ الرَّضِيّ بقادرٍ على تصوير هذا كُلِّه، بأسلوبه الرَّقيق المتين ومنجم ذكرياته الذي لايَنْفَدُ أو يَنْضُبُ.

رابعاً : عَرُوض النَّص :

اقرأ البيت الأول في رَوِيَّةٍ وأَنَاةٍ :

يا ظَبْيَةَ البَانِ تَرْعَى في خَمَائِلِهِ   لِيَهْنَكِ اليَوْمَ أَنَّ القَلْبَ مَرْعَاكِ

ثم حاول التعرف إلى وَزْنِهِ الذي ينتمي إليه، تَجِدْهُ وَزْنَ :

« البحر البسيط »

وتفعيلاته عند العَروضيين :

مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَعِلُنْ   مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَعِلُنْ

وعند تقسيم هذا البيت، أو أي بيت آخر بعده من أبيات النص، تجده ينقسم إلى التفعيلات الآتية :

يا ظبية الـ	بان تـر	عى في خما	ئله
/ه/ه//ه	/ه//ه	/ه/ه//ه	///ه
مستفعلن	فاعلن	مستفعلن	فَعِلُنْ

ليهنك الـ	يوم أن	ن القلب مر	عــاك
//ه//ه	/ه//ه	/ه/ه//ه	/ه/ه
مُتَفْعِلُنْ	فاعلن	مستفعلن	فاعِلْ = فَعْلُنْ

خامسا : الأسلوب والصور :

تنساب قصيدةُ الرَّضيّ السَّابقةُ بأسلوبٍ رقيقٍ معبِّرٍ من جِهَةٍ، جَزْلٍ فَصِيْحٍ من جهة أخرى. ولعلَّ هذا يأتي مُنْسَجِمَاً مع غاية الشَّاعر ومقاصده في تصوير ذكرياتِهِ العَبِقَة وشوقِهِ المتجدّدِ للأرضِ المقدَّسةِ وأهلِها. وقد حَفَلَتِ القَصيدةُ بالكثيرِ من الصّور المُوْحِيَةِ التي دلَتْ على عَبْقَرِيَّتِهِ، تلك التي جعلها الدكتور زكي مبارك عنواناً لكتابه عن الرَّضِيّ. فتستوقفُنا هنا الصورةُ في البيتِ الأول حين جَعَلَ من المَرْأَةِ ظبياً لها مااللظَّبْي من الرِّقَّةِ والجَمَالِ. ولم يَكْتَفِ بهذا بَلْ أَوْغَلَ في الوَصْفِ فَنَرى هذه الظَّبيةَ : المَرْأَةَ ترعَى في قلبهِ؛ لقد أصبحتِ المَرْأَةُ والظَّبْيَةُ شيئاً واحدًا وفي هذا تصوير دقيقٌ مُعَبِّرٌ. ويَستمرُّ الرَّضِيُّ في وصف تَعَلُّقه بتلك الأرض التي أحبَّها وشَدَّهُ تأثيرُها فيه حين يُصيبه السَّهْمُ الذي ينطلقُ من الحجازِ، وهو مُقِيْمٌ بالعراق. وهي كنايةٌ جميلةٌ عن هذا التواصلِ من جهةٍ والتأثيرِ المستمرّ من جهةٍ أخرى. ونراه يعودُ للرِّيمِ فيقرن لِحَاظَ هذه المرأة بلِحَاظِ هذا الرِّيْم ولكنَّها أَخَذَتْ عن لِحَاظِ الرِّيمِ ما فيه من جمالٍ فحسب وتركتْ ماعداه، فهي تَامَّةُ الجَمَال لاينقُصُها شيء. صورٌ مُتَلاحقةٌ مُتَدفِّقَةٌ تَصُبُّ في مجرى واحدٍ وتُومِىء إلى شيءٍ ثابتٍ لايتغير هو الشَّوقُ الدَّائم للأرضِ وأهلِها والتَّواصل المستمرُّ بينه وبينهم، فلا الفراق ينسيه، ولابُعْدُ الشّقَّة يُسَلِّيه عَمنَّ أَحَبَّ، فهو ثابتٌ مقيمٌ على ذلك الاحترامِ والحب، لايُغَيّره صرفُ الدهر أو يبدّلُه تقدُّمُ العمر.

سادسا : النحو :

أسلوب التعجّب

قال الشَّاعر : « ما أَمَرَّكِ في قلبي وأَحْلاَكِ ! ».

قول الشاعر : « ما أَمَرَّكِ وما أَحْلاَكِ » أسلوب تَعَجُّبٍ .

وللتعجب أسلوبان، يجوز للمتكلم إذا أراد أن يتعجب من شيء أن يستعمل أَيًّاً منهما كما شاء. وأسلوبا التعجب هما :

١ - أسلوب (مَا أَفْعلَهُ) ، وعناصره :

(ما) التعجبية + فعل على وزن (أَفْعَلَ) + مُتَعَجَّبٌ منه منصوبًا.

فإذا أردت أنْ تتعجب من صَبْرِ محمد قُلْتَ :

ما أَصْبَرَ محمدًا ! فإذا كان مُخَاطَباً قُلْتَ : ماأَصْبَرَكَ !

وإذا أردت أنْ تتعجب من شجاعة عليّ قلت :

ما أَشّجَعَ عليّاً ! أو ما أَشْجَعَهُ ! ، أو مَا أَشْجَعَكَ !

و (ما) التعجبية اسم للتعجب ، فهي في محلّ رفع مبتدأ.

و الفعل (أفعل) : فعل ماض جامد ، وفاعله ضمير مستتر وجوباً.

والمتعجب منه يكون منصوبًا على المفعول به، فإنْ كان ضميرًا كان مبنياً في مَحَلٍّ نَصْبٍ.

والجملة من فعل التعجب وفاعله المستتر، والمتعجب منه في موضع رفع خبر المبتدأ.

٢ - أسلوب (أَفْعِلْ بِهِ) وعناصره :

فعل بصيغة الأمر على وزن (أَفْعِلْ) + مُتَعَجَّب منه مجروراً بالباء فإذا أردت أن تتعجب من صَبْرِ محمد، قلتَ :

أَصْبِرْ بمحمدٍ !   أَوْ أَصْبِرْ بِهِ !   أَوْ أَصْبِرْ بِكَ !

وإذا أردت أنْ تتعجب من شجاعة عليّ ، قلتَ :

أَشْجِعْ بعليّ !   أو أَشْجِعْ بِهِ !   أو أَشْجِعْ بِكَ !

وفعل التعجب في هذا الأسلوب ليس فعل أمر حقيقيّ، بل هو في الأصل فعل ماضٍ على وزن (أَفْعِلْ) والاسم بعده فاعل، والأصل في المثال الأول :

أَصْبَرَ مُحَمَّدٌ ، أي صار ذَا صَبْرٍ، وفي المثال الثاني: أَشْجَعَ عليٌّ، أي صار ذَا شَجَاعَةٍ، ولكنْ هذا كلام لايُعْطِي معنى التعجب، فغيَّروا صيغة (أَفْعَلَ) إلى صيغة (أَفْعِلْ) وزادوا باءً على الفاعل، فصار الأسلوب الجديد (أَفْعِلْ به) يُعْطى للسامع معنى التعجب.

فقولك : أَصْبِرْ بمحمدٍ ، يقال فيه : (أَصْبِرْ) فعلٌ جامد، جاء على صورة الأمر ومعناه الخبر. (بمحمد)، الباء : حرف جرّ زائد، و (محمد) فاعل مجرور لفظاً بالباء الزائدة، وهو في محلّ رفع.

* * * * *

وتذكر أنّك إذا أردت التعجب بالأسلوبين السَّابقين فعليك أنْ تَنْتبهَ إلى الفعل الذي تستعمله، فإن كان فعلاً ماضياً ثلاثياً متصرّفاً، غيرَ دالٍ على لَوْنٍ ولا عَيْبٍ، وليس مبنيَّاً للمجهول، ولا منفيَّاً، ولا فِعْلاً ناسخاً، فإنك تستطيع أنْ تتعجب به على الأسلوبين السابقين مباشرةً.

أما إذا كان الفعل غيرَ ثلاثيّ ، أو كان دالّاً على لَوْنٍ أو عَيْبٍ، أو كان مبنياً للمجهول أو كان منفياً، أو كان فعلاً ناسخاً، فإنَّك تستطيع أنْ تتعجَّبَ به على الأسلوبَيْنِ السَّابقَيْنِ ولكنْ بواسطة صِيْغَةٍ تأتي بها من الكثرة أو القلَّة أو الشِّدّة، أو نحو ذلك، والأمثلة التالية توضّح الطريقة :

- الفعل غير الثلاثي : دحرج خالد الكرة. تقول في الأسلوب الأول:

ما أَشَدَّ دَحْرَجَةَ خالدٍ ! وفي الأسلوب الثاني : أَشْدِدْ بِدَحْرَجَةِ خالدٍ !

(ما + فعل على وزن «أَفْعَلَ» من الشِّدَّةِ أو الكثرة . . . . + مصدر مَصُوغ من الفعل منصوباً مضافاً إلى المتعجب منه).

أو (فعل بصيغة الأمر من الشدة أو الكثرة . . . . + مصدر مَصُوغ من الفعل مجروراً بالباء مضافاً إلى المتعجَّب منه).

- الفعل الذي يدل على لون أو عيب : اخضرَّ الزَّرعُ. عَرِجَ زَيْدٌ - تقول :

ما أَكْثَرَ آخْضِرارَ الزَّرعِ ! ما أَقلَّ عَرَجَ زَيْدٍ ! أو تقول :

أَكْثِرْ بآخْضِرَارِ الزَّرعِ ! أَقْلِلْ بعَرَجِ زيدٍ !

- الفعل المبنيّ للمجهول ، والفعل المنفي : ضُرِبَ خالدٌ. لايقومُ خالدٌ.

تقول :

ما أَكْثَرَ ما ضُربَ خالدٌ ! أو تقول : أَكْثِرْ بما ضُربَ خالدٌ !

وتقول : مَا أَكْثَرَ أَنْ لا يَقُومَ خالدٌ ! أو تقول : أَكْثِرْ بأَنْ لا يَقُومَ خالدٌ .

(ما + فعل من الشدة أو الكثرة على وزن « أَفْعَلَ » + مصدر مؤول من « ما » المصدرية والفعل أو من « أن » المصدرية والفعل.).

أو (فعل بصيغة الأمر من الشدة أو الكثرة . . . . + مصدر مؤول على النحو السابق، مجرورًا بالباء).

سابعا : التدريبـــات :

(١)

١ - استخرج من القصيدة الأبيات التي تدلّ على كُلٍ مما يأتي :
- صِدْقُ العاطفةِ - تَذَكُّرُ الشّاعرِ للأرض وأهلها - أَمَلُ الشاعرِ.

٢ - قارن بين قول كثيّر :

تَجـافَيْـتِ عَنّـي ، حِيْـنَ لالِيَ حِيْلَـةٌ
وخَلَّفْـتِ مـا خَلَّفْـتِ بَيْـنَ الجَوَانِـحِ

وقـول الرضـي :

لَمَـا غَـدَا السِّـرْبُ يَعْـطُـو بَيْـنَ أَرْحُلِنَـا
ما كانَ فيه غَرِيْمُ الـقَـلْـبِ إِلاَّكِ

في كل من : الأسلوب. الصورة. حرارة العاطفة.

٣ - استخرج من القصيدة صورتَيْن أعجبتاك واشرحهما وبيّن دلالتهما في القصيدة.

٤ - يقول الشريف :

هَبَّتْ لَنَـا مِنْ رِياحِ الغَـوْرِ رَائِحَةٌ
بَعْـدَ الـرُّقَـادِ عَرَفْـنَـاهَـا بِرَيَّـاكِ

ومن قبل . قال امرؤ القيس :

أَلَــمْ تَــرَ أَنّــى كُلَّمَـا جِئْـتُ طالبـاً
وَجَـدْتُ بهـا طِيْـبَاً ، وإنْ لَـمْ تَطَيَّبِ

اشرح البيتين مع توضيح عناصر الجودة (أو الرادءة) لدى كُلّ من الشَّاعرَيْن.

(٢)

١ - تعجب مما يلي مستخدما أسلوبَي التَّعجب القياسيين :

أ - جمال السماء . ب - لذة الطعام . جـ - عفّة فاطمة .

د - شــرف محمـد . هـ - حلاوة الصداقة .

٢ - تعجب مما يلي مستخدما أسلوبي التعجب :

أ - ازدحم الفصل . ب - انطلق المتسابق . جـ - اسودَّت السماء .

د - فُتِحَ البَابُ . هـ - لم يَجْلِسْ خالدٌ . و - عَوِرَ زيدٌ .

ز - كانَ محمدٌ عالمًا .

(٣)

١ - قال الشاعر :

(ما أَمَرَّكَ في قلبي) .

- أعرب القول السابق إعرابًا مفصَّلاً .

٢ - قال تعالى : ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ ﴾

أعرب ماتحته خط .

(٤)

١ - اقرأ القصيدة قراءة جيدة واستخرج منها مايلي :

أ - الجمل المنسوخة بحروف ناسخة ، وأعربها .

ب - الجمل الاسمية ، وعيّن المبتدأ والخبر في كُلّ منها ، واذكر نوع الخبر .

جـ - الأسماء المجرورة بالحرف، والمجرورة بالإضافة، واذكر علامة الجر في كلٍ منها

٢ - قال الشاعر :

وَعْـــدٌ لِعَيْنَيْـــكِ ما وَفَيْـــتِ به　　　يا قُرْبَ مَا كذبتْ عَيْنَيَّ عَيْنَاكِ

أ - استخرِج من البيت الاسم المثّنى ، واذكر علامة إعرابه.

ب - أعرب ما تحته خط.

٢ - اكتب الأبيات الخمسة الأولى في كراستك، واضبطها بالشَّكْل ضبطًا كاملاً.

(٥)

تدريـــب صـــرفي

١ - اقرأ القصيدة قراءة جيدة واستخرج منها مايلي :

أ - الأفعـال النـاقصة، وصَرِّف كلًا منها إلى المضارع، والأمر، واسم الفاعل. واسم المفعول.

ب - الأفعال المُضَعَّفَة، وأسند كُلًا منها إلى ضمائر الرفع المتحركة، والساكنة.

جـ - الأفعال المَزِيْدَة، واذكر أَحْرُفَ الزِّيادة فيها.

٢ - زن الكلمات التالية ، واضبط الميزان بالشكل :

مَرْعَاكِ - تَعَلَّلْنَا - سَهْمٌ - المَشْكُوُّ. مُغْتَفِلٌ.

الوحـــدة الثانيـة عشـــرة

اختيار الإخوان قَبْلَ آصْطِفائِهِم للماورديّ

أولاً : صاحب النص : -

هو عليّ بنُ محمدِ بنِ حبيبِ البَصْرِيّ، المعروف بالماورديّ (أبو الحسن) وهو فَقِيهٌ، أصوليّ، مُفَسِّر، أديب، وسياسي.
دَرَسَ بالبصرة وبغداد سنة ٤٥٠ هـ وتولَّى القضاء في بلدان كثيرة. وُلِدَ سنة ٣٦٤ هـ وقد ذاع صيته في ظِلِّ دولة بني بُوَيْهٍ. وتُوفِّي ببغداد.
من مؤلفاته : الحاوي الكبير في فروع الفقه الشَّافِعِيّ. تفسير القرآن الكريم، الأحكام السُّلطانية، قوانين الوزارة (ينظر معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة والمصادر التي ذكرها).

ثانيا : النص : -

(اختيارُ الإخوان قبلَ آصْطِفَائِهم) فإذا عَزَمَ على آصْطِفَاءِ [1] الإخوان سَبَرَ [2] أَحْوَالَهُم قَبْلَ إِخَائِهم، وكَشَفَ عن أَخْلاقِهِم قَبْلَ اصْطِفَائِهم، لِمَا تَقَدَّمَ من قَوْلِ

---

١ - اصْطَفَى فُلانٌ فُلانًا : اختاره وفضَّله - قال تعالى : ﴿ إن الله اصطفَى آدمَ ونوحاً وآلَ ابراهيم وآل عمرانَ على العالمين ﴾.

٢ - سَبَرَ : تقول : سَبَرْتُ الشَّيْءَ والمَسْأَلَةَ : حَزَرْتُها، وسَبَرْتُ فُلانًا : خبرتُه وعرفْتُ أخلاقهُ ونواياه - وسَبَرْتُ الجرحَ : قِسْتُ غَوْرَهُ بالمِسْبَار.

الحُكَمَاءِ اسْبُرْ تَخْبُرْ. ولاتَبْعَثْهُ الوحدةُ على الإقدام قَبْلَ الخِبْرَة، ولاحُسْنُ الظَّنِّ على الاغْتِرَارِ بالتَّصَنُّعِ، فإنَّ المَلَقَ [٣] مَصَائِدُ العُقُولِ، والنِّفَاقَ [٤] تَدْلِيسُ الفِطَنِ: وهما سَجِيَّتَا [٥] المُتَصَنِّعِ، وليس فيمن يكونُ النِّفاقُ والمَلَقُ بَعْضَ سَجَايَاهُ خَيْرٌ يُرْجَىٰ، ولا صَلاَحٌ يُؤَمَّلُ. ولأَجْلِ ذلك قالت الحُكَمَاءُ: اعْرِفِ الرَّجُلَ من فِعْلِهِ، لا مِنْ كلامِهِ، واعرف محبَّتَهُ من عينِهِ، لا مِنْ لسانِهِ. وقال خالدُ بنُ صَفْوَانَ: إنَّما نَفَقْتُ عِنْدَ إخوانِي لأنِّي لَمْ أَسْتَعْمِلْ مَعَهُم النِّفَاقَ، ولاَ قصَّرْتُ بِهِمْ عن الاسْتِحْقَاقِ.

(يُظَنُّ بالمَرْءِ ما يظن بقرينِهِ) على أنَّ الإنسانَ مَوْسُومٌ [٦] بسِيْمَاءِ مَنْ قَارَبَ ومنسوبٌ إليه أَفاعِيلُ مَنْ صَاحَبَ. قال رسول الله ﷺ: «المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ». وقال عليُّ بنُ أبي طالبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: الصَّاحِبُ مُنَاسِبٌ. وقال عبدُ اللهِ بنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: ما مِنْ شَيءٍ أَدَلَّ عَلَى شيءٍ، ولا الدُّخَان على النَّارِ، مِنَ الصَّاحِبِ على الصَّاحِبِ. وقال بعضُ الحُكَمَاءِ: اعرفْ أَخاكَ بأَخيهِ قَبْلَكَ. وقال بعض الأُدباءِ: يُظَنُّ بالمَرْءِ مَا يُظَنُّ بقَرِيْنِهِ.

فلَزِمَ من هذا الوَجْهِ أيضًا أنْ يَتَحَرَّزَ من دُخَلاءِ أَهْلِ السُّوء ويُجَانِبَ أَهْلَ الرِّيَبِ [٧] ليكونَ مَوْفُورَ العِرْضِ سَلِيْمَ الغَيْبِ، فلا يُلاَمُ بمَلاَمَسةِ غيرِهِ، ولهذا

---

٣ – المَلَق: تقول: مَلِقْتُ فُلانًا، ومَلِقْتُ لَهُ: تَوَدَّدْتُهُ، وتَوددت له بكلام لطيف وتضرَّعْتَ إليه فوقَ مايَنْبَغِي. والمضارع منه: (يَمْلَقُ) والمصدر (مَلَقًا) وتَملَّقْتُ له: بمعنى مَلِقْتُ له.

٤ – النِّفَاق: مأخوذ من قولهم: نَافَقَ اليَرْبُوعُ نِفَاقًا ومُنَافَقَةً: دَخَلَ في (نَافِقَائِهِ) ونَافِقَاءُ اليَرْبُوع: جُحْرُهُ من (النَّفَقِ) وهو سِرْبٌ في الجَبَلِ أو الأَرض له مَدْخَلٌ ومَخْرَجٌ.

فقالوا: نافَقَ الرَّجُلُ: إذا أَظْهَرَ خِلاَفَ ما يُبطِنُ، أو أَظْهَرَ الإسلامَ لأهلِهِ، وأَضْمَرَ غيرَ الإسلام وأتاه مع أَهْلِهِ، فكأَنَّهُ دَخَلَ في الإسلام في مَوْضِعٍ، وخَرَجَ منه في موضع آخر.

٥ – السَّجِيَّة: الغريزة والطبيعة والخُلُق – والجمع: (سَجَايا).

٦ – مَوْسُوم: (وَسَمَ) الشَّيءَ يَسِمُهُ وَسْمًا وَسِمَةً: كَوَاهُ فأَثَّرَ فيه بعلامةٍ، والمَوْسُومُ: ما وُسِمَ بِسِمَةٍ يُعْرَفُ بها، إمَّا بكَيِّهِ أَمْ بِقَطْعٍ في أُذُنِهِ، أَمْ بَقَرْمَةٍ (وسِيْمَاء): بمعنى السِّمَة، وهو مُوَلَّدٌ.

٧ – الرِّيَب: جمع (رِيْبَة) وهي الظَّنُّ والشَّكُّ والتُّهَمَةُ.

قيل : التَّثَبُّتُ والآرْتِيَاءُ ومُدَاوَمَةُ الاخْتِيارِ والابْتِلاءِ، مُتَعَذِّرٌ بَلْ مَفْقُودٌ. ونَظَرَ بَعْضُ الحُكَمَاءِ إلَى رَجُلٍ سُوْءٍ حَسَنِ الوَجْهِ فقال : أَمَّا الْبَيْتُ فَحَسَنٌ، وأَمَّا السَّاكِنُ فَرَدِيءٌ.

ثُمَّ قَدْ تَقَدَّمَ مِنْ قَوْلِ الحُكَمَاءِ : مَنْ لَمْ يُقَدِّمِ الامْتِحَانَ قَبْلَ الثِّقَةِ، والثِّقَةَ قَبْلَ الْأُنْسِ أَثْمَرَتْ مَودَّتُهُ نَدَماً. وقال بَعْضُ البُلَغَاءِ : مُصَارَمَةٌ[٨] قَبْلَ اخْتِبَارٍ، أَفْضَلُ مِنْ مُؤاخَاةٍ عَلَى اغْتِرَارٍ. وقال بعض الْأُدَبَاءِ : لاتَثِقْ بالصَّدِيْقِ قبلَ الخِبْرَةِ، ولاتَقَعْ بالعَدُوِّ قَبْلَ القُدْرَةِ.

فإذَا قَدْ لَزِمَ مِنْ هذَيْنِ الوَجْهَيْنِ سَبْرُ الإخوانِ قَبْلَ إخائِهِم، وخِبْرَةُ أَخلاقِهِم. قبلَ اصْطِفَائِهِم، فالخِصَالُ المُعْتَبَرَةُ في إخائِهِم بعد المُجَانَسَةِ الَّتي هي أَصْلُ الاتِّفَاقِ أَرْبَعُ خِصَالٍ :

فالخَصْلَةُ الأُولَى : عَقْلٌ مَوْفُورٌ، يَهْدِي إلى مَرَاشِدِ الأُمورِ، فإنَّ الحُمْقَ لاتَثْبُتُ مَعَهُ مَوَدَّةٌ، ولاتَدُوم لصاحِبِهِ اسْتِقامَةٌ. وقَدْ رُوِي عن النَّبيِّ ﷺ أَنَّهُ قال : البَذَاءُ[٩] لُؤْمٌ، وصُحْبَةُ الأَحْمَقِ شُؤْمٌ ». وقال بعضُ الحُكَماءِ : عَدَاوَةُ العَاقِلِ ، أَقَلُّ ضَرَراً من مَوَدَّةِ الْأَحْمَقِ لأنَّ الْأَحْمَقَ رُبَّما ضَرَّ وهو يَقْدِرُ أَنْ يَنْفَعَ ، والعاقِلُ لايَتجاوَزُ الحَدَّ في مَضَرَّتِهِ، فَمَضَرَّتُهُ لها حَدٌّ يَقِفُ عليه العَقْلُ، وَمَضَرَّةُ الجَاهِلِ لَيْسَتْ بذَاتِ حَدٍ، والمَحْدُودُ أَقَلُّ ضَرَراً مِمَّا هُوَ غَيْرُ مَحْدُودٍ. وقال المَنْصُورُ للمُسَيَّبِ بنِ زُهَيْرٍ : مَا مَادَّةُ العَقْلِ ؟ فقال : مُجَالَسَةُ العُقَلاَءِ.

وقال بعضُ البُلَغَاءِ : مِنَ الجَهْلِ صُحْبَةُ ذَوي الجَهْلِ ، ومن المُحَالِ مُجَادَلَةُ ذَوي المِحَالِ [١٠].

وقال بعضُ الْأُدَبَاءِ : مَنْ أَشَارَ عَلَيْكَ بآصْطِنَاعِ جَاهِلٍ أو عَاجِزٍ، لم يَخْلُ أَنْ

---

٨ - المُصَارَمَةُ : من (صَرَمَ) الحبْلَ صَرْماً : قَطَعَه، وتَصَارَمَ الصَّديقان : تَقَاطَعَا، والمُصَارَمَةُ من ذلك.

٩ - آلبَذَاءُ : من (بَذَأَ) يُقالُ : بَذَأَ فلانٌ بَذْءاً وبَذَاءً : فَحُشَ في قوله :

١٠ - المِحَال : الكَيْد، وفلانٌ مَا حَلَ فُلانًا مِحَالاً : كايَدَهُ وماكَرهُ. والمعنى : لافائدةَ تُرْتَجَى من مجادلة ذوي المَكْرِ والكَيْدِ والدَّهاءِ.

يَكُونَ صَدِيْقاً جَاهِلاً، أَو عَدُوَّاً عَاقِلاً، لأنَّهُ يُشِيْرُ بِمَا يَضُرُّكَ ويَحْتَالُ فيما يَضَعُ مِنْكَ.

والخَصْلَةُ الثَّانِيَة : الدِّيْنُ الوَاقِفُ بصاحِبِهِ عَلَى الخَيْرَاتِ، فإنَّ تَارِكَ الدِّيْنِ عَدُوٌّ لنفسِهِ فكيفَ يُرْجَى مِنْهُ مَوَدَّةُ غيرِه. وقال بعضُ الحُكَمَاءِ : اصْطَفِ مِنَ الإِخْوَانِ ذَا الدِّيْنِ والحَسَبِ، والرَّأْيِ والأَدَبِ، فإنَّهُ رِدْءٌ [11] لَكَ عِنْدَ حَاجَتِكَ، ويَدٌ عِنْدَ نَائِبَتِكَ، وأُنْسٌ عِنْدَ وَحْشَتِكَ وزَيْنٌ عِنْدَ عَافِيَتِكَ.

والخَصْلَةُ الثَّالثةُ : أَنْ يكونَ محمودَ الأَخْلاقِ، مَرْضِيَّ الفِعَالِ ، مُؤْثِرًا لِلخَيْرِ، آمِرًا بِهِ كَارِهًا للشَّرِّ، ناهيًا عَنْهُ، فإنَّ مَودَّةَ الشِّرِّيرِ تُكْسِبُ العَدَاءَ، وتُفْسِدُ الأَخْلاَقَ، ولا خَيْرَ في مَودَّةٍ تَجْلبُ عَدَاوَةً، وتُوْرِثُ مَذَمَّةً وَمَلامَةً، فإنَّ المَتْبُوعَ تَابِعُ صَاحِبَه. وقال عبدُ اللهِ بنُ المُعْتَزِّ : إِخْوَانُ الشَّرِّ كَشَجَرِ النَّارنْجِ يُحْرِقُ بَعْضُهُ بَعْضاً. وقالَ بَعْضُ الحُكَمَاءِ : مُخَالَطَةُ الأَشْرَارِ علَى خَطَرٍ، والصبرُ علَى صُحْبَتِهِم كَركُوبِ البَحْرِ، الَّذي مَنْ سَلِمَ مِنْهُ بَبَدنِهِ مِنَ التَّلَفِ فيه، لَمْ يَسْلَمْ بَقلْبِهِ من الحَذَرِ مِنْهُ. وقَالَ بعضُ البُلَغَاءِ : صُحْبَةُ الأَشْرَارِ تُوْرِثُ سُوءَ الظَّنِّ بالأَخْيَارِ. وقال بعضُ البُلَغَاءِ : مِنْ خَيْرِ الاخْتِيَارِ، صُحْبَةُ الأَخْيَارِ، ومِنْ شَرِّ الاخْتِيَارِ، صُحْبَةُ الأَشْرَارِ.

والخَصْلَةُ الرَّابعَةُ : أَنْ يكونَ مِنْ كُلِّ واحدٍ منهما مَيْلٌ إلى صاحِبِهِ، ورَغْبَةٌ في مُؤَاخَاتِهِ فإنَّ ذلك أَوْكَدُ لحَالِ المُؤَاخَاةِ، وأَمَدُّ لأَسْبَابِ المُصَافَاةِ، إِذْ ليس كُلُّ مطلوبٍ إليه طالِبٌ، ولا كُلُّ مرغوبٍ إليه رَاغِبٌ، ومَنْ طَلَبَ مَودَّةَ مُمْتَنِعٍ عليه، ورَغِبَ إلى زاهدٍ فيه، كان مُعَنًّى خائباً.

---

١١ - الرِّدْءُ : المُعِيْنُ والنَّاصر - قال تعالى ﴿ فَأَرْسِلْهُ معي رِدْءًا يُصدِّقُني ﴾.

ثالثا : الشَّرْحُ والتَّعليــق :

يُعالجُ المَاوَرْدِيُّ في النَّص السَّابق قضيَّةً من أهمِّ القضايا التي تُواجهُ الإنسان في مسيرةِ حياتهِ، وهي الصَّدَاقةُ واخْتيارُ الأصدقاء. ومَنْ مِنَ النَّاس جَدَيرٌ بأنْ يكونَ صديقاً، ولذلك نراه يعرض لهذا الأمر بكثيرٍ من التَّدبر والرَّويةِ مُسْتَعِيناً في كلامِهِ بشَذَرَاتٍ من كلام الحُكَماءِ والعُقَلاءِ اَلّذين خَبرُوا الدُّنيا، وعَرَفوا مسالكها، وَقَّدموا خلاصةَ تجاربهم في هذه الحِكَم القصيرة والمُعَبِّرة، فجاء الكلام مُفْرَغاً إفراغا واحدًا مُتَجَانِساً متماثلا، يرسمُ الصورةَ كاملةً، ويعرضُ القضيةَ بكثيرٍ من الوضوح والدِّقَّة.

ومن البدهي أنْ يَبْدَأَ كلامَهُ عن اختيارِ الإخوان وسُبُل هذا الاختيار، ولعلَّ مَدَارَ هذا الأمر هو الاختيار والتَّغَلْغُل في أعماق هذا الصَّديق ومعرفةُ أحوالهِ قبل اصْطِفَائِهِ، وعدمُ الاغترارِ بالمظاهر، ومايبدو على السَّطح من أقوالٍ وأفعالٍ، فرُبَّما كانت مغايرةً للجوهر مخالفةً له، فهذه الأمورُ ضروريةٌ لازمة، لأنها المَحَكُّ الدَّقيقُ للكشفِ عن الحقيقةِ والوصولِ إليها، كما إنَّ الصَّديقَ يَدُلُّ على صَديقهِ ويُوسَمُ به، فكُلُّ فِعلٍ يَقومُ به يُنْسَبُ إليه وإلى مَنْ يُصَادِقُهُ، ويُوَجِّهُ بعد هذا نصائحَ غاليةً منها واجبُ الابتعادِ عن أهلِ السوءِ، فهو موسومٌ بهم إنْ صادَقَهُم أو اقتـربَ منهم. ويَسْتَشْهِدُ على هذا كُلِّهِ بأقوالٍ مأثورةٍ وحِكَمٍ بليغةٍ، تُقَوِّي كلامَهُ، وتُضْفِي عليه قُوَّةً وَرَصَانَة.

ويَنتقـلُ بعـد هذا إلى الإفاضَةِ في تبيان الخِصَالِ الواجب تَوافُرُها في هذا الصَّـديق، ونُلخِّصُهـا في أربـع خِصَـالٍ فَضْلاً عن المُجَانسَةِ، وهي العَقْلُ، والدِّيْنُ، والأَخْلاَقُ الحَمِيدَةُ، والمَيْلُ، فالمجانسة هي تَشابُهُ الاثنين في صفاتٍ كثيرةٍ تدعـو إلى التَّقارب بينهما وتُقَوِّي ما بينَهما من أواصر، والعَقْلُ هو الَّذي يُجَلِّلُ تلك الصداقة بالحِكْمَة ويَنْأى بها عن الحَمَق وتوافهِ الأمور وسَقْطِهَا، أمَّا الدِّيْنُ فهو الفيصل في كثير من الأمور، ويُصْبحُ هو والأخلاقُ الحَميدةُ دِثَارًا يميز تلك الصَّداقة القائمة على النَّقاء والمودَّة البعيدة عَمَّا يُغْضِبُ الله ويفسد الخُلُق، ونرى الخَصْلَةَ الأخيرةَ تتمثَّلُ في تجاذب الصَّديقَيْن أحدِهما إلى الآخر، ورغبتهما الصَّـادقـة في إقـامة تلك العَلاقَة، وهذا هو الذَي يثريها ويجعلها تتجاوز عن الهَنَاتِ البسيطة، والأخطاء غير المقصودة.

ولا رَيْبَ فِي أنَّ الكاتب قد أصابَ فَصَّ الحديثِ، ووصلَ إلى لُبَابِهِ، وقَدَّمَ لنا صورةً ناصِعَةً عن الصَّداقةِ القائمةِ على دعائِمَ قويَّةٍ، البريئةِ من المصلحةِ ومساويء الأخلاق.

رابعاً : الأُسلوب والصّور : -

أ - الخصائص الأسلوبية : -

١ - ازدواجية الجُمَل بما يُعينُ على تحديد الفكرة وبالتالي يُعينُ على توضيحها.

٢ - اقتباسات تقوم مقام الحِكَم، من حُكَمَاءَ وأُدباء وبُلَغَاء.

٣ - التعليل لما يقول، مع بسط الأسباب المُقْنِعة.

٤ - طرح الأفكار بطريقة تَنمُّ عن خبرة، ومعايشة للأصدقاء.

٥ - الإتيان بالفكرة ونقيضها، قصد البلورة والتوضيح.

٦ - حشد العديد من الصِّفات في محاولة إبراز الفكرة الواحدة.

٧ - تحديد ركائز الصَّداقة الحقة بطريقةٍ دقيقة ومحددة.

٨ - ترتيب الموضوع، وعرضه بطريقة تكشف عن وضوحه في ذهن الكاتب.

٩ - الأسلوب أدبي في عمومه، ولكن هناك عناصر تميل به إلى الأُسلوب العلمي أحيانًا.

١٠ - السَّجَعُ مُسيطر على الأسلوب، ولكن يحدث تحلُّلٌ منه في بعض المواضع.

ب - الصور : -

هذه الرسالة أو المقالة تحتشد فيها تقريبا كُلُّ الصور البيانية من تشبيهٍ

واسْتِعَارةٍ وكِنَايَةٍ ومَجَازٍ. نشير هنا باختصار إلى بعضها.

- التَّشبيهُ المُرْسَلُ المُجْمَلُ (ما حذف منه الأداة ووجه الشَّبه) في قوله: المَلَـق مصايدُ العُقول.
- تشبيه تمثيل : إخوان الشَّرِّ كَشَجَرِ النَّارنْج يحرق بعضهُ بعضاً.
- الكِنَاية في : موفور العِرْض، سليم الغيب ، كِنَاية عن الشَّرف. البيت حَسَنٌ والساكن رَدِيء ، كناية عن حسن المظهر وسوء المَخْبَرِ.
- الاستعارة المكنية في : أثمرت مودَّتهُ ندماً.

جـ - **المحسنات البديعية : -**

وهنا حشد زاخر من صور الطباق، وذلك مثل:

فعله / كلامه - ظاهره / باطنه - نفسه / غيره - مودَّة / عداوة.

حسن / رديء - الخير / الشر - متبوع / تابع - الأشرار / الأخيار.

مطلوب / طالب - مرغوب / راغب.

إنْ كان لكُلِّ ذلك من دلالةٍ، فهي أنَّ المَاوَرْدِيَّ أراد أنْ يَنفذَ إلى جوهر الصَّداقة الحَقَّة، وأن يُقَدِّمَ ذلك إلى النَّاس بأسلوب يجمع بين الحِكَمَة والجَمـال معـاً، الحِكْمَـة لتقنع، والجمال ليمتع. وفي ضوء هذا وذاك نستطيع أنْ نتبيَّنَ مظاهر الدِّقة والحلية معاً.

خامسا : النحـو :

المجرور بالحرف وبالإضافة .

قال الكاتب : -

﴿ فإذا عزم الإنسانُ على اصطفاءِ الإخوانِ سَبَرَ أَحوالهم قبلَ إخائِهِم، وكشف عن أَخلاقِهِم قبلَ اصطفائِهِم لِمَا تقدم من قولِ الحُكَمَاءِ : اسبُرْ تَخبُرْ ﴾.

ورد في النص أسماء مجرورة بحرف جر. وأخرى مجرورة بالإضافة :

- قوله : ﴿ على اصطفاءِ ﴾.

(على) حرف جرّ . (اصطفاء) اسم مجرور بـ (على) وعلامة جَرِّه الكسرة الظاهرة.

- قوله : ﴿ عن أخلاقِهم ﴾.

(عن) : حرف جر. (أخلاقِ) : اسم مجرور بـ (عن) وعلامة جرِّه الكسرة الظاهرة.

- قوله : « لما تقدم ».

(لما) : اللام حرف جر. (ما) اسم موصول مبنيّ على السّكون في محلِّ جَرٍ باللام.

- قوله : « من قولِ ».

(من) حرف جر . (قول) اسم مجرور بـ (من) وعلامة جَرِّة الكسرة الظاهرة.

- قوله : « اصطفاء الإخوانِ ».

(اصطفاء) مضاف (الإخوانِ) : مضاف إليه مجرور، وعلامة جرِّه الكسرة الظاهرة.

- قوله : « قبل إخائِهم ».

(قبل) : مضاف (إخاءِ) مضاف إليه مجرور ، وعلامة جَرِّه الكسرة الظاهرة.

- « قول الحكماءِ ».

(قول) مضاف (الحكماءِ) مضاف إليه مجرور وعلامة جَرِّة الكسرة الظاهرة.

- قوله : (أحوالهم) ، (إخائهم) (أَخلاقهم) ، (اصطفائهم).

الضمير (هم) في الكلمات السابقة : مضاف إليه.

(أحوال) : مضاف، والضمير (هم) مبنيّ على السكون في محــل جر بالإضافة.

تَذَكَّرْ أنَّ حروفَ الجَرِّ إذَا دَخَلَتْ على الأسماء جَرَّتها، فإنْ كانَ الاسمُ ظاهرًا مُعْرباً، كانت علامة جَرِّه كسرة ظاهرة، وان كان الاسم مبنيًا كالضمائر والأسماء الموصولة وأسماء الإشارة وغيرها، كان مَبنيًّاً في محلِّ جَرٍ بحرف الجر.

وحروف الجَرّ المستعملة في كلامنا هي : من ، إلى ، عن ، على ، في ، الباء ، اللاّم ، حتى ، الكاف، واو القسم، رُبّ، مُنْذُ، مُذْ، وتاء القسم، وهذه الأخيرة تختص بالدخول على (الله) غالبًا مثل (تاللهِ).

وتَذَكَّرْ أنَّ الاسم إذا أُضِيْفَ إلى اسمٍ آخر، صار المضاف إليه مجرورًا دائمًا. والإضـافـة تعني أنْ تأتي باسمٍ آخر يُكَمِّلُ الاسْمَ الأوَّلَ، فيكون الثّاني مُعَرِّفاً ومُوَضِّحاً للأوّل أو يكون مُخَصِّصَاً له. فإذا قُلْتَ : وَجَدْتُ كتاباً، ورأيت سوراً فإنَّ (كتـاباً) و (سوراً) نكرتان شائعتان، فإذا قُلْتَ : وجدت كتابَ مُحَمّدٍ، أو كتابَهُ، صار (كتاب) مَعْرِفَةً بهذه الإضافة. وإذا قلت: رأيتُ سورَ المسجدِ، صار (سـور) معروفة بهذه الإضافة. وإذا قلت : وجدت كتابَ طالبٍ، ورأيتُ سُور مسجدٍ، صار الثَّاني مُخَصِّصَاً للأول، ومُضَيِّقاً دائرةَ الفَكِرَة.

والمضـاف والمضاف إليه اسمان متلازمان يُكَمِّلُ الثَّاني الأول، بأنْ يكون الأول داخلا في مِلْكِيَّة الثاني، مثل : (كتاب محمدٍ) (مال خالدٍ) ، أو يكون خاصّاً بالثاني، مثل: (سور المسجدِ) و (يد خالدٍ) ويُسَمَّى الاسم الثّاني مضافاً إليه [1].

والمضاف إليه يكون مجروراً دائماً فإنْ كانَ اسماً ظاهراً معرباً كانت علامة

---

(١) قد يضاف الاسم إلى جملة، فيكون المضاف إليه جملة اسمية أو جملة فعلية، وتكون هذه الجملة - بنوعيها المذكورين - في محل جَرّ بالإضافة مثل :

مارأيتك مُنْذُ دَخَلَ الشّتاء. وقال تعالى : ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾.

جَرّه كسرة ظاهرة، أو مايقوم مقامها، وإنْ كان مبنيًّا، كان في مَحَلٍّ جَرٍّ بالإضافة.

- تقول : سَلَّمْتُ على أخيك. هذا كتابُ أُخيك

(أخيك) الأولى : اسم مجـرور بـ (على) وعلامة جره الياء ، لأنه من الأسماء الخمسة.

(أخيك) الثانية : اسم مجرور بالإضافة.

- تقول : المَلَقُ والنِّفاقُ سَجِيَّتا الضُعَفَاءِ.

(سجيتا) : خبر مرفوع وعلامة رفعه الألف لأنَّه مُثَنَّى، وهو مضاف وحُذِفَتْ نُونُ المُثَنَّى لأجل الإضافة (الضُّعفاء) : مضاف إليه مجرور بالكسرة.

- قال تعالى : ﴿ من المسلمين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ﴾.

(المسلمين) : اسم مجرور بـ (من) وعلامة جَرِّه الياء لأَنَّهُ جمع مذكر سالم.

- سَلَّمت على الطالبَيْنِ المُؤَدَّبَيْنِ.

(الطالبين) : اسم مجرور بـ (على) وعلامة جَرّه الياء، لأَنَّهُ مُثَنَّى.

- هذه إجَابَةُ الطَّالبَيْنِ .

(الطالبين) اسم مجرور بالإضافة.

- قال تعالى : ﴿ وإذا حييتم بتحيّةٍ فحيوا بأحسن منها ﴾

(أحسن) : اسم مجرور بالباءِ ، وعلامة جَرِّه الفتحة بدلاً من الكسرة، لأنَّهُ ممنوع من الصَّرْفِ.

* * * *

تَذَكَّرْ أنَّ الاسم المجرور بحرف الجر ، أو بالإضافة ، إذا كان من الأسماء الخمسة (وهي : أبوك ، أخوك ، حموها ، فوك ، ذو مال) صارت علامةُ الجَرِّ فيه ياءً .

وإذا كان الاسم المجـرور بحـرف الجَـرّ أو بالإضافة مُثَنَّى أو جمعاً مذكراً سالماً، صارت علامة جره ياءً.

وإذا كان الاسم المجرور بحرف الجر، أو بالإضافة ممنوعاً من الصرف جُرَّ بالفتحة بدلاً من الكسرة.

سـادسا : الصـرف :-

١ - ورد في النص قوله : (اصْطِفَاء).

وهو مصدر من الفعل (اصطفى). وهذا الفعل أصله: (اصْتَفَى) على وزن (افْتَعَل)، فهو فِعْل مزيد على الأصل الثلاثي (صَفَا) وأحرف الزيادة هما : الهمزة والتّاء.

نلاحظ أنَّ صورة (اصْتَفَى) على وزن (افْتَعَل)، فما الذي حصل لأصل الفعل؟

الحقيقة أنَّ مَجِيءَ التَّاء بعد الصّاد تُوَلِّد ثِقَلاً على اللِّسان عند نُطْقِهِ بالصَّاد والتَّـاء مُتَـوَالِيَيْن، لأن الصَّـادَ حَرْفٌ مُطْبَقٌ والتَّاء حرف سِنِّيّ انِفجَارِيّ. ولأجل التخلُّص من هذا الثقل، أبْدَلُوا التاء بحرفٍ قريبٍ من الصَّاد، وهو الطَّاء، وهو حرف مُطْبقٌ كالصَّـاد، وسِنِّي انفجـارِيّ كالتَّـاء، فصـار اللَّفظ بعـد الإبدال : (اصْطَفَى) فهو أخف من (اصْتَفَى). وهذه العملية تُسَمَّى بـ (الإبدال).

٢ - الفعل (وَسَمَ) فعل مثال، مثل: وَلَدَ، وَزَنَ، وَصَفَ.

وهذا الفعل وأمثاله إذا صِيْغَ منه المُضارِعُ على وزن (يَفْعِلُ) تُحْذَفُ منه الواو لوقوعها بين ياء مفتوحة وحرف مكسور، فيقال:

وَلَدَ : يَلِدُ. وأصلها (يَوْلِدُ) ، فلمَّا وقعت الواو بين ياءٍ مفتوحة وحرف مكسور حُذِفَتْ.

وكذلك : (وَسَمَ) مضارعها : (يَسِمُ).

و (وَزَنَ) مضارعها : (يَزِنُ)

و (وَصَفَ) مضارعها : (يَصِفُ)

ولأجل أنْ يَطَّرِدَ التَّصريف في هذه الأفعال على نَمَطٍ واحدٍ حَذَفُوا الواو كذلك في الأمـر وفي المصدر المصوغ على وزن (فِعْلَة)، وإنْ لم تقع الواو بين ياءٍ مفتوحة وحرف مكسور ولكن ليجرى تصريف هذه الأفعال على نَمَطٍ واحد.

فقالوا في الأمر : سِمْ ، وفي المصدر : سِمَة.

وقالوا : لِذْ ، وفي المصدر : لِذَةِ.
وقالوا : صِفْ ، وفي المصدر : صِفَة .

سابعاً : التدريبـــات :

(١)

١ - استخرج من نص المَاوَرْدِيِ فكرة يعللها ويبسط لها الأسباب.
٢ - استشهد من النَّص على وجود بعض العناصر التي تميل به عن الأدبية إلى العلمية.
٣ - أعطِ بعض النَّمـاذج للصـور البـلاغية، ومثلها للمُحَسِّنات البلاغية، مع الشَّرح والتَّوضيح.
٤ - الصَّديق مظهر ومَخْبَر. ما وسائلك لاختيار الجَانبَيْن ؟
٥ - هل يرسم الماوردي صورة مثالية أم واقعية للصّديق ؟ دَلِّلْ على ماتقول.

(٢)

١ - هناك نِقَاطْ تَشَابُهٍ بين ما يقوله الماوردي هنا، وما قَرَّرهُ الجاحظ من قبل في رسالة «المعاد والمَعَاش». وَضِّح هذا.
٢ - اكتب مقالاً تنصح فيه أخاك الأصغر باختيار أصدقائِه.
٣ - قال بعض البلغاء: «مصارمة قبل اختيار، أفضل من مؤاخاه على اغترار» اشرح هذا.
٤ - هناك صداقة حقيقية، كما أنَّ هناك صداقةً مُزَيَّفَةً. كيف نستطيع أن نختبر كلتيهما ؟

(٣)

١ - قال الكاتب :

« فإذا عزم الكاتب على اصطفاء الإخوان سَبَرَ أحوالهم قبل إخائهم وكشف عن أخلاقهم قبل اصطفائهم، لما تقدم من قول الحكماء: اسبر تخبر، ولا تبعثهُ الوحدة على الإقدام قبل الخبرة، ولا حسن الظن على الاغترار بالتّصنع فإنَّ المَلَقَ مصائِدُ العقول، والنِّفاق تدنيس الفِطَن، وهما سَجيتا المُتَصَنّع.

وليس فيمن يكون النفاق والمَلَق بعض سجاياه خير يُرْجَى، ولا صلاح يُؤَمَّل، ولأجل ذلك قالت الحكماء، اعرف الرَّجل من فعله لامن كلامه، واعرف محبته من عينه لامن لسانه. وقال بعض الحكماء: اعرف أخاك بأخيه قبلك » .

وقال تعالى : ﴿ لَوْلَا أُنْزِلَ هَذَا القُرآنُ على رَجُلٍ مِن القريتَيْن عَظِيم ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ مِنَ المُؤْمِنِينَ رجالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا الله عَلَيْه فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ ومنهم مَنْ يَنتظر وما بَدَّلُوا تبديلاً ﴾، وقال تعالى : ﴿ قَالَ سَنَشُد عَضُدَكَ بِأَخيك ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ يعْمَلون لَه مايشاءُ مِنْ مَحَاريبَ وتَمَاثيل ﴾ .

أ - استخرج مِمّا سبق الأسماء المعربة المجرورة بالحرف، وبين علامة إعرابها.

ب - استخرج مِمّا سبق الأسماء المعربة المجرورة بالإضافة، وبين المضاف والمضاف إليه، ثم أعربهما.

جـ - استخرج الأسماء المبنيَّة المجرورة بالحرف، وبيِّن علامة بنائِها، ثم اذكر مَحَلَّها من الإعراب.

د - استخرج الأسماء المبنية المجرورة بالإضافة، وبيِّنْ علامة بنائِها، ومَحَلَّها من الإعراب.

هـ - اضبط بالشكل النص الأول ضبطا كاملاً.

(٤)

قال الكاتب :

«وقال بعض الحكماء: من لم يقدم الامتحان قبل الثقة، والثقة قبل الأنس أثمرت مودته ندما . . . . وقال بعض الأدباء: لاتثق بالصديق قبل الخبرة، ولاتقع بالعدو قبل القدرة. وقال بعض الأُدباء : من أشار عليك باصطناع جاهل أو عاجز لم يخل أنْ يكون صديقاً جاهلاً أو عدوًا عاقلاً، وقال بعض الحكماء: مخالطة الأشرار على خطر، والصّبر على صحبتهم كركوب البحر، الذي من سلم منه ببدنه من التّلف فيه، لم يسلم بقلبه من الحذر منه».

أ - استخرج من النص السابق كُلَّ فعل مضارع مجزوم، وبين أداة الجزم وعلامته.

ب - استخرج كل اسم معرب أو مبني مجرور بالحروف، أو مجرور بالإضافة ثم أعربه.

جـ - قال : (والصبر على صحبتهم كركوب البحر الذي من سلم منه ببدنه . . . ..)

اذكر موضع (الذي) من الإعراب.

(٥)

تدريـــب صرفـــي

قال الكاتب :

«من لم يقـدِّم الامتحـان قبـل الثقـة، والثقـة قبـل الأنس، أثمـرت مودتـه ندمًا . . . . وقال بعض الأدباء : لاتثق بالصديق قبل الخبرة، ولا تقع بالعدو قبل القدرة . . . . . فإذَنْ قد لزم من هذَيْنِ الوجهَيْنِ سبر الإخوان قبل إخائهم، وخبرة أخلاقهم قبل اصطفائهم.

وقال بعض العلماء : من أشار عليك باصطناع جاهل أو عاجز لم يَخْلُ أن يكونَ صديقاً جاهلاً أو عدواً عاقلاً.

أ - أرجع (اصطناع) إلى أصله الفعلي، ثم اذكر وزنه، وماحصل فيه من إبدال.

ب - هات ماضي الفعلين التاليين : (تثق) ، (تقع) ، واذكر نوعهما وصرف كُلًّا منهما إلى المضارع والأمر، والمصدر على (فِعْلة)، وبَيِّن ما حدث فيه من تغيير، واذكر سبب ذلك.

جـ - زن الكلمات التالية : (الثِّقَة) ، (يُقَدِّم) ، (أَثْمَرَتْ)، (تَثِقُ) (اصْطِفَائِهِم).

الوحدة الثالثة عشرة

في وصف الأسد لابن حمديس

أولاً : صاحب النَّص :

أبـو محمـد عبـد الجبـار بن أبي بكر بن حمديس الأزديّ الصِّقِلّيّ، شاعر مشهور، وُلِدَ سنة ٤٤٧ هـ ، دخل الأندلس سنة ٤٧١ هـ ومدح المعتمد بن عَبَّاد فأحسن له كثيرًا.

له ديوان شعر، صَحَّحَهُ وقَدَّمَ له الدكتور إحسان عباس. بيروت ١٩٦٠. وله قصائد في الخمريات، الوصفيات، المدائح، ولكنه لم يكتب مُوشَّحات. معانِيْه مُبْتَكَرة وَيَتَميَّزُ بالدِّقة في شعره الوصفي.

من الممكن تقسيم شعره إلى : أ - صِقِلِّيَّات ب - طوال

وللبيئتين الصِّقليّة والأنـدلسيَّة أثـرهمـا في إبـراز العديد من صوره الوصفية في الطبيعة والحرب، والحيوانات، والحشرات، ومناظر الصيد، وغيرها. لم يَنْظِمْ في الهِجَاء أبدا (تنظر مقدمة د/ إحسان عباس لديوانه) تُوفِّي سنة ٥٢٧ هـ .

ثانياً : النَّص:

١ - ولَيْثٍ مُقِيْمٍ في غِيَاضٍ مَنِيْعَـةٍ ... أَمِيرٍ عَلَى الوَحـشِ المُقِيْمَةِ في القَفْـرِ

٢ - يُوَسِّـدُ شِبْلَيْـهِ لُحُومَ فَـوَارِسٍ ... وَيَقْطَـعُ كَاللِّصِّ السَّبِيْـلَ عَلَى السَّفْـرِ

---

١ - غِياض : جمع (غَيْضَة)، وهي الأَجَمَةُ، والموضع يكثر فيه الشَّجَرُ ويَلْتَفُّ.

٢ - يُوَسِّد : مضارع (وَسَّدَ) يقال : وَسَّدَهُ التُّرابَ، والحَجَرَ : جَعَلَهُ تَحْتَ رأْسِهِ، وتَوسَّدَ التُّراب كذلك.

قَطَعَ اللِّصُّ الطريق : أَخافَهُ بالتَّلصُّصِ فيه.

السفر : المُسافر ، وهو للواحد وللجمع.

٣ - هِزَبْرٌ لَهُ فِي فِيْهِ نَارٌ وشَفْرَةٌ ... فَمَا يَشْتَوِي لَحْمَ القَتِيـلِ عَلَى الجَمْـرِ
٤ - سِرَاجَاهُ عَيْنَاهُ إذَا أَظْلَمَ الدُّجَى ... فإنْ بَاتَ يَسْرِي بَاتَتِ الوَحْشُ لا تَسْرِي
٥ - لَهُ جَبْهَةٌ مِثْلُ المِجَنِّ ومِعْطَسٌ ... كَأَنَّ عَلَى أَرْجَائِهِ صِبْغَـةَ الحِبْـرِ
٦ - يُصَلْصِلُ رَعْـدٌ مِنْ عَظِيْمِ زَئِيْرِهِ ... ويَلْمَـعُ بَـرْقٌ مِنْ حَمَالِيْقِـهِ الحُمْـرِ
٧ - لَهُ ذَنَبٌ مُسْتَنْبَطٌ مِنْهُ سَوْطُهُ ... تَرَى الأرضَ مِنْهُ وهـي مَضْرُوبَةُ الظَّهْـرِ
٨ - ويَضْرِبُ جَنْبَيْـهِ بِـهِ فكَأَنَّمَـا ... لَـهُ فِيْهِمـا طَبْـلٌ يَحُـضُّ عَلَى الكَـرِّ
٩ - ويَضْحَكُ في التَّعْبِيْسِ فَكَّيْهِ عَنْ مَدَى ... نُيُـوبٍ صِـلَابٍ لَيْسَ تَهْتَـمُّ بالفِهْـرِ
١٠ - يَصُولُ بِكَفٍّ عَرْضَ شِبْرَيْنِ عَرْضُهَا ... خَنَاجِرُهَـا أَمْضَى مِن القُضُـبِ البُتْـرِ
١١ - يُجَـرِّدُ مِنْهَـا كُـلَّ ظُفْـرٍ كَأَنَّـهُ ... هِـلَالٌ بَـدَا لِلعَيْـنِ فـي أَوَّلِ الشَّهْـرِ

---

٣ - الهِزَبْر: الأسَدُ الكاسِرُ، أو الضَّخم الصُّلب. وجمعه : هَزَابِرُ.

٤ - يسرَى : مضارع (سَرَى). يقال : سَرَى فلانٌ ليلاً : سارَ ليلاً.

٥ - المِجَنّ : التُّرْسُ . ويقالُ : فُلانٌ جَبْهَتُهُ كالمِجَنِّ، أي عريضة مثل التُّرْسِ.

المِعْطَسُ : الأنفُ ، وجمعه مَعَاطِس.

٦ - يُصَلْصِلُ : مضارع (صَلْصَلَ) يُقَالُ: صَلْصَلَ اللِّجَامُ : أي صَوَّتَ، وصَلْصَلَ الرَّعْدُ كذلك.

حماليقه: جَمْعُ (حِمْلاق) أو (حِمْلَقّ)، (حُمْلُوق). يُقال: حِمْلَاقُ العين.

و (حِمْلَقُها) وْ (حِمْلُوقُها) ، وهو : ما يُسوِّدُهُ الكِحْلُ من باطنِ أجفانها.

٩ - التَّعْبِيْسُ : مصدر (عَبَّسَ)، وهو بمعنى (عَبَسَ). تقول : عَبَسَ فلانٌ عَبْساً وعُبُوساً. وَعبَّسَ تَعْبِيساً: جمع جِلْدَ ما بينَ عَيْنَيْهِ وجِلْدَ جَبْهَتِهِ وَتجَهَّمَ.

الفهر : الحَجَرُ.

١٠ - يَصُولَ : يقال : صَالَ عليه يَصُولُ صَوْلاً، وَصَولانًا: سَطَا عليه لِيقهرَهُ.

القُضُبُ : جمع (قَضِيْب) ، وهو السَّيفُ القَطَّاع.

ثالثاً : الشَّرح والتَّعليق:

أشـرنا في نَصِّ البحتري المتقدم إلى ولَعِ الشُّعَراء العرب بالوصف عامَّة، ووصف الحيوان خاصَّة، ورأينا اللَّوْحَةَ الجميلة التي رسمها البحتري لِفَرَسَهِ من خلالِ القصيدة، ونقف الآن عند وصف حيوان آخر هو الأسد في قصيدة ابن حمـديس المتقـدمة. وكان الأسد مدار اهتمام الشُّعراء منذ زمنٍ بعيد، ونتذكر قصيدة أبى زبيد الطائي التي وصف فيها الأسد كما نشير إلى وصفه النثري له بحضرة الخليفة عثمان ابن عفان رضي الله عنه وهو طويلٌ مُؤَثِّرٌ بَلَغَ من قوته أنَّ الخليفــة قال له: « اسكت قطع الله لسـانـك فقـد أَرْعَبْتَ قلوب المسلمين » (الأغـاني ١٢/ ١٣١). وتستمـر أوصـاف الشُّعـراء للأسـد حتَّى نلتقي بابن حمديس الذي حاول أنْ يُقَدِّم لنا صورة مرعبة لهذا الحيوان الكاسر من خلال الوصف الدَّقيق لمكامن القوة فيه، وسيادته على غيره من البهائم.

فهو يبدأ القصيدة بالإشارة إلى هذه الإمارة على سائر الوحوش، وهو يعيش في موضعه من الشجر الكثيف آمنًا لا يخشى أحدًا، وكيف لا يشعر هكذا وطعام أشباله من لحوم الفرسان، وديدنه قطع الطرق على المسافرين فهو سَيِّدُ المكان وصاحبه. وينتقل بعد هذا لوصفه جزءًا جزءًا ، فَمُهُ شَفَراتٌ يُسَلِّطُها على مَنْ يريد فَتُقَطِّعُه إرْبَاً إرْبَاً، لا يحتاج إلى نار يشوي عليها ففي فمه تلك النار التي تولدت من القوة وثقل القضم، وعيناه مثل السِّراجَيْنِ المُوقَدَيْنِ تخشاهما بقية الحيوانات، فتبتعد عن طريقه، وتتركه له خالياً، وهذه الجبهة التي تُشْبهُ التُّرس، وذلك الأنف الأسود، وهذا الزَّئير العالي، إنَّهُ رَعْدٌ يرافقه بَرْقٌ يُومِضُ من هاتَيْنِ العَيْنَيْنِ البَرَّاقَتَيْنِ.

وهذا الذَّنَبُ المتحرك دوماً، يَضْرِبُ الأرْضَ به تارة، ويضرب جَنْبَيْه به تارة أُخرى، فيأتي ذلك الصَّوْتُ العالي (كصوتِ) الطَّبْلِ ، وهو يحرض المقاتلين

على دخول الحرب، ولم تفته الأَنياب وهي من مظاهر قوته، إنها شديدة صُلْبَة لا يكسرها حتى الحجر الأَصم، فما بالك إذا طحنت بينها إنساناً أو حيواناً، ولم يَنْسَ المخالب وهي تكمل عمل الأَنياب، هي مثل السُّيوف البواتر المواضي، أو واحدها مثل الهلال في مفتتح الشهر.

قوة هائلة، وأدوات متحفزة للهجوم، وسيادة مطلقة، فليس عجبًا بعد هذا أنْ يكون أميراً، وأن يصنع ما يشاء فهو حيوان أعجم على أَيَّةِ حال.

* * *

رابعاً : عَروض النّص :

اقرأ البيت الأَول من نصٍّ ابن حمديس في أناة مع المحافظة على الضَّبط الدقيق :

وليّثٍ مُقِيْــمٍ في غِيَــاضٍ مَنِيْعَـةٍ أَميرٍ علـى الوَحْشِ المُقِيْمَةِ في القَفْرِ

وإنْ حاولتْ معرفة وزنه الذي نسج عليه، وجدته قد جاء على :

« البحر الطويل »

وتفعيلاته - كما عرفتها آنفا - هي :

فَعُولُنْ مَفاعِيْلُنْ فَعولُنْ مفاعِيلُنْ فَعولُـنْ مَفَاعِيلُـنْ فَعُولُـنْ مَفَاعِيلُـنْ

ويغلب أنْ يأتي في القصائد - بعد البيت الأول - على النحو الآتي :

فعولـن مفاعيلـن فعولــن مفاعلـن فعولــن مفاعيلــن فعولــن مفاعلــن

وإنْ أردت تقطيع البيت الأول من النص، إلى وحداته النَّغمية، أو تفعيلاته العَروضية وجدته ينقسم إلى التفعيلات الآتية

وليث	مقيم في	غياض	منيعة
//٥/٥	//٥/٥/٥	//٥/٥	//٥//٥
فعولُنْ	مفاعيلُنْ	فعولُنْ	مفاعِلُنْ

أمير على الوحش الـ	مقيم	ة في القفر
//٥/٥//٥/٥/٥	//٥/	//٥/٥/٥
فعولُن مفاعيلُنْ	فعولُ	مفاعيلن

وهكذا يمكنك أنْ تفعلَ بأيِّ بيت آخر من أبيات ابن حمديس.

خامساً : الأسلوب والصّور:

أ - أغراض التَّشبيه

من أحسن ما توصف به اللغة العربية: الإيجاز ، ومعناه ببساطة: التَّعبير عن المعاني الكثيرة بألفاظ قليلة، وهذا ليس بالأمر السَّهْل على كُلِّ النَّاسِ ، من هنا عُدَّ الإيجاز سِرّاً من أسرار البلاغة، بل بالغ الكثيرون فقالوا: البلاغة الإيجاز .

إذا عرفت هذا أدركْتَ قيمة استخدام التَّشبيه، لأَنَّك تستغني به عن كلامٍ كثيرٍ تريدُ إثباته للمُشَبَّه، وهل هناك أجلُّ وأعظمُ من هذه الآية القرآنية التي تلخص لنا حالة الحياة الدّنيا، وأنها رغم ما يتراءى لها من نضرة وزينة فهي صائرة إلى زَوَالٍ . قال تعالى: ﴿ واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماءٍ أنزلناه من السماء فأختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدراً ﴾ لخص لنا هذا التَّشبيه القرآني البليغ ما لو أردنا شرحه لاحتاج إلى صَفَحَاتٍ وصفحات، وهذا هو معنى الإيجاز .

وإذا كان هذا واحداً من أسباب استخدام التَّشبيه، فإنَّ ثمة أسبابًا أخرى أهمها:

الإيضاح ، والمُبَالَغَةُ ، فالتَّشبيه يخرج لنا المبهم إلى الموضح، ويجعل كُلًّا منهما يتراءى أمامنا في حالة ظهور وانكشاف، وبهذا يقضي على الغموض والالتباس.

كذلك فإنَّ تقريب المُشَبَّه إلى المُشَبَّه به على هذا النحو المخصوص، فيه نوع من المبالغة، وهي التي كانت دائماً هدف الشعراء ومقصد الأُدباء.

ومع ذلك، فقد اصطلح علماء البلاغة على عدد من أغراض التَّشبيه، نجملها فيما يلي :

١ - بيان حال المُشَبَّه، كقول امريء القيس:

كأَنَّ قُلوبَ الطَّيْرِ رَطْبَاً ويَابِسَاً   لَـدَي وَكْرِهَا العُنَّـابُ والحَشَفُ البَالِي

ذلك لأنَّ مُشَاهَدَةَ العُنَّاب والحشف البالي (نوع من الشجر حَبُّهُ كَحَبِّ الزيتون، ورديء التمر، على التوالي) مألوف مشاهدتهما، وليس كذلك الحال بالنسبة لقلوب الطير، ما كان منها رَطْبَاً، وما كان جَافًّا، مضى على صيد العُقَابِ له فترة من الزمن. فالتَّشبيه هنا جيء به لبيان حال المُشَبَّه.

٢ - بيان مقدار حال المُشَبَّه، والفرق بين هذا والنوع الأول، أنَّ ذلك يَرِدُ ليبين درجة الحالة، واستمع إلى الأعشى يقول:

كَـأَنَّ مِشْيَتَهَـا مِنْ بَيْـتِ جَارَتِهَـا   مَـرُّ السَّحَابَـةِ، لا رَيْـثٌ ولا عَجَـلُ

الشَّاعر هنا يُبَيِّن درجة من مشي هذه المرأة، فهي تمشي الهُوَيْنَي، ولكن على نحو مخصوص: لابطء ولا عجل. وهو لهذا قد بين مقدار حال المُشَبَّه.

٣ - تقرير حال المُشَبَّه، وهذا يكون غالباً في تشبيه المعنويات بالمحسّات المشاهدة، أي أَنَّه انتقال من الأَخفى إلى الأَظْهَر، وهذا الانتقال هو الذي يفيد التقرير.

من ذلك قولهم: التَّعلم في الصِّغَرِ، كالنَّقْشِ على الحجر.

يؤكدون بذلك أهميته ورسوخه في تلك السن.

٤ - بيان إمكان المُشَبَّه، ويكون ذلك حين يبدو المعنى غريباً على الأذهان، فيلجأ الشاعر إلى إيراد برهان يثبت به إمكانية ما يقول. ومن ذلك قول المتنبي لسيف الدولة:

فإنْ تَفُقِ الأَنَامَ وأَنْتَ مِنْهُم   فـإنَّ المِسْـكَ بَعْـضُ دَمِ الغَـزَالِ

إذْ كيف يتصور إنسانٌ تميز الفرع على الأصل، إلاّ إذا استحضر هذه الظاهرة: المسك من الدماء، ولكنه لم يعد منها، لما فيه من أوصافٍ شريفة لا توجد في الدم.

٥ - تزيين المُشَبَّه أو تقبيحه، وذلك كقول الشاعر عن العسل:

تقول: هذا مجاجُ النَّحْلِ تَمْدَحُهُ — وإن تَعِبْ، قُلْتُ: ذَاقِيءُ الزَّنَابِيرِ

ب - التشبيهات في مقابل الصورة لدى ابن حمد يس:

تعد هذه القصيدة قصيدة التَّشبيهات إنْ جاز التَّعبير، ذلك لأَنَّها زاخرة بجملة من التَّشبيهات جاء كُلٌّ منها يبلور غرضاً خاصاً من الأغراض التي سبق بيانها.

فهو يبين مقدار المُشَبَّه، في قوله: ويَقْطَعُ كاللّصّ السبيلَ على السَّفْرِ

وهو يبين مقدار حاله، في قوله: يصولُ بكَفٍّ عَرْضُ شِبْرَيْنِ عَرْضُهَا

وهو يقرر حاله بالغياض بأنه أمير، يأمر فيطاع، ويعزم فينفذ.

كذلك فإنه يزين لنا ظُفر الأسد حين يقول عنه:

. . . . كَأَنَّهُ — هِلَالٌ بَدَا للعَيْنِ في أول الشهْرِ

والتشبيهات في قصيدة ابن حمد يس عديدة، يناوب فيها بين استخدام حاسَّتَيْ السَّمْع والبصر معاً، وإنْ كان أكثر صور التَّشبيه يعود لحاسَّةِ البصر.

ينبغي أَنْ نعلم هنا، أَنَّ التَّشبيه لم يبتدع فقط لنقل الأشكال والألوان بذاتها أو كما نراها في دنيا الواقع، بل إنَّ له وظيفة أهم وأروع، وهي نقل الشعور بهذه الأشكال والألوان.

وحين نعود إلى قصيدة ابن حمد يس نفتش فيها عن عاطفة الشَّاعر وشعوره تجاه ما يصف، فقد لا يصادفنا مايروي الظمأ في تلك الناحية، ذلك لأَنَّ الشاعر قد اقتصر فقط على الإتيان بالشيء المتطابق مع ما يصف. فجبهة الأسد مثل المِجَن أو التُّرْسِ.

أسنانه شفرات قاطعة، وعيناه مصباحان بهما إشعاع مخيف أو برق مُشِعٌّ. وأَنْفُهُ أسود، صوته رعد، أنيابه صُلْبَة، ومخالبه سيوف.

كل ذلك عظيم وممتاز حين نقيسه بمقاييس البلاغة القديمة. لأَنَّهُ وصف

ظاهري، يحكي فيه الشاعر مايراه، دون أنْ ينقل إلينا شعوره وأحاسيسه تجاه مايرى، إنَّهُ فقط يقرر الواقع كما يبدو له من هيئة هذا الأسد وأوصافه.

وهـذا الوصف يفتقر إلى الكثير، حين نقيسه بمقاييس الصُّور والشِّعرية في مفهومها الحديث.

الصـورة الشعـرية هي لب القصيدة، لأنَّهـا عطاء الـلاشعور، وعن طريقه تتغلغل وتنفذ إلى ماوراء الأشياء. إنَّها تُحَلِّقُ بنا بعيداً حيثُ الجَوْهَرُ والعُمْقُ، وهي بذلك تثير لدينا الشعور تقريباً بنفس الدَّرجة التي انفجر بها شعور الشَّاعر أو الأديب. إنَّها تُبيِّنُ لنا - في كُلِّ مرة - وَقْعَ الأشياءِ على النَّفس، وكل جزئية في القصيدة تأتي وهي موظَّفَة لإبراز أحاسيس الشَّاعر وعواطفه، وبمقدار تقديم الشاعر لتلك المركبات العاطفية والعقلية التي شعر بها تجاه الناس والأشياء - يكون نجاحه واقترابه من قرائه ومستمعيه.

ليس بالضرورة في الصورة الشِّعرية أنْ تجيء كل مكوناتها من المجاز، فقد تستغل الصورة أيضاً الحقائق العادية، وتعبر عنها تعبيراً مجرَّداً، ولكنها في النهاية تُفَجِّرُ لدينا دلالات إيحائية كثيرة، وتستثير فينا العديد من التجارب والأرصدة النَّفسية.

الشِّعر في أَدَقِّ تعريفاته تعبير متحرك وأداء مَرِنٌ، ومن هنا كان ارتباطه بآفاق فلسفية وجمالية تنقل المتلقى إلى حالة الشَّاعر، فليس جموداً شكلياً أو محاكاة حرفية للأشياء، لأنَّ وظيفته الأساسية إنَّما تكمن في إيجاد الأرضية المشتركة من العاطفة والفكر والتأثير، بين كُلٍّ من الشاعر والمتلَقِّي على حَدٍّ سواء.

وباختصار نقول: إنَّه بإعمال المُعطَيات البلاغية القديمة، تتصدر قصيدة ابن حمـديس مكـانة لائقة بين شعر الوصف العربيّ، أمَّا إذا نظرنا إليها في ضوء « الصور الشعرية » بمفهومها الحديث، فقد تكون لنا عليها بعض الملاحظات، على نحو ما مرّ بيانه.

* * *

سادساً : النحو :

١ - المُثَنَّى

أ - قال تعالى: ﴿ قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب ﴾

تقول: صلاةُ الفَجْرِ رَكْعَتَانِ .

(رجلان): مُثَنَّى بمعنى (رَجُلٌ ورَجُلٌ)، ودَلَّ على معنى التَّثنية بزيادة ألف ونون على مفرده.

و (ركعتان) مثنى كذلك

وقد جاء (رجلان) و (ركعتان) مرفوعَيْنِ، فالأول: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الألف، والثَّاني: خبر مرفوع، وعلامة رفعه الألف .

- قال تعالى: ﴿ فوجد فيها رجلين يقتتلانِ ﴾

تقول: أَكْرَمْتُ الطَّالِبَتَيْنِ المُجِدَّتَيْنِ.

(رَجُلَيْنِ) مُثَنَّى، ودلَّ على معنى التثنية بزيادة ياء ونون مفتوح ما قبلهما على مفرده. وكذلك (الطَّالبَتَيْنِ).

وقد جاء (رَجُلَيْنِ) و (الطَّالبَتَيْنِ) منصوبَيْنِ على المفعولِ بهِ، وعلامة النصب فيهما الياء.

- قال تعالى : ﴿ كلتا الجنتين آتت أُكلهَا ﴾.

تقول: مَرَرْتُ برجُلَيْنِ يقرآنِ القُرآنَ.

(الجنَّتَيْنِ) مُثَنَّى ودلَّ على معنى التثنية بزيادة ياء ونون مفتوح ما قبلهما على مفرده - وكذلك (رَجُلَيْنِ).

وقد جاء (الجَنَّتَيْنِ) و (رَجُلَيْنِ) مَجْرُورَيْنِ، فالأول: مجرور بالإضافة وعلامة جَرِّه الياء، والثَّاني مجرور بحرف الجر (الباء)، وعلامة جرّه الياء.

تذكر أنَّ المُثَنَّى اسم يدل على اثنَيْنِ أو اثنتَيْنِ، بزيادة ألف ونون أو ياء

ونون مفتوح ما قبلهما على المفرد.

ويأتي في الكلام مرفوعاً، وتكون علامة رفعه الألف، أو يأتي منصوبًا، فتكون علامة نصبه الياء، أو يأتي مجروراً فتكون علامة جَرِّه الياء أيضاً.

* * *

ب - قال تعالى: ﴿ تبت يدا أبي لهب ﴾ وتقول: « إنَّ رَكْعَتَيْ الفَجْرِ مَشْهُودَتَانِ ».

وقال الشاعر: (يُوَسِّدُ شِبْلَيْهِ...) وتقول: سَلَّمْتُ على مُدَرِّسَيْ الفَصْلِ.

الجمل السابقة فيها (يَدَا ، وأصلها: (يَدَانِ)، و (رَكْعَتَيْ)، وأصلها: (رَكْعَتَيْن)، و (شِبْلَيْهِ)، وأصلها: (شِبْلَيْنِ)، و (مُدَرِّسَيْ)، وأصلها (مُدَرِّسَيْنِ). وقد حُذِفَت النُّون في جميعها لأَجل إضافة المُثَنَّى إلى ما بعده.

* * *

تَذَكَّرْ أَنَّ المُثنَّى إذا أُضِيْفَ إلى ما بعده حُذِفَتْ نونُهُ لأَجل الإضافة، وبَقِي إعرابه على ما هو عليه.

* * *

رَفْعُ الفِعْل المُضَارع

جاء في القصيدة:

- « ويَقْطَعُ كاللِّصِ السَّبيلَ على السَّفْرِ ».

(يَقْطَعُ): فعل مضارع، مرفوع، لأَنَّهُ لم يسبقه أداة نصب ولا جزم، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة.

- « فَمَا يَشْتَوِي لَحْمَ القَتِيل على الجَمْرِ ».

(يَشْتَوِي): فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضَّمة المُقَدَّرة.

- « تَرَى الأَرْضَ مِنْهُ وهي مضروبة الظَّهر »

(ترى): فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضَّمة المُقَدَّرة.

- قال تعالى: ﴿ فوجد فيها رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ ﴾
(يَقْتَتِلَانِ): فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النُّون، لأَنَّهُ من الأفعال الخمسة.

* * *

تذكر أَنَّ الفعل المضارع إذا لم تسبقه أداة نصب ولا جزم يكون مرفوعًا، وتكون علامة رفعه ضمة ظاهرة إذا كان صحيح الآخر، وضمة مقدرة إذا كان معتلّ الآخر بالألف أو الياءِ أو الواو. وتكون علامة رفعه ثبوت النُّون إذا كانَ من الأَفعال الخمسة.

* * *

سابعاً : التدريبـــات :

(١)

١ - وَظَّفَ ابن حمد يس حاسَّتَيْ البصر والسَّمع في قصيدته. استخرج من الأبيات ما يدلُ على كُلٍّ منهما.

٢ - هاتِ تشبيهَيْن من قصيدة ابن حمد يس، يختلف الغرض في كُلٍّ منهما، مع شرح ما تقول.

٣ - في قول ابن حمد يس « سِرَاجَاهُ عَيْنَاهُ » تقديم وتأخير. وَضِّحْ أثر ذلك في المعنى.

٤ - نستخدم التَّشبيه للإيضاح، كما نستخدمه للمبالغة. دَلِّلْ على هذا وذاك من أبيات ابن حمديس.

(٢)

من أجمع ماقيل في وصف الفيل :

وأضخـم هنـدي النِّجـار تعـــده ... ملـوك بني ساســان إنْ رابهــا أَمْـرُ

يَجِـيءُ كَطَـوْدٍ جائـل فـوق أربـع ... مضبـرة، لمـت كمـا لمـت الصخـر

لـه فخـذان كالكَثِيبَيْنِ لُبِّـدَا ... وصـدرٌ، كمـا أوفـى مـن الهضبـة الصَّـدْرُ

وَوَجْـهٌ بـه أَنفٌ كـراووقِ خمـرةٍ ... ينـال بـه مـا تـدرك الأَنمُـلُ العَشْـرُ

وأُذْنٌ كنصـف البـرد تسـمعه النَّـدا ... خفيـا، وطـرف ينفـض الغيـب مـزْوَرُّ

ونابـان شُـقَّـا لا يُـريكَ سواهمـا ... قَنَاتَيْـن سَـمْرَاوَيْن طَعْنُهُمـا نَثْـرُ

لـه لَوْنُ مـا بَيْـنَ الصَّباح وليلـه ... إذا نطـق العُصفورُ، أو غلـس الصَّقْـرُ

اكتب مقـالـة تقـارن فيهـا بين هذا الوصف للفيل، ووصف ابن حمد يس للأسد، مُشيراً إلى أَيِّهما أجود في نظرك، مع التعليل.

(٣)

١ - اقرأ القصيدة قراءة جيدة، واستخرج منها المُثَنَّي، ثم أعربه.

٢ - استخرج من القصيدة الأفعال المضارعة المرفوعة، وبيِّن علامة رفع كُلٍّ منها.

٣ - في الفصل طالبان اثنان.

أدخل على الجملة السابقة حرفاً ناسخاً وغير ما يلزم تغييره.

قال الشاعر:

سِـرَاجَاهُ عَيْنَـاهُ إذَا أَظْـلَـمَ الـدّجَى ∴ فإنْ بَاتَ يَسْرِى بَاتَتِ الوَحْشُ لاتَسْري

أ - لِمَ حَذَفَ النُّونَ في (سِرَاجَاه) و (عَيْنَاه).

ب - أعرب الجملة التي تحتها خط.

جـ - أدخل على الجملة التي تحتها خط حرفًا ناسخًا، ثم أعربها.

د - استخرج من البيت فعلاً مضارعًا، واذكر علامة إعرابه.

هـ - أدخـل على الفعـل (يَسْرِي) حرفًا جازمًا ، وآخَرَ ناصبًا ، وبيّن علامَتَيْ الجزم والنصب.

(٥)

املأ الفراغات التالية :

الـمُـثـنَّـى .... يَدُلُّ .... أُو .... بذيادة ....

ويأتي في الكلام مرفوعًا ، فتكون علامة رفعه .... ومنصوبًا ، وتكون علامة نصبه .... ومجرورًا، وتكون علامة جَرّه ....

وإذا أُضِيْفَ إلى مابعده حذفت .... لأَجل الإضافة.

* * *

(٦)

تدريـــب صـــرفي

١ - هات ماضيَ الأفعال المضارعة التالية :
يُوَسِّدُ - يَقْطَعُ - يَشْتَوِي - يَسْرِي - يُصَلْصِلُ - يَلْمَعُ - تَرَى - يَضْرِبُ - يَضْحَكُ - يَصُولُ - يُجَرِّدُ.

٢ - عَيِّن من الأفعال السابقة : فعلًا صحيحًا ، وفعلًا مثالًا ، وفعلًا أجوف ، وفعلًا ناقصًا ، وصَرِّف كُلًّا منها إلى الأمر ، واسم الفاعل ، واسم المفعول ، واذكُرْ ما يحدث فيها من تغيير .

٣ - زِنِ الأفعال التّالية، واضبط الميزان بالشَّكْلِ :
يُوَسِّدُ - يَشْتَوِي - يُصَلْصِلُ - يَرَى.

من النثر الحديث والمعاصر

نماذج مختارة

من فـنّ المقـال والقصـة القصيـرة والمسـرحية

- مَدْخَلٌ إلى فَنِّ المقالِ في الأدَبِ الحَديثِ وكيفَ يُفِيْدُ مِنْهُ الطَّالِبُ :

عِنْدَ قراءةِ كُلِّ مَقَالٍ ، وبَعْدَ الفَرَاغِ مِنْهُ، تَذَكَّرْ النِّقَاطَ التَّالِيَةَ :

١ - حَاوِلْ أَنْ تُرَكِّزَ ما أَمْكَنَ على فَهْمِ الفِكْرةِ الأَساسِيَّةِ في المَقَالِ ، وبَعْدَهَا دَوِّنْ لِنفْسِكَ الأَفْكَارَ الجُزئيَّةَ، مُفَكِّرًا في مَدَى الارتبَاطِ بَيْنَها :

٢ - بَعْدَ قِراءَةِ المَقَالِ ، حَاوِلْ أَنْ تَتَنَاقَشَ فيهِ مَعَ زَميلِكَ.

٣ - عُدْ إلى قراءةِ المَقَالِ مَرَّةً أُخرَى، ودَقِّقِ النَّظَرَ في الأَفكَارِ مِنْ جَدِيدٍ، في ضَوْءِ المُنَاقَشَةِ الَّتي أَجْرَيْتَهَا مع زَميلِكَ.

٤ - حَاوِلْ أَنْ تَكْتشِفَ طَرِيقَةَ كُلِّ كاتِبٍ في عَرْضِ المَوضُوعِ ، وعَمَّا إذَا كانَ يَقْتَصِرُ على تَقْدِيْمِ الحَقَائِقِ والأَفْكَارِ، أَوْ أَنَّهُ يُعَلِّقُ عليها رَفْضاً أَو اسْتِحْسَانًا.

٥ - حَاوِلْ أَنْ تَقْتَرِبَ أَكْثَرَ من مَنْهَجِ كُلِّ كاتِبٍ في عَرْضِ مَوضُوعِهِ، وسَوَاءٌ أَكَانَ يَعْرُضُه بطريقةٍ مَوْضُوعيَّةٍ، أَمْ أَنَّه أَحْيَانًا يَتدَخَّلُ لِيُعَلِّقَ على ما يَقُولُ.

٦ - تَحَسَّسْ مَدَى حَمَاسَةِ الكاتِبِ تُجَاهَ ما يَكْتُبُ، وعَمَّا إذَا كُنْتَ تَشْعُرُ بِجِدِّيَّتِهِ وإيْمانِهِ في تَنَاوُلِ المَوْضُوعِ ، وحَاوِلْ التَّدْلِيلَ على ذلِكَ.

٧ - انْظُرْ إلى نَوْعِيَّةِ الجُمَلِ المُسْتَخْدَمَةِ - ولَو في فِقرةٍ واحِدَةٍ - مِنْ كُلِّ موضُوعٍ ، وعَمَّا إذَا كانَتْ بَسِيطَةً أَوْ مُرَكَّبَةً، ومقدارِ انعكاسِ ذلِكَ على سُرْعَةِ فَهْمِكَ أو بُطْئِهِ حِيْنَ قِرَاءَةِ المَقَالِ.

٨ - هَلْ لِكُلِّ كاتِبٍ « لازِمَةٌ » مُعَيَّنَةٌ: صِيْغَةٌ / تعبيرٌ / جُملَةٌ - يُكَرِّرُهَا عادةً ويُكْثِرُ مِنْ ذِكْرِهَا ؟

٩ - إلى أيِّ مَدَى تَسْتَطِيْعُ تَصْنِيفَ أُسْلوبِ كُلِّ كاتِبٍ، في ضَوْءِ ما تَعْرِفُ عَنْ تَنَوُّعِ الأَسَاليبِ مابَيْنَ عِلْميَّةٍ وأَدبيَّةٍ أو عِلْميَّةٍ مُتَأَدِّبَةٍ.

١٠ - إلى أيِّ مَدَى تَنْعَكِسُ ثَقَافَةُ كُلِّ كاتِبٍ في موضُوعِهِ، سَواءٌ عَنْ طَرِيقِ الاقْتِبَاسَاتِ أو التَّضْمِينَاتِ أو المَعَارِفِ العَامَّةِ والمُتَخَصِّصَةِ.

١١ - هَلْ يَصِلُ كُلُّ كاتِبٍ إلى النَّتَائِجِ بطريقةٍ مُقْنِعَةٍ، أَمْ أَنَّ هُناكَ أحيانًا بَعْضَ

التَّعَسُّفِ في إِصْدَارِ الأَحْكَامِ ؟

١٢ - هَلْ تَتَلَمَّسُ آثارَ ثَقَافَةٍ عربيَّةٍ خَالِصَةٍ في أُسْلُوبِ الكاتِبِ، أَمْ أَنَّ هُناكَ أيضًا بَعْضَ آثارِ الثَّقافَةِ الغَرْبيَّةِ ؟

١٣ - هَلْ تُوْحِي عَناوِيْنُ المَقَالاتِ بالمَضْمُونِ؟ اِقْتَرِحْ عَدَداً من العَنَاوِيْنِ المُناسِبَةِ الأُخْرَى.

١٤ - هَلْ تَجِدُ خَيْطَاً وَاحِدَاً يُمْكِنُ أَنْ تَشُدَّ إِليه كُلَّ المَقَالاتِ أَوْ بَعْضَها ؟ حَاوِلْ أَنْ تُفَكِّرَ في ذلك.

١٥ - أَجِبْ عَنْ التَّدْرِيبَاتِ المَكْتُوبَةِ، والمُلْحَقَةِ بِآخِرِ كُلِّ مَقَالٍ.

الوحدة الرابعة عشرة
أَسْماءُ العُشْبِ والشَّجَرِ في بَوَادِي العَرَبِ

د. / عبد الوهاب عزام ١٣١٢ - ١٣٧٩ هـ
١٨٩٤ - ١٩٥٩ م

أولاً : صاحِبُ النَّصِّ : -

أديبٌ عارفٌ بالفرنسية والانكليزيَّةِ والفارسيَّة والأُورْدِيَّةِ والتُّركيةِ. وُلِدَ في مِصْرَ من أُسرةٍ ليبيَّةِ الأصْلِ سنة ١٨٩٤ م ، وتَخَرَّجَ في مدرسةِ القَضَاءِ الشَّرْعِيّ، ودرَّسْ بها. حَصَلَ على إجازة في الآدابِ من الجامعةِ المِصْرِيَّةِ، وعُيِّنَ بالسّفارَةِ المِصْريَّةِ بلندن.

أُخْتِيرَ عميدًا لِكُليّةِ الآداب، فمديرًا بالإنابةِ لجامعَةِ فُؤادِ الأول (القاهرة). ثم انْتُخِبَ عُضْوًا في المَجْمَع اللُّغَوِيّ المِصْرِيّ والمَجَامعِ العِلْمِيَّة في كُلِّ من سُورِيَّةَ والعِرَاقِ وإِيْرَانَ.

انتقلَ إلى السِّلْكِ الدُّبلوماسِيّ، فعُيِّنَ سفيرًا لمِصْرَ في المملكةِ العربيَّةِ السّعوديةِ، ثم في باكِسْتَانَ، فالمملكةِ العربيةِ السعوديةِ.

زارَ عددًا من بلادِ الغَرْبِ والشَّرْقِ، كفرنسا وسويسرا وبلجيكا وتركيا وإيران، وأكثر الأقطارِ العربيَّةِ. تُوفِّيَ بالسَّكْتَةِ القلبيَّةِ بمنزلِهِ بالرِّياض سنة ١٩٥٩م ونُقِلَ جُثْمَانُهُ للقاهرة ودُفِنَ بها.

من آثارِهِ: ذِكْرَى أبي الطَّيِّب بَعْدَ ألفِ عام ، رحلاتُ عبدِ الوَهَّاب عزام، الشَّوَارِدُ أو خُطُوَاتُ عَامٍ ، مُذَكِّرَاتٌ في تاريخ الأمة العربية، الأوابِدُ. (بَلَغَتْ مؤلفاتُه حواليَ أربعةٍ وثلاثِينَ مُؤَلفًا).

أَسْماءُ العُشْب والشَّجَر في بَوَادِي العَرَب

ثانيا : النص

لا أَقْصِدُ بكَلِمَتي هذه إلى أنْ أَزِيْدَ عُلَمَاءَ النَّباتِ أو اللُّغَوِيِّينَ معرفةً بأعشاب البِلادِ العربيّةِ وأشْجَارِهَا، ولا أُريدُ إيْضَاحَ ماذَكَرَهُ اللُّغويونَ مُجْمَلاً أو مُبْهَماً. ولاتَسْمِيَةَ مالم يُعْرَفْ له اسْمٌ عربيٌّ مِنْ أنواعِ النَّباتِ، ولكنِّي أُريدُ التَّنْبِيهَ إلى ماعَسَى أنْ يُسْتَفادَ من البَحْثِ في البوادِي، في إكْمَالِ مَعَاجِمِ النَّباتِ العَربيَّةِ أو تَوْضِيحِهَا أو تَصْحِيْحِها. والتّعريْفَ بأنَّ العربَ في بوادِيْهم لايَزَالُونَ يتكلَّمُونَ بما تَكَلَّم به آباؤُهُم مِنْ قَبْلُ في تَسمْيَةِ الأعْشَابِ والأشْجَارِ وصُنُوفِ النَّباتِ، وأنَّ زَمَانَ الاستفادَةِ من البوادِي في هذا الشَّأنِ لم يَمْضِ.

ذَهَبْتُ لِسياحَةٍ في جزيرةِ سيناءَ مع جماعةٍ من أساتِذَةِ كُلّيةِ الآدابِ وطُلّابها شِتَاءَ سنة ١٩٤٠ م. وكانَ من هَمِّي في هذه السِّياحَةِ أنْ ألقى الأعْرابَ وأتحدَّثَ إليهم على قَدْرِ مايَتَّسِعُ الوَقْتُ في هذِهِ السِّياحَةِ القصيرَةِ.

وكانَ أوَّلُ مَنْ تَحَدَّثْتُ إليه أعرابيًا اسمُهُ مُطَيْرٌ من قبيلةٍ اسمُها القَرَارِشَةُ. فسألتُهُ عن نباتٍ صغير تنبتُ أغصانُهُ مِنْ جُذُورِهِ مُسْتَقِيمةً دقيقةً ولَهُ وَرَقٌ مُسْتَطِيلٌ دَقِيقٌ، فقالَ : هذا « الرِّتَم ». فذكَرْتُ قِصَّةَ أبي الطَّيِّبِ المُتَنَبِّي حين فارَقَ مِصْرَ إلى العِراقِ وارْتَابَ في الطريقِ بأحدِ عَبِيْدِهِ فَضَرَبَهُ بالسَّيْفِ فَخَرَّ على رَتَمَةٍ. وذكرْتُ قولَ الرَّاجِزِ :

نَظَرْتُ والعَيْنُ مبِينَةُ التُّهَمْ
إلى سَنَا نارٍ وَقُودُها الرَّتَمْ
شُبَّتْ بأعْلَى عانِدين من إضَمْ

وسَألتُ مِنْ بَعْدُ أعرابياً اسمُهُ حُمَيدٌ رَكِبْتُ جَمَلَهُ إلى جَبَلِ مُوسَى :

قلتُ : أهنا ثُمَامٌ ؟ قال : لا . في وادِي كذا ثُمَامٌ كثيرٌ. قلتُ : نَحنُ نقرأُ في كلامِ العَربِ قَولَهُمْ: هذا الشَّيءُ على أطراف الثُّمامِ . قال: نَعَمْ كذلِكَ

نقولُ، إذا كانَ الشَّيءُ كثيراً قريباً لأنَّ الثُّمامَ قصيرٌ.

وسِرْتُ يوماً على ظَهْرِ جَمَلٍ اسمُهُ هِديّان واسمُ صاحِبِهِ فَرْحَانُ وكانَ مَعِي أحدُ الطُّلابِ على جَمَلٍ آخَرَ اسمُهُ صَبيحٌ.

وكانَ معنا صَبيٌّ فَطِنٌ لَقِنٌ اسمُهُ سَعْدٌ دونَ العاشرةِ تَطَوَّعَ لِصُحْبَتِنا. وسَمِعَني سَعْدٌ أسألُ عن أسْماءِ النَّباتِ. فكان لايَمرُّ بنباتٍ إلا سَمَّاهُ وقَلَعَهُ أو قَطَعَ فَرْعاً مِنْهُ وناوَلني إيّاه.

ناولني شِيْحَةً. فَقُلْتُ: أهنا قَيْصومٌ؟ فأَسْرَع بعد قليل إلى شُجَيْرَةٍ فَقَلَعَها وأتى بها وقال: هذه قَيْصُومَةٌ وهى تُشبِهُ الشِّيْحَ لايُمَيِّزُ بينهما إلا الخَبيرُ بالأَعْشَابِ.

ثم مَرَرْنَا بنباتٍ صغيرٍ لاطِيءٍ بالأرْض له عُصَارَةٌ لَزِجَةٌ فقال سَعْد: وهذه لُبَيْدَةٌ. ورأى شَجَرةَ شَوْكٍ كبيرةً فقال هذه سِلَّةٌ. ثم سَمَّي من ضُروبِ النّباتِ الّذي مَرَرْنا به الوراقةَ والكبَاثَ وهو يُشْبهُ السِّلَّةَ ولكنه أَضْعَفُ شوكاً وكان جَمَلُنا هِديَّان إذا مَرَّ بكَبَاثَةٍ أبى إلاّ أنْ يَميلَ إليها ليأكُلَ منها. والكَبَاثُ في معاجم اللغة ثَمَرُه الأَرَاكِ. وهو غيرُ هذا.

ومِمَّا رَأَيْنَا الخرمْاعُ. وهو نَباتٌ له أَصْلٌ مُسْتَقِيمٌ كالعَصَا وفُروعٌ قَصِيرةٌ رَأَيْتُ واحِـدةً منها يابِسَةً فأَشَرْتُ إلى سَعْدٍ فَجَرى إليها وحَاوَلَ قَلْعَها فاسْتَعْصَتْ عليه فنادَيْتُهُ أنِ اتْرُكْهَا فأبى ومازَالَ يَقُومُ ويَقْعُدُ حَتّى قَلَعَها.

وأراني سَعْدٌ من النَّباتِ النُّعْمانَ وأَصابعَ العَجُوزِ والمرَوْرَةَ والبرِكْانَ والدُّهْمي وكُلُّها من النبات الضَّعيفِ الصَّغير.

ورأيتُ الزَّعْتَرَ والعُثيرانَ. قال سَعْدٌ: هو نباتُ الحَمِير.

ولَمَّا اجْتَزْنَا وادِيَ فَارَانَ في رُجُوعِنَا لَقِيْتُ صَبِيًّا اسمُهُ رَبيعٌ يَرْعَى غَنَماً فسألتُهُ عن نَبَاتٍ ضَعِيفٍ يُشْبهُ البَصَلِ. قال: بَرْوَقٌ.

أقولُ: البَرْوَقُ مَعْرُوفٌ في أمثالِ العَرَبِ. قالُوا: أَشْكَرُ مِنْ بَرْوَقٍ لأَنَّهُ يعيشُ

بأدنى نَدَى يقعُ على الأرْض. وقالوا: أَضْعَفُ مِنْ بَرْوَقَةٍ.

ثم سَأَلْتُ ربيعاً عن نَبْتٍ آخَرَ فقال هو الرِّمْثُ. قلت رأيت حَطَبَ الرِّمْثِ في العِرافِ وهو أطولُ مِنْ هذا. وذكرتُ قولَ أبي الطَّيِّبِ يَذْكُرُ ناقَتَهُ في قصيدتِهِ التي مَدَحَ بها ابنَ العَميدِ:

تَرَكَتْ دُخانَ الرِّمْثِ في أَوْطَانِها طلباً لِقَوْمٍ يُوقِدُونَ العَنْبَرَا.

وتَوَقَّفْنَا في مسيرنَا مِنْ بُعْدٍ عِنْدَ جَبَلٍ يُسَمَّى جَبَلَ الزُّمُرُّدِ فسألتُ أعرابياً هناك عن عُشْبٍ ضعيفٍ له زَهْرٌ بَنَفْسَجِيٌ قال هو البَهكَ ينبتُ بَعْدَ المَطَر، ثم سألته عن نَبْتٍ له ثَمرٌ مُسْتَدِيْرٌ ذُو شَوْكٍ فقال السَّعْدَانُ. قلتُ أهو هذا؟ وتَذَكَّرْتُ حَسَكَ السَّعْدَانِ وقولُ العَرَب: مَرْعَى ولا كَالسَّعْدَانِ.

وأَكْثَرُ هذه الشُّجَيْرَاتِ مذكورٌ في كُتُبِ اللُّغَةِ باسْمِهِ المعرُوفِ اليومَ وبَعْضُها يُذْكَرُ باسمٍ قريبٍ. وبَعْضُها لم أَعْثَرْ عليه في المَعَاجِمِ مثلُ الُّلبَّبْدَة والخِرْمَاع. وفي مُعْجَمِ أحمد عيسَى أم لُبَّيْدَةَ ولَعَلَّها اللُّبَيْدْة التي ذَكَرتُ.

* * *

وفي هذه السَّنَةِ رأيتُ في جزيرةِ العَربَ شَجَراً ونباتاً أسماؤها كما نَعْرفُ في كُتُبِ اللّغَةِ والأدبِ، وعرفتُ تَمْييزَ العَربِ بينَ فصائِلَ من الشَّجَرِ مُتَشَابهةٍ لايُفرِّقُ الناظِرُ غيرُ الخَبيرِ بينها مثلُ السَلَّمَ والطَّلَعْ والسَّمُر والعَوْسَج وهي كثيرةٌ في أرجاءِ الجزيرة.

ورأيتُ المَرْخَ كثيرًا، وفي المثل العربي: لِكُلِّ شَجَرٍ نَارٌ واستُمْجِدَ المَرْخُ والعفارُ.

وكنتُ على مقربةٍ من بَدْرٍ فرأيتُ شَجَرَةً حَسِبْتُها أَرَاكاً. ولكنَّ دليلَنا «عايذاً» تَأَمَّلَ فيها وقالَ: هذا تَنْضُبُ. وفي القاموس «والتَّنْضُبُ شَجَرٌ حِجَازِيٌّ شَوْكُهُ كَشَوْكِ العَوْسَجِ» وفي اللسان «والتَّنضُبُ شَجَرٌ يَنْبُتُ بالحجازِ وليس بنَجْدٍ مِنْهُ شيءٌ إلا جزْعَةً واحِدَةً بطرف ذِقان عند النقيدة. وهو يَنْبُتُ ضَخْماً على هيئة السَّرْحِ وعِيْدَانُهُ بيْضٌ ضَخْمَةٌ».

وقال أبو نَصْر: « التَّنْضُب شَجَرٌ لَهُ شَوْكٌ قِصَارٌ وليس من شَجَرِ الشَّوَاهِقِ . »
والَّذي رَأيتُهُ شَجَرَةٌ لها أغصانٌ ذاتُ أنابيبَ متواصلةٍ وليس لَهُ وَرَقٌ. فما أَدْري أَهُو تَنْضُبَةٌ صغيرةٌ أو ضَرْبٌ آخَرُ كما يُؤخَذُ من كلام أبي نَصْر.

ورأيتُ عايداً يقلَعُ نَبَاتاً فيضعُهُ تَحْتَ عَجَلِ السَّيارَةِ وقد ساخَتْ في الرَّمْلِ فَقُلْتُ ما هذا قال : عَرْفَجٌ . قلت رَأيتُ العَرْفَجَ في نَجْدٍ وهو غيرُ هذا. قال: ذاكَ النَّباتُ الأبيضُ؟ نعم: يُسَمَّى في نَجْدٍ عَرْفَجاً.

قلتُ إنَّ اختلافَ الرِّواياتِ في كُتُبِ اللُّغَةِ تَنْشَأُ أحياناً مِن مِثْلِ هذا، أعني اختلافَ التَّسميةِ باختلافِ البِقَاعِ .

وفي الطَّريقِ بينَ مدينةِ الرِّياضِ والخَرْجِ وهو قُرَى ومزارِعُ على ٨٥ ميلاً من الرِّياضِ إلى الجنوبِ والشَّرْقِ وَقَّفنا السَّيارَةَ في رَوْضَةٍ فيها ضُروبُ العُشْبِ والشَّجَرِ. وكان سَوَّاقُنا من قبيلةِ الدَّواسِرِ وهي تَنْزِلُ واديًا يُسَمَّى باسْمِهَا يَهْبطُ من اليمينِ إلى الشَّمالِ الشَّرقيِّ، وكانَ على مَعْرفَةٍ بنباتِ الباديةِ ولكنَّ الحارسَيْنِ اللَّذيْنِ رَافقَانَا كانَا أَبْلغَ مَعْرِفَةً لم يجْهَلا شَيْئاً مِمَّا سألناهُمَا عنه. وقد سألتُهمَا، فَعَرَّفَاني بالأنواعِ الآتيةِ فَأَخَذْتُ أُصُولاً منها وفُروعَاً، وهي الخزامَي والحَمْضُ والحَوْذَانُ والنفَّلَ والقَيْصُوم والثُّمَامُ والعُنْصُلُ، والبُعَيْثرانُ والعِشْرِقُ والسَّنا والعَرْفَجُ والخَطْمِيُّ.

وكُلُّها معروفةٌ في شِعْرِ العَرَبِ وكُتُبِ اللُّغَةِ إلا البُعَيْثَرانَ لم أَجِدْهُ في المعاجِمِ اللُّغويةِ ولكِنْ وَجَدْتُ العَبَيْثَرَان والعَبَوْثَران. ولا أدْرَي أأَخْطَأَتُ السَّماعَ أم تَغَيَّر الاسْمُ. وفي مُعْجَمِ النَّباتِ للدكتور أحمد عيسى: البُعيثران.

وقد ذَكَّرَني الحَوْذَانُ والنَّفَلُ بقول أبي الطَّيِّبِ في قصيدةٍ يمدَحُ بها عَضُدَ الدَّولةِ:

سُبُـــلٌ تَطُـــولُ الـمَـكْـــرُمَـاتُ بِهَـــا
والمَجْـــدُ لا الحَـــوْذَانُ والنَّفَـــلُ

وقد سَأَلْتُ أَحَدَ الحارسَيْنِ عن شجرةِ حَنْظَلٍ فقال: هذا الشَّرَي. والمعروفُ

في كُتُبِ اللغة الشَّرْيُ بسكون الراء ولكنَّ البدويَّ يَصْعُبُ عليه النُّطْقُ بالحرفِ ساكناً قبلَ آخرِ الكلمةِ لالتقاءِ السَّاكنَيْن. وسألتُهُ عن حَنْظَلَةٍ صغيرةٍ قلت: ألا تُسَمِّي الهَبيد؟ قال كُلُّهُ هَبِيْدُ. وفهمْتُ من كلامِهِ أنَّ الهَبِيدَ لُبُّ الحَنْظَلِ أو شَحْمُهُ كما يقول اللغويون.

وذكرتُ قولَ المَعَرِّي في اللُّزوميات:

كَـذَاكَ نَعَـامُ الـقَفْـرِ يَخْشَـى مِـنَ الـرَّدَى
وقُـوتَـاهُ مَـرْوٌ بالفَـلاَ وهَبِيْـدُ

وقولُهُ:

وكَـمْ ظَالِـمٍ يَلْتَـذُّ شَـهْـدَاً كَأَنَّـهُ
ظَلِيـمٌ قَـرَاهُ بالـفَـلاَةِ هَبِيْـدُ

ومن الأسماءِ التي سمعتُها مِنْ رفيقي ولم أعرِفْها من قَبْلُ:
القِرْقَاصُ، والذَّنَابي، والمَكَر والنَّقد والرَّمَارِمُ. وقال مُحَدِّثي إنَّ الرَّمَارِمَ نافعٌ في عَضِّةِ الثُّعْبَانِ.

ولم أجدْ في كُتُبِ اللُّغَةِ القِرْقَاصَ ووَجَدْتُ الذَّنابَي باسم الذَّنَبان والمَكَر في اللسان بسكون الكاف والرمَّارم بلفظ الرُّمْرَام. ويقول صاحِبُ القاموس: يأخُذُهُ النّاسُ يُسْقَونَ منه من العَقْرَبِ.

ورأينا في نجدٍ عائِدِيْنَ من الرِّياضِ القَتَادَ وهو شُجَيْرَاتٌ صِغَارٌ لها أغصانٌ يَكْسُوها شَوْكٌ صُلْبٌ حادّ. ولهذا قال العَرَبُ في الأمرِ البعيدِ: «دُونَ ذا خَرْطُ القَتَادِ».

وقُصَارَي القَوْلِ أنَّ في بوادِي العَرَبِ ضُروباً كثيرةً من النَّباتِ لها أسماءٌ تَعْرفُها البادِيةُ وهذِهِ الأسماءُ تَتَناوَلُ الأجْنَاسَ والأنواعَ والفَصَائِلَ وتُميِّزُ بَيْنَ الأشْبَاه.

مُعْظَمُ هذِهِ الأسماءِ مَعْرُوف في الأَدَبِ القديمِ ومَعَاجِمِ العربيةِ، وقَليلٌ منه لا يُلْقَى في المعاجم.

فَذَهابُ طائفةٍ من عُلَماءِ النَّباتِ واللُّغَةِ إلى تِلكَ البَوادِي وبَحْثُهُم عَنْ ضُروبِ النَّباتِ وأسمائِها وَوَصْفِها وتَصْويرِها حَرِيٌّ أَنْ يُؤدِيَ إلى هذه النتائج :

١ - تَحقيقُ الأسماءِ القَديمةِ ومَعْرِفَةُ مُسَمَيَّاتِها مَعْرِفَةً بَيِّنَةً.

٢ - والفَصْلُ في الرِّواياتِ المُختلفَةِ في مَدْلُولِ اسمٍ مِنْ أسماءِ النَّباتِ بمعرفَةِ مدلولِ الاسْمِ في هذا العَصْرِ وتَصْويرِهِ وبَيَانِ أَنَّ بَعْضَ الرِّواياتِ التي في المَعَاجِمِ غيرُ صحيحةٍ أو أنَّ المُسَمَّى يَخْتَلِفُ باختلافِ البِقَاعِ أَحْيَاناً.

٣ - وتَسْمِيَةُ مالَمْ يُعْرفْ لَه اسْمُ عربيٌّ من أصنافِ النَّباتِ التي يَعْرَفُها النَّباتيونَ بأوصافِها دونَ أَسمائِها أو يعَرْفونَها بأسمائِها اللاّتينية. فعالِمُ النَّباتِ يَعْرفُ النَّبتةَ حِينَ يَرَاها في البَرِّيَّةِ فَيسأَلُ عنها فيُسَمِّيها بالاسمِ الذي يَسْمَعُهُ.

وهذا أَيْسَرُ على الباحثين وأَقْرَبُ إلى التَّحقيق وأوثَقُ في التَّسميةِ مِنْ تَعْريبِ الاسْمِ الأعجميّ أو تَرْجَمتِهِ أو ارْتَجالِ اسْمٍ للنَّباتِ.

فأقترِحُ أنْ يَتَعاوَنَ مجمعُ اللُّغةِ العربيّةِ وجامعةُ فُؤادِ الأولِ على إرسالِ بعثةٍ إلى جزيرةِ العَـرَبِ أو إلى ما هو أَقْـرَبُ منهـا كبـاديةِ سيناءَ والصَّحَراءِ الغربيَّةِ المصـريَّةِ. لتبـدَأَ العَمَـلَ في هذا فَتَرىَ الشَّجَرَ والنَّباتَ وتَصِفُهُمَا وتُصَوِّرُهُما ثم تَعْـرِضُ على المجْمَـعِ نَمـاذِجَ من عَمَلِهَا ليتَّخِذَ الوسائِلَ الكفيلَةَ بالمُضِيِّ في العَمَلِ إلى غايَتِهِ. وبهذا يَتَسَنَّى وَضْعُ مُعْجَم للنَّباتِ عَرَبيٍّ يكونُ عُمْدَةً للباحِثينَ و مَرْجِعَاً لِطُلاَّبِ الأَدَبِ واللُّغَةِ الذين يُعانُونَ اليومَ ما يعانُونَ في الاسْتِعَانَةِ بمعاجِمِ اللُّغَةِ لمعرفَةِ مايَرِدُ مِنَ النَّباتِ في الأدَبِ والتَّاريخِ وفُنُونٍ أُخْرى.

* - التدريبـــات :-

تدريباتٌ للكتابة

(١)

١) ما الهدفُ الأساسيُّ لكتابةِ هذا المقال؟

٢) ما الإجراءَاتُ التي اتَّبَعَها كاتبُ المقالِ في جَمْعِ مادةِ موضوعِهِ؟

٣) اكتُبْ قائمةً بالمُصْطَلَحاتِ الواردَةِ في المَقَال، مُحاولاً ترتيبَها ألفبائياً.

٤) كانت هذه الدِّراسَةُ مَدْخَلاً إلى تَذَكُّرِ بَعْضِ الشِّعْرِ القديم
اذكُرْ شيئاً منه مَعَ الشَّرْحِ.

٥) إلى أيِّ مدَى يَخْدمُ (أولا يخدمُ) هذا المقالُ القَواميسَ العربيةَ؟

٦) يقترحُ الكاتِبُ إثراءَ البَحْثِ العلميّ بعَمَلٍ مُسْتقبلِيٍّ.
وَضِّحْ هذا العَمَلَ، واذكُرْ رَأْيَكَ.

٧) هل يمكنُ الاستفادةُ من الخُطوطِ العَامَّةِ لهذا البَحْثِ في مجالاتٍ أُخْرَى؟

(٢)

عليك القيامَ بزيارةٍ ميدانيةٍ للمكتبةِ، للتَّعَرُّفِ على أهمِّ القواميسِ التي تَخْدمُ النَّواحِي العلميةَ والإداريَّةَ (خَصِّصْ بطاقةً لِكُلِّ قاموس واكتُبْ عليها: اسم جامع القاموس، عنوان القاموس، الحقل الذي يمكن الاستفادة به فيه).

(٣)

اكْتُبْ حسب التّعليمات:

أ) رِسَالةً إلى صحيفةٍ تُوَجِّهُ فيها نَظَرَ المَسْئُولِيْنَ إلى مُشْكِلَةٍ من المُشْكِلاتِ (اقترحْ عدداً من الحلول).

ب) قائمةً بأنواع الهَدَايا التي يُمْكِنُ تقديمها للرِّجَال أو النِّساءِ (ضع تصنيفاً لها حسب المناسبات المختلفة).

جـ) تَهْنِئةً لأحدِ أصدقائِكَ بمناسبةِ حُصُولِهِ على دَرَجَةِ الليسانس.

* * * * *

تدريب نحوي

(٤)

١) اقرأ النَّصّ جيداً واستخرجْ منه كُلَّ فَضْلَةٍ زَائِدَةٍ على تأليفِ الجُمْلَةِ الفِعْلِيَّةِ، وبيِّنْ نَوْعَها.

٢) استخرجْ من النَّصّ الجُمَلَ المَنْسُوخَةَ بأفعالٍ ناسِخَةٍ، واذكُرْ اسْمَ الفِعْلِ الناسِخِ وخَبَرَهُ، مع بيانِ نَوْعِ الخَبَر.

٣) استخرجْ من النَّصّ الجُمَلَ المَنْسُوخَةَ بحُروفٍ ناسِخَةٍ، واذكُرْ اسْمَ الحَرْفِ النَّاسِخِ وخَبَرَهُ، مع بيانِ نَوْعِ الخَبَر.

٤) قال الكاتب: (هُنَا قَيْصُومٌ).

أَدْخِلْ على هذه الجُملةِ فِعْلاً ناسِخاً مَرَّةً، وحَرْفاً ناسِخاً أُخرى، واضْبطْهَا بالشَّكْلِ.

٦) استخرجْ من النَّصّ كُلَّ جَمْعٍ مُذَكَّرٍ سَالِمٍ، وبيِّنْ عَلَامَةَ إعْرَابِهِ.

* * *

تدريبٌ صَرفيٌّ

(٥)

اقرأ النَّصّ جيدًا واستخرجْ منه كُلَّ مَصْدَرٍ، ثم أَرْجِعْهُ إلى فِعْلِهِ، وبيِّنْ هَلْ جَاءَ على الأوزانِ القِيَاسِيَّة أم هُوَ سَمَاعِيٌّ؟

* * *

الوحدة الخامسة عشرة

الشَّمسُ أُمُّ الطَّاقــات

للدكتور أحمد زكي

أولا : صاحب النَّص:-

كيمياويٌّ أديب مزج بين العلم والأدب. وُلِدَ سنة ١٨٩٤م، بمدينة السّويس وانتسب إلى المـدرسة الابتدائية ثـم أتمَّ تحصيلَهُ الإعدادي بالمدرسة التّوفيقية الثَّانوية، والتحق بمدرسة المعلمين العليا، حتى إذا تَخَرَّج من قسمها العلمي سنــة ١٩١٤م، عُيِّنَ مُدَرِّسـاً بالتعليم الثَّـانـوي. وسافر إلى انكلترا فنال درجة البكـالوريوس في العلوم من جامعة ليفربول، وحصل عام ١٩٢٤م على درجة دكتور في الفلسفة ثم نال درجة دكتور في العلوم، عاد إلى مصر فشغل منصب أستـاذ مسـاعد في الكيمياء العضوية بكلية العلوم بجامعة فؤاد الأول (القاهرة الآن) ثم أصبح أستاذاً للكيمياء فيها.

وتنقَّلَ في مناصبَ عِدَّةٍ حتى وصل إلى منصب مدير جامعة القاهرة، ثم أُحِيْلَ على التقاعد، رَأَسَ تحرير عِدَّة مجلاَّت منها الرِّسالة. . والثقافة. . والعربي. من آثاره: سلطة علمية. قصة المكروب. مواقف حاسمة في تاريخ العلم. مع الله في السماء. وفي سبيل موسوعة علمية. انتقل إلى رحمة الله سنة ١٩٧٥م.

* * *

* - ثانياً : النَّص :-

الشَّمسُ أُمُّ الطَّاقـات

الشَّمس

* كتبَ إلينا كاتبٌ يقول: إنَّكُم تَكْتُبونَ لِلنَّاس تَوارِيخَ حَيَاةٍ، فِلمَ لا يكونُ للشَّمْسِ تاريخٌ، وهي - كما قلتُم وردَّدْتُم كثيراً - أُمُّ الحياة؟

كتابٌ لطيفٌ احْتَوى مَطْلَباً هو بعض الأماني الحُلْوة، يتعذَّرُ تحقيقه.

إننا لا نستطيعُ أنْ نبدأ للشَّمس بذكر حياةٍ. وإذا نحن ابتدأْنَا، فلا نستطيعُ أنْ نَخْتِمَ للشَّمس ذكر حياة. ذلك أنَّا نحنُ الأحياء، سبقَتْنَا الشَّمسُ في الوجود، ولأنَّنا نحن الأحياء، سوف نسبق الشَّمسَ في الفَنَاء.

إنَّ العلماءَ يُقَدِّرُونَ عُمْرَ الشَّمس في حاضرها كما يُقَدِّرُ الطَّبيبُ عُمْرَ الرَّجلِ الذي فَقَدَ شهادةَ الميلاد، فيقولون إنَّ الشَّمس قد يبلُغ عمرُها خمسةَ ملياراتٍ من السِّنين، والمليار ألف مليون.

ويقدِّر العلماء حياة الشَّمسِ التي سوف تكون بعشرة مليارات من السنين، وقيل ستتحول الشمس إلى نَجْمٍ غيرِ ذي بالٍ ، سوف يُخْرِجُ من الإشعَاع ما يَرْفَعُ درجةَ حرارةِ الأرضِ إلي فوق درجة غَلَيَانِ الماء، وعِنْدَئِذٍ تُطْوَى الحَيَاةُ طَيّاً من فوق سطح الأرض.

* * *

وأحداثٌ أُخرى أَحْدَثَتْهَا الشَّمْسُ في التاريخ، فيما عَرفَ الإنسانُ منه، وفي التّاريخ قَبْلَ أَنْ يعرفِ الإنسانُ ما التّاريخ، دَلَّتْ على بعض إنجازات الشَّمس في حياتها السَّابقة في هذا الكون، وهي إنجازاتٌ لم تفرغْ بَعْدُ من إنجازِها، وإنجاز أشباهٍ لها، إنها تُعْطِي اليوم كما أعطت في سالف الدهور. فَلْنَنْظُرْ في الشَّمْسِ اليوم، وكَفَى بتاريخ حياتها اليوم، مع الأرض تاريخاً.

* * *

ويَذْكُـرُ صاحبُ الكتـاب أنـه ما سأل عن الشمس خاصـة إلّا لِمَـا قَرأ في الصُّحُفِ، من عربيةٍ وغربيَّةٍ، مُحاولةَ العُلماءِ الكَشْفَ عن بديلٍ للطَّاقَةِ السَّائدة اليوم، طاقـة الفَحْمِ والنِّفْطِ، وهـو يتسـاءل أيضـاً كم يُرْتَجَى أنْ يكونَ نصيبُ الأرض، من هذا العطاء، من شمس ومن غير شمس؟

ولـلإجـابـة على سُؤالِ القارىء لا بُدَّ من الإلْمَامِ بطَيْفِ الشَّمس، إلْمَامَةً خاطِفَةً، فهي مصدر الطاقات التي ينتفع بها الإنسان على سطح الأَرض.

من الشَّمس طاقات عِدَّة

ينقلنا هذا الحديث إلى ما تُعْطِي الشَّمْسُ من طاقاتٍ، وما أَعْطَتْ منها، وما سوف تُعْـطِي. وليس القـارىءُ في هذا الشَّـأنِ، في حاجـة إلى تذكيرٍ بطيف الشَّمس، ذلـك الـذي يَبْـدَأُ باللَّوْنِ البنفسجِيِّ، فالنِّيلي، والأخضـر والأصفـر والبرتقاليّ والأحمر. كشف (نيوتن) في مختبره أول كاشف. أمرَّ شُعاعاً من ضوء الشَّمس، وهو أبيضُ، عَبْرَ منشورٍ من زجاج، فَانْشَقَّ الشُّعاعُ الأبيضُ عن تلك الأشعَّةِ المُلوَّنَةِ السبعة. الشُّعاع الأبيض إذن مزيجٌ.

ويمضِي العِلْمُ ليخـرُجَ بنا إلى أنَّ هذا الضَّوء عبارة عن موجاتٍ تَمْضِي في الفضاء كما يمضي المَوْجُ، مَوْجَةً بعد مَوْجَةٍ، على سطح الماء في البحر وتصغر الموجات جدّاً فيكون منها الإشعاع البنفسجي. إنَّها تبلغ من الصغر إلى نحو ٤٠٠ . . . , . من المليمتـر « وتكبـر المـوجات فيكون الإشعاع الأحمر، وهذه الموجات تبلغ من الكبر إلى نحو ٧٠٠ . . . , . من المليمتر.

وللألوان الأخرى الخمسة من طول الموجات ما بين هذه المقادير.

والشُّعاعُ الأبيضُ، وهو يجمع كُلَّ هذه الشُّعاعات الملونة السبعة، إنَّما كان ليُرِيَ الناسَ أشياء هذه الدنيا. ووفقًا لذلك صُمِّمَتْ العَدَسَاتُ التي في أعيُنِ النَّاس.

الطَّيْفُ فيما فَوْقَ البَنَفْسَجيّ :

ويكشفُ العِلْمُ عـن موجاتٍ أصْغَرَ من موجاتِ اللَّونِ البنفسجيّ. إنَّها موجاتُ مافوق البنفسجي وهي تَتَصاغَرُ طولاً كُلمَّا ذَهَبْنَا بها بعيدًا عن اللَّوْنِ البنفسجي ومن الطَّبيعيّ أنَّ هذه الأمواجَ البالِغَةَ الصِّغَرِ، ليست للإبْصَارِ ذلك لأنَّنا لانراها، فلا نَرَى بها.

إنَّها موجاتٌ قصيرُهَا يَضُرُّ بالجِسْمِ ضَرَرًا بليغًا وهي في العين « عَمَىً ». من أجلِ هذا يمتصُّ الهواءُ المحيطُ بسَطْحِ الأرضِ هذه الموجات الضَّارة. ومع هذا ينفذُ إلى الأرض بعضُها. والمُستَحِمُّون عند سواحل البحارِ، والمُسْتَحِمَّات، تَكَادُ تَسْوَدُّ جُلُودُهُم بفِعْلِ هذه المَوْجَاتِ.

وهي موجاتٌ لها فِعْلٌ كيماويٌّ، ولها الأثَرُ الأكْبَرُ على الأفِلام الفوتوغرافية العادية.

الطيف فيما دون الأحمر:

وهو يحتوي على أشعةٍ تأتي في الطَّيف الشَّمْسي بَعْدَ اللَّوْنِ الأحمر. وهذه كَشَفَها العِلْمُ بعد كشف الطَّيف المَرْئيّ.

قام أَحَدُ العُلماءِ بوضع الترمومتر في أوضاعٍ مختلفةٍ من ألوانِ الطَّيف المَرْئيّ فوجدَ أنَّ درجةَ حَرارَتِهِ ترتفعُ بعضَ ارتفاع ويقتربُ بترمومتره من اللون الأحمر، ويتعدَّاه إلى مالا يُرَى مِمَّا دون الأحمرِ فيجدُ درجةَ الحَرارة ترتفعُ ارتفاعًا بَيِّناً، فإذا هو زادَ بترمومتره بُعْدَاً عن الأحمر فوق ذلك، أخذت الحرارة تنخفض.

الحرارة ترتفعُ وهو لايرى لوناً أو شيئاً. إنها الموجات التي لاتُرى. إنها أشعة ماتحت الحمراء.

ويكشفُ العِلْمُ عن أنها موجات أكبر طولا من أمواج اللون الأحمر في الطيف المرئي.

بهذا يكشف العِلْمُ عن عطاءٍ للشَّمْسِ خطير. تلك الحرارة. إنَّهُ كان يعلمها، ولكن لاكهذا العلم، ولا في هذا الموضع من طيف الشَّمس.

صنفان من أشعة الشمس كان لهما الخطر أكبر الخطر، في إيجاد الحياة

أما الصِّنْفُ الأولُ من الأَشِعَّةِ، فأشعةُ الطَّيف المرئيّ كُلِّه. ذلك لأنه يربط في أوراق النبات بين ثاني أُكْسِيد الكَرْبُون الذي في الجو، والماء الواصل إلى النبات من الأرض، وذلك بواسطة المادة الخضراء المعروفة بالخَضِير، فينتجُ عن ذلك تخليق المواد العضوية كالسُّكر ونحوه، تلك التي يبدأ بها النبات وجوده، ويُسَمَّى هذا بالتمثيل الخَضِيري. وهي العملية الكيماوية الأولى التي تؤمِّن وجود النَّباتِ، فتؤمِّنُ وجـود الحيوانات، على ظهر هذه الأَرض، وبتأمين وجود النَّبات ووجود الحيوانات تُؤمِّن وجود الإنسان.

وهذه العملية لاتحدث إلَّا بأشعة الشمس التي يمتصُّها هذا الخضير، وهذه الأشعة هي أشعة الطَّيف المرئيّ كما ذكرنا، تكاد تشترك موجاته كلها في هذا الإنجاز الخَضِيريّ، ولو على درجات متفاوتات.

أما الصِّنْفُ الثَّاني من إشْعَاعِ الشَّمْسِ الذي يُعْطِي الحياة، فتلك الإشعاعاتُ ذاتُ الحرارة، المنتشرة في الطيف المرئيّ. والمتركِّزة فيما دون الأشعة الحمراء، إنها ضرورة من ضرورات الحياة في النبات والحيوان جميعاً. إنَّ الحياةَ تفاعلاتٌ كيماوِيَّةٌ. والتَّفاعلات الكيماوية لا تَصِحُّ إلَّا بين طرفَيْنِ من الحرارةِ، طرفٍ قليلِ الحرارةِ وطرفٍ كثيرِها فدونَ الطَّرَفِ القليلِ الحرارة يموتُ النَّباتُ ويموتُ الحَيَوانُ من البردِ، وفوق الطرف الكثير الحرارة يموت النَّباتُ ويحترقُ، ويموت الحَيَوانُ من الحَرِّ.

**** مصادر للطَّاقة قديمة صنعتها الشمس واختزنتها مُنْذُ ملايين من السنين عديدة**

أقصدُ المخزونَ في طبقات الأرض، من الفحم ومن النِّفْطِ. وهذان صنعتهما الشَّمْسُ من أحياء قديمة، من حيوانات ونباتات، صغيرة، مُنْذُ ملايين السنين، دُفِنَتْ في الأرض دَفْنًا، ثم تَحَوَّلَتْ وكثيرًا ما تَحَدَّثْنَا عن هذا، فلا داعيَ للمزيد.

إنَّما نريد تعدادَ ماكان للشَّمْسِ من إنجازات، ولو قديمة لاسِيَّما هذا الإنجاز القديم الذي هو الأساس الأول الذي قامتْ عليه المدنيةُ الحاضرةُ.

*** * إنجازات للشَّمْس قائمة**

إنَّ الشَّمْسَ لاتزالُ تَصْنَعَ الحياةَ، حياةَ نباتٍ، وحياةَ حيوانٍ، كما ذكرنا. وفي سبيل الطاقة تُبَخِّرُ الشَّمْسُ بحرارتها مياهَ البِحَارِ، فَتَعْلُوهَا سحب تُنْزِلُ، أمطارًا، وقد تَتَحَوَّلُ الأمطارُ ثُلوجًا في قسمِ الأرض. وقد يَهْبِطُ الماءُ من الأعالي، فَيَتَّخِذُ الإنسانُ من هذا السُّقوط طاقة يديرُ بها العَجَلاتِ ليقيمَ بها الصِّناعاتِ أو يَصْنَعَ الكهرباءَ.

والرِّيحُ تَتَسَبَّبُ عن الشَّمْسِ، حرارةُ تبثُّها الشَّمْسُ هنا، وبُرودةٌ تَنْبَثُّ هناك، وحَرَكَةُ هواءٍ يجري فتكون ريحًا، وبطاقَةِ الرِّيحِ ننتفعُ انتفاعًا.

حتى البحارُ ننتفعُ بأمواجِهَا ومن وراءِ الأمواجِ تربضُ الشَّمْسُ.

*** * في سبيلِ الحُصولِ عن مصادرَ للطاقةِ جديدةٍ.**

لا يزالُ النِّفْطُ بَيْنَنا يُعْطِي من طاقته بسَخَاءٍ. ولا يزالُ الفَحْمُ المخزونُ في باطنِ الأرضَ يَمُدُّ الصِّناعةَ بكثيرٍ من العَوْنِ. وهناك الرَّواسِبُ الكثيرةُ المُشْربةُ بالنِّفْطِ وأشباه النِّفْطِ، الرَّاقِدةُ في بَطْنِ الأرض، تَنْتَظِرُ الجُهودَ التي تستثمرُها وتُخْرِجُ منها

وَقُودا للطَّاقَةِ خالصاً.

وأخيرًا هناك الطَّاقةُ النوويَّةُ في أطوارِ الصُّخورِ، وفي قِيْعَانِ البحارِ، وهي آخذةٌ اليوم في منافسة النِّفْطِ مصدرًا للطاقة خطيرًا. وهي طاقةٌ لاتتصلُ بالشَّمْسِ.

* * ومع هذا

ومـع هذا لابُّد من الرُّجوعِ إلى الشَّمْسِ آخِرَ الأمرِ فيما تُعْطِيه اليوم، وكُلَّ يومٍ، من عطاءٍ لا يَفْنَى إلَّا بفَنائِهَا أو فناءِ الأرض.

من ذلك ما ذكرنا من طاقة الماءِ الهَابِطِ. ومن طاقة المَوْجِ زاحفاً ومُتَراجعاً، أي مدَّاً وجَزْرَاً. ومن الرِّيْحِ تُديرُ المراوحَ التي تُديرُ التُربينات التي تديرُ المُولِّدات التي تنتج الكهرباء.

* * ثم هناك الشَّمْسُ نفسُها.

أعني ما تُطْلِقُهُ هي مباشرةً من طاقةٍ وعلى الأخَصِّ من حرارةٍ. إن الطَّاقَاتِ يَتَحَـوَّلُ بعضُهـا إلى بعضٍ: الضَّـوْءُ يتحـولُ إلى كهـرباء، وكذا الحرارةُ وكذا الحركةُ. والطَّيْفُ المرئيُّ طاقتُهُ تتحولُ إلى طاقةِ كيمياء.

والطَّاقاتُ جميعاً آخرَ الأمرِ إلى حرارة.

ولكن كأنِّي بالحاجات الإنسانية هي أحوج ماتكون إلى حرارة الشَّمْسِ كَمَّاً وكَيْفَاً.

ومن أجل هذا نَرَى البحوثَ قائمةً في الانتفاعِ بحرارةِ الشَّمْسِ، بديلة عن الفحم والنِّفط، في إقامة الحياة وفي إدارة عَجَلَة الصِّناعات التي هي قِوَامُ هذه المدنيةً الآليَّة الحاضرة.

* الشَّمْسُ لتدفئة البيوت وتبريدها:

وقد اتَّجَهَتْ البحوثُ في هذا العَصْرِ وقبلَ هذا العصر، في استخدام أَشعةِ الشَّمْسِ في تدفئة البيوت وتبريدها وكذلك لتثليج الطَّعام.

ومن هذا ماجاءت به الأخبار هذه الأيام عَمَّا قام به الدكتور مارتن بجامعة شيكاجو من صُنْعِ جهازٍ يلتقطُ أشعَّةَ الشَّمس حتى في الأيام التي هي فيها غيرُ ساطعةٍ، وينتفعُ بحرارتها في المنازل، جهازًا لكُل منزلٍ. والجهازُ يحتاجُ إلى مساحة تُساوي ثُلُثَ مساحة سَطْحِ البيت أو نصفها، ويرى مُخْترِعُهُ أَنَّهُ قد يُسْتَخْدَمُ لتوليد الكهرباء فيما بعد. وسُئِل عن تكلفة الجهاز؟

فقال: إنَّها تبلغ ١٠ أو ١٥ في المائة من تكفلة المنزل. ومنازلهم هناك مفرّقة. وقال: إنَّ هذه التَّكلفة يقابلها الوفر في نفقات الوقود والكهرباء لستة أعوام أو ثمانية.

ولا يغيبُ عن البال أنَّ نفقة تدفئة المنازل في البلاد الباردة نفقةٌ كبيرةٌ، والشُّعوبُ أَحَسَّتْ بآثارِ هذه الطَّاقة. حصولاً عليها، وافتقادًا لها، من سائر الطاقات.

* ومن الشَّمْس مَواقِدُ للطَّبْخ

وكما اتَّجَهَ الإنسانُ إلى استخدام أشعة الشَّمس في تدفئة المنازل، كذلك اتَّجَهَ إلى استخدامها في الطَّبْخِ. وبدأَتْ هذه المحاولةُ مُنْذُ عَهْدٍ غيرِ قريبٍ. وكان أَولُ لقائي بمثلِ هذا الموقد الطَّابِخ، وأشعةُ الشَّمْسِ مَصْدَرُ حرارتِهِ، في ربيع عام ١٩٥٢ في زيارةٍ إلى الهند.

كنتُ في العاصمةِ، نيودلهي، وكان من الخِطَّة المرسومة أَنْ أزورَ مُخْتَبَرَ الهندِ الفزيائي الكبير. وهو مُخْتَبرٌ تجمَّعَتْ فيه شَتَّى البحوث الفزيائية القومية، وكان

صاحبُ ضيافتي فيه الدكتور بتناجا، ودارَ معي في أرجاءِ المُخْتَبر الواسع العظيم، فكان من النظافة ومن التماع زجاجه وقرميد أرضه أني خِلْتُ نفسي في أرقى مستشفيات العالم نظامًا وترتيبًا. وزلقَتْ قَدَمِي على البلاط وكِدَّت أقعُ، وسَلَّمَ اللهُ، فسألني الدكتور بتناجا عن حذاءٍ أنا لابِسُهُ قلت: حذاءٌ اشتريتُهُ من انجلترا «قال: حَذَارِ من كُلِّ شيءٍ انجليزي، فهو زَلِقٌ خَدَّاعٌ خَوَّانٌ وضَحِكَ وضَحِكْنَا، كان يَجْمَعُ إلى العلم الكثير، والسِّنّ الوقورة، والشُّهرة المنتشرة، فكاهة نادرة وكان صديقًا حميمًا. لنهرو.

وفي هَدْأةٍ من الزِّيارة وصلنا إلى رُحْبَةٍ من رُحُبَاتِ الدَّار فساقني الدكتور بتناجا إلى أوسطها وقال هذا مطبخٌ وقودُهُ الشَّمْسُ «ورفعَ الرَّافعُ عن الوعاءِ الطابِخِ غطاءَهُ، فرأيتُ الطَّعامَ يَغْلِي» فناولني الدكتور منه شيئًا أتذوقه، فكان حَسَنَ المَذَاقِ «قال: كان بِوُدِّي أنْ نُطعمَك منه غذاءَكَ الآن، ولكنِّي آسِفٌ أنَّ هذا الطعامَ المطبوخَ هو على تقليدِنا ليس فيه لَحْمٌ. وأخذني معه إلى طعام المختبر.

وإتمامًا لخبر هذه الزيارة أقول: إنَّ نهرو عَلِمَ من صديقه بزيارتي، فَوَدَّ أنْ يلقانِي، وضربَ موعداً خاصّاً، فكان بعد الظُّهْرِ من يوم الأحد، وكان يومَ عطلةٍ.

ولقيت نهرو رجلاً من أَهْدَأ الرِّجال صوتًا، جالسًا وَحْدَهُ وبغَيْرِ سكرتارية في أَشَدِّ حُجُرَاتِ الأرض سكونًا وتحدَّث بلغةٍ انجليزية صافية، ولَمَّا وَصَلَ الحديثُ إلى الطابِخِ الشَّمسي وَعَدَ نهرو، لو أنه خَرَجَ إلى السُّوقِ، فستكون منه نُسْخَةٌ تُهْدَىٰ إلى مصر.

وأعود إلى الطَّابِخِ، فأقولُ إنَّ الشَّمْسَ ترمي سطحَ الأرض بأشعةٍ، تنتج الحرارة الكثيرة، ولكنها مع الأسف حرارةٌ مُفَرَّقَة. فالذي يَصِلُ إلى الأرض من طاقةِ الشَّمْسِ حين تقع أشعتها عمودية على سطحٍ من الأرض مقداره سنتي متر مربع واحد، هذه الطاقة تبلغ نحو سعرَيْن اثنين من الحرارة. ومع هذا يمتصُّ الهواءُ، وهي تعبرُهُ، نِصْفَهَا.

وهـذا بالـطبـع مِقْـدَارٌ لايكفي لِغَلْي ماءٍ. إذَنْ لابُـدَّ من تركيزِ هذه الأشعة المُفرَّقة، ليقعَ منها الكثير على المساحة القليلة من الأرض.

ولتركيز أشعة الشَّمس سبيلان: العدسات والمرايا.

أمَّا العَدَسَاتُ فغاليةُ الثَّمَنِ.

وأمَّا المَرَايا فهي الأنسبُ.

والمـرآةُ المُقَعَّرةُ تَصِلُ إلى سطحها أشعة الشَّمس فتعكسها إلى بُؤرَةٍ يُوْضَعُ عندها وِعَاءُ الطَّبخ.

ولكنْ وُجِدَ أنَّ هذه البُؤرَةَ لاتتمركزُ في نقطةٍ واحدةٍ، وإنَّما في نِقَاطٍ عِدَّةٍ على طول قُطْرِ الدَّائرة التي المِرآةُ المُقَعَّرةُ جُزْءٌ منها.

وإذَنْ استبدلُوا بالشَّكل الكروي للمرآة المُقَعَّرة، الجِسْمَ المُكافيء الدَّوراني.

أمَّا مادةُ المرآة فليست زجاجاً. إنَّها تُصنَعُ من حديدٍ يُطْلَى بطبقة عاكسةٍ من الألمونيوم. أمَّا من حيثُ الحَجْمُ فلابُدَّ أنْ تَتَّسِعَ المرآة ليبلُغَ بُعْدُ طَرَفٍ منها عَنْ طَرَفٍ، مِقْدَارًا يزيدُ على ١٨ بُوصة.

* * * *

ثالثًا : التدريبـــات : -

تدريبـــات للكتابـــة

(١)

١ - هل نستطيع أنْ نُؤرِّخَ للشَّمس ؟ ما المحاذير من هذا ؟

٢ - ما أهمية الشَّمس للحياة والأحياء ؟

٣ - يرتبط اسم نيوتن باكتشاف ألوان الطيف. اشرح هذا.

٤ - لماذا تَسْوَدُّ بشرةُ النَّاس القاطنين قرب البحار أكثر من سواهم ؟

٥ - ماذا تعرف عن الأشعة تحت الحمراء ؟

٦ - « التَّمثيل الخضيري » مصطلح له علاقة بالشَّمس والنبات. مامعنى هذا ؟

٧ - ما العلاقة بين الشمس ، والطاقة التي نستخدمها في المصانع ؟

٨ - هناك طاقات غير شمسية . وضحها.

٩ - الشَّمس / الفحم / النِّفط - أيها أجدى وألزم لمستقبل الإنسانية ؟

١٠ - اكتب عن أحد الاكتشافات الحديثة التي تستغل الطَّاقة الشَّمسية.

١١ - هل تعتقد أنَّ التطور العلمي سيغير من التوازن بين مصادر الطَّاقة؟ كيف ذلك؟

(٢)

أُكتب حسب التعليمات :

أ) الهاتف / التلفزيون / السيارة / الطائرة / الطاقة الشمسية.

كل تلك اكتشافات وصلت اليها البشرية بعد رحلة طويلة. اختر واحدًا واكتب عن مزاياه (وعيوبه إنْ وُجِدَتْ).

ب) اجمع الآيات الواردة في القرآن الكريم عن الشَّمس، والقمر، ثم اذكر أيهما ورد أكثر من الآخر.

(استعن بالمعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم للأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي)

جـ) اكتب قائمة بالمساقات التي تدرسها هذا الفصل الدّراسي مع توصيف مُوْجَزٍ لكُلّ منها.

* * *

(٣)

تدريب نحوي

١ - اقرأ النصَّ جيدًا، واستخرج منه الأفعال المضارعة، واذكُرْ علامة إعراب كُلٍّ منها.

٢ - استخرج من النص الأفعالَ الخمسة، واذكُرْ علامة إعرابها.

٣ - استخرج من النص الأفعال التي لحقتها تاء التأنيث، وبيِّنْ فاعليها.

٤ - استخرج من النص اسمًا ممنوعًا من الصرف، وبَيِّنْ علامة إعرابه.

٥ - اكتب في كراستك الفقرة التي عنوانها (ثم هناك الشَّمْسُ نفسها)، واضبط كُلَّ كَلِمَةٍ فيها بالشكل.

٦ - أعرب الجملة التالية إعرابا مفصلا :

« إنَّ الشَّمْسَ لاتَزَالُ تَصْنَعُ الحَيَاة »

٧ - اكتب الجمـل المنسوخة بأفعال ناسخة، وضَعْ خطاً تحت اسم كل منها وخَطَّيْنِ تحت الخبر.

(٤)

تدريـــب صـــرفي

١ - هات مضارع الأفعال المجردة التالية ، ثم اذكر الوزن الصرفيَّ للفعلِ الذي تأتي به :

كَتَبَ . . سَبَقَ . . سَأَلَ . . كَبُرَ . . نَفذَ . . وَعَدَ . . عَلِمَ . . رَأى . .

٢ - الأفعال التالية مزيدة، زِنْهَا، ثم بين أحرفَ الزِّيادة منها :

لانستطيع . . ابتدأنا . . ستَتَحَوَّل . . . دَلَّت . . يتساءل . . يرتجي . . يتعَدَّاه . . انتظر . . اتَّجَهَتْ . .

* * *

الوحدة السادسة عشرة

ماوراءَ البيـان . . للأستاذ شفيق جبري

أولاً : - صاحب النص : -

أديبٌ سُوريٌّ، شاعرٌ وناقدٌ، عَمِلَ بالتدريس في مراحله المختلفة، كان عميدًا لكلية الآداب في جامعة دمشق، كما كان عضواً في مجمع اللغة العربية هناك.

له العديد من الكتب أهمها :

الجاحظ مُعَلِّمُ العقل والأدب، المُتنبِّي ماليءُ الدنيا وشاغِلُ النَّاسِ ، أنا والشِّعر، أنا والنثر، دراسة الأغاني.

كما أن له ديوان شعرٍ مطبوعاً بعنوان : « نوح العندليب ».

له دراسات عديدة في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق.

ثانياً : - النــص : -

مــاوراء البَيــــان

إذا كُنَّا نلجأُ إلى تَقْلِيبِ النَّظَرِ في مَحَاسِنِ البَيَانِ[1] في قديم عصورنا فلا نَفْعَلُ هذا لمُجَرَّدِ الاهتداء إلى ألفاظٍ حُلْوةٍ وتراكيبَ تَشْتَمِلُ على هذه الحَلاوة، إذا كان هذا هو غَرَضُنا من المحافظةِ على أَدَبنا فلا خيرَ في محافظتنا، إنَّا لانَسْتَحْسِنُ مايُسْتَحْسَنُ من بياننا القديم لمجرَّدِ الصِّيغَةِ وحدَها، فإنَّ وراءَ هذا البيان الذي يبلُغُ مِنَّا كُلَّ مَبْلَغٍ عقولاً راجِحَةً، وفِطَنَاً ثاقبةً ومَدَاخِلَ ومَخَارِجَ في أمورِ الحياة تُعَلِّمُنَا وتُرْشِدُنا أبلغَ تَعليم وإرشادٍ. فإذا وقع نظرنا في مطالعاتنا على جُمَلٍ لبلغاءِ كُتَّابِنَا فلا ينبغي لنا أَنْ تَشْغَلَنَا بلاغةُ هذه الجُمَلِ عن التدقيق في الذي تَنْطَوي عليه، فلا ينبغي لنا أَنْ تَصْرِفَنَا حلاوةُ الألفاظِ عن حلاوةِ ماتُعَبِّرُ عنه هذه الألفاظُ، ولَسْنَا نحافظُ على أصالةِ أدبنا القديم للأصالةِ وَحْدَها ولكنَّا نعتقدُ أنَّ هذا الأدبَ يتضمَّنُ كنـوزاً من عَظَمَـةِ العُقـولِ مِمَّا لا سبيلَ إلى إحصائِهِ، فإنَّ أكْثَرَ كُتَّابِنَا المتقدِّمِيْنَ لم تَكُنْ بلاغتُهم قائِمةً على اختيارِ الألفاظَ وَحْدَها والتَّأنُّقِ في تَنْسِيقها والجهدِ في رَصْفِها وإنَّما جمعوا بَيْنَ بلاغةِ اللَّفْظِ وبلاغَةِ المعنَى الذي يُفْصِحُ عنه هذا اللَّفظ، ولارَيْبَ في أنَّ الألفاظَ وحدَها إذا لم تَدُلَّ دلالةً صحيحةً على المعاني كانتْ باطلةً لاعملَ لها في النُّفوس، وأنَّ المعاني إذا لم تُصَوِّرْها ألفاظُ تدلُّ عليها دلالةً قويَّةً ضاعَتْ فلا نحسُّ لها بأَثَرٍ، فالكُتَّابُ البُلَغاءُ الذين اشْتَهَرُوا في قديمِ عصورنا إنَّما اشتهروا لحُسْنِ تَنْسِيْقِهم بينَ الألفاظِ والمعاني، ولذلك إذا مَرَرْنَا بقطعةٍ كان لألفاظها وَقْعٌ في نُفُوسِنَا فَجَدِيرٌ بنا أَنْ نبحثَ عن مَحَاسِنِ ماوراءَ هذه الألفاظ. والنَّماذجُ من هذا الشَّكل كثيرةٌ في أدبنا :

---

١ - البيان : الحجة،والبيان: المنطق الفصيح.

تَأَخَّـرَت أرزاقُ الجُنْدِ وتَرَاخَتْ أُعْطِيَاتُهُم على أيّام المأمون، وقد يَدُلُّ هذا التَّـأَخُّـرُ على اختـلالِ النِّظام في الدَّوْلَةِ ولا يُسْتَحْسَنُ أنْ لا يُعْلَمَ خليفةٌ مثلُ المأمون بأمرٍ من هذا النَّوْعِ لأَنَّ كِتْمَانَهُ قَدْ يُؤَدِّي إلى شيءٍ من الفساد، فما هي السَّبيلُ إلى إطْلَاعِ المأمونَ على حالةِ الجُنْدِ؟ لقد اهتدَى عمرو بنُ مَسْعَدَة إلى هذه السبيل، وكانَ يُعَدُّ من بُلَغَاءِ الكُتَّاب في دولة العباسيين، قال في كتابه إلى المأمون:

كتـابي إلى أميرِ المؤمنين، ومن قِبلي من قُوَّادِه ورؤسـاءِ أَجْنَادِهِ في الانْقِيادِ والطَّاعَةِ على أحْسَنِ ما تكونُ طاعةُ جُنْدٍ تَأَخَّرَتْ أَرْزَاقُهُم، وانقيادُ كُفَاةٍ [1] تراخَتْ أُعْطِياتُهُم فاخْتَلَّتْ لَذلك أَحْوَالُهُم وَالْتَاثَتْ [2] معه أُمورُهُم».

لاحاجة بنا إلى التَّنْبيه على البراعة في هذه السُّطور القليلة فإنَّ صاحبها قد فَطِنَ إلى ما يُقَـالُ وإلى ما لا يُقَالُ في مسألةٍ مثلِ هذه المسألة الدَّقيقة، فإذا اقْتَصَـرَ عمـرو بنُ مَسْعَـدَة على مُجَـرَّدِ إعـلام المأمون بتأَخُّر الأرزاق وتراخي الأعطيات كان في هذا الاقتصار ما قد يُغْضِبُ المأمون، أو قد يسُؤوه إذا لم يُشِرْ في كتابِهِ إلاّ إلى انقيادِ القُوَّاد ورؤساء الأَجْنَادِ وإلي طاعتهم وأغفلَ ذِكْرَ حُقوقِ الجُنْـدِ فقـد يكون في هذه الإشارةِ ما يُخِلُّ بحقوقِ الذين يُدَافِعُونَ عن الدَّوْلَةِ بأرواحِهِم، ولكنَّ عمرَو بنَ مَسْعَدة جمعَ بين ذِكْرِ الأمرَيْن: أَمْرِ الانقيادِ والطَّاعَةِ وأمْرِ تَأَخُّرِ الأرزاق، فَأَرْضَى بهذا الجمعِ المأمونَ والجُنْدَ في وقتٍ واحدٍ.

إنَّ المأمونَ لم يهتم ببيان عمرو بقدرِ ما اهتمَّ بما عَبَّرَ عنه هذا البيان، فليس في كلامِ عمرٍو شيءٌ من التَّأَنّي وإنَّما استعملَ الألفاظَ البسيطةَ الـدّالّةَ على ما يُريُد الدّلالةَ عليه كالانقيادِ والطَّاعةِ والتَّأَخُّرِ والتَّراخِي والاختلالِ وغير ذلك. ولكنَّ الذي أعجبَ المأمونَ إنَّما هو ما انْطَوَتْ عليه الألفاظُ البسيطةُ من فَهْمٍ صحيحٍ

---

١ - كُفَاةٍ: جمع (كافٍ): وهو التَّابع أو الخادم.

٢ - الْتَاثَتْ: اخْتَلَطَتْ واضْطَرَبَتْ.

في مُكاتبةِ خليفةٍ مثلِ المأمونِ. فقد استعملَ عمرُو كُلَّ الأَدبِ في كتابهِ فحَرَصَ على إعطاءِ المأمون ما يَسْتَحِقُّهُ من الإجْلَالِ والتَّعظيم وحَرَصَ على حُقوق الجُنْدِ والقُواد. وقد أدَّى وَقْعُ الكِتَابِ في نفس المأمون إلى أنْ أَمَرَ للجُنْدِ بأَعْطِياتِهِم لسبعةِ أشهرٍ وأَمَرَ لعمرو بن مَسْعَدة برِزْقِ ثمانيةِ أشهرٍ. وبلغ من حُسْنِ أَثرِ هذا الكتاب إلى أنْ قال المأمون لأحمدَ بن يوسفَ:

لله دَرُّ عَمْرٍو ما أَبْلَغَهُ! ألا ترى إلى إدماجِهِ المسألة في الإخبار، وإعفائِهِ سُلْطانَهُ من الإكثار.

ونجد في كتاب: أمراءِ البيان، للأستاذ الرئيس محمد كِرْد علي فصلاً يتصلُ بعصر ابن الزَّيات ونشأته ووزارته ونماذج من إنشائه، منها هذا الكلام القليل: فقد أَمَرَ الواثِقُ ابنَ الزَّيات أنْ يتلطَّفَ بعبدِ الله بنِ طاهرٍ ويُعْلِمَهُ أَنَّهُ صَرَفَهُ عن أَمْرِ الجَزَائِرِ والعَوَاصِمِ وفَوَّضَ ذلك لابنِ عمِّه إسحق بن إبراهيم، فكتب ابنُ الزَّيات:

«أمَّا بَعْدُ فإنَّ أميرَ المؤمنين رَأَى أنْ يَخْلَعَ ما في يمينِكَ من أَمْرِ الجَزَائِرِ والعَوَاصِمِ فيَجْعَلَهُ في شِمالِكَ، والسَّلامُ عليك ورحمةُ الله وبركاتُهُ».

قال الأستاذُ الرئيسُ كِرْد على في خاتمة هذا الكتاب: وليس في الوصول إلى الغَرَضِ مع مراعاة المكتوب إليه أَوْجَزُ ولا أَلْطَفُ من هذا.

لا نَظُنُّ أنَّ من الَهيِّنِ أنْ يُعْلَمَ صاحِبُ عَمَلٍ في الدَّولة بصَرْفِهِ عن عَمَلِهِ، فقد يكون هذا العملُ جُزءاً من نفسِه، من حياتِه، لا يعيشُ دونَهُ إلاّ في كَدَرٍ وتَنْغِيْصٍ، كما أَنَّهُ ليس من الهَيِّنِ أنْ يُعْلَمَ بخَلَفِهِ في العَمَلِ الذي صُرِفَ عنه، فإنَّ هذا الخَلَفَ قد يكونُ أَبْغَضَ النّاسِ إليه لا يَصْفُو له قَلْبُهُ، ولا يُخْلِصُ له حُبَّهُ، فكيف السَّبيلُ في مِثْلِ هذه الحَالِ إلى حَلٍّ وَسَطٍ كما نقول؟ كيف السَّبيلُ إلى إعلام المَصْرُوفِ عن العَمَلِ بخَلَفِهِ في هذا العمل دون أنْ يَثُورَ غَضَبُهُ ويَهيجَ غَيْظُهُ؟ السَّبيلُ إلى ذلك ما فَعَلَهُ ابنُ الزَّيات في سَطْرٍ واحِدٍ، فلم يَتْرُكْ لعبدِ الله

ابن طاهرٍ عُذْراً في العتابِ، فإنَّ الذي خَلَفَهُ إنَّما هو ابنُ عَمِّه، ولا شَكَّ في أنَّ ابنَ طاهرٍ لا يَسُرُّهُ صَرْفُهُ عن العَمَلِ ولكنَّهُ لا يَجدُ سبيلاً إلى الإفْصَاحِ عن ذلك، فلم يَأْتِ الواثِقُ بِعَدُوٍّ لَهُ، وإنَّما أتى بابْنِ عَمِّهِ فقَطَعَ عليه كُلَّ طريق إلى العِتَابِ.

* * *

إذَا أَردْنَا أنْ نِسْتَشْهِدَ بنماذجَ من البَيانِ الذي يختفي وراءه عَقْلٌ كبيرٌ فإنّا نَجدُ أَنَّ أَدَبَنا القديمَ حافِلٌ بأمثالِ هذه النماذج، وقد يكونُ كتابُ عمرو بن مَسْعَدَة إلى المأمون وكتابُ ابنِ الزَّيات إلى عبدِ الله بنِ طاهرٍ لا شُهْرَةَ لهما في أَدَبنا ولا ذِكْرَ نهما في هذا الأدب، ولكنهما على الرغم من قِلَّةِ شُهْرَتِهمَا أو مِنْ عَدَمِ هذه الشُهْرَةِ يَدُلَّانِ على بَرَاعةٍ في بيانٍ وراءه فَهْمٌ ثاقِبٌ وفِطْنَةٌ نافِذَةٌ. وإذا كانت كُتُبُ الجَاحِظِ تُعَلِّمُ العَقْلَ أولاً والأدبَ ثانياً فما أجدْرَنَا بالتَّفْتيش عن الكُتُبِ القريبةِ من هذا النَّمَطِ وإنْ كانَ الجاحِظُ في هذا البابِ السَّماءَ التي لا تُطاوِلُها سَمَاء.

ثالثاً : النحــو:

النواسخ الداخلة على الجملة الاسمية (كان وأخواتها) .

النّواسخ الدَّاخلة على الجملة الاسمية نوعان: أفعال، وحروف. من الأفعال النَّاسخة: (كان) وأخواتها، ويلحق بها من الحروف (ما، لا، إنْ، ولات) النّافيات.

أ - (كانَ النَّاسُ أُمَّةً واحِدَةً).

دخلت (كان) على الجملة الاسمية (النّاسُ أُمَّةٌ واحِدَةٌ) فَغَيَّرتْ إعرابها، صار المبتدأ مرفوعاً بها، وأطلقوا عليه: (اسم كان)، وصار الخبرُ (أُمَّةً) منصوباً بها، ، وأطلقوا عليه (خبر كان).

= (وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ موسى فارِغَاً).

(فؤاد): اسم (أصبح) مرفوع، (فارغاً): خبر (أصبح) منصوب.

= أضحَى الطُّلَّابُ يَدْرُسُونَ اللُّغَةَ العربيةَ.

(الــطلابُ): اسم (أضحى) مرفـوع، الجملة الفعلية (يدرســون اللغـة العربية) خبر (أضحى)، وهي في مَحَلِّ المنصوب.

= (وإذا بُشِّرَ أَحَدُهُم بالأنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدَّاً).

(وَجْهُهُ): اسم (ظلَّ) مرفوع، (مُسْوَدَّاً): خبر (ظَلَّ) منصوب.

= والَّذينَ يَبِيْتُونَ لِرَبِّهِم سُجَّدَاً وقِيامَاً).

يبيتـون: فعـل مضـارع ناسخ، والماضي: باتَ. (واو الجماعة): ضميرٌ مُتَّصِلٌ اسم (يبيت)، وهو في محل المرفوع، (سُجَّداً): خبر (يبيت) منصوب.

= أَمْسىَ البستانُ أشجارُهُ مُثْمِرَةٌ

(البستان): اسم (أمسى) مرفوع، والجملة الاسمية (أشجارُه مثمرةٌ) خبر (أمسى) وهي في محلِّ المنصوب.

= أصبح الطُّلابُ في الكليةِ.

(الطلاب) اسم (أصبح) مرفوع، شبه الجملة من الجار والمجرور (في الكلية) خبر (أصبح)، وهي في محلِّ المنصوب.

= أَصْبِحْ عند محمدٍ غَدَاً.

(أصبح): فعل أمر ناسخ. اسم (أصبح): ضمير مستتر تقديره (أنت) شبه الجملة من الظرف (عند) المضاف إلى (محمد): خبر (أصبح)، وهي في مَحَلِّ المنصوب.

= صارَ خالدٌ مُدَرِّسَاً. (خالد): اسم (صار) مرفوع، (مُدرِّساً) خبر (صار) منصوب.

= ليس المُسْلِمُ لَعَّانَاً ولا طَعَّانَاً.

(المسلم): اسم (ليس) مرفوع (لَعَّاناً) خبرها (منصوب).

= (أليس الله بعزيزٍ ذي انْتِقَامٍ)

(الله): اسم (ليس) مرفوع. (بعزيز): خبر (ليس)، مجرور بالباء الزّائدة لفظاً، وهو منصوب في المَحَلّ.

* * *

تذكر ما يلي : -

١) كان، أصبح، أضحى، أمسى، بات، صار، ليس، تدخل على الجملة الاسمية من المبتدأ والخبر، فتُغَيِّرُ إعرابها، تجعل المبتدأ مرفوعاً بها، والخبر منصوباً، ولا يُشْتَرَطُ في دخولها على الجملة الاسمية، وتغييرها إعراب المبتدأ والخبر أيُّ شرطٍ.

٢) تستعمل هذه الأفعال بصيغة الماضي، والمضارع والأمر، ما عدا (ليس) فإنها فعل جامد.

٣) يكون خبر هذه الأفعال مفرداً، ويكون جملة اسمية، أو جملة فعلية، أو شبه جملة.

٤) قد يأتي اسم هذه الأفعـال اسماً ظاهراً معرباً، أو مبنيّاً، كما قال تعالى: «وَكَانَ ذَلِكَ عَلَىٰ اللهِ يَسِيرًا»، أو ضميرًا متصلاً بارزًا، كما قال تعالى: «كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ» أو ضميراً مستتراً، مثل: (كُنْ مُخْلِصَاً).

* * *

ب - مازالَ الجَوُّ مُعْتَدِلاً

(زال): فعـل ماض ناسـخ، وقـد تقدَّم عليها نفي (ما). (الجَوُّ): اسمها مرفوع، (معتدلاً) خبرها منصوب.

= «ولاَ يَزالُونَ مُخْتَلِفينْ إلاّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ».

(يزالـون): فعل مضارع ناسخ، وقد تقدم عليه نفي (لا). واو الجماعة ضمير مُتَّصِل اسمها. مختلفين: خبرها منصوب.

= «لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عاكِفيْنَ»

(نبـرح): فعل مضارع ناسخ، وقد تقدم عليه نفي (لن). اسم (نبرح) ضمير مستتر تقديره (نحن). (عاكفين) خبرها منصوب.

= ما فتىء محمدٌ يَدْعُو إلى الخير.

(فَتِيءَ): فعل ناسخ، وقد تقدم عليه نفي (ما). (محمد) اسمها مرفوع. والجملة الفعلية (يدعو إلى الخير) خبرها، وهي في محل المنصوب.

= ما انْفَكَّ الطُّلابُ في الكلية.

(انفَـكَّ): فعـل ناسـخ، وقـد تقدم عليه نفي (ما). (الطُّلاب) اسمها مرفوع، وشبه الجملة (في الكلية) خبرها، وهي في محلِّ المنصوب.

* * *

تَذَكَّرْ ما يلي :-

١) الأفعال النَّاسخة: مازالَ - ما بَرِحَ - ما فَتِيءَ - ما آنْفَكَّ، تشترك مع الأفعال الناسخة السابقة في المجموعة (أ) في نفس الأحكام.

٢) تختلف هذه الأفعال السّابقة في وجوب أن يتقدمها نفي (ما، لا، لن، لم....)

* * *

(جـ) قال تعالى: ﴿ وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا ﴾
الفعل الناسخ (دامَ)، وقد تَقَدَّمَتْ عليه (ما) المصدرية الظرفية. واسم (دام) الضمير المتصل البارز (تاء المتكلم). (حَيًّا): خبر (دام) منصوب.

* * *

تَذَكَّرْ أَنْ الفعلَ النَّاسِخَ (دام) يُشْتَرَطُ في استعماله ناسخاً أن يكونَ مسبوقاً بـ (ما) المصدرية الظرفية، وهي تؤول مع (دام) بمصدر فيه معنى الظرف، فمعنى (مادام): (مُدَّة دوام). و (دام) هنا فعل جامد لا يتصرَّف.

* * *

د - الحروف الملحقة بـ (كان) وأخواتها في العمل النحويّ وهي:
١) (ما): قال تعالى: ﴿ ما هذا بَشَراً ﴾
٢) (لا): ﴿ لا فيها غَوْلٌ ﴾، وتقول: لا طالبٌ حاضراً.
٣) (إنْ): قال تعالى: ﴿ إِنِ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ عِبَادًا أَمْثَالُكُمْ ﴾ (قراءة). وتقول: إنْ خالدٌ حاضراً.
٤) (لاتَ): قال تعالى: ﴿ فَنَادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴾.

* * *

تذكر ما يلي:-
١ - الحروف الناسخة الملحقة بـ (كان) وأخواتها تُشْبِهُ (ليس) في المعنى والعمل.
٢ - الحرفان (ما) و (لا) يعملان عمل (ليس) في لُغَةِ أهلِ الحجاز.

٣ - (لات): يغلب في استعمالها أن يكون خبرها اسمَ زمانٍ منصوباً، واسمها مُقَدراً.

٤ - (إنْ): يستعملها بعضُ العرب حرفاً نافياً ناسخاً.

* * *

(هـ) قال تعالى: ﴿ وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾.

(ذو) فاعل (كان)، وهي فعل تام بمعنى (وُجِدَ) أو (حَصَل).

= قال تعالى: ﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾

(تُمسونَ) فعل مضارع تامٌ بمعنى: تدخلون في المَساءَ. وواو الجماعة: ضمير متصل في محلٍّ رفع فاعل (تمسون). ومثل هذا قوله: « تُصبحون ».

= قال تعالى: ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا مَادَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾.

(السّموات): فاعل (دام): وهي فعل تام بمعنى (بَقِي).

* * *

تَذَكَّرْ أنَّ الأفعالَ التي سبق ذكرها يجوز أنْ تُسْتَعْمَلَ في الكلام تَامَّةً، مثل أيّ فعل غير ناسخ، وبذلك تحتاج إلى فاعل يقوم بها، ما عدا ثلاثة أفعالٍ لا تُسْتَعْمَلُ إلاّ ناقصةً، وهي: (ليس، زالَ، فَتِيء)

* * *

رابعاً : الصرف:

أبنية المصادر

ورد في النّص المصادر التالية:

= الاهتداء وفعله: اهْتَدَى. (فعل خماسي على وزن افْتَعَلَ)

* الأفعال الخماسية التي على وزن (افتعل) يأتي مصدرها على وَزْنِ (افْتِعَال.).

مثل: اهْتَدَى اهْتِدَاءً، احْتَرَمَ احْتَراماً، اغْتَسَلَ اغْتِسَالاً.

= يبلغ مِنَّا كُلَّ مَبْلَغ. (مَبْلَغ) مصدر ميمي، وفعله (بَلَغَ)، وهو فعل ثُلاثّي صحيح غير معتل.

* يصاغ المصدر الميمي من الأفعال الثلاثية الصحيحة على وزن (مَفْعَل) ، مثل: مَبْلَغ ، ومَقْعَد، وكذلك الأفعال المعتلة اللام الصحيحة الفاء مثل: (مَسْعَىَ)، و (مَرْمَى). وأما الفِعْلُ المِثَالُ فإنَّه يْصَاغُ منه المصدر الميمي على وزن (مَفْعِل)، مثل: وَقَعَ: مَوْقِع، وَعَدَ: مَوْعِد.

ويصاغ المصدر الميمي من غير الثّلاثي على وزن اسم المفعول، مثل (مُدْخَل)، و (مُخْرَج) و (مُنْطَلَق)، مثل قوله تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ ﴾ وقد تزاد في آخره تاء، مثل: مَوْعِظَة، ومَسْأَلَة، ومَجْهَدَة.

= تُعَلِّمُنَا وتُرْشِدُنَا أَبْلَغَ تَعْلِيمٍ وإرشادٍ.

(تَعْلِيم) مصدر، وفعله (عَلَّمَ) على وزن (فَعَّلَ).

(إرشاد) مصدر، وفعله (أَرْشَدَ) على وزن (أَفْعَلَ).

* الفعل الرباعي الذي على وزن (فَعَّلَ) يأتي مصدره على وزن (تَفْعِيل)، مثل: عَلَّم تَعْلِيمَاً، وقَوَّم تَقْوِيماً، وكَلَّم تَكْلِيمَاً.

والذي على وزن (أَفْعَلَ) يأتي مصدره على وزن (إِفْعَال)، مثل أَرْشَدَ إِرْشَادَاً، وأَحْسَنَ إِحْسَانَاً، وأَكْرَمَ إِكْرَاماً.

= والتَّأَنُّق في تنسيقها.

(التَّأَنُّق) مصدر، وفعله (تَأَنَّقَ) على وزن (تَفَعَّلَ).

* الفعل الخماسي الذي على وزن (تَفَعَّلَ) يأتي مصدره على وزن (تَفَعُّل)، مثل: تَأَنَّقَ تَأَنُّقَاً، تَقَدَّمَ تَقَدُّمًا، تَعَلَّمَ تَعَلُّمَاً .

= والتّأنق في تنسيقها والجهد في رَصْفِهَا .

(رَصْف) : مصدر، وفعله (رَصَفَ) وهو فعل ثلاثي على (فَعَلَ).

= وإنما جمعوا بين بلاغة اللَّفْظ وبلاغة المعنى.

(لَفْظ) : مصدر ، وفعله (لفَظَ)، وهو فعل ثلاثي على وزن (فَعَلَ).

= انطوت عليه الألفاظ البسيطة من فَهْمٍ صحيح.

(فَهْم) : مصدر ، وفعله (فَهِمَ) ، وهو فعل ثلاثي على وزن (فَعِلَ).

= وليس في الوصول إلى الغرض . . . أَوْجَزُ ولا أَلْطَفُ من هذا.

(وصول) : مصدر ، وفعله (وَصَلَ) ، وهو فعل ثلاثي على وزن (فَعَلَ).

= لا يعيش دونه إلَّا في كَدَرٍ.

(كَدَر) مصدر ، وفعله (كَدِرَ) ، وهو فعل ثلاثي على وزن (فَعِلَ).

* الفعل الثلاثي المتعدي الذي على وزن (فَعَلَ) أو (فَعِلَ) يأتي مصدره قياساً على وزن (فَعْل)، مثل : رصفته رَصْفَاً، وفهمته فَهْمَاً، وضربته ضَرْبَاً، وسمعته سَمْعَاً.

والفعل الثلاثي اللازم الذي على وزن (فَعَل) يأتي مصدره قياسا على وزن (فُعُول)، مثل: وَصَلَ وصُولاً ، وجَلَسَ جُلُوساً، ووقف وُقُوفاً.

والفعل الثلاثي اللازم الذي على وزن (فَعِلَ) يأتي مصدره قياساً على وزن (فَعَلٍ) مثل كَدِرَ الماءُ كَدَرَاً، وفَرِحَ فَرَحَاً، وبَطِرَ بَطَرَاً، وتَعِبَ تَعَبَاً، وعَمِلَهُ عَمَلاً.

= وانقياد كُفاةٍ تراخت أعطياتهم.

(انْقِيَاد) : مصدر، وفعله (انْقَادَ)، وهو فعل خماسي على وزن (انْفَعَلَ).

* الفعل الخماسي الذي على وزن (انْفَعَلَ) يأتي مصدره قياسًا على وزن (انْفِعَال) مثل : انقادَ انْقِيَادَاً وانْطَلَقَ انْطِلاقَاً، وانكسر انْكِسَاراً.

= والتَّأخر والتراخِي والاختلال

(التَّراخِي) مصدر، وفعله (تَرَاخَى)، وهو فعل خماسي على وزن (تَفَاعَلَ).

* الفعل الخماسي الذي على وزن (تَفَاعَلَ) يأتي مصدره على وزن

(تَفَاعُلٍ)، مثل : تَقَاتَلَ تَقَاتُلًا، وتَخَاصَم تَخَاصُمًا، وتَرَاخَي تَرَاخِيًا (الكسرة هنا من أجل الياء). وتَفَانَى تَفَانِيًا.

والفعـل الخماسي الذي على وزن (تَفَعْلَلَ) يأتي على وزن (تَفَعْلُلٍ)، مثل : تَدَحْرَجَ تَدَحْرُجًا، وتَبَعْثُرًا، ولم يرد له مثال في النّص.

* * *

= قالوا : دَحْرَجَ الكُرةَ دَحْرَجَةً. وقال تعالى : ﴿ إذا زُلْزِلَت الأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾.

* الفعـل الرباعي المجرد الذي على وزن (فَعْلَلَ) يأتي مصدره قياسا على (فَعْلَلَةٍ) أو (فِعْلَالٍ)، مثل : دَحْرَجَ دَحْرَاجًا، وزَلْزَلَ زَلْزَلَةً أو زِلْزَالًا.

= قالوا : اسْتَخْرَجَ الماءَ اسْتِخْرَاجًا.

* الفعــل الســداسي الـذي على وزن (اسْتَفْعَـلَ) يأتي مصـدره على وزن (اسْتِفْعَال) مثل : استخرج استخراجًا، واسْتَفْهَم اسْتِفْهَامًا.

= قالوا : سارَ فلانٌ سيرًا، وقامَ قياماً.

* الفعل الثلاثي الأجوف يأتي مصدره على وزن (فَعْلٍ) أو (فِعَالٍ) أو (فَعَالَةٍ) مثل : باعَ بَيْعًا، وقالَ قَوْلًا، وقام قِيَامًا، وناحَ نَوْحًا. والنِّياحَةُ اسمٌ للمصدر.

– قالوا : أبى الجَمَلُ إِبَاءً.

* الفعـل الثـلاثي الـلازم الـدّال على امتنـاع يأتي مصـدره قياسًـا على وزن (فِعَالٍ)، مثل : أَبَى إِبَاءً، وجَمَعَ جِمَاحًا.

قالوا : ثار البركان ثَوَرَانًا.

* الفعـل الثـلاثي اللازم الدّال على تَقَلُّبٍ واضْطِرَابٍ يأتي مصدرهُ على وزن (فَعَلَان)، مثل: ثَارَ ثَوَرَانًا، وغَلَى غَلَيَانًا.

= قالوا : سعل زيد سُعَالًا ، ومَرِضَ زَيْدٌ مَرَضًا.

* الفعـل الـلازم الـدال على داءٍ يأتي مصـدره قياسًا على وزن (فُعَالٍ) أو (فَعَلٍ)، مثل : سعل سُعَالًا، وبَهِقَ بُهَاقًا، ورَمَدَ رَمَدًا.

= قالوا : صَرَخَ زيد صُرَاخًا، وصَهَلَ الحِصَانُ صَهِيْلًا.

* الفعل اللازم الدال على صوت يأتي مصدره على (فُعَالٍ) أو (فَعِيلٍ)، مثل : صرخ صُرَاخاً، وبكى بُكَاءً، وصهل صهيلاً وزأَر زَئيراً.

= قالوا : حَمِرَ الشَّفَقُ حُمْرَةً، وخَضِرَ الزَّرْعُ خُضْرَةً.

* الفعل الثلاثي اللازم الدال على لونٍ يأتي مصدره قياسًا على وزن (فُعْلَةٍ).

- قالوا : كتب الكاتبُ كِتَابة، ونجرَ نِجارَة. الفعل الدالّ على حِرْفةٍ يأتي مصدره قياسًا على (فِعَالَة) مثل: تَجرَ تِجَارَةً، وحَاكَ حِيَاكَةً.

= قالوا : دَبَّ النَّمْلُ دَبِيْبَاً.

* الفعل اللازم الدال على سَيْرٍ يأتي مصدره على وزن (فَعِيْل) . مثل: دَبَّ دَبِيْبَاً، ورَحَلَ رَحِيْلاً.

= قالوا : شَرِبْتُ شَرْبَةً، وضربته ضَرْبَةً.

= وقالوا: انطلقَ خالدٌ انْطِلاَقَةً ، واستعار اسْتِعَارَةً.

* (شَرْبَةً) و (ضَرْبَةً) و (انْطِلاَقَةً) و (اسْتِعَارَةً) مصادر، وكُلٌّ منها يدلُّ على حدوث الفعل مَرَّةً واحدة، ويُسَمَّى اسم المرة.

ويصاغ من الثلاثي على وزن (فَعْلَة) ومن غير الثلاثي على وزن مصدره مع إضافة تاء تأنيث في آخره.

= قالوا : جلست جِلْسَةَ العُلماءِ.

(جِلْسَة) مصدر ، وهو يدل على هيئة الفعل عند حدوثه ويُسَمَّى اسم الهيئة، ويُصَاغُ على وزن (فِعْلَة) مثل : وقفت وِقْفَةً، وقتلته قِتْلَةً.

* * *

تَذَكَّرْ أنَّ هناك مصادرَ خرجت عن الأبنية السّابقة، وهذه مرجعها إلى السَّماع، ويمكن معرفتها عن طريق الرجوع إلى المعاجم اللُّغوية.

رابعـاً : التّدريبـــات : -

(١)

١ - اقترح عنوانًا من عندك يتناسب مع كتاب عمرو بن مسعدة، إلى المأمون، وعنوانًا آخر يعّبر عن رسالة ابن الزيات.
٢ - اكتب تلخيصـا للفقـرة التي تبـدأ بـ « لاحاجةَ بنا إلى التّنْبيه . . » وحتى قوله : « . . . . في وقت واحد ».
٣ - اكتب نبذة يسيرة عن حادثة مهمة أيام المأمون.
٤ - ماذا تعرف عن عبدالله بن طاهر كما يصوره المقال ؟.
٥ - ماهدف الكاتب في هذه المقالة ؟ وهل نجح في بلورة هذا الهدف ؟ اذكر رأيك.

(٢)

١ - هات مترادفات لكل مما يأتي ، ثم استخدم ماتأتي به في جمل من عندك :
نلجأ - صيغة - عقول راجحة - كنوز - تنسيق . .
٢ - اقترح عددًا من العناوين يصلح كُلُّ منها بديلاً لعنوان كاتب المقال.
٣ - ما الجوانب التي يمكن أنْ نستشفها عن أسلوب الأستاذ شفيق جبري كما يتضح من مقاله ؟
٤ - اكتب فقرة واحدة تعلق فيها على مقال شفيق جبري.
٥ - اكتب مقالة موجزة تناقش فيها هذا المقال : أسلوبًا ومضمونًا على حَدٍ سواء.

(٣)

اكتب حسب التعليمات الواردة.

أ - بطاقة تهنيء فيها جيرانك بقدوم العيد (من الممكن كتابة أكثر من صيغة) . . .

ب - سيرة ذاتية عن نفسك : حياتك ودراستك حتى الآن (من الممكن أن تكتب عن أفكار متخيلة) . .

جـ - اعتذار عن عدم حضور محاضرة دعاها اليك أستاذ، وأكد عليك بالحضور، ولم تتمكن.

(٤)

١) قال الكاتب : -

« إذا كنا نلجأ إلى تقليب الأمور . . . . » ، « وإذا كان هذا غرضنا . . . »، « ولسنا نحافظ على أصالة أدبنا القديم »، « لم تكن بلاغتهم قائمة على اختيار الألفاظ وحدها »، « وإذا لم تدل دلالة صحيحة على المعاني كانت باطلةً »، « لقد اهتدى عمرو بن مسعدة إلى هذه السبيل، وكان يُعَدُّ من بلغاء الكتاب في دولة العبّاسيين ». « فقد يكون هذا العملُ جزءًا من نفسه »، « فإنَّ هذا الخلفَ قد يكونُ أبغضَ النَّاسِ إليه ». « وقد يكون كِتَابُ عمرو بن مسعدة إلى المأمون وكتاب ابن الزيات إلى عبده الله بن طاهر لا شُهْرَةَ لهما في آدبنا »، « وإذا كانت كتب الجاحظ تعلم العقل أولاً والأدب ثانياً فما أجدرنا بالتفتيش عن الكتب القريبة من هذا النمط وإن كان الجاحظ في هذا الباب السماء التي لاتطاولها سماء ».

أ - في الجمل السابقة أفعال ناسخة دخلت على جمل اسمية، اذكرها، وبين اسم كل منها وخبره، واذكر نوع الخبر.
ب - أعرب الجمل المنسوخة إعرابًا مفصَّلاً.
جـ - اضبط بالشكل كل جملة منسوخة فيما سبق.
د - احذف الأفعال الناسخة مما سبق، ثم أعد كتابه الجمل مضبوطة بالشكل.

* * *

(٥)

= قال الكاتب :

« كان لألفاظها وَقْعٌ في نفوسنا ». « كان في هذا الاقتصار ماقد يُغْضِبُ المأمون ». « فقد يكونُ في هذه الإشارة ما يخلُّ بحقوقِ الذِّين يدافعون عن الدولة بأروحهم ».

« فليس في كلام عمرو شيءٌ من التأنق ». « ليس من الهَيِّن أن يُعْلَمَ بخلَفه في العمل الذي صرف عنه ».

أ - عين الأفعال الناسخة فيما سبق، واذكر اسم كُلٍّ منها وخبره، وبين نوع الخبر.
ب - لم تقدم الخبر على الاسم في الجمل المنسوخة ؟.

(٦)

اقرأ النص قراءة جيّدة، واستخرج منه مايلي :
أ - فعلاً ناسخاً استعملَهُ الكاتبُ تامّاً.
ب - فعلاً ناسِخاً جاء اسمه مصدراً مُؤوَّلاً.
جـ - أُسلوبَ تَعَجُبٍ ، ثم أعربه.

د - الجملَ المنسوخة بحروف ناسخة، وعَيِّن الاسم والخبر في كُلٍ منها، مع ذكر نوع الخبر فيها.

هـ - الجمل الاسمية، وعين المبتدأ والخبر في كل منها، مع بيان نوع الخبر.

و - الأفعال المجزومة، واذكر أداة الجزم، وعلامته.

ز - الأفعال التي لحقتها علامة التأنيث، ثم اذكر حكم التأنيث فيها من حيث الجواز أو الوجوب.

* * *

(٧)

١ - في الحديقة شجرتان مثمرتان. نحن طلابٌ مؤدبون.

أدخل على كل من الجملتين المذكورتين حرفًا ناسخًا مرة، وفعلاً ناسخًا أخرى، وغير مايلزم تغييره فيهما.

٢ - قال تعالى: « وحَيْثُما كُنتُم فَوَلُّوا وجوهَكم شَطْرَهُ »، « وإذا قَضَى أَمْرًا فإنَّما يقولُ له كُنْ فيكون »، « أَلَا إِلىٰ اللهِ تَصِيْرُ الأُمورُ ».

وقال الشاعر:

ماكَانَ أَسْعَدَ مَنْ أجابَك آخِذاً ... بِهُدَاكَ مُجْتَنِبَاً هَوَىً وعِنَادَا

أ - فيما سبق اسْتُعْمِلَت الأفِعال النَّاسخة على غير بابها، استخرجها، وبين نوعها في الاستعمال.

ب - أعرب ما تحته خط.

(٨)

تدريـــب صـــرفي

١ - اقرأ النص قراءة جيدة واستخرج منه كُلَّ مَصْدَرٍ، واذْكُرْ فعلَهُ وهل تجد له ضابطًا يمكن القياسُ عليه أم لا ؟

٢ - هات مصادر الأفعال التالية :
تَأَخَّرَ . . اخْتَلَّ . . أَعْطَى . . مَنَعَ . . نَبَحَ . . اسْتَفْهَمَ . . . زَكَمَ . .

٣ - استخرج من النص كُلَّ فعلٍ مثالٍ، وصَرِّفْهُ إلى المضارع، والأمر، واسم الفاعل، واسم المفعول والمصدر.

الوحدة السابعة عشرة

العربيَّةُ بَيْنَ اللُّغَاتِ العالمَيَّةِ الكُبْرَى

للدكتور: إبراهيم مدكور.

أولاً - صاحب النَّص:

وُلِدَ بمصرَ سنة ١٩٠٢م، وتَخرَّجَ في كُلٍّ من مدرسة « القَضَاء الشَّرعيّ » و « دارِ العُلومِ ». أَتَمَّ دراستَهُ في الفلسفة والقانون بجامعة السُّوربون، وكانَتْ رسالتُهُ التي تعادل الماجستير حول موضوعِ « مكانة الفارابيّ في الفكر العربيّ »، أما رسالة الدُّكتوراه فكانت عن: « مَنْطِقُ أرسطو، تَرْجَمَاتُهُ، وشرُوحُهُ، وتطبيقاتُهُ في العالم العربيّ » والرّسالتان مطبوعتان بالفرنسيَّة، وقد قام الدكتور حامد طاهر بترجمة الفصل الأخير من رسالة الدكتوراه، بعنوان « تَأْثِير مَنْطِق أرسطو في العلوم الكلاميَّة والفِقْهِيَّة في الإسلام » ونشره بمجلة الثقافة المصرية سنة ١٩٧٩م

درَّس الدكتور مدكور الفلسفة الإسلامية في كليتيْ دار العلوم والآداب، كما حاضر في بعض جامعات أوربّا. له دراسات عن الفارابي وابن سِيْنَا والغزاليّ، وابن رُشْد، جمعها في كتاب عنوانه « في الفلسفة الإسلاميَّة « منهج وتطبيق، كما نشر موسوعة الشِّفاء لابنِ سينا، وكتاب المغنى للقاضي عبد الجبار.

يَشْغَلُ حاليًّا منصب رئيس مجمع اللّغة العربية بالقاهرة، وهو شخصية نابهة في تاريخنا الفكري المعاصر، وقد تَخَرَّجَ على يدَيْهِ جِيلٌ من رُوَّاد الثقافة في مِصْرَ والعالم العربيّ الإسلامي.

وقد اجتمعت له صفات الجامعيّ المحقّق، والمجمعي الأمين، ورجل العمل الواعي. وأهم نشاطه يتمثل في التخطيط والإشراف على المشروعات الثقافيةوالعلمية الضخمة.

ثانياً - النــص:

العربيَّةُ بَيْنَ اللُّغَاتِ العالميَّةِ الكُبْرَى

لم يكُنْ في العالَم بأسرِه فيما بَيْنَ القرنَيْن الثَّامِن والسَّادسَ عَشَرَ الميلادي إلَّا لُغَتَانِ يُكْتَبُ بهما العِلْمُ والفَلْسَفَةُ، وهما العربيَّةُ في الشَّرق واللَّاتينية في الغرب. وقد اصْطَنَعَ العربيَّةَ كُتَّابٌ وباحِثُونَ من أَجْنَاسٍ مُخْتَلِفَةٍ: مَغُولٌ ومَنْغَالِيُّونَ، أتراكٌ وأَكْرَادٌ، فُرْسٌ وعَرَبٌ، وأفريقيُّونَ، وانْضَمَّ إليهم عددٌ غيرُ قليلٍ من أهل أوربَّا في صقلية والأندلس، بَهَرَتْهُم [1] الثقافةُ الإسلاميَّةُ وأعجبُوا بعلمها وفَنِّها، تَبَحَّرَ هؤلاءِ في العربيَّةِ وجوَّدوها، وكَتَبُوا في فُنُونٍ شَتَّى: من تفسير وحديثٍ، فِقْهٍ وتَوْحِيدٍ، أدَب وسياسةٍ، تاريخٍ وجُغْرَافيا، طِبٍّ وكيمياء، فَلَكٍ وتَنْجِيمٍ، مُوسيقى ورياضيَّات. والتُّراثُ العربيُّ صَنِيْعُ هؤلاءِ جميعًا دون تَفْرقَةٍ بَيْنَ جِنْسٍ أو وَطَنٍ، بَلْ دونَ تَفرقَةٍ بين دِيْنٍ ودِيْنٍ، وقد حَرَصتْ اللاّتينيةُ على أنْ تَتَغذَّى من هذا التُّراثِ، وقَضَتْ نحو قرنَيْنِ أو يزيد تَنقلُ عنه وتُتَرْجِمُهُ. فترجَمَتْ قَدْراً من كيمياء جابرِ بنِ حَيَّان (٧٧٦) وأبي بكر الرّازي (٩٤٥)، وعُنِيَتْ برياضيّات الخَوَارِزْميّ (٨٤٤)، وبَصَرِيّاتِ ابنِ الهَيْثَم (١٠٣٩) وفلك البَتانِيّ (٩٢٩) والبِتْروجِيّ (١٠٨٥) وطِبِّ ابنِ زُهر (١٠٦٢) وعليّ بن رَضْوَان (١٠٦٧)، إلي جانب ما أخذت عن كبار الفَلاسفة من طِبٍّ وفَلْسَفَةٍ. وبذا كانت العربيَّةُ واللَّاتينيَّةُ لُغَتَيْنِ عالَميتَيْنِ عملاً، قبلَ أَنْ يعرضَ الباحثون لفكرة اللّغَةِ العالميَّةِ، وما ينبغي أن تقومَ عليه من شروطٍ وأوضاعٍ.

لقد تنبَّهَ ليبنتز (١٧١٦) إلى اللُّغَةِ العالميَّةِ بوَجْهٍ خاصّ. بعد أنْ رَأَى أَنَّ لُغَةَ العِلْمِ أخَذتْ تَتَبَلْبَلُ بتَعَدُّدِ اللُّغات، وقد فَكَّرَ في جَمْعِ « ألف باء » الفكر الإنساني، وحَصَرَ الأفكارَ والمركَّبَةَ. وإذا ما تَمَّ له ذلك، وَضَعَ لكُلِّ فِكرةٍ رَمْزاً

---

[1] - بَهَرَتْهُم الثَّقافة : يقال بَهَرَهُ الأمر : أَدْهَشَهُ وحَيَّرهُ، ويُقَالُ: بَهَرَهُ الأمر: غلبه.

يُعَبِّرُ عنها ويدلُّ عليها. ويوم أَنْ يَتَّفِقَ العُلَمَاءُ على هذه الرُّموزِ. تُصْبِحُ لُغَتَهم المُشْتركةَ التي يتفاهمون بها، ويلتقون عندها. وقد عُنِي بها فعلاً عددٌ غيرُ قليلٍ من الباحثين في القَرْنِ التاسعَ عَشَرَ، وعلى رأسِهم طبيبٌ رُوسيٌّ اقترحَ لُغَةَ الاسبرنْتُو التي قُدِّرَ لها أنْ تُصادِفَ نجاحاً لدى كثيرٍ من الهيئات العلميّةِ، ولا تزالُ جمعياتٌ لغوية وفيلولوجية[1] تعالج مشكلة اللُّغة العالميَّة، وتُدلي فيها بمقترحات.

ويُلْحَظُ في اللُّغَةِ العالميَّةِ بوجهٍ عامّ أنْ تقومَ على أبجديَّةٍ قليلةِ الحُروفِ ما أمكن، ومفرداتٍ محدودةٍ تَفِي بالغَرَضِ دون تَكْرارٍ أو تَرادُفٍ، ونَحْوٍ مُطَّرِدٍ مُيَسَّرٍ، وهِجَاءٍ سَهْلٍ، وكتابةٍ واضحةٍ. وهي بهذا لغةٌ مثاليَّةٌ لم تَتَحَقَّقْ بَعْدُ، والواقع أنَّ فِكْرتَهَا ليست مُسَلَّمَةً من الجميع، وهناكَ مَنْ عَارَضَها مُعَارَضَةً شديدةً. وفي مُقَدّمتِهم علماءُ الاجتماع الفرنسيون، وعلى رأسِهم «دَرْكَايم»، فهم لا يُسَلِّمُون بذلك المنطق الإنساني الذي يقود إلى لغة عالميَّة وقَرَّروا أَنَّ هناك أُسَرَاً لُغويَّةً، بقدر ما هنالك من مجتمعات بشريَّة. والحقيقةُ أَنَّ اللُّغةَ العالميَّةَ إنْ صَلحَتْ لبعضِ الدِّراسات والتَّخَصُّصَاتِ كالمَنْطِق والرِّياضَةِ، فإنَّها لا تَصْلُحُ للمجتمعات الفسيحة. وهي على كُلِّ حالٍ لغةٌ مُصْطَنَعَةٌ. ولُغَةُ الجماهير لا تُفْرَضُ فَرْضَاً، ولا تُصْنَعُ صُنْعَاً، ولابُدَّ لهذه الجماهير أنْ تَضَعَ لغُتَهَا بنفسِهَا، وأنْ تَتَصَرَّفَ فيها بحسبِ ظروفِها وحاجاتِهَا.

ومَهْمَا يَكُنْ من أمرٍ فهناك لُغاتٌ يَتَخاطَبُ بها عِدَّةُ دُول، ويتفاهم بواسطتها عِدَّةُ شُعوبٍ وهي أَشْبَهُ ما تكون باللّغة العالميَّة. وقد قضت الفرنسية نحو قرنَيْن أو يزيد، وهي لغةُ السِّياسة والدُّبْلُوماسيَّة في العالم بأسْرِهِ وتُعَدُّ الانجليزية اليومَ لُغَةَ المالِ والأعمالِ بوَجْهٍ عامٍ، وقد مَكَّنَتْ لها الحَرْبُ العالميَّةُ الثَّانيةُ كثيراً، وأيَّدَتْهَا

---

٢ - فيلولوجية : تعريب (Pholyglottism) وتعنى معرفة عدد كبير من اللغات الحية أو القديمة، فضلا عن التَّبحُّر باللغة القوميَّة.

الـولايات المتحدة كُلَّ التَّأييد، ولها استعمالٌ شائعٌ في الشَّرقِ والغَرْبِ، وهي اللُّغَةُ الرَّسْمِيَّةُ لمئاتِ الملايين من النَّاس.

إنَّ العربيةَ كانَتْ في الماضِي لُغَةً عالميةً عَوَّلَتْ عليها عِدَّةُ شعُوب وأجناس، ثُمَّ ضَاقَتْ رُقْعَتُها، وَزاحَمَتْهَا لُغَاتٌ أخرى في العالم الإسلاميّ جميعه، بل في العالم العربيّ أيضاً.

اللُّغـةُ العـربيّةُ صالِحَـةٌ لأنْ تكـونَ لُغَـةً عالميَّةً، بل إنَّهـا الآنَ تُؤَدِّي دَوْرَهَا العـالميّ. ومُنْـذُ النِّصْفِ الأخير من القَـرْنِ المـاضي أخـذت العـربيَّةُ تَسْتَعِيدُ مَجْدَها - وتُجدِّدُ نشاطَها، وتكادُ تُباري العَربيَّةُ المُعَاصِرَةُ العَربيَّةَ القديمةَ، في مفرداتها صَقْلٌ وتَهْذِيْبٌ، وإِحْكَامٌ ودِقَّةٌ، ونُمُوٌّ وتَكَاثُرٌ، وفي جُمَلِهَا تَنَوُّعٌ وتجديدٌ، ويُسْرٌ وسُهُولَةٌ، وظَرفٌ ورَشَاقَةٌ. في شعرها خَيَالٌ بَدِيعٌ، ونَسِيجٌ مُحْكَمٌ، ووَحْدَةٌ مُتَّصِلَةٌ، وتصويرٌ خَلاَّبٌ لخَلَجَاتِ النَّفْسِ، وآياتِ الطبيعة وظواهِرِ المُجْتَمَعِ، وبين الشُّعَراءِ المعاصِرِيْنَ فُحُولٌ لا يَقِلُّونَ عَنْ شُعَرَاءِ العَصْرِ العَبَّاسِيِّ الأول، وفي نَثْرِهَا تَحَرُّرٌ وانْطِلاَقٌ، ولِيْنٌ ورِقَّةٌ، ومَنْطِقٌ وتَعْلِيْلٌ، وأفكارٌ ومَعَانٍ، لا مُجَرَّدَ صِيَغٍ وعِبَـاراتٍ، وفيه أيضـاً ألْوَانٌ جديدةٌ كالقِصَّةِ والرِّوايةِ، والمقالة والبحث، وبين كُتَّابِ اليَوْمِ مَنْ يُذَكِّرُنا بعبدِ الحميد، وابْنِ المُقَفَّعِ، أو بالجَاحِظِ ومحمدِ بن عبد الملك الزَّيات، وأمامَنا عربيّةٌ عَصْرِيَّةٌ، حَيَّةٌ مُتَجَدِّدَةٌ، تُحاوِلُ أنْ تُواجِهَ حاجاتِ العِلْمِ ومتطلَّبات الحَضَارَةِ.

وإنتـاجُهَـا في جُمْلَتِـهِ غَزيرٌ ومُتَنـوِّعٌ، قوميٌّ وإنسانيٌّ، تضافرَتْ عليه جُهودٌ مُخْتلفَـةٌ، وبيْئـاتٌ ثقـافيَّةٌ مُتَعَـدِّدَةٌ في أفـريقيا وآسيا، وآزَرَهَـا نَفَـرٌ من العَـرَبِ والمُسْتَعْرِبِيْنَ في أوروبا وأمريكا. وفي وُسْعِنَا أنْ نُقَرِّرَ أنَّ قِسْطاً مِنْ أَدبِنَا المُعَاصر يَسْمُـو[2] إلى مرتبة الآدابِ العالمية الكبرى، وبُدِيءَ في تَرْجَمَتِهِ والأَخْذِ عنه، ويُكْتَبُ العِلْمُ والفلسفةُ والفَنُّ والتكنولوجيا اليومَ بُلغَةٍ عربيَّةٍ فصيحةٍ. وتُدَرَّسُ هذه

---

١ - يَسْمُو إلى مرتبة الآداب العالمية: يُقَالُ: سَمَا الشَّيءُ سُمُوّاً: عَلاَ وارْتَفَعَ وتَطاوَلَ وسَمَا فلانٌ في الحَسَبِ والنَّسَبِ: ارتفع وطاوَلَ غيره في ذلك.

المـوادُ كُلُّها باللُّغَةِ العربيَّةِ في المَدَارِسِ الابتدائية والثَّانوية، بَلْ في كثيرٍ من الجامعات والمعاهد العليا، وها نحن أولاءِ نُعَرِّبُ العِلْمَ بانتظامٍ، ونتوقَّعُ تَبادُلاً أتمّ واتصالاً أوثقَ بين الأدب العربيِّ والآداب الأخرى، وإنَّا لَنَرَى القِصَّةَ أو الرِّوايةَ الأجنبية تُتَرْجَمُ اليومَ إلى العربيَّةِ، ولَمَّا يَمْضِ بِضْعَةُ أَشْهُرٍ على تأليفها في لغتها الأصلية. ولَنْ يُسْتَبْعَـدَ مثـلُ هذا على بعض إنتـاجنا الأدبيِّ، وبين دور النَّشْر الأجنبية ما يَسْعَى جاهداً إلى ترجمة بعض نفائسنا العربيَّة المُعَاصرة. ولا شكَّ في أنَّ المؤتمرات الأدبية والعلمية تزيد هذا الاتصال وثوقاً وتأكيداً.

في وُسْعِ العربيَّة أَنْ تَبْسُطَ نفوذَها مَرَّةً أُخرى، وأَنْ تَمْتَدَّ إلى بيئات ومجتمعات جديدة في آسيا وأفريقيا.

لا سبيلَ لانتشارِ لُغَةٍ إذَا كانَ في طبيعتها ما يُعِيْنُ على ذلك، وَأَبْجَدِيَّةُ العربيَّةِ مَحدودةُ الحُروفِ، لا تزيدُ في عدَدِهَا عن أبجدية « الاسبرنتو » [٤] وأصواتها تكاد تكون شاملة، بحيثُ تُواجِهُ مخارجَ الحروف كُلِّها تقريباً في اللُّغات الأخرى. ومفـرداتُهـا غزيرةٌ. ولكنَّ كثيراً ما يختلط فيهـا المُهْمَـلُ بالمُستَعْمل، والغريبُ بالمألوف. وليس بعزيزٍ أنْ يُخْتَارَ قَدْرٌ منها يلائِمُ مطالبَ الحَيَاة الحاضرة، ويُضَمَّنُ في معجمات خَاصَّةٍ. ونحن نَعْلَمُ أَنَّ الألفاظَ المتداولة في حديثِ فَرْدٍ أو كتابته أقل كثيراً من مادته اللغوية. ولا شَكَّ في أَنَّ معجماتٍ كهذِهِ تُيَسِّرُ تَعَلُّمَ العربيَّةِ على الأجانب، وتُسَاعِدُ على نَشْرِها في بيئاتٍ لا عَهْدَ لها بها.

وفَنُّ المُعْجَمَات في تَطَوُّرٍ مُستمرّ، وقد خَطَا خُطُوَاتٍ فَسيحةً في القرن التاسعَ عَشَرَ وطِوَالَ هذا القرن، وفي العربيَّةِ ثَرْوَةٌ طائِلَةٌ من المُعْجَمَاتِ اللُّغَوية القديمة، ولكنَّها في حاجة إلى تَجْديدٍ وتهذيبٍ، والمُعْجَمُ أداةُ بَحْثٍ ومَرْجِعٌ سَهْلٌ، فينبغي أَنْ يكونَ واضحاً ودقيقاً، مُحْكَمَ الترتيبِ والتبويبِ دعامةً أُولَى في وضوحِ التَّأليفِ

٤ – الاسبرنتو: اسم اللغة العالمية التي اقترحها بعض العلماء ووضعوا لها أُسَساً وأبجديتها في مرحلة سابقة من القرن الماضي.

المُعْجَمِيّ، وأَبْسَطُ الأمورِ أنْ تُرَتَّبَ الكَلِمَاتُ على حَسبِ نُطْقِهَا، لا على حَسبِ تصريفِهَا. ومن اليسير تطبيقُ ذلكِ على العربية، ولكن في حدود المادَّة، لأنَّهَا لُغَةٌ اشتقا قيَّةٌ، وهذا ما أَخَذَ بِهِ مَجْمَعُ القاهرة فيما أخرجه من معجمات. ومِمَّا يزيدُ المُعْجَمَ وضوحاً جَلَاءُ شُروحِهِ وتَعاريفِهِ، فتُكْتَبُ بلغةٍ سَهْلَةٍ، وتُصَاغُ في عبارةٍ دقيقةٍ، والرُّسومُ والصُّورُ من خَيْرِ وسائل الإيضاح. وينبغي أنْ يُسايرَ المُعْجَمُ تَطوّرَ اللغةِ وما أُدْخِلَ عليها من لَفْظٍ حَضَارِيّ ومُصْطَلَحٍ علميّ.

والمُصْطَلَحُ العِلْمِيُّ أَدَاةُ البَحْثِ، ولا حياةَ لِعلْمٍ بدونِهِ. وقد نَمَتْ لُغَةُ العِلْمِ في العربية قديماً بنُمُوِّ العُلومِ وتقدُّمِهَا، بَدَأَت في القرنِ الأولِ للهجرةِ، ثُمَّ أَخَذَتْ تَزيدُ وتَتَطَوَّرُ على مَرِّ الزمن. وما أنْ جَاءَ القَرْنُ الرابعُ حَتَّى اكْتَمَلَتْ واسْتَقرَّتْ، وتبادَلَها الباحِثون في المشرقِ والمغربِ، لم تَخْتَلِفْ من قُطْرٍ إلى قُطْرٍ، فكانتْ لُغَةُ العِلْمِ واحدةً في قُرْطُبَةَ والقَيْرَوانِ، في الفُسْطَاطِ ودِمَشْقَ، في بَغْدَادَ وأَصْبَهَانَ، وسُجِّلَتْ في مُعْجَمَاتٍ خَاصَّة ويوم أنْ رَكَدَ البَحْثُ العلميُّ ركدَتْ لُغَتُهُ مَعَه، فَجمدَت المُصْطلحاتِ وذهَبَتْ الأصالَةُ والابتكارُ. ثم جاءت النَّهضةُ العمليَّةُ العربيَّةُ الحديثَةُ، فحاولت أنْ تتدارَكَ ما فاتَ، وأخذَتْ تُكَوِّنُ لُغتَها من جديدٍ، مُستعينةً بالدِّراساتِ الجامعيَّةِ من جانبٍ، وبالمَجَامعِ والهيئاتِ اللغوية والعلمية من جانبٍ آخر.

ونستطيعُ أنْ نُقَرِّرَ أَنَّ لدينا لُغَةً علميةً عربيةً واضِحَةً في كثيرٍ من أبواب البَحْثِ والدِّراسة، فالعُلومُ النَّظريَّةُ من قانونٍ واقتصادٍ وسياسةٍ، وتربيةٍ وعلمِ نفسٍ، وأخلاقٍ وفلسفةٍ تُدَرَّسُ ويُؤَلَّفُ فيها بلغةٍ عربيّةٍ حديثةٍ، والعُلومُ العمليةُ من هندسةٍ ومِسَاحَةٍ، وفَلَكٍ وجُيُولوجيا وكيمياءَ وطبيعةٍ، وصيدلةٍ وطبٍّ تُبْذَلُ في تعريبِها جُهودٌ ملموسَةٌ.

ولم يُصادِفْ نَحْوٌ من العناية ما صادَفَ النَّحْوُ العربيُّ، إذْ لم يَرْقَ إلى مُستواه واحِدٌ من نَحْوِ اللُّغَاتِ القديمة، لا في اليونانيَّةِ واللاَّتينية بين اللغات

الهندوأوربية، ولا في السّريانية والعِبْرية بين اللُّغات السَّاميّة، إلّا أنَّ فيه تَوسُّعاً زائـداً وفلسفـةً إنْ لاءَمَتِ الخـاصَّـة فإنَّها لا تُلائِمُ العَامَّة، وكانت موضِعَ نَقْدٍ وملاحظةٍ من قديم، وكثيراً ما كانت العِلَلُ النَّحْويةُ مَثَارَ فُكَاهَةٍ وتَنَادُرٍ. واقترنت النَّهضةُ العربيَّةُ الحديثَةُ بالمُطَالَبَةِ بتَخْليص النَّحْو من فلسفته، وتَقْديمِهِ في ثَوْبٍ أيْسَرَ وأصفَى، ونَحْنُ لا نُنْكِرُ على المُتَخَصِّصِيْنَ أنْ يَتَعَمقُوا في دراسةِ النَّحْو ما شاءوا، ولكنْ باسم التَّعليم العامّ والثَّقافة الشَّعبيَّة لا بُدَّ أَنْ نُيَسِّرَ النَّحْوَ، ونَقِفَ بقواعِدِهِ عِنْدَ حُدُودٍ ضَيِّقَةٍ تُلائِمُ شَبَابَ المتعلمين. وَنَحْو اللُّغات الحديثة يسلك هذا المسلك ويميل إلى الاختصار.

وبَقِيَتْ أخيرًا مُشْكِلةُ الكتابَةِ العربيَّةِ، وقد أُثيرَتْ مُنْذُ أُخْرَياتِ القَرْنِ الماضِي، واشتَدَّ الجَدَلُ حولَها في النِّصفِ الأول من هذا القرن، ولاتزالُ تُثَارُ حَتَّى اليوم وإنْ كانَتْ فَقدَتْ كثيراً من عُنْفِهَا وشِدَّتِهَا. ولَعَلَّ لعُدول الأتْرَاكِ عن الحُروفِ العربية إلى اللاَّتينية شَأْناً في طُولِ الأَخْذِ والرَّدِّ فيها : وقد وُجِّهَتْ إلى الكتابةِ العربيَّةِ انتقاداتٌ شَتَّى، واختلطَتْ مشكلتُهَا بمُشْكلةِ القِراءة، وكثيرًا مارُدِّدَتْ عبارة قاسم أمين المشهورة : « أَنَقْرَأُ لِنَفْهَمَ، أَمْ نَفْهَمُ لِنَقْرَأَ ؟ ».

وتـردَّدَت الـدَّعـوةُ إلى إصلاحِ الكتابةِ العربيةِ في كثيرٍ من الأقطار، وأَسْهَمَ البـاحثـون في معالجتها أفراداً وجماعاتٍ والواقعُ أنَّهُ اقْتُرِحَتْ حُلُولُ شَتَّى لهذه المشكلة، ويُمْكِنُ أنْ تُلَخَّصَ في اتّجاهَيْن أساسِيَّيْن، يَرْمِي أَوَّلُهُمَا إلى تعديلِ الحُروفِ الحاليَّةِ لِتَدَارُكِ مافيها من نَقْصٍ أو غموضٍ، ويحاولُ الثّاني اختراعَ حروفٍ جديدةٍ تَحِـلُّ مَحَـلَّ الحُروفِ القديمة، ويدخل في هذا الباب إحلالُ الحُروفِ اللّاتينية مَحَلَّ الحروفِ العربيَّةِ، أُسْوَةً في الغالِب مما صَنَعَهُ الأَتراكُ، وقد شاعَتْ هذه الموجَةُ في الثُّلُثِ الأَوَّلِ من هذا القَرْنِ.

واعتقدُ أنَّ حَلَّ الحُروفِ اللاَّتينية قد استُبْعِدَ بَتَاتًا وبُذِلَتْ في الاتّجاهِ الأولِ جهودٌ مختلفةٌ، ويَدْخُلُ الإملاءُ ورَسْمُ الحُروفِ في مشكلةِ الكتابة. وما أَجْدَرَنَا أنْ

نُذَلِّلَها، وأنْ نَرْبطَ ما أمكَنَ رَسْمَ الحرفِ بصوتِه، وللقُدامى في ذلك حُلُولٌ مُيَسَّرةٌ. ولاشكَّ في أنَّا أنزلنا رَسْمَ الحُروفِ عَنْ عَرْشِهِ، وكانَ بالأمْسِ عَقَبةً كَأْدَاءَ [٥] في طريق النّاشئين، وعلينا أنْ نقضيَ على هذه الصِّعاب من أساسها، توفيرًا للجَهْدِ والزَّمن. ونحن نعيشُ في زمَنٍ ليس فيه مُتَّسَعٌ من الوقتِ للبَحْثِ في مشاكل الهِجَاءِ والعُقَدِ الإملائيَّة.

إنَّ نَحْوَ مائةِ مليونِ نَسْمَةٍ أو يزيد يتخاطبون اليومَ باللُّغَةِ العربيَّة، ويتكاتبونَ بها، وهُمْ في نُمُوٍّ مُطَّرِدٍ، وعَدَدُهُم هذا وحدَهُ كافٍ في أنْ يَضَعَها في مَصَافِّ اللُّغات العالميَّة، ولم يَرَ « اليونسكو » بُدًّا من أن يَضُمَّهَا أخيرًا إلى اللغة الدَّوْلِيَّة التي اعتمدها. وقد برهنت العربيةُ نَفْسُهَا على حَيَوِيَّتِها وقُدْرَتِها على البقاء، وبَدَأَت اللُّغاتُ الأجنبيةُ تأخُذُ عنها اليوم كما أخذت بالأمس.

إنَّ لبعضِ الصِّعاب التي تَعْتَرِضُ لُغَتَنا أشْبَاهاً في لغاتٍ أخرى، ولكُلِّ لغةٍ صِعَابُهَا. وفي وُسْعِ النَّاطقين بها أنْ يُذَلِّلُوها، إنْ حُدِّدَ الهَدَفُ. وانْفَسَحَ الأَمَلُ، وصدَقَت العزيمةُ، في العربيَّةِ حَيَوِيَّةٌ ومُرُونَةٌ كفيلتان بأنْ تَضَعَاهَا في مَصَافِّ اللُّغاتِ العالميَّة، ومن الظُّلْمِ أنْ يُلْقَى الوِزْرُ [٦] عليها، وحياةُ كُلِّ لغةٍ بحياةِ أهْلِهَا، والانتاجُ الأدبيُّ والعِلْمِيُّ الرَّفيعُ ثَوْرَةٌ إنسانيةٌ تَعْلُو على اعْتبارات الجِنْسِ والوَطَنِ.

---

٥ - عَقَبة كأداء: صَعْبَةُ المُرْتَقَى.

٦ - الوِزْرُ: الحَمْلُ الثَّقيل، ويقال: ارتكَبَ فلانٌ وِزْرًا، أي: ذَنْبًا.

ثالثا : النحـــو :

النَّواسخ الداخلة على الجملة الاسمية (كاد وأخواتها).

النّواسخ الداخلة على الجملة الاسمية نوعان: أفعال وحروف، ومن الأفعال النّاسخة : (كَادَ) وأخواتها.

وقد ورد في النص قول الكاتب:

« ومُنْـذُ النِّصف الأخير من القرن الماضي أَخَذَت العربيَّةُ تَسْتَعِيْدُ مجدَها، وتجدد نشاطها وَتَكادُ تُباري العربيَّةُ المُعاصرةُ العربيَّةَ القديمةَ في مفرداتها . . . »

الجملة (تَكَـادُ تُبَـارِي العـربيةُ المُعاصرةُ العربيَّةَ القديمةَ) فيها خروج عن الضوابط النحوية في (كاد) وأخواتها، كما أشير إليها فيمايلي :

(كاد) وأخواتها تنقسم في الاستعمال اللُّغوي بحسب دلالتها إلى ثلاثة أقسام :

١ - أفعال المقاربة : وتدلُّ على قُرْبِ وقوع الخبر، وهي ثلاثة : كادَ ، وكَرِب ، وأَوْشَكَ.

الأمثلة : كادَ الامتحانُ يَنْتَهِي. كادَ الضَّيْفُ يُغَادِرُ منزلَنَا. المحاضرةُ تَكَادُ تَنْتَهِي.

- قال تعالى : ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ ﴾.
- كَربَ المَطَرُ يَنْزِلُ. كَربَ المتسابِقُ أَنْ يَفُوزَ في السِّبَاقِ.
- أَوْشَكَ الشِّتَاءُ أَنْ يَأْتِيَ. أَوْشكَت المحاضرةُ أنْ تَنْتَهِي. تُوْشِكُ الطَّائِرةُ أَنْ تَهْبِطَ.

* * *

الأفعـال الثـلاثـة تستعمـل استعمالَ (كان) وأخواتها، فتدخل على الجملة الاسمية، فيرتفع بعدها الاسم، ويكون الخبر في موضع نصب، لأنَّ خبر هذه الأفعال لايأتي إلَّا جُمْلةً فعليةً فِعْلُها مُضَارِعُ، مقترن بـ (أَنْ) المصدرية الناصبة أحيانًا وغير مقترن بها أحيانًا أخرى.

* تذكَّـر أنـه يكثـر اقتـران الخبـر بـ (أَنْ) مع (أوشـك)، وأنَّ (كاد) و (أوشك) يُسْتَعْمَلان ماضِيَيْن ومُضَارِعَيْنِ.

٢ - أفعال الرَّجاء : وتدلُّ على رَجَاءِ وقوع الخبر، وهي ثلاثة :

عَسَى ، وحَرَى ، واخْلَوْلَقَ .

الأمثلة : قال تعالى : ﴿ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ ﴾.

قال الشاعر :

عَسَى الكَرْبُ الَّذِي أَمْسَيْتُ فيه يَكُـونُ وَرَاءَهُ فَـرَجٌ قَرِيْـبُ

- حَرَى المريضُ أَنْ يَشْفى.
- اخْلَوْلَقَتْ فِلَسْطِينُ أَنْ تَتَحَرَّرَ.

الأفعـال الثَّـلاثة (عَسَى)، (حَرَىَ)، (اخْلَوْلَقَ) تُسْتَعْمَلُ أفعالاً ناسخةً كسابقتها، فترفع الاسم بعدها، ويكون خبرها في موضع نصب، ولايكون الخبر إلَّا جملةً فعليةً فعلُها مضارعٌ مُقْتَرِنٌ بـ (أَنْ) المصدرية النَّاصبة.

* تذكَّر أنه يجب اقتران خبر (حَرَى) و (اخْلَوْلَقَ) بأَنْ، أما (عسى) فيكثر اقترانها بها، ويندر عدم اقترانها بـ (أَنْ).

وأن هذه الأفعال جامدة لايستعمل منها المضارع.

٣ - أفعال الشروع : وتدل على الشُّروع بالخبر، وهي كثيرة منها:
أَنْشَأَ - أَخَذَ - طَفِقَ - عَلِقَ - جَعَلَ - شَرَعَ.
الأمثلة : أَنْشَأَ المُدَرِّسُ يُلْقِي المحاضرةَ.
- أَخَذَت العربيَّةُ تَسْتَعِيدُ مَجْدَهَا.
- قال تعالى : ﴿ وطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الجَنَّةِ ﴾.
- عَلِقَ المَطَرُ يَنْزِلُ مُبَكِّراً.
- جَعَلَ الطُّلابُ يَأْتُونَ إلى الكُلِّيَّةِ.
- شَرَعَ الفَلاَّحُ يَحرُثُ الأرضَ.

الأفعالُ السَّابقةُ أفعالٌ ناسخةٌ، كالأفعالِ التي تقدمَّتها، فترفع الاسم بعدها، ويكـون خبـرها في موضع نصب، ولايكون إلاَّ جملةً فعليةً فعلُها مضارعٌ غير مقترن بـ (أنْ) وجوبا.

وهذه الأفعال جامدة لايُسْتَعْمَلُ منها المضارع على الأفصح [1].
قد تستعمل الأفعالُ (عَسَىَ واخْلَوْلَقَ وأوشَكَ) تامَّةً، وعندئذ تكتفي بالفاعل، ويكون فاعلها مصدرًا مُؤَوَّلاً من (أَنْ) والفعل المضارع مثل :
- الكَـرْبُ أَوْشَـكَ أَنْ يَزُولَ. (أَنْ يَزُولَ) مصـدر مؤول في محـلِّ رفع فاعل (اوشك). والجملة في محل رفع خبر المبتدأ (الكَرْبُ).
- عَسَى أَنْ يزولَ الكَـرْبُ (أَنْ يزولَ) مصـدر مؤول في مَحَـلِّ رفـع فاعـل (عسى)، و (الكَرْبُ) فاعل (يزول).

* * *

١ - قيل : قد يستعمل الفعل (طفق) و (جعل) مضارعًا، وهو استعمال نادر.

رابعا : التدريبـــات

(١) تدريبـــــات للكتابـــة

١ - كانت اللاّتينية نظيراً للعربية حتى القرن السادس عشر الميلادي، ولكن العربية سرعان ماتفوقت، وصارت النَّبعَ الذي تستقي منه اللاّتينية.
اشرح هذا في ضوء قراءتك للموضوع.

٢ - وَضِّحْ مَتَى نبتَتْ فكرة الّلغة العالمية، وكيف جاء تصور العلماء لها؟

٣ - هنـاك مَقُـولَـةٌ تَذْهَبُ إلى أنَّ العربية المعاصرة قد أصبح لها من المكانة ماتنافس به عربيةَ العصور الوسطى. ماراُيُك ؟

٤ - لكي تكـونَ اللغَـةُ عالميةً، لابُدَّ أنْ تتوافرَ لها شروطٌ. اذكر هذه الشروط مُوضِّحاً إلى أيِّ مدى تَتحقَّقُ هذه الشروط في اللُّغةِ العربيَّةِ بما يجعلها فعلاً لغةً عالميةً.

٥ - في مجال إصلاح الكتابة العربية، كانت هناك عدة اقتراحات.
أَوْرِدْ بَعْضَها مع ذكر رأيك في كُلٍّ منها.

٦ - لَخِّصْ الفقرة الأولى تلخيصاً دقيقاً ووافياً بدون المساس بالفكرة الرئيسية فيها.

٧ - اكتب حسب التعليمات الواردة :

أ - بطاقـة دعـوة لعقد قران أخيك (ضع كُلَّ المعلومات الأساسية عن صاحب الدعوة والمكان والزَّمان).

ب - خطاباً قصيراً لصديق مخلص تنهي به صداقتك معه لوشايةٍ حَدَثَتْ وتَأَكّدْتَ من أنَّها صحيحةٌ.

جـ - بلاغاً إلى شرطة المرور عن تجاوز شاهَدْتَهُ على الطريق.

(٢) تدريـــب نحـــوي

١ - اقرأ النص قراءة جيدة واستخرج منه مايلي.

أ - الأفعال الناسخة (كان وأخواتها)، وأعرب الجمل المنسوخة إعرابًا مفصًلاً.

ب - فعلاً من أفعال المقاربة غير ماتقدم ذكره، وبيِّن اسمه وخبره.

جـ - الجمل المنسوخة بـ (إنَّ) وأخواتها، وأعربها.

د - الجمل المنسوخة بـ (لا) النافية للجنس، وَبيِّن اسمها وخبرها.

هـ - الأفعال المضارعة المنصوبة، وبيِّن أداة النَّصْب وعلامته.

٢ - أدخل فعلاً من أفعال المقاربة أو الرجاء أو الشروع على الجمل الاسمية التالية، واضبطها بالشكل:

- الريح تكسر الأشجار - الظلام ينجلى - الفرج يكون قريباً -

- الجيش ينتصر - الهزيمة تحلّ بالأعداء - الطلاب يهتمون باللغة العربية.

- الله يبدِّل حالنا.

٣ - قال الكاتب : «كانت العربية واللاتينية لغتين عالميتين».

أبدل الفعل الناسخ بحرف ناسخ من أخوات (إنَّ) وغير مايلزم تغييره في الجملة.

٤ - قال الكاتب :

«والواقع أنَّ فكرتها ليست مسلمة من الجميع»، «ان العربية كانت في الماضي لغة عالمية».

أضبط ما تحته خط بالشكل، واذكر سبب الضبط.

* * *

(٣) تدريـــب صرفـــي

١ - اقرأ النص قراءة جيدة، واستخرج منه كُلَّ مصدر، وبيِّنْ فعلَهُ، وهل ترى أنَّهُ مصدر قياسيّ أم سَمَاعيّ ؟

٢ - قال الكاتب : « وقد اصطنع العربية كُتَّابٌ وباحثون »
ماوزن (اصطنع) ؟ ، ولم خالف وزنُهُ صورتَهُ الموجودة ؟

٣ - اقرأ النص قراءة جيدة واستخرج منه الأفعال المزيدة، واذكر أوزانها وأحرف الزيادة فيها.

٤ - هات من الأفعال الثلاثية المجرة الآتية مضارعها : ثم اذكر وَزْنَهُ مضبوطاً:
نَقَلَ - زَادَ - عَمِل - شَرُف - حَسِبَ - بَدَأَ - قالَ.

الوحدة الثامنة عشرة
لغة القرآن الكريم في موضوع الجريمة والعقاب

للدكتور/ كامل حسن البصير. . (١٩٣٣ - ١٩٨٧)

أولا - صاحب النـص:-

وُلِدَ الكاتبُ في بغدادَ سنة ١٩٣٣. . وتخرج في كليةِ الآداب، جامعةِ بغداد سنـة ١٩٥٨، وقـد حصل على الماجستير من جامعةِ القاهرة سنة ١٩٦٦م ثم الدكتوراه سنة ١٩٧٥.

عَملَ في الجامعاتِ العراقية، إلى أن استقرَّ به المقامُ بالجامعةِ المستنصرية هناك. وقد مَنَح العديدَ من رسائلِ الماجستير والدكتوراه لطلابه. .

شغلَ منصبَ عضوٍ بالمجمع العلمي العراقي، ومجمع اللغة العربية الأردني، له العديدُ من المؤلفاتِ في البلاغة والنقد والأدب زادت على العشرين كتابا وبحثا. .

* * *

ثانيا : النـــص :-

* لغة القرآن الكريم في موضوع الجريمة والعقاب *

لامـراءَ [1]في أنَّ القـرآن الكـريمَ هو المصـدرُ الرئيسيُ للشريعةِ الإسلامية والنبـراسُ [2]الهـادي للمسلمين المشتغلين في القوانينِ الوضعيةِ سنَّاً وتَطبيقا، وعليه فهذا الكتابُ العزيزُ هو الفيصلُ [3]في أيَّةِ مسألةٍ فقهيةٍ وقانونيةٍ يدورُ الجدلُ بشأنِها ويحتدمُ النقاشُ حَوْلَهَا.

لقد كانَ مدارُ بحثِنا هذا هو لغةُ القرآنِ الكريمِ في موضوعِ الجريمةِ والعقابِ من حيث ألفاظُها ومُصطلحاتُها التي تقررَّتْ للدلالةِ على مَسائلَ نفسيةٍ وحيويةٍ تتعلقُ بمفاهيمَ فقهيةٍ - وشرعيةٍ وقضائيةٍ وما إليها من الامورِ التي تتنوَّعُ منابعُها وتَتعدَّدُ مَوارِدُها وتلتقي في المحصِّلة أرادةٌ سماويةٌ وإنسانيةٌ تَسْعى إلى تحقيقِ العدالةِ بين الناسِ أجمعين.

والملاحظُ أنَّ هذه الارادةَ تَتشعَّبُ بين يديها الآراءُ التي تجتهدُ في الأخذِ بها والتفاني في تحقيقِها فتنقسمُ على اتجاهين متقابلين :-

أولهما: تطبيقُ القوانينِ والأنظمةِ نَصَّاً وروحاً من غيرِ مراعاةٍ لشبهةٍ والالتفاتِ إلى ظروفٍ مخفَّفة.

وثـانيهمـا: التوسُّلُ بما يَعْلَقُ هذا الحُكْمَ أو ذاك من أحكامِ القوانين والأنظمة لعللٍ ربمـا لا تشَـوبهـا شائبـةٌ من الـرغبةِ في الالتفافِ على العدالةِ وتعطيلِ مقتضياتِها وإنّما تتحزَّم بفلسفةٍ ترى أنَّ غايةَ العقوبةِ هي الاصلاحُ وأنَّ الجريمةَ شَرٌّ تنقشعُ آثامُها بين يدي شمسِ التسامحِ وندى الرأفة.

إنَّ مِن مداركِ الأحكـامِ ، الكتابُ والسنَّةُ، وهي واردةٌ باللغةِ العربية، وإنَّ

---

١ - لامراء : لاجدال.

٢ - النبراس : المصباح.

٣ - الفيصل : الحاكم أو القاضي.

الشـرطَ الأولَ - من شروطِ الاجتهـادِ هو معرفةُ العربيةِ وان المجتهدَ ينبغي أنْ يَعرفَ اللغةَ العربيةَ مادَّةً، والمتكفلُ لذلك علمُ متنِ اللغةِ لأنه يُبيِّنُ معانيَ الألفاظِ العـربية، وَأنْ يعـرف اللغـة العـربية هيئةً وتركيباً، والمتكفِّلُ لذلك علمُ النحو والصرف، وأن يعرفَ تعاقبَ الأساليبِ المختلفةِ على المعنى الواحدِ والمتكفِّلُ لذلك علمُ المعاني والبيان والبديع.

= **القرآن الكريم والتشريع:-**

وهنا لا بدَّ أن نلتفتَ أيضاً إلى الذين يعرفون أنَّ عددَ آي الذكرِ الحكيم (ستةُ آلافِ آية) وزيادة تَصلُ إلى مائتي آيةً، فيرون: أنَّ الآياتِ المكيَّةَ منها لاتكادُ تتعرضُ لشيءٍ من التشريعِ في المسائلِ المدنيةِ والأحوالِ الشخصيةِ والجنائية، وانَّما تَقتصرُ على بيانِ أصولِ الدين والدعوة إليها كالإيمان بالله ورسولِه واليومِ الآخر، والأمرِ بمكارمِ الاخلاق كالعدلِ والاحسانِ والوفاءِ بالوعد وأخذِ العفو، والخوفِ من الله وحدَه، والشكرِ وتجنّبِ مساويء الأخلاقِ كالزنا والقتل، ووأدِ البنات، والتطفيفِ[٤] في الكيلِ والميزانِ، والنَهْي عن كلِّ ما هو كفرٌ أو تابعٌ للكفر.

أما التشريعُ في الأمورِ المدنيةِ من بيعٍ وايجارٍ وربا ونحو ذلك، والجنائيةِ من قتلٍ وسرقة، والأحوالِ الشخصيةِ منْ زواجٍ وطلاق، فكلُّ ذلك كانَ بعد أن هاجرَ النبيُّ ﷺ إلى المدينة.

لا ترومُ[٥] دعوتُنا إلى هذه الالتفاتة انكارَ رأيِ هؤلاء القومِ في موضوعاتِ آياتِ الذكرِ الحكيم المكيةِ والمدنية، بل ترومُ التنبيه على ما قد يُستنتجُ بينَ يديها مِن أنَّ هنـاك انقـطاعـاتٍ بين آياتِ الأصـولِ وآياتِ الأحكـام، وأن قلَّةَ آياتِ

٤ - التطفيف في الكيل: نقص الكيل وبخسه. يقال: طفف فلان المكيال: بخسه ونقصه فهو مطفف. قال تعالى: ﴿ويل للمطففين﴾.

٥ - لا تروم دعوتنا: لا تطلب.

الأحكامِ دليلٌ على صدوفِ القرآنِ الكريم عن التشريع في المسائلِ الدنيوية، وأنَّ هناكَ حاجزاً في الإسلام بين الدينِ والدنيا، ذلك لأنَّنا نَقِفُ على النقيضِ من هذا كلِّه، ونعتقدُ أنَّ آياتِ الاصولِ وآياتِ الاحكامِ مترابطةٌ فيما بينَها يَستندُ بعضُها إلى بعض لتحقيقِ الحياةِ السعيدةِ للمجتمعِ الإسلامي في كلِّ مكانٍ وزمان، وأنَّ تصنيفَ آي الذكرِ الحكيم من حيثُ الكمِّ إلى آياتِ الأصولِ وآياتِ الأحكامِ عمليةٌ لا غِنيُ فيها لِمَنْ يَهدفُ إلى تلمسِ النظرةِ الإسلاميةِ الحقيقيةِ في موضوعِ الجريمةِ والعقاب «وأن الإسلامَ يُحتِّمُ تعانقَ الشريعةِ والعقيدةِ، بحيثُ لا تنفردُ إحداهُما عن الأخرى، على أنْ تكونَ العقيدةُ أصلاً يَدفعُ إلى الشريعة، والشريعةُ تلبيةٌ لانفعالِ القلبِ بالعقيدة، وقد كانَ هذا التعليقُ طريقَ النجاةِ والفوز، بما أعدَّ الله لعبادهِ المؤمنين، وعليه فمَنْ آمنَ بالعقيدةِ وألغى الشريعةَ، أو أخذَ بالشريعةِ وأهدرَ العقيدةَ، لا يكونُ مُسلماً عندَ الله، ولا سالكاً في حكمِ الإسلام سبيلَ النجاة».

= **خصائص لغة آي الذكر الحكيم الشرعية:-**

المُقررُ الثابتُ بين فقهاءِ القانونِ ومشرِّعي الأحكامِ أنَّ لغةَ القوانينِ والأنظمةِ والقراراتِ ينبغي أن تكونَ تقريريةً مباشرةً في معاني ألْفاظِها ودلالاتِ تراكيبِها الحقيقيةِ كما ينبغي أن تَتبرأَ مما يَفتحُ عليها باباً من التأويلِ ولوناً من التحميلِ خِلافَ المقصودِ بظاهرِ النصِّ وروحِهِ.

ويقينٌ أنَّ هذا المُقرَّر لا يَحْتَمِلُ مماراةً ولا يقبلُ مُجادلةً ما دامتْ غايتهُ سلامةَ التشريعِ وتحقيقَ العدالة، ومع هذا فمما يُخْشى منه أنْ يؤدِّيَ بمن يأخذُ به عامةً إلى تَجاهلِ سُنَنِ العربيةِ في التعبيرِ وسماتِها في الأداةِ الشعوري والفكري وهي السننُ والسماتُ التي يَتعارفُ عليها علماءُ هذه اللغةِ الكريمةِ بتنوعِ طرائقِها حقائقَ لغويةً وشرعيةً وعُرفيةً، ومجازاتٍ مرسلةً وعقليةً واستعاراتٍ تصريحيةً ومكنيةً وكناياتٍ وتعريفاتٍ وإيماءاتٍ قريبةً ورمزيةً وما إلى ذلك مما سارت به لغةُ

القرآنِ الكريمِ شأوا[٦] بعيدًا في البلاغةِ وارتقتْ إلى معارجِ الاعجاز.

وبَـدهيٌّ: أنَّ آيَ الحكيمِ الشرعيةَ قد جَرَتْ في هذا المضمارِ واكتستْ خَصائصَ، بعضُها عامٌ نَلتقيه فيما نوَّهنا به من سَنَنِ العربيةِ وطرائِقِها، وبعضُها الآخرُ متميِّزٌ اتَّخذَته مشيئةُ الله جلَّ وعَزَّ وَسائِلَ شعوريةً ونفسيةً وعقليةً لإِ قرار الأحكامِ وإجرائِها ونَفاذِها في الناسِ جِبلَّةً[٧] وأخلاقاً فإذا هم مؤمنون بهذهِ الأحكامِ مُستجيبون لها عَنْ يقينٍ وإيمانٍ ودراية.

إنَّ آياتٍ بيّناتٍ في موضوعاتِ التشريعِ القرآني تكشفُ عما نَذهبُ إليه وتُسيِّرُهُ حقيقةٌ لا مِراءَ فيها: من هذه الآياتِ قولهُ تعالى في ميقات الأمساك: ﴿وكُلُوا واشْـرَبَوا حتَّى يَتبيَّنَ لكم الخيطُ الأبيضُ من الخيطِ الأسودِ مِن الفجرِ ثم أتمّوا الصيامَ إلى الليل﴾. الـظاهـرُ من هذا التعبيرِ القرآني أنَّه لم يَنُصَّ على أمرهِ الحقيقي في مسألةٍ شرعيةٍ بألفاظٍ لغويةٍ معانيها حقائِقُ مباشرةٌ ومدلولاتُها تقريريةٌ لذلك فقد رُوي أنَّه التبسَ على الصحابي عَدي بنِ حاتم المقصودُ ورُوي أنَّه قالَ: «عَمدتُ إلى عقالين أبيضَ وأسودَ فَجعلْتُهما تحتَ وِسادتي فكنت أقومُ من الليلِ فأنظر إليهما فلا يَتبيّن لي الابيضُ من الأسود، فلما أصبحتُ غَدَوتْ إلى رسولِ الله (ﷺ) فأخبرتُه، فَضحكَ وقال: إنْ كَانَ وسِادُك لعريضا، ورُوي: إنَّك لَعريضُ القَفا إنّما ذاكَ بياضُ النهارِ وسوادُ الليل».

اذنْ فالخيطُ الأبيضُ في تلك الآيةِ الكريمةِ هو الضَوءُ الأَولُ مِن النهارِ والخيطُ الأسـودُ هو آخـرُ سوادِ الليل، ومِنْ هُنا راحَ علماءُ البلاغةِ يتفننون في تلمُّسِ الصورةِ البيانيةِ التي أدَّى عَنها لَفْظُ الخيطِ الابيضِ والخيطِ الأسود. مِنْ هؤلاءِ العلماءِ الزمخشري الذي قَالَ في حِجاجٍ ومُساءلة: «الخيطُ الأبيضُ هو أولُ ما

---

٦ – شأوا بعيدا: شوطا بعيدا.

٧ – الجبلة: الخلقة، والأمة، قال تعالى: ﴿واتقوا الذي خلقكم والجبلة الأولين.﴾.

يَبدو مِن الفجرِ المعترضِ في الأفقِ كالخيطِ الممدودِ والخيطُ الأسودُ ما يَمتّدُ مَعَه من غَبَشِ الليلِ ، شُبِّها بخيطينِ أبيضَ وأسود. وقولُه تعالى: ﴿ مِنَ الفجر ﴾ بيان للخيطِ الأبيض، واكتفى به من بيانِ الأسود، لأنَّ بيانَ أحدِهما بيانٌ للثاني. ويجوزُ أنْ تكونَ (مِن) للتبعيض: لأنَّه بعضُ الفجر وأولهُ، فإنْ قُلْتَ: أهذا من بابِ الاستعارةِ أم من بابِ التشبيه؟ قلتُ: قولهُ ﴿ من الفجرِ ﴾ أخرجَه من بابِ الاستعارة، كما أنَّ قولَكَ: رأيتُ أسدا مجازٌ فإذا زدت (من فلان) رَجعَ تشبيها. »

إنَّ ما رُويَ عن الصحابي عَدي بنِ حاتم ها هنا وأفاضَه الزمخشري في الشرحِ والتحليلِ والتعليلِ يُثير سؤالا يَستفسرُ عن الحكمةِ الآلٓهية في أداءِ هذه القاعدةِ الشرعيةِ بِشأنِ الإمساكِ في تلك الصورةِ التشبيهيةِ والاجتزاءِ بها عن التعبيرِ الحقيقي المباشر؟.

وفي يقيننا إنَّ هذه الحكمةَ تكمنُ في شَدِّ انتباهِ المؤمنين إلى ميقاتِ الامساكِ وحَمْلِهم على متابعته مخافةَ أن يفوتَهم ويَمضي عنهم وهم حَديثو العهدِ بالصيامِ وقواعدِه، فكان لا بُدَّ من ترويضِهم عليها وأخذِهم بأحكامِها أخذاً يَفْتَحُ في عقولِهم أبواباً من التفكيرِ والتأملِ والتدبر.

الشريعة والحياة: -

تتجسَّدُ الخصيصةُ الفنيةُ للغةِ القرآنِ الكريم التشريعيةِ بصورةٍ رئيسة في مصطلحِ الشريعةِ ومشتقاتِه، وتَبدو هذه الحقيقةُ في المعاني اللغويةِ الحقيقيةِ التي في اللغةِ العربية قبل نزول الوحي.

إذن فما هي هذه المعاني وما هي الصيغُ التعبيريةُ التي وَرَدَتْ عليها المادة؟ يَذكرُ ابنُ فارسَ أنَّ (الشينَ والراءَ والعينَ أصلٌ واحدٌ، وهو شيءٌ يفتحُ في امتدادٍ يكونُ فيه).

وقد احتفظَ المعجمُ العربيُ بستِ صيغٍ من هذا الأصلِ دارتْ على معانٍ متلازمةٍ يرتبطُ بعضُها ببعض:

أولاها : صيغةُ الشريعةِ (وهي مَوردُ الشاربةِ الماءَ).

وثانيتُها: صيغةُ الفعلِ شَرَعَ فيُقالُ: (شَرَعَ الواردُ يَشْرعَ شَرْعا وشرُوعا: تَنَاوَلَ الماءَ بفيه).

وثَـالِثتُها: الفِعْلُ شَرَعَ أيضا ولكن بمعنى دخول الدوابِ في الماءِ فيقال: (شَرَعَتِ الدوابُ في الماءِ تَشْرَع شَرْعا وشُروعا أي دَخَلَتْ.

ورابعتُها: الشراع والمتشرِّعة: (المواضعُ التي ينحدرُ إلي الماءِ منها).

وخَامِستُها: الشَرعة وهي (موردُ الشاربة، التي يشرعهُا الناسُ فيشربون منها ويستقون.. والعربُ لا تسميّ ماءَ هذا الموضع شريعةً إلاّ إذا كان عدّاً لا انقطاع له، ويكون ظاهراً مُعَيِّنا لا يُسقي بالرشاء. وفي المثل: أهونُ السقي التَشريعُ.

وذلك لأنَّ مُوْرِدَ الابلِ إذا وَرَدَ بها الشَريعةَ لم يَتعْبْ في إسقاء الماء لها كما يتعبُ إذا كانَ الماءُ بعيدًا).

وسـادستُهـا: الشِّرْعَةُ: (وهي حُبالةٌ من العَقبْ تُجْعَلُ شَركا يُصادُ به القطا ويُجْمَعُ شرعاً).

الـواضِـحُ مِنْ هذه الصيغ: أنَّ معانيهَا تلتقي في دائرةٍ واحدةٍ فتصدرُ عنها بمدلولٍ موحّدٍ هو الماءُ وما يتّصلُ به مكاناً وواردةً وكيفية من التناول.

ويَقينٌ أنَّ هذا المدلولَ قد حَمَلَ إلى العقلِ العربيِ ايماءاته فاستقرَ فيه وفاضَ عنه إلى نفوسِ الناسِ استبشارا بصيغِه وأريحية، وذلك لِما للماءِ في حالتِه تلك من أهميةٍ في الحياةِ العربيةِ بين أحضانِ بيئةٍ تُوصف بأنَّها صحراءُ يَعِّزُ فيها الماءُ ويَنْدرُ.

ومِن هنا تَلتقي العربُ بين يَدَيْ آي الذِّكرِ الحكيمِ التي أدارتْ تِلْكَ الصيغ بهذه المدلالوتِ فإذا هم يُوازِنون بَيْنَها وبين المعاني اللغويةِ التي تَرسَّختْ في

عقـولهم بوساطةِ مادةِ (شرع) فيتذكّرون الماءَ وما يتّصلُ به من شاربةٍ وواردةٍ وسبلٍ إليه فيربطون بداهةً بين جدوى الماءِ وحيويتِه وبين اصولِ الأديانِ وأحكامِ الإسلامِ وما لهذه الأحكامِ والأصولِ مِن فوائدَ فيستنتجون: أنَّ الماءَ إذا كان ضَرورةً لحياتِهم المـاديةِ فإنّ ما سنّـه الله تعـالى لنبيهم الكريم يعلو فوق هذه الضرورةِ لأنَّهُ يُنَظِّمُ هذه الحياةَ بشتىَّ جوانبِها - ويضَمنُ لهم سعادةَ الدنيا والآخرة.

وممّا يُنَظِّمُ هذه الحياةَ تَشريعُ القِصاصِ ، وقد وَرَدَ اصطلاحُ القِصاص ظَرْفاً ومكاناً للحياةِ نفسِها في قَوْلِهِ تعالى ﴿ ولكم في القِصاصِ حياةٌ يا أولي الألباب لعلّكم تَتَّقون ﴾.

المتعارَفَ عليه غَالبا القِصاصُ لغةً من قولهم: (ضَرَبَ فلانٌ فلانا فأقصَّه، أي أدْنَاه من الموتِ. . وهذا مَعْناه أنَّه يَقُصُّ أثرَ المنيةِ. وأقصَّ فلاناً السلطانَ من فلانٍ، إذا قَتَله قَودَا).

مِن المفسرين مَن اعتمدَ هذا المعنى اللغويَّ. فَقَصر القِصاصَ على جِنسٍ من الحكمِ وهـو جِنْسُ القَتْـلِ والتفـويتُ للحياةِ من العقـوبـةِ حتى قيل: إنَّ القِصاصَ (هو أنْ يُفْعَلَ بالفاعلِ مثلُ ما فَعَل).

ونحن نرى أنّ القِصاصَ كلمةٌ تُرادِفُ العقابَ على أيّة مخالفةٍ، وأنَّ في هذا العقابِ حياةَ المجتمعِ الإسلامي.

وفي هذا الاتجاهِ النفسي والاجتماعي اختارتْ عظمةُ القرآنِ الكريم اللغويةُ كلمةَ (الحدودِ) مجازاً دالاًّ على الأحكامِ والقوانين والأنظمةِ التي يَتكفَّلُ تطبيقُها حمايةَ الجماعةِ وصيانتَها.

وكلمةُ (الحدود) هذه قَدْ دَارتْ في اللغةِ العربيةِ على معانٍ أوغلُها في القِدَمِ الحسيَّةُ الملموسةُ التي منها:

الحَدُّ: الحاجزُ بين الشيئين، وسُمِّي الحديدُ حَديدا لا متناعِه وصلابتِه وشدّتِه، وَمِنْها حَدُّ السيفِ وهو حرفُه، وحدُّ السكين.

وقد انبثق المدلولُ المعنويُّ المجازيُّ للكلمةِ عن هذه المعاني الحسيَّة الملموسةِ فسُمِّيَ به العقوبة مقُدَّرةً على المجرمِ وَجَبَتْ حَقّاً لله تعالى لأنَّه يَمْنَعُهُ عن معاودةِ الجريمةِ، فإذا هذا الحدُّ الشرعيُّ الواردُ في القرآنِ الكريم جَمعاً بصيغةِ الحدود - يَتمثّلُ للناسِ حواجزَ تُدْرِكُها العقولُ إدراكَ الحواسِ الموانعَ الحديديةَ، وتَخْشَاها النفوسُ خَشْيتَهَا من قواطعِ السيوفِ والسكاكين.

وأيّا كانَ فنحنُ نَرى أَنَّ لغُةَ القرآنِ الكريم في موضوعِ الجريمةِ والعقاب تُؤهِّلُ هذا الكتابَ العزيزَ وأحاديثَ الرسولِ الكريمِ الصحيحةَ القائمةَ بين يديه مَصْدَرين لشريعةِ الله تعالى التي تَمتازُ بدقّةٍ فائقةٍ فيما وَضَعَتْ من قواعدَ مُحْكَمةِ الصنعِ قامتْ عليها نظريةُ العقوبةِ في الفقهِ الإسلامي.

* * *

ثالثا : التدريبات :-

تدريبات للكتابة

(١)

١) ما المؤهلاتُ التي يجب أن يحصِّنَ المجتهدُ بها نَفْسَه؟

٢) كانت الهجرةُ النبويةُ من مكةَ إلى المدينةِ فيصَلا بين عهدين، ظهر أثر كُلٍّ منهما في القرآن الكريم. وضِّح هذا.

٣) بلغتْ لغـةُ القـرآنِ الغـايةُ المُثْلى للبـلاغة. وضِّح أبعادَ تلك البلاغةِ كما تنعكسُ في هذا المقال.

٤) لم يكنْ بعضُ الصحابةِ رضوان الله عليهم على درجةٍ واحدةٍ أو متساويةٍ في فهم آي الذكرِ الحكيم، وضّح هذا في ضَوْءِ المعلوماتِ الواردةِ في المقال.

٥) يأتي في القـرآن الكريم عدولٌ عن التعبيرِ الحقيقيِ المباشر، إلى بعضِ الصورِ المجازية. اضربْ مثالاً لذلك واشرحه.

(٢)

١) كانت كلمة « الشريعة » مجالا خصبا للمناقشاتِ اللغوية . كيف كان ذلك ؟

٢) اكشف في معجم لسان العرب لابن منظور عن كلمات : شريعة - قصاص - حدود . مقارنًا بين المادة التي تحصل عليها ، وتلك التي وردت في المقالة .

(٣)

اكتب حسب التعليمات الواردة :

أ - كلمةً تُقدّمُ بها أحدَ المحاضرين في الدراساتِ الإسلامية، إلى جمهورٍ من الرجالِ والنساء.

ب - تعزية صديق لك يعيشُ بالخارج في وفاة والدهِ فجأةً.

جـ - بياناً على اللوحِ تُعْلِمُ فيه زُملاءَكَ بأنَّ موعدَ المحاضرةِ قد تغيّر.

(٤)

قال الكاتب: -

« والملاحظ أن هذه الإرادة تتشعب بين يديها الآراء . . . »، « ان المجتهد ينبغي أن يعرف اللغة العربية مادة، والمتكفل لذلك علم متن اللغة، لأنه يبين معاني الألفاظ العربية ». « الذين يعرفون أن عدد آي الذكر الحكيم ستة آلاف آية ». « فيرون أن الآيات المكية لا تكاد تتعرض لشيء من التشريع » « ذلك لأننا نقف على النقيض من هذا كله ونعتقد أن آيات الأصول وآيات الأحكام مترابطة فيما بينها ». « المقرر الثابت بين فقهاء القانون ومشرعي الأحكام أن لغة القوانين والأنظمة والقرارات ينبغي أن تكون تقريرية مباشرة » « ويقين أن هذا المقرر لا يحتمل مماراة ». « أن آيات بينات في موضوعات التشريع القرآني تكشف عما نذهب إليه، وتسيره حقيقة لامراء فيها ». « الظاهر من هذا التعبير القرآني أنه لم ينص على أمره الحقيقي ».

« ان ما روي عن الصحابي عدي بن حاتم ها هنا وأفاضه الزمخشري في الشرح والتحليل والتعليل يثير سؤالا يستفسر عن الحكمة الالهية في أداء هذه القاعدة الشرعية ».

أ - فيما سبقَ جمل منسوخة بحروف ناسخةٍ، عيِّن الحرفَ الناسخَ واسمه وخبرهَ في كل منها.

ب - اضبط بالشكل ما تحتَه خطٌّ وبين سبب الضبط.

جـ - وردتْ (إنَّ) الناسخة في الجمل السابقة مفتوحة الهمزة في بعضها، ومكسورة الهمزة في بعضها الآخر، اذكر سبب ذلك.

د - اذكرِ الموضعَ الإعرابيَ للجملِ المنسوخة بـ (أَنَّ) المفتوحة الهمزة.

هـ - استخرج مما سبق جملة منسوخة بـ (كان)، وأخرى منسوخة بفعلٍ من

أفعال المقاربة، ثم أعربِ الجملتين.

و - هات مِن النص حرفا ناسخا نافيا للجنس، واذكر اسمه وخبره.

* * *

(٥)

= قال الكاتب:

« لا مراء في أن هذا القرآن هو المصدر الرئيسي للشريعة الإسلامية ».

« لقد كان مدار بحثنا هذا هو لغة القرآن الكريم ».

أ - اضبط ما تحته خط، وبيِّن سبب الضبط.

ب - ماسم الضمير (هو) في الجملتين؟ وما وظيفته اللغوية؟؛

جـ - أكتب الجملة المنسوخة بـ (لا) النافية للجنس، وأعربها اعرابا مفصلا.

* * *

(٦)

= قال الكاتب:

« إنَّ من مدارك الأحكام الكتاب والسنة ». « إنَّ هناك انقطاعات بين آيات الأصول وآيات الأحكام... وإنَّ هناك حاجزا في الإسلام... »

أ) عين الاسم والخبر في الجمل المنسوخة بـ (إنَّ).

ب) استبدل (إنَّ) بـ (كان) في الجمل السابقة، واضبط الجمل الجديدة بالشكل.

* * *

(٧)

= اقرأ النصَ قراءةً جيدةً واستخرجْ منه الأَسماءَ المبنيةَ، واذكر نوعَها، وعلامةَ بنائِها، وموضِعَها من الإعراب:

= استخرج من النصِ المثنى وجمعَ المذكرِ السالم، وبيِّنْ علامةَ اعرابِ كلٍ منهما.

= استخرج من النصِ الأسماءَ الممنوعةَ من الصرف، وبيِّن علامةَ اعرابها.

= اكتب في كراستك الفقرة من قوله: «إنَّ آيات بينات في موضوعات التشريع...» إلى قوله: «بياض النهار وسواد الليل» واضبط ألفاظَها بالشكل.

* * *

(٨)
تدريب صرفي

(١) اقرأ النصَّ قراءةً جيدة، واستخرجْ منه ما يلي:-

أ - المصادر، وهاتِ أفعالها.

ب - الأفعال المزيدة، واذكر أوزانَها، وأحرفَ الزيادةِ فيها.

(٢) هاتِ ماضيَ الأفعالِ التالية:

تروم.. تقف.. يستند.. يخشى.. يبدو.. يمتد.. تتجسد.. يتصل.. يقص..

(٣) زِنِ الكلماتِ التاليةَ، واضبطِ الميزانَ بالشكل:

تنقشع.. المجتهد.. فَيَرَوْنَ.. التطفيف.. تروم.. جرت.. لم ينصّ.. كُلُوا..

(٤) أسندِ الأفعالَ التاليةَ إلى ضمائرِ الرفعِ المتحركةِ والساكنة، واذكر ما يحدث فيها من تغيير:

نصَّ.. سقى.. بدا.. قال..

الوحدة التاسعة عشرة

ابن سينا وكيمياؤه

للدكتور : فاضل الطائي

أولا : صاحب النص : -

وُلِدَ الدُّكتورُ الطائيُّ بالعِرَاقِ في حدودِ سنة ١٩١٥م، وهو أُستاذ أكادِيميٌّ عَريقٌ، عَملَ أُستاذًا ورئيساً لقسم الكيمياء في كُلِّية العُلوم بجامعة بغداد. وَعَملَ أُستاذًا زائرًا في عددٍ من الجامعَاتِ العربيَّةِ والغربيَّةِ. وهو عُضْوٌ في المجمعَيْن العِراقيِّ والأُردنيِّ. له عددٌ من الأبحاثِ العِلميةِ في مجالِ تخصُّصِه، كما عُنِيَ بتاريخ العُلومِ عِندَ العَرَبِ مُنْذُ أقْدَمِ العُصورِ، وقد صَدَرَتْ له عِدَّةُ أبحاثٍ تناولتْ جُهودَ العُلماءِ العربِ في الكيمياء والفيزياء وغيرِها من العلومِ التطبيقية.

ثانيا : النص : -

ابن سـينا وكيميـاؤه

(١) تَبَوَّأَ ابنُ سِيْنَا - أبو علّي الحُسينُ بنُ عبدالله بن الحَسَنِ بن سِيْنَامكاناً مَرْمُوقًا في العلمِ والفلسفةِ، ولاسِيَّما في الطِّبِّ وعلمِ النَّفْسِ، فَقَدْ أَبْدَعَ (٢) في هذَيْنِ الفرعَيْنِ وبَزَّ (٣) مَنْ قَبْلَهُ وأَضافَ الكثيرَ إلى ماعُرِفَ عنهما مِنْ قبلِه. وكَتَبَ في الطَّبيعاتِ والهندسةِ والرِّياضياتِ والكيمياءِ وفي الفلسفةِ واللُّغةِ العربيّةِ نَحْواً وصَرْفاً وبلاغةً وشِعْرًا، ولَهُ من كُتُبِ اللّغَةِ والشِّعْرِ مايَجْعَلُهُ في المرتبةِ الأُولَى بَيْنَ

---

١ - تَبَوَّأ: يُقَالُ: تَبَوَّأَ فلانٌ منزلاً: اتَّخذَهُ. وبَوَّأتُهُ منزلةً: جعلتُهُ ذا مَنْزِلَة.

٢ - أَبْدَعَ : يُقَالُ : أَبْدَعْتُ الشَّيءَ : اخْترعْتُهُ لا على مثالٍ سابقٍ.

٣ - بَزَّ : يُقَالُ : بَزَّ فُلانٌ قَرِينَهُ بَزًّا: غَلَبَهُ.

المَعْنِيينَ بهما حَسْبُ. وزارَ بُلْدَانًا كثيرةً، وتقَلَّدَ مَناصِبَ رفيعةً، وذَاعَ [٤] صِيْتُهُ في المَشْرِقِ أوَّلاً، ودَوَّى صَدَاهُ في المَغْرِبِ من القرنِ الثاني عَشَرَ للميلادِ وإلى هذا الوَقْتِ، وسَيَبْقَى ذِكْرُهُ حَيّاً مادامَ إنسانٌ يَفْقَهُ مايَقْرَأُ، وحَظِيَ [٥] بألْقَابٍ عِلميَّةٍ - على قِصَرِ عُمْرِهِ - فيما لم يَحْظَ العُلماءُ المُعَمِّرُونَ مثلها، فلُقِّبَ بالشَّيْخِ الرَّئيس وبجَـالِينُوس العَربِ وهو في [٦] رَيَعَانِ شَبَابِه. حيثُ اعْتَلَى المرتبةَ الأُولَى في الطِّبِ قَبْلَ أنْ يُتِمَّ الثانيةَ والعِشْرينَ من عُمُرِهِ، واغْتَرَفَ من العلمِ واللُّغَةِ واسْتَوعَبَ ما اغترفَ في صِبَاه، مالم يَتَيَسَّرْ لغيرِهِ قبلَ مُنتصفِ العُمُرِ أو قُرْبَ الشَّيخُوخَةِ. فإذا كانَ الكِنْدِيُّ عِمْلاقَ الفِكْرِ العَربِيِّ، والرّازيُّ طبيبَ عَصْرِهِ، وابنُ حَيَّانَ رَجُلَ الكيمياءِ في العَرَبِ والفَارابيُّ أرسطو زمانِهِ، والبيرونيُّ مَوْسُوعَةَ قَرْنِهِ، فابنُ سِينا عَبْقَرِيُّ دَهْرِهِ دُوْنَ مُنَازِع.

تَجَلَّتْ عَبْقَرِيَّةُ ابن سِيْنَا مُنْذُ صِبَاه فَقَدْ أَتَى على [٧] القرآنِ وعلى كثيرٍ من الأدب وهو في العاشرةِ من عُمُرِهِ، وقَلَّمَا حَدَّثَتْنَا كُتُبُ السِّيَرِ عن عالِمٍ حَصَلَ على مَعْرِفَةٍ بقدرِ معرفةِ أبي عليّ وهو في سِنِّهِ، [٨] ولا غَرْوُ أنْ أَثَارَ ذلك عَجَبَ عارِفيه، فيقولُ هنا مانَصُّهُ « وأُحْضرتُ مُعَلِّمَ القُرآنِ ومُعَلِّمَ الأدبِ، وأكْمَلْتُ العَشْرَ من العُمُرِ وقَدْ أَتيْتُ على القُرآنِ وعلى كثيرٍ من الأَدبِ، حَتَّى كانَ يُقْضَى مِنِّي العَجَبُ ». ولم تَذْكُـرِ الـرِّوايَةُ اسمَ الرَّجُلِ الّذي عَلَّمَهُ القُرآنَ والأَدَبَ، ويُحْتَمَلُ أنْ يكونَ هذا الرَّجُلُ أبا بكرٍ أحمدَ بنَ محمدٍ البرقيَّ الخوارزميَّ.

ودَرَسَ أبو عليّ مبادِىءَ المَنْطِقِ والفلسفةِ على أبي عبدِ الله النائليِّ المَدْعُو بالمُتَفَلْسِفِ إلاّ أنَّ عِلْمَ الرَّجلِ فيما دَرَّسَ لم يَكُنْ وفيرًا ولا عميقًا فقد بَزَّهُ تلميذُهُ

---

٤ - ذَاعَ صِيْتُهُ: يُقالُ : ذاع صِيْتُ فُلانٍ، ودَوَّى صَدَاهُ: اشْتَهَرَ.

٥ - حَظِيَ: يقالُ : حَظِيَ فلانٌ بألْقَابٍ، وحَظِي بالرِّزْقِ: نَالَ حَظّاً منه.

٦ - رَيَعَانُ الشَّبَابِ : أوَّلُه وأفضَلُهُ.

٧ - أَتَي عليه: يُقال: أتيتُ على الشَّيء: مَررْتُ به. وأتى فلانٌ على الكتاب: لم يُبْقِ منه شيئاً.

٨ - لاغَرْوَ : لاعَجَبَ. يقال : غَرَا الرَّجُلُ غَرْواً: عجبَ.

بفترةٍ وجيزةٍ، وعَلِمَ أنْ لا فائِدَةَ من الدِّراسةِ عليه لإخْفَاقهِ في معرفةِ الدَّقائق، لذا اعْتَمَد ابنُ سِيْنَا على قراءةِ الكُتُبِ بنفسِهِ لاستكمالِ دراسةِ الفلسفةِ والمَنْطِق. وابْتَدَأَ ابنُ سِينا بدراسةِ بعضِ أجزاءِ إقْلِيدْس، وأَتمَّ حَلَّ مافيه من مَشَاكِلَ بنفسِهِ وانْتقلَ إلى دراسةِ المَجْسِطِيّ* مع النَّاتِلي إلاَّ أنَّهُ فاقَ أُستاذَهُ في هذا أيضاً فيقول « قَالَ لي النَّاتِليّ: تَوَلَّ قِرَاءَتَها وحِلَّها بنفسِك، ثُمّ اعرِضْهَا عليَّ لأُبيِّنَ لَكَ صَوابَهُ من خَطَئِـهِ وما كان الرَّجُلُ يقومُ بالكتاب، وأَخذْتُ أَحلُّ ذلك الكتابَ فكَمْ مِنْ شَكْـلٍ ماعَرَفَهُ إلى وَقْتٍ ماعَرَضْتُهُ وفَهَّمْتُهُ إيَّاهُ ثُمَّ فارَقَني النَّاتلي إلى كركانج، واشتغَلْتُ أنا بتحصيلِ الكُتُبِ من النُّصوصِ والشُّروحِ من الطَّبيعيّ، والإلهيّ، وصارتْ أبوابُ العِلْمِ تَنْفَتِحُ عَليَّ ».

ورَغِبَ [9] أبو عليّ في دراسةِ الطِّبِّ وصَارَ يقرأُ الكُتُبَ المُصَنَّفَةَ فيه، وَبرزَ في الطبِّ في مُدَّةٍ قصيرةٍ حَتَّى بَدَأَ فُضَلاءُ الأَطِبَّاءِ يَقْرَأونَ عليه عِلْمَ الطِّبِّ، ذلِكَ لأَنَّ عِلْمَ الطِّبِّ سَهْلُ المَنَالِ فَهُوَ يقولُ «وعِلْمُ الطِّبِّ ليسَ من العُلومِ الصَّعْبَةِ فَلا جَرَمَ [10] أنِّي بَرَزْتُ فيه في أَقَلِّ مُدَّةٍ ». ويُرْوَى أنَّهُ دَرَسَ الطِّبَّ على أبي سَهْلٍ المسيحيِّ وأبي منصورٍ الحَسَنِ بنِ نُوحٍ القمريِّ، كما دَرَسَ الفِقْهَ ونَاظَر فيه [11] وهو في السَّادسةَ عَشْرةَ من عُمُرِهِ، وأشارَتْ بعضُ المَصَادِرِ إلى أنَّ ابنَ سِينا أَتْقَنَ الفِقْهَ وأخَذَ يُفْتِي على مَذْهَبِ أَبي حَنِيفَةَ وهو لَمَّا يَزَلْ في الثانيةَ عَشْرةَ من عُمُرِهِ وأَعَادَ دِراسةَ المَنْطِقِ والفَلْسَفَةِ، واسْتَغْرَقَتْ هذه الدِراسةُ نَحْوًا من عامٍ ونِصْفٍ

* المجسِطِي - بكسر السين والطاء - : كتاب في الفلك ألفه بطليموس ونُقِلَ إلى العربية.

٩ - رَغِبَ : يُقالُ رَغِبَ فُلانٌ في دراسة اللُّغةِ العربيّة: أَرَادَ دِرَاسَتَها.
ويقال : رَغِبَ فلانٌ عن دراسة اللّغة العربيّة : تَرَكَ دراستها.
ويقال : رَغِبَ فلانٌ إلى فُلانٍ : طَلَبَ إليه وَتَضرَّعَ.
ويقال : رَغِبَ فلانٌ بنفسه عن الشّيء : تَرَفَّعَ عنه.

١٠ - لا جَرَمَ : لابُدَّ . تقول : لا جَرَمَ لأَكْتُبَنَّ دَرْسِي.

١١ - نَاظَرْتُهُ : يقالُ : نَاظَرْتُهُ في المسألَةِ: باحَثْتُهُ، وحَاجَجْتُهُ فيها.

العَام ، ودِراسةُ المَنْطِق والفلسفةِ من الدِّراساتِ الصَّعْبَةِ حَقّاً، لذلك قد أَرْهَقَت ابْنَ سِينا ولا سِيَّما أنَّه أَتَمَّهَا في مُدَّةٍ قصيرةٍ، فيقولُ بهذا الصَّدَدِ « ثُمَّ تَوَفَّرْتُ على العِلْمِ والقِراءةِ سَنَةً ونِصْفاً، فَأَعَدْتُ قراءةَ المنطقِ وجميعَ أجزاءِ الفلسفةِ، وفي هذه المُـدَّةِ ما نِمْتُ ليلةً بُطُولِهَـا، ولا اشْتَغَلْتُ النَّهارَ بغيره وجَمَعْتُ بَيْنَ يَدَيَّ ظهوراً ». وكان ابنُ سِينا مُوْلَعاً بالمعرفةِ، بَلْ ويَعِيْشُهَا، فَحُبُّهُ للمَعْرفَةِ وشَغَفُهُ بهَا أَخَـذَ عليه وَقْتَـهُ كُلَّهُ فهـو يَقْرأُ ويُحَلِّلُ في يَقظتِهِ، ويُفَكِّرُ بها وهو على فِرَاشِهِ، ولاتُفَـارِقُـهُ عِنْدَ النَّومِ وهذه مِنْ صفاتِ المَعْنِيِّينَ حَقّاً بالعِلْمِ والفلسفةِ، حيثُ يُصْبِحُ حُبُّ المعرفةِ جُزْءًا من كيانِهم فهم يُفَكِّرونَ بها في اليقظةِ ويَحْلُمونَ بها في المَنَامِ ، ودراسةُ ابنِ سِينا لِلعِلْمِ والمعرفةِ تَخْتَلِفُ اختلافًا كبيرًا عن دراسةِ غيره لهما، دراسةُ مَنْ يَقْرَأُ لِيقِفَ على بعضِ الحَقَائِقِ وما إنْ مَرَّتْ مُدَّةٌ قصيرةٌ أو بعضُ طويلةٍ حَتَّى نَسِيَ مادَرَسَ وأَضَاعَ ما وَقَفَ عليه مِنْ حَقَائِقَ وَقْتَ دِرَاستِهِ إيَّاهَا وأَمثالُ هؤلاءِ كثيرونَ، ولكنَّ أمثالَ ابنِ سِينا قِلَّةٌ نَزْرَةٌ، حيثُ يقرأُ ويعيشُ ما قَرأَ ويَسْتَزِيدُ من المعرفةِ حَتَّى تَكْتَمِلَ عَنْهُ بقدرِ طاقتِهِ، ولا يَنْسَى أَوَّلَها أو جُزءاً منها بَلْ تُصْبِحُ عِنْدَهُ وحدةً يَحْيَاهَا فيربُطُهَا بما يُشاهِدُ، ويُناظِرُهَا بما يقرأ، وجاءَ في سِيرةِ صاحِبنا نصًا « وَمهْمَا أَخَذَني أدْنَى نَوْمٍ أَحْلُمُ بتلك المَسَائِلِ بأعيانِها، حَتَّى أنَّ كثيرًا من المسائِلِ اتَّضَحَ لي وُجُوهُهَا في المَنَامِ ».

وبهـذِهِ الـرُّوحِ التَّوَّاقةِ (١٢) للمعرفةِ والعلمِ ، وقَفَ ابنُ سينا وهو لايَزَالُ في مُقْتَبَـلِ العُمُرِ عَلَى ما كانَ في زمانِهِ واسْتَحْكَمَتْ مَعَهُ جميعُ العُلومِ « بحسب الإمْكَانِ الإنسانيِّ » ولم تَزْدَدْ المعرفةُ التي تَعَلَّمَهَا في هذا السِّنِّ حَتَّى يوم إملاءِ سِيْرتِهِ على تلميذِه الجَوْزَجَانِيِّ ، وهكذا أَحْكَمَ (١٣) أبو عليٍّ عُلومَ المنطقِ والطَّبيعةِ والرِّياضياتِ، ثم عَدَلَ إلى الإلهي فَقَرأَ كتابَ ما بَعْدَ الطَّبيعةِ، ويَعْتَرِفُ أنَّه لم

---

١٢ - التَّوَّاقَةُ : يقال تَاقَ فلانٌ إلى الشَّيء تَوْقاً وتَوَقَاناً : اشْتَاقَ إليه.

١٣ - أَحْكَمَ فلانٌ الشَّيءَ. وأَحْكَمَ الأَمْرَ : أَتْقَنَهُ.

يَفْهَم المقصودَ منه وأعادَ قِراءَةَ الكتاب أربعينَ مَرَّةً حَتَّى صارَ له محفوظاً، ولكنَّهُ لم يَهْتَـدِ إلى القَصْدِ، والحقيقةُ أنَّ مابَعْدَ الطَّبيعةِ يَحْتَاجُ إلى نَمَطٍ خاصٍ من التَّفكير لفَهْمِهِ وعَرْضٍ واضِحٍ سَليمٍ لِمَنْ يَضَعُ كتابًا في هذا الباب، فهو يختلِفُ اختـلافًـا جوهريًّاً عن العُلومِ الطَّبيعيَّةِ والمنطق والرِّياضياتِ إذْ إنَّ هذه العُلوم سَهْلَةٌ لمن أرادَ تَعَلُّمَهَا، وثابَرَ في الدِّراسةِ وأَنْعَمَ النَّظَرَ فيها، وباسْتِطاعَةِ السَويِّ من النَّاس فَهْمَهَا، ولكنَّ ماوراءَ الطَّبيعة، تحتاجُ إلى أسلوبٍ خاصٍ من التفكير ونُضْجٍ عَقْلِيٍ، فلا غَرْوَ أنْ رَأَيْنَا هذا العَبْقَريَّ وهو في سِنٍ مُبكِّرةٍ قَدْ يَئِسَ مِنْ فَهْمِهِ بالرَّغمْ مِنْ قراءَتِهِ أربعينَ مَرَّةً حَتَّى أصْبَحَ له محفوظًا، ولكنَّه عندما نَضَجَ ذِهْنِيًّاً ويَسَّرَ اللهُ كِتابًا لمؤلِّفٍ مُتَمكِّنٍ من مادَّتِهِ، عارضًا إيَّاها عَرْضَاً واضِحاً، عَرْضَ مَنْ هَضَمَ فيما يَكتبُ نَرَى أنَّ ابنَ سِينا قد فَهِمَ المقصودَ مِمَّا في الكتاب، ونال ضَالَّتَـهُ المَنْشُـودَةَ بعد قراءةٍ سريعةٍ لكتابِ فيلسوفٍ إسلاميّ لامعٍ وهو أبونَصْرٍ الفارابيّ الذي قرأَ الإلهيّات التي يرجعُ أصلُها إلى شُروحِ فلاسفةِ الإفلاطُونيَّة وشُروحِ أرسطو. فيقولُ ابنُ سِينا في هذا الباب: «وقَرَأْتُ كتابَ مابَعْدَ الطَّبيعةِ، فما كُنْتُ أَفْهَمُ مافيه والْتَبَسَ عَليَّ غَرَضُ واضِعِه، حَتَّى أَعَدْتُ قراءَتَهُ أربعينَ مَرَّةً وصـارَ لي محفـوظاً، وأنَا مع ذلك لا أَفْهَمُهُ ولا المقصودَ به وأَيِسْتُ من نَفْسِي وقُلْتُ: هذا كتابٌ لاسبيلَ إلى فَهْمِهِ. وإِذَا أنا في يومٍ من الأَيامِ حَضَرْتُ وقتَ العَصْـرِ في الـوَرَّاقِيْنَ، وبيَدِ دَلَّالٍ مُجَلَّدٌ يُنـادِي عليه، فَعَرَضَهُ عليَّ فَرَدَدْتُهُ رَدَّ مُتَبرِّمٍ[١٤]، مُعْتقِدَاً أنَّ لا فائِدَةَ مِنْ هذا العِلْمِ، فقالَ لي: اشْتَرِ مِنِّي هذا فإنَّهُ رَخِيصٌ أبيعُهُ بثلاثَةِ دَرَاهِمَ وصاحِبُهُ مُحْتَاجٌ إلى ثَمَنِهِ، واشتريتهُ فإذا هو كِتابٌ لأبي نَصْـرٍ الفـارابيّ. ورجعْتُ إلى بيتي وأسـرَعْتُ قراءَتَـهُ. فانفَتحَ عليَّ في الوقت أغْـراضُ ذلك الكتابِ» وهكذا تمكَّنَ ابنُ سِينا من فَهْمِ ما بعد الطَّبيعة وفَرِحَ بذلك وَتَصدَّقَ على الفُقَراءِ شاكراً اللهَ تعالى.

سَلَكَ ابنُ سِينا مَسْلَكَ جابرِ بنِ حَيَّانَ مِنْ حيثُ الاعتقادُ فى تَكْوين المعادن،

---

١٤ - مُتبرِّم: يقال: بَرِمَ فلانٌ بالشيء بَرَمًا: سَئِمَهُ وضَجِرَ به وَتَبَرَّمَ فهو مُتَبَرِّمٌ.

وجاءَتْ نظريَّتُهُ في هذا الموضوع مُطابقَةً لنظريَّةِ جابرٍ إلى حَدٍّ كبيرٍ، فيقولُ ابنُ سِينا في هذا البابِ: إنَّ المعادِنَ كُلَّها تتكَوَّنُ نتيجةً لاتحادِ الزِّئبق بالكبريتِ، أَوْ أجسامٍ مُشَابِهَةٍ لهما. فإذا كانَ الزِّئبق نَقّياً واتّحدَ بالكبريتِ الأبيض النقيّ الممتاز الذي يفوقُ ما يُحَضِّرُهُ الكيمياويونَ كان الناتجُ فِضَّةً، أَمَّا إذا كانَ الكبريتُ أَنْقى من النَّوْع الّذِي ذَكَرْناه آنِفاً، وأَشَدَّ بياضاً وافترارا حاداً، وملوَّنًا، فإنَّهُ يُجَمِّدُ الزِّئْبَقَ ويَعْقُدُهُ ويَجْعَلُهُ ذَهَباً، وإذَا كانَ الكبريتُ غَيرَ نَقيٍّ، والزِّئْبَقُ كذلك فإنَّهما يَنْعَقِدَانِ لِيُكَوِّنَا النُّحَاسَ. وعندما يكونُ الزِّئبقُ غيرَ نقيٍّ وفاسِداً تُرابيًّا يَعوزُهُ التَّماسُكُ، ويكونُ الكبريتُ مَشُوْبَاً فيتكَوّنُ الحديدُ من اتِّحادهما، أما القصدير فيتكَوَّنُ على هيئةِ طَبَقَاتٍ نتيجةٍ لاتِّحادِ زِئْبَقٍ غَيْرِ نَقِيٍّ، تَعوزهُ قُوَّةُ التَّمَاسُكِ، مع كبريتٍ فاسدٍ، لِذَا كانَ القِصْديرُ زاعِقاً - وهذا ما يُسَمِّيه الكيمياويون في الوقت الحاضر «صُرَاخَ القِصْدِير» - ويحدُثُ هذا نتيجةً لاحتكاكِ بَلُّوْرَاتِ القِصْديرِ بَعْضِها ببعضٍ، ويَعْزُو ابنُ سِينا تكَوّنَ الرِّصاص إلى اتِّحادِ كبريتِ فحمٍ، فاسِدٍ وضعيفٍ، بزئبقٍ غيرِ نقيٍّ، لِذا كانَ تَقَلُّبُهُ ناقِصًا.

وهكذا نَرَى أَنَّ ابنَ سِينا قد آمنَ بنظريَّةِ جابرِ بن حَيَّانَ في تكوين العَنَاصِرِ القَائِلَةِ: «إنَّ جميعَ الأجسادِ كُلّها في الجَوَاهِرِ زِئْبَقٌ انْعَقَدَ بكبريتٍ المَعْدِنِ المُرتفع إليه من بُخَارِ الأرضِ، واخْتَلَفَ لاخْتِلافِ أعْرَاضِهَا، واخْتِلافُ أَعْراضِهَا لاخْتِلَافِ نِسَبِهَا». ويَعْتَبِرُ بعضُ المُسْتشرقينَ، أمثالُ ما يرهوف - وأُشارِكُهُم الرَّأْيَ مِن أنَّ النظريَّةَ التي جاء بها جابرُ بنُ حَيَّانَ في تكوينِ العناصر، أَكْثَرُ صَوابًا من نظريَّةِ الفلوجستون التي آمَنَ بها الغربُ قروناً، حَتَّى قَوَّضَهَا عِمْلَاقُ الكيمياء، العالِمُ الفرنسيُّ (لا فوازيه)، في أواخرِ القَرْنِ الثاني عَشَرَ، أي أنَّ نظريةَ الفلوجستون قَدْ دامتْ بعد نظرية ابن حيَّانَ بعشرةِ قُرونٍ. إنَّ المنطقَ والعملياتِ الكيمياويَّةِ، والتَّعْدِيْنَ كُلّها تُؤيِّدُ أَنَّ ما ذَهَبَ إليه جابرٌ خَيْرٌ من نظرية الفلوجستون، وليس بالعَسِيرِ إثْبَاتُ ذلِكَ.

وهكذا نَرَى ابنَ سِينا قد اتفَقَ وجابرَ بنَ حَيَّانَ في نظرية تكوينِ العَنَاصِر، وهي كما أسلفْتُ - نظريَّةٌ منطِقيَّةٌ، تتَّفقُ والأدلَّةَ الكيمياويَّةَ حينئذٍ، إلاَّ أنَّهُ خَالَفَ جابراً في إمكانيَّةِ تَحْويلِ العَنَاصِرِ من واحدٍ إلى آخَرَ، وبالتَّالي الحصولُ على الذَّهَبِ من المعادِنِ البَخْسَةِ، بالرَّغمِ من التَّحَفُّظَاتِ التي أبْدَاهَا جابرٌ في الصَّنْعَةِ، وطلبَ إلى مَنْ أَرَدَ الاشْتِغَالَ بها أنْ يُقَلِّدَ الطَّبيعةَ في التُّؤدَةِ والصَّبْرِ الطَّويلِ، إضَافَةً إلى حَصْرِهِ الصَّنْعَةَ في أُناسٍ وَصَفَهُم بالفِطْنِةِ والذَّكَاءِ، وبالعِلْمِ والحَذَقِ في التَّجارب.

ومع كُلِّ هذا، فقد نَفَى ابنُ سِينا الصَّنْعَةَ نَفْيَاً بَاتّاً، وقال: إنَّ التَّركيبَ الأساسيَّ للعُنْصُرِ في الطَّبيعَةِ لا يُمْكِنُ تَفْكِيْكُهُ وإعادَتُهُ ثانيةً تركيباً آخَرَ بعنصرٍ مُغَايرٍ، واعْتَبرَ ابنُ سِينا تقليدَ الطَّبيعةِ أمراً عسيراً بَلْ مُتَعَذَّراً على الإنسانِ، ولهذا كان ابنُ سينا لا يُؤمِنُ بنظريَّةِ الاسْتِحالَةِ من عُنصرٍ إلى آخَرَ بواسطةِ التَّدبيرِ والصَّنْعَةِ.

ولَمَّـا كانَ ابنُ سِينا طَبيباً ماهِراً، ذائعَ الصِّيْتِ، لابُدَّ أنَّهُ قامَ بصُنْعِ الأدويةِ الجديدةِ بنفسِهِ الَّتي أَوْرِدَهَا في الجُزئين الاخِيرَيْنِ من كتابِ القَانونِ في الطِّبِ، هذا وَقَـدْ أشَـارَ إلى عددٍ كبيرٍ من العمليّاتِ الكيمـاويَّةِ كالتَّقـطير، والتَّرشِيح، والتَّصْعِيدِ، والاسْتِخْلاص، والتَّشْمِيع، واسْتعملَ أَجْهِزةً مُخْتَلِفةً للوُصولِ إلى طَلَبِهِ، شَأْنُهُ في ذلك شَأْنُ أبي بَكْرٍ الرَّازيِّ، وذكرَ عددًا من المُرَكَّباتِ الكيمياويَّةِ مِنهـا ما كانَ من أصـلٍ نبـاتِّي، وآخَـرُ من أصْـلٍ حَيوانِيٍّ، وثالثٌ من أصلٍ مَعْدِنيٍّ. كما اعتمدَ في دراستِهِ للنَّباتِ والحَيَوانِ والطَّبيعةِ على كُلٍّ من الكِنْدِيِّ وأبي حَنيفةَ الدِّينوريِّ وأبي بكرٍ الرَّازي، وكانتْ بينَهُ وبَيْنَ البَيْرُونيِّ رسائِلُ جاء ذِكْرُهَا في دائرةِ المعارفِ الإسلاميّةِ وبعضِ المصادرِ الأُخرى. لقد كانَتْ حياةُ ابن سِينا حَياةً سَويَّةً، غيرَ أنَّ عَقْلَهُ وذكاءَهُ وفِطْنَتَهُ لم تَكُنْ كذلِكَ، فَنَراهُ قد أَتَمَّ عُلومَ الدِّينِ والقِراءَةَ والأدَبَ وهو ما يَزالُ في العاشرةِ من عُمُرِهِ، ثُم أصْبَحَ طَبيباً بارزاً بَزَّ الأَطِبَّـاءَ جميعـاً في عصـرِهِ وهو في السَّادسةَ عَشْرَةَ من عُمُرِهِ، ولُقِّبَ

بالشَّيْخِ الرَّئيسِ وهو في مُقْتَبَلِ العُمُرِ وعندما تحدَّاه النَّحويُّ أبو منصورٍ الجبائي، نرى أبا علي يَعْكِفُ على دِراسةِ اللُّغةِ والنَّحْوِ والبَلاَغَةِ والبَيَانِ ثلاث سَنَواتٍ ويجيءُ بسِفْرٍ [١٥] باللُّغَةِ قَلَّما أَتَى بِهِ أَحَدٌ من قَبْلُ وهو « لسانُ العَرَبِ »، ونَظَمَ قَصائِدَ ضَمَّنَها مُفْرَدَاتٍ من اللُّغةِ غَرِيبَةً. وعندما قَدَّمَها إلى أبي منصورٍ الجبائيّ، وطَلَبَ إليه تَفْسِيرَهَا كَاعَ [١٦] وعَجزَ عن ذلِكَ، وأَحَسَّ بخَطَأ ما عَمِلَ، واعْتَذَرَ إلى ابْنِ سِينا، لقد كانَ ابنُ سِينا عَبْقريّاً، كانَ مِمَّن يُفَكِّر ويَحْدِسُ، أي كانَ إلى جَانِبِ تَفْكيرِهِ ذَا بَصِيرةٍ نَفسِيَّةٍ، كما قَسَّمَ النّاسَ هو بنفسِهِ، غيرَ أنَّ تقسِيْمَهُ كانَ فلسفياً وللخاصَّةِ من النَّاسِ حَسْبُ، ولا تُكْتَبُ الفلسفةُ للعَامَّةِ. فقصَدَ أبو علي بالقِسْمِ الَّذي يُفَكِّرُ من النَّاس الطَّبيعةَ السَّويةَ التي يَعْتَمِدُ عِلْمُهَا عَلَى الحَواسِّ والتَّحليلِ العَقْليّ، وتشملُ هنا الطَّبقةَ العامّةَ من النَّاسِ إضَافَةً إلى أصْحَابِ العِلْمِ قليلاً كان أو كثيراً، إذْ إنَّ العِلْمَ بمعنَاه الحَديثِ يَعْتَمِدُ على الحَوَاسِّ والتَّحليلِ العَقْلِيّ فَحَسْبُ ولا يدخلُ الحَدَسُ (البَصيرةُ النَّفسيّةُ) في مَدْخَلِهِ، ومِمَّا لا شَكَّ فيه أنَّ أفرادَ هذه الطَّبقَةِ يتباينون بَوْناً شَاسِعَاً في مَدَى المعرفةِ والعِلْمِ تَبايُنَ الأُمِّيّ والعَالِمِ، تَبَايُنَ التِّلميذِ والأستاذِ، ويَعْتَمِدُ التَّباينُ بَيْنَ الأفرادِ الَّذين ينتمونَ إلى هذه الطَّبقة على الذَّكاءِ والدِّراسة والخِبْرَة، وقُوّةِ المُلاحظةِ والمُثَابَرةِ، أمَّا الصِّنْفُ الثَّاني أو الطَّبقةُ الثَّانيةُ التي أَوْجَزَهَا ابنُ سِينا بالطَّبقَةِ التي تُفَكِّرُ وتَحْدِسُ، أي الطبقة التي تعتمدُ على الحَوَاسِ والتَّحليل العقليّ إضافَةً إلى بَصيرةِ النَّفسِ أو الإلهَامِ وهو البَصِيْصُ الذي يأتي مِنَ الله تعالى لا عَنْ طَرِيقِ الحَوَاسِّ بَلْ عن طريقِ الإيْحَاءِ - وكانَ الأجْدَرُ بابنِ سِينا أنْ يُسَمِّيَهُ الإيْحَاءَ أو الإلْهَامَ بدلاً من الحَدَسِ - فَتضُمُّ طبقةَ العباقِرَةِ، وبَعْضَ الفلاسفةِ الذين يَتَحَدَّثُون في ما وراءِ الطَّبيعةِ فيما بَيْنَهُم ولا تَفْهَمُهُم الطَّبقةُ السَّويَّةُ. ويدخلُ ابنُ سِينا وغيرُهُ من العباقرَةِ في هذا الصِّنْفِ، ويَنتمُونَ إلى هذه الطَّبقَةِ. أما القِسْمُ

١٥ - السِّفْرُ : الكتابُ الكبير. تقول : تفسير الطَّبرى سِفْرٌ جَليلٌ.

١٦ - كَاعَ : يقال : كَاعَ فلانٌ عن الشَّيء : هابَهُ وجَبُنَ عنه.

الثَّالثُ، أو الطَّبقةُ الثَّالثةُ، وهي الطَّبقةُ التي تَعتمدُ على الحَدَسِ (بِصِيْرةِ النَّفْس) فَحَسْبُ، وتُحيلُ ما تُلْهَمُ إلى النَّاسِ كَلَامًا مفهوماً، ذا طابَعٍ خاصٍّ من حيثُ التَّشْبيهُ بأمورٍ يُدْرِكُهَا عِلْمُ الإنسانِ، فهذِهِ طَبَقَةُ الأنبياءِ. وقد أجادَ ابنُ سِينا عندما وصَفَ عَقْلَ الأَنبياءِ بالعَقْلِ القُدْسِيِّ. وهكذا وَضَعَ ابنُ سِيْنَا الأنبياءَ في مَنْزِلَةٍ تَعْلُو على الإنسانِ السّويِّ، واعتبرَ عَقْلَهُم عَقْلاً قُدْسِيَّاً يَتَّصِلُ بالباري عَزَّ وجَلَّ، فهم يُلْهَمُونَ، بَلْ يُوحَى إليهم، ومن الغريبِ بمكَانٍ أنْ نَرى بَعْضَ المُتَزمِّتِيْنَ مَنْ يَتَّهِمَ ابنَ سِينا بالزَّنْدَقَةِ والكُفْرِ، والبُعْدِ عن الدِّيْنِ واللهِ، ويُشَهِّرُ به تَشْهِيْراً ظالماً غَوْغَائِيّاً، وهو المُؤْمِنُ باللهِ إيْماناً صادِقاً، إيْمَانَ عَبْقريٍّ عالمٍ يَرَى في مَشِيئَةِ اللهِ اطْمِئْنَانَ نَفْسِهِ، وفي تعاليمِهِ هَدْياً ورُشْداً، وفي أنبيائِه قُدْسِيَّةً ورفْعَةً وتبْشِيراً رحيماً. وكان مُطيعاً للهِ ورسولِهِ، عامِلاً بما أنزلَ اللهُ على لِسَانِ نَبيِّهِ الأكْرَمِ فهو يُقِيْمُ الصَّلاةَ ويُؤْتِي الزَّكَاةَ، ويَأْمُرُ بالمعروفِ ويَنْهَى عن المُنْكَرِ، ويَتَصدَّقُ على الفُقَرَاءِ والمَسَاكِينِ وأبناءِ السَّبيلِ، فهو قَدْ جَمَعَ الإيْمَانَ والعَقْلَ وكلاهما يُكَمِّلُ الآخَرَ ويَسْنِدُهُ.

ثالثًا : النَّحْــو : -

الجُزْءُ المُكَمِّلُ للجُملَةِ الفِعْلِيَّةِ وهو (التَّكْمِلَةُ أو المُكَمِّلُ).

عَرفْنَا من دراستِنَا للجُمْلَةِ الفِعْلِيَّةِ أنَّها تتألَّفُ من ثلاثةِ أجزاء، هي الفعلُ، والفاعِلُ أو نائِبُهُ والتَّكْمِلَةُ أو المُكَمِّلُ، فالتَّكْملةُ هي الجزءُ الثَّالِثُ المُتَمِّمُ للمعنَى بَعْدَ رُكْنَي الجملةِ الفعلّيةِ (الفِعْلِ والفاعِلِ أو نائِبِهِ)، والفَضلاتُ أو المُكَمِّلاتُ التي تأتي بَعْدَ رُكْنَي الجملة كثيرةٌ نذكرُ منها :

١ - المفعولَ بهِ، مثل : دَرَسْتُ اللُّغَةَ العَرَبِيَّةَ، وقد يتقدَّمُ المفعولُ بهِ على الفِعْلِ والفاعِلِ أو يتوسَّطُ بينهما، كما سَبَقَتْ دراستُهُ في الجُمْلَةِ الفِعليَّةِ.

٢ - الجَارّ والمجرور، ويأتي مع الفِعْلِ اللّازِمِ غالًبا، مثل : جَلَسَ الطّالِبُ على الكُرْسِيِّ.
ذَهَبَ خالِدٌ إلى الكُلِّيّة، والجَارُّ والمجرورُ يتعلَّقُ معناهما بالفعل، كقولك : على الكُرسيِّ جلسَ الطالِبُ.

وقد يَجتمعُ في الجملةِ الجَارُّ والمجرورُ والمفعولُ به، كقولك : دَرَسْتُ اللُّغَةَ العَربيَّةَ في كُلّيّةِ الآداب.

٣ - المفعولَ المُطْلَقَ : وهو مصدرٌ منصوبٌ يَجْري على نَمَطِ بناءِ فِعْلِه، ويُسْتَعْمَلُ لأَجْلِ توكيدِ فعلِهِ : مثل : دَرَسْتُ دِراسَةً، وجَلَسْتُ جُلُوساً. أو يُسْتَعْمَلُ لأجْلِ بيانِ نَوْعِ فِعْلِهِ، مثل : جَلَسْتُ جُلُوسَ المُؤدَّبِيْنَ، أو جَلَسْتُ جُلُوساً حَسَناً، أو يُسْتَعْمَلُ لأجْلِ بيانِ عَدَدِ مَرَّاتِ وقُوعِ الفِعْلِ، مثل: ضَرَبْتُهُ ضَرْبَةً، أو ضَرْبَتَيْنِ، أو ضَرَبَاتٍ.

وقد يأتي المصدرُ المنصوبُ بعد فعلٍ يَشْتَرِكُ مَعَهُ في المادَّة اللُّغوية مثل قوله تعالى : ﴿والله أَنبَتَكُمْ مِنَ الأَرْضِ نَبَاتًا﴾ فـ (نباتاً) مصدرٌ، وهو مفعولٌ مُطْلَقٌ منصوبٌ، ولم يَجْرِ على نَمَطِ بناءِ فِعْلِهِ (أنْبَتَ)، لأنَّ مصدرَ (أَنْبَتَ) هو (إِنْبَات) ولكنَّ (نباتاً) يَشْتَرِكُ مع (أَنْبَتَ) في المادَّةِ اللُّغوية (ن ب ت).

وقد يأتِي المصدرُ المنصوبُ بعد فعلٍ يشتركُ معه في المعنَى مثل : قَعَدْتُ جُلُوساً، فـ (جُلوساً) مصدرٌ ، وهو مفعولٌ مُطْلَقٌ منصوبٌ، ولم يَجْرِ على نَمَطِ بناءِ فِعْلِهِ (قَعَدَ)، ولكنه يشتركُ مَعَهُ في المعنَى.

وقد يُسْتَغْنَى عن ذكرِ الفعلِ ، فيأتي المفعولُ المُطْلَقُ منصوباً في الكلام، ولم يَذْكُر المتكَلِّمُ له فعلاً مثل : حَمْدَاً وشُكْرَاً لله، سَفَرَاً سَعِيْدَاً، حَجَّاً مبروراً، سُحْقَاً لفلانٍ، أَكَسَلاً وقد جَدَّ أَصْحَابُكَ ؟

٤ - ظرفَيْ الزَّمانِ والمَكَانِ : ونقصدُ بها الألْفاظَ التي وردَتْ في اللُّغَةِ ومَعْنَاها الزَّمَنُ أو المَكَانُ، كاللّيالي والأيّام والشُّهور، وغيرها. مثل : يوم، ليلة،

شهر، سنة، عشاء، عشية، مساء، صَباح، بُكَرَة، غَدَاً، ساعة، بُرْهَة، حِيْن.

أو كأسمـاءِ الجِهَاتِ مثل: أمام، خَلْف، وراء، قُدَّام، فوق، تَحْت، يَمِيْن، شِمَال، تِلْقَاء، ومثل: لَدَى، عِنْد، لَدُنْ.

وهـذه الألفـاظ تنتصب في الكلامِ على الظَّرفية الزَّمانية أو المكانية، مثل: جَاءَ مُحَمَّدٌ صباحاً، وقوله تعالى: ﴿ وجاؤا أباهم عشاء يبكون ﴾. وتقـول: وقَفْتُ خَلْفَ البَابِ وجَلَسْتُ عِنْدَ خَالدٍ، وقوله تعالى: ﴿ فلما توجه تلقاء مدين ﴾.

٥ - المفعـولَ لأجلِهِ: وهـو مصـدرٌ يدلُّ على معنًى من المَعَـاني النَّفسيةِ، كالابتِغَاءِ، والإرادَةِ والخَوْفِ، ونحو ذلك، ويُذْكَرُ في الكلامِ لبيَانِ سَبَبَ وقوعِ الفِعْلِ، وكأنَّهُ جَوابٌ لِسُؤالٍ: (لِمَ فَعَلْتَ كذا؟).

ويُسْتَعْمَلُ في الكلامِ منصوبًا أو مجروراً بلام التَّعليل، مثل: جِئْتُ إلى الكُليّةِ رَغْبَةً في طَلَبِ العِلْمِ، خَرَجْتُ إلى العَمَلِ لابْتِغَاءِ الرِّزْقِ، وقال تعالى: ﴿ ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاقٍ ﴾.

٦ - المفعولَ مَعَهُ: وهو اسمٌ منصوبٌ يأتي بعد (واوٍ) بمعنى (مَعَ) وَيُصَاحِبُ الذي قبلَهُ في وقوعِ الفِعْلِ في وقتٍ واحدٍ. مثل: جِئْتُ وخالِدَاً، فالمتكَلِّمُ أرادَ بهذه الجملة أنَّ (خالِدَاً) قد صاحَبَ الفاعِلَ وهو المُتكَلِّم المدلول عليه بالتَّاء، وأنَّ مَجيئَهُما قد وَقَعَ وقتٍ واحدٍ.

وتقول: مَرَرْتُ بكَ ومحمداً، سِرْتُ والبَحْرَ، استيقظْتُ وطُلوعَ الفَجْرِ،

٧ - الحالَ: وهو صِفَةٌ نكرةٌ مُشْتَقَّةٌ تأتي منصوبةً بعد تمامِ الكلامِ لِتُبَيِّنَ هيئة صاحِبِهَا عند صُدورِ الفِعْلِ، مثل: جَاءَ خالِدٌ راكباً، شَرَحَ الأُستاذُ الدَّرْسَ واقِفاً.

وقد تأتي الحالُ جملةً اسميةً أو فِعليةً، أو شِبْهَ جُمْلَةٍ، مثل: وَصَلَ الجُنُودُ وَهُمْ مُنْتَصِرُونَ، وقال تعالى: ﴿ أَلم تر إِلى الذين خرجوا من ديارهم وهم أُلوفٌ ﴾ ومثل: جَاءَ الفَتَى يَرْكُضُ، ومثل: خَرَجَ الفَارِسُ بِسِلاحِهِ.

٨ - المستثنى (في الاستثناء التّام): وهو اسم يذكر بعد أداةٍ من أدوات الاستثناء، ويأتي بعد تمام الكلام ويكون المستثنى خارجاً عن حكمٍ نَسَبَهُ المتكّلمُ إلى جَهَةٍ إثباتاً أو نَفْياً.

مثل: حَضَرَ الطُلّابُ الامتحانَ إلّا خالِدَاً، فـ (خالداً) مستثنى من الحُكْم، وهو (الحُضُورُ) الذي نَسَبَهُ المُتكَلِّمُ إلى (الطُّلّاب).

ومثل: ما حَضَرَ الطُلَّابُ إلّا خالداً. فـ (خالداً) مستنثنى من الحُكْمِ، وهو (نَفْيُ حُضُورِ الطُّلاب).

وأدوات الاستثناء التي يتم بها إخراجُ المستثنى من الحُكْمِ السَّابِق هي: (إلّا)، (غَيْر) (سِوَى). (خَلَا)، (عَدَا)، (حَاشَا).

تقول: وَصَلَ المُسافِرونَ غَيْرَ مُحَمدٍ، ما دَرَسَ الطلابُ سِوَى خَالِدٍ، اشْتَرَكَ الطُّلابُ في المُسَابقة خَلَا سعيداً، يدافعُ المسلمونَ عن دِيْنِهم ما عَدَا الخَائِنَ، سَأُعاقِبُ المُقَصِّرِيْنَ حاشا بَكْراً.

وتلاحِظُ أنَّ المستثنى في جميع الأمثلةِ منصوبٌ، ولكن قد يَجْعَلُ المستثنى تابعاً لما قبله في الإعراب إذا كان الحُكْمُ منفياً مثل:

ما حَضَرَ الطُّلابُ إلَّا مُحَمَّدٌ، ما مَرَرْتُ بأحدٍ إلّا زَيْدٍ.

٩ - التَّمييزَ: وهو اسمُ نكرةٌ جامدةٌ يُؤتَى بها لإزالةِ الإبْهَامِ عَمَّا قَبْلَها، وتَبْيِينِهِ وتفسيرِهِ

مثل: اشْتَرَكَ في المُسابقة خمسون طالباً، اشتريتُ متراً حريرا، دَفَعْتُ للمسكينِ مُدَّاً قمحاً، خالدُ أكثرُ مِنْكَ مالاً، وقال تعالى: ﴿ واشْتَعَلَ الرَّأْسُ

شَيْباً ﴾، وقال تعالى: ﴿ وفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُوناً ﴾.

ما تقـدَّمَ هو أَهَمُّ المُكَمِّـلاتِ التي تأتي في الكـلام العربيِّ، وقد يَسْتَعْمِلُ المتكلِّمُ واحدةً منها، أو يجمعُ بين أكثرَ من واحدةٍ في الجملة، كما إذا قُلْتَ: زرْتُ خالِدَاً في البيتِ صباحاً وهو مَرِيْضٌ.

* * *

رابعاً: التدريبـات: -

(١)

١ - اكتب عن مرحلة التَّحصيلِ العلميِّ الذي حقَّقَهُ ابنُ سِينا.

٢ - ما الجوانبُ العلميةُ التي نَبَغَ فيها ابنُ سينا؟

٣ - ابنُ سِينا عبقريةٌ موهوبةٌ. دلِّلْ على ذلك.

٤ - « وفَوْقَ كُلِّ ذي علمٍ عليمٌ » يتضحُ هذا المغزى القرآنيُّ من بعض المواقف التي مَرَّ بها ابنُ سينا. كيف كان ذلك؟

٥ - بَيْنَ ابنِ سينا، وجابرِ بنِ حَيَّان، اتّفاقٌ واختلافٌ. وَضِّحْ هذا وذاك.

٦ - الفارابيُّ / الكنديُّ / الرازيُّ / البيرونيُّ / جابرُ بنُ حَيّان. في أي مكانٍ وزمانٍ عاشَ كُلٌّ من هؤلاءِ؟

استعن بواحد من:

خير الدين الزركلي في (الأعلام)

عمر رضا كحالة في (معجم المؤلفين)

٧) اكتب عن قيمة « الحَدَسِ » في حياة العلماءِ.

كان ابنُ سِينا مثلاً للعالمِ الذي جمعَ بين العِلْمِ والإيمانِ. وَضِّحْ هذا

٨ - اكتبْ حسب التعليمات الواردة.

أ - اكتبْ عن مؤلفٍ واحدٍ نبغَ في أيِّ فرعٍ من الفروع التالية:

النَّحْو. . المنطق. . البلاغة. . التَّفسير. . الأصـوات

ب - مقالاً قصيراً إلى مَجَلَّةٍ تذكرُ فيه فَضْلَ العَرَبِ على الحَضَارِ الأوربية.

جـ - برقيةَ تهنئةٍ إلى أَحَدِ معارفكم مِمَّن وصلوا إلى رُتْبَة وزير».

* * *

١) قال الكاتب:-

«وكتبَ في الطَّبيعيات والهندسة والرِّياضيات والكيمياء، وفي الفلسفة واللّغة العربية نحواً وصَرفاً وبلاغةً وشِعْراً. . . ». «وتقلَّدَ مناصبَ رفيعةً، وذاعَ صيتُهُ في المشرقِ، وسيبقي ذكرهُ حياً. . ». «تجلَّتْ عبقريةُ ابنِ سينا منذ صِبَاه، فقد أتى على القُرآن وعلى كثيرٍ من الأدب وهو في العاشرة من عمره». «واستغرقتْ هذه الـدراسة نحواً من عام. ». «توفرتُ على العلم والقراءة سنةً ونصفاً. . . وفي هذه المُدَّة ما نمتُ ليلةً بطولها، ولا اشتغلت النهارَ بغيره. . . ». «ودراسةُ ابن سِينـا للعلم والمعـرفـة تختلفُ اختلافاً كبيراً عن دراسة غيره ». «وأعادَ قراءةَ الكتـاب أربعينَ مرةً». «ولكنه عندما نضج ذهنياً، ويَسَّرَ له الله كتاباً لمؤلِّفٍ متمكنٍ من مادَّتِه عارضاً إيَّاها عَرْضَاً واضِحَاً». «فرددته رَدَّ مُتبرِّمٍ، معتقداً أن لا فائدَةَ من هذا العلم». «أمَّا إذا كانَ الكبريتُ أنقى من النوعِ الذي ذكرناه آنفًا، وأشدَّ بياضًا . . . »

«وهكذا نرى ابنَ سينا قد اتفقَ وجابرَ بنَ حيان في نظرية تكوين العناصر، وهي نظرية منطقية، تتفق والأدلةَ الكيمياوية حينئذٍ». «ومع كُلِّ هذا فقد نفى ابنُ سيناْ الصَّنعةَ نفياً باتاً». «ومِمَّا لا شَكَّ فيه أنَّ افرادَ هذه الطبقة يتباينون بَوْنًا شاسعاً».

أ - استخرجْ من الجملِ السَّابقةِ المُكَمِّلاتَ من المفعولِ به، والجار والمجرور.

ب - استخرجْ من الجملِ السَّابقةِ حالاً جاءتْ مفردةً، وأُخرى جاءتْ جملةً، ثم أعربها.

جـ - استخرجْ من الجُمل السابِّقة المفعولَ المُطْلَق، وأعربه.
د - وردَ في الجملِ السَّابقةِ مفعولاً مطلقاً لم يَجْرِ على نَمَطِ بناءِ فِعْلِه، عَيِّنْهُ، واذكرُه سببَ انتصابه على المفعولية المُطْلَقة.
هـ - استخرِجْ من الجمل السَّابقة التَّمييزَ، واذكر علامةَ إعرابه.
و - استخرِجْ من الجمل السَّابقة المفعولَ مَعَهُ، واذكُرْ علامَةَ إعرابه.
ز - لِمَ انتصبت الألفاظُ التي تَحْتَهَا خَطٌ؛

* * *

(٤)

١) اقرأ النَّصَّ قراءةً جيدة واستخرجْ منه الحروفَ النَّاسِخَةَ، واذكُرْ اسمَ كُلٍّ منها وخبرَهُ.
٢) اقرأ النَّصَّ قراءةً جيدةً واستخرجْ منه الأفعالَ النَّاسِخةَ، واذكُرْ اسمَ كُلٍّ منها وخبرَهُ.
٣) استخرجْ من النَّص الأسماءَ الممنوعةَ من الصَّرْفِ، واذكُرْ علامَةَ إعرابها.

* * *

(٥)

تدريـــب صرفـــي

= اقرأ النَّصَّ قراءةً جيدةً، واستخرجْ منه الأفعالَ المزيدةَ، ثم أرجع كُلَّ فِعْلٍ إلى أصلِهِ الثُّلاثي، وصَرِّفْهُ إلى المضارعِ والأمْرِ، واسْمِ الفاعلِ واسْمِ المفعولِ والمَصْدَرِ.

الوحــدة العشــرون
الأرقــام العربيــة

للدكتور/ أحمد مطلوب

أولاً : صاحب النص:

وُلِدَ عام (١٩٣٦)، تخرّج في كلية الآداب، جامعة بغداد سنة (١٩٥٦) ثم حصل على الماجستير من جامعة القاهرة سنة (١٩٦١) بعدها حصل على الدكتوراه من الجامعة نفسها سنة (١٩٦٣).

تقلّد مناصب عدة. فقد دَرَّسَ وحاضر في جامعات عربيّة وأجنبية، لَهُ أكثر من خمسين كتاباً ما بين مُؤلَّف ومُحَقَّقٍ.

يعمـل أُستـاذاً للبـلاغةِ والنقدِ بكلية الآداب، جامعة بغداد، كما أنَّه عضو المجمع العلميّ العراقيّ، وعضو مجمع اللغة العربيّة الأُردنيّ.

يَشْغَلُ الآن منصب الأمين العام لهيئة الحِفَاظِ على اللُّغَة العربية بالجمهورية العراقية. من أهم كتبه : أساليب بلاغيَّة، فنون بلاغيّة، معجم البلاغة العربية في ثلاثة أجزاء، عبد القاهر الجرجاني : بلاغته ونقده ، اتجاهات النقد الأدبي في القرن الرابع للهجرة، وغيرها كثير.

ثانيا : النَّـص:

الأرقـام العربيـــة

لا تحتاج الأَرقام العربية إلى مَنْ يُثْبتَ أصالتها، فقد حَفِظَتْها القُرونُ وصانَتْها الطُّروُس: وكانت مسيرتُها الطويلةُ دليلاً على تلك الأَصالة في خِضَمِّ الأحداث ولكن ما يظهر في الأفق بين حين وآخر يَدْعُو إلى الوقوف على الحقائق، لِيَعْرِفَها النَّشْىء ويَستنيرُ بهـا في طريقـه الطويل. وليعرفَ أنَّ العرب قبل الإسلام كانوا يكتبـون الأرقـام بالحروف. وحينما نزلَ القرآنُ الكريم ذَكَرَ الأرقامَ بالكلمات، وجـاءت في آياتِـهِ البّينـات صِيَغٌ مختلفةٌ لها، فمن الآحاد قوله تعالى ﴿ ثَانِي اثْنَيْنِ ﴾، ومن العَشَرَاتِ قوله: ﴿ تِلْكَ عَشَرَةٌ كامِلَةٌ ﴾، وقوله ﴿ إنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً ﴾. ومن المئـات قولـه ﴿ ولَبِثُـوا في كَهْفِهِمْ ثَلثمـائة سِنينَ وازْدَادُوا تِسْعاً ﴾، ومن الألوف قوله ﴿ فَلَبِث فيهم أَلْفَ سَنَةٍ إلّا خَمْسِينَ عاماً ﴾ وقوله: ﴿ في يَوْمٍ كانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾.

واستُعملَ نظامُ الترقيمِ على حسابِ الجُمَّل، فكان الألِفُ يُساوي واحداً والباءُ اثْنَيْن، والياءُ عَشَـرَةً، والقـافُ مائةً، والغَيْنُ أَلْفًا. وعند تركيب الأعداد تضاف الحروف، فإذا أُرِيْدَ الرَّقم (١٢٤٠) كتبوا « مرغ » لأنَّ الميم أربعونَ والرَّاءَ مائتَانِ والغَيْنَ أَلْفٌ.

ويَتَّضِحُ في هذا التقسيم النَّظامُ العُشْرِيُّ إلاّ الصِّفْرَ، فقد أَقامُوا الحُروفَ على وَحْدَاتٍ تتكوَّن كُلٌّ واحدة من تسعة أرقام، فالحروف التِّسْعَةُ الأُولى وهي: الأَلِفُ والبَاءُ والجِيْمُ والدَّالُ والهَاءُ والوَاوُ والزَّايُ والحَاءُ والطَّاءُ تَحْمِلُ الآحادَ، والتِّسعة الثـانية وهي: اليـاءُ والكَـافُ والـلاَّمُ والمِيمُ والنُّونُ والسِّينُ والعَيْنُ والفَاءُ والصَّادُ تَحْمِلُ العَشَرَاتِ، والتِّسعة الثَّالثة وهي: القَافُ والرَّاءُ والشِّيْنُ والتَّاءُ والثَّاءُ والخَاءُ والذَّالُ والضَّادُ والظَّاءُ تَحْمِلُ المِئَاتِ، ويَحْمِلُ الحرفُ الأخيرُ وهو الغَيْنُ رَقْمَ الأَلْفِ.

ولكنَّ التَّطور الذي مَرَّ به العربُ في ظِلِّ الإسلام دفعهم إلى التفكير بطريقة أُخرى تكونُ أَيْسَرَ من طريقةِ حساب الجُمَل، وكان لاتصالهم بالحَضَارات القديمة أَثَرٌ في اكتشاف نظامٍ جديد، فقد وجدوا أَنَّ الهُنودَ تَخلَّصُوا من الرُّموز والحروف ووضعوا لكُلِّ رَقْمٍ شَكْلًا يدلُّ عليه، ويكتسب قيمته من المرتبة التي يوضع فيها كمرتبة الآحاد أو العشرات أو المئات أو الألوف. وكان الفلكيُّ محمدُ ابنُ ابراهيمَ الفزاريّ الكوفي المُتَوفَّى سنة ١٨٠ هـ ٧٩٦م قد أَلَّفَ كتابًا سمّاه (السِّند هند الكبير) ونقلَ فكرةَ الأَعدادِ من الهنودِ وَوَضع لها الأشكال التي عليها. وكان الفَزَاري هذا عالماً بالنُّجوم وهو الذي قال فيه يَحْيىَ بنُ خالدٍ البَرْمَكِيّ: « أربعة لم يُدْرَكْ مِثْلُهُم في فُنُونِهم: الخليلُ بنُ أحمدَ، وابنُ المُقَفَّع، وأبو حنيفة والفَزَارِيّ » وقال جعفرُ بنُ يَحْيى: « لَمْ يُرَ أَبْدَعَ في فَنِّهِ من الكِسَائيّ في النَّحْو. والأصمعيّ في الشِّعر، والفزاري في النُّجومِ. وَزلْزَلَ في ضرب العُوْدِ. قَدِمَ على الخليفة المنصور في سنه سِتّ وخمسين ومائة، رَجُلٌ من الهِنْدِ قَيِّمٌ بالحِسَاب، فأمرَ المنصور بترجمة كتابِهِ إلى اللُّغَة العربية وأَنْ يُؤَلَّفَ منه كتابٌ تَتَّخِذُهُ العَرَبُ أصلاً من حَرَكَاتِ الكَوَاكِبِ فتولّى ذلك محمدُ بنُ إِبراهيم الفُزَاري، وعَمِلَ منه كتاباً. وكان أَهلُ ذلك الزَّمن يعملون به إلى أَيام الخليفة المأمون فاختصره له أبو جعفر محمدُ بنُ مُوسَى الخَوارِزْمِيّ.

هذه العقلية الجَبَّارة التي كان الفزاريّ يتمتَّعُ بها فَتَحَتِ الطَّريق لعالِمِ الرِّياضِيَّات الكبير محمدِ بنِ مُوْسَى الخَوَارِزْمِيّ المُتَوفَّى بعد سنة ٢٣٢ هـ (٨٤٧ م) فقد أعاد كتابة: « سند هند كبير » وأضافَ إليه الشيءَ الكثير وأَلَّفَ كتابَيْنِ مُهِمَّيْنِ هما: كتابُ الجَبْرِ والمُقَابَلَةِ. وكتابُ الحِسَاب الذي شَرحَ فيه نِظامَ الأَعداد والأرقام الهِنْدِيَّة. هذا وفي معرض التَّدليل على أصالة الأرقام العربية يقول أبو الرَّيْحَان محمدُ بنُ أَحمد البَيْرُونيّ المُتَوفَّى سنة ٤٤٠ هـ (١٠٤٨ م).

« وليس يُجْرونَ على حروفهم شيئاً من الحساب كما نُجْرِيْهِ على حروفنا في ترتيب الجُمَلِ. وكما أنَّ صور الحروف تختلف في بِقاعهم كذلك أرقام الحساب

لقد ذُكِرَ أنَّ الحروفَ الأَبجَدِيَّةَ والأرقامَ اختلفت لدى الهنود بأنفسهم في إقليم ما عَنْهُ في إقليمٍ آخر، واستطاع خلال رحلاته المتعددة في الهند أنْ يَتَعَّرفَ على علومهم ولغتهم وأنْ يَشْرحَ طريقة أَخْذِ العرب للأرقام الهنديَّة من غير أنْ يأخُذُوا عن الهنود شَكْلَ تلك الأرقام كما هي.

ومعنى ذلك أنَّ شَكْلَ الرَّقم العربيّ ليس كشكل الرَّقمِ الهندي، وأنَّ الذي أخذه العربُ هو الفكرةُ القائمةُ على النظام العشري المعروف، لأنَّ حُكَماءَ الهند « وضعوا تسعة أرقام للعقود التسعة المشهورة ». وليس من عَيْبٍ في أن يأخذَ العربُ ذلكِ. وإنَّما يدلُّ على تَفَتُّحِهم واسْتفادَتِهم من الحضارات القديمة وليس من بَأسٍ في أنْ يقولَ الأُستاذُ قَدْرِي حَافِظ طوقان:

« وكان لدى الهنود أشْكَالٌ عديدة للأرقام هَذَّبَ العَرَبُ بَعْضَها وكَوَّنُوا من ذلك سِلْسُلَتَيْنِ عُرِفَتْ إحداهما بالأرقام الهندية وهي الَّتي تَسْتَعْمِلُها هذه البلاد وأكثر الأقطار الإسلامية والعربية. وعُرِفَتْ الثانية باسم الارقام الغبارية وانتشر اسْتِعْمَالُها في بلاد المغرب والأندلس. وعن طريق الأندلس، وبوساطة المعاملات التجارية والرحلات التي قام بها بعض علماء العرب والسفارات التي كانت بين الخلفاء وملوك بعض البلاد الأوربية دخلت هذه الأَرقام وعُرِفَتْ فيها باسم الأَرقام العربية.

ولكنَّ ذلك الأَخْذَ لم يكُنْ حَرْفِيًا، لأنَّ صورَ الأَرقام الهندية تختلف اختلافًا واضحاً عن أشكال الأَرقام العَربيَّة»، وقد ذهب الدكتور عدنان الخطيب إلى أنَّ مَنْشأَ الأَرقام العربية كان صورَ حروف الأَبجدية العربية وليس الاشكال والرموز التي كانَ الهنود يستخدمونها كما يَزْعُم بعض الباحثين بلا دليل، وإنَّما لم تقم على تعداد الزوايا التي تحتويها صورة كل حرف.

وكان الخَوَارِزْمِيّ قد ذكر نوعَيْن لشكل الأَرقام وقد ساد الأوَّل وما يزال مُسْتَعْمَلاً واختفى الثاني بعد أنْ أُصبحَ أصْلَ الأَرقام المُسْتَعْمَلَة في العالم الآن مع اختلافٍ يَسيرٍ. أيْ إنَّ ما يعرفه العالم الآن ليس كالشكل الذي يُعْرَفُ بالأَرقام الغُبَارِيَّة

وإنَّما حدث فيه بعض التغيير ليلائم الحرف الأجنبيَّ.

إنَّ الْأَرقامَ العربية - كما يتضح من البحث - سِلْسِلَتَانِ : الأولى المستعملة الآن في معظم البلاد العربية والإسلامية وهي ماتُعْرَفُ بالهندية، والثانية الغباريَّة التي اسْتُعمِلَتْ في الْأَندلس والمغرب وأَخَذَهَا الْأُوربيون.

إنَّ الخَوارِزْمِيَّ أوَّلُ مَنْ أَلَّفَ كتبَه بأرقامِ السلسلةِ الهندية، وإنَّ شُهْرَتَهُ وأهمية مؤلفاتـهِ كانـا عاملاً مهما في انتشارها في المشرق العربي والبلدان الإسلامية الأُخرى، إذْ إنَّ مؤلفاته كانت هى المعمول بها في الدولة العباسية خلال تلك المرحلة، وقد ساعد ذلك سلسلة الأرقام الهندية على الانتشار وَمكَّنَها من إزاحَةِ سلسلةِ الأرقامِ الغباريَّة في هذه الأجزاء من الدولة الإسلامية. ومعنى ذلك أنَّ الأَرقام المُسْتَعْمَلَة الآن في العالمين العربي والإسلامي هي الأشكالُ الأصلية وليست الغبارية كما يذهب إلى ذلك بعضهم وينادي بالغاء الأَرقام المشرقيَّة. لقد ثَبَتَ أنَّ الأرقـامَ المشـرقية هي الأصـل وأنَّهـا هي التي شاعت قديمًـا وحـديثاً واسْتُعْمِلَت في المخطوطات العامة أو في مخطوطات الحساب ومن ذلك كتاب « رَفْـعُ الإشْكَالِ في مساحة الأَشْكَالِ » ليعيش بنِ إبراهيم بن يوسف الْأُمويّ الأندلسيّ المُتوفَّى بعد سنة ٧٧٢ هـ (١٣٨٠ م). وكتاب « تَلْخِيصُ المِفْتَاح » لِجمْشِيد بن مسعود بن محمود الكاشي المُتوفَّى سنة ٨٣٢ هـ (١٤٢٩ م) وكان الجزائريون إلى سنوات قليلة يُذَيِّلُونَ مخطوطاتهم بالْأَرقام المعروفة، ومن ذلك ماجاء في خاتمة، اتحاف المُصَنِّفِيْنَ والأُدباء في الاحتراس عن الوَبَاءِ « لحمدان خواجة المولود في الجزائر العاصمة سنة ١١٨٩ هـ ، فَقَدْ ذَكَرَ أَنَّه انتهى من كتابه سنة ١٢٥٢ هـ ، وغير ذلك كثير جدًا، وهو يثبت أنَّ بعض الْأَقطار العربيَّة التي أخذت في الآونة الأخيرة بالرقم المغترب كانت تَسْتَعمل الرقم الْأَصيل إلى عهد قريب. ولـذلـك فليس صحيحًـا مايقال من أنَّ الغبارية أَقدم بدليل بقائها في المغرب، بل العكس هو الصحيح، أي أَنَّ تَأَخُّرَهَا كان سَبَبَ انتقالها إلى أُوربا وأَخذها الصورة المعروفة هناك.

إنَّ الْأرقام التي يستعملها الْأجانب عربية الأصل. وقد وردت معظم صورها في بعض كتب الأندلس والمغرب.

ويُعَـدّ كتاب « تلقيح الْأفكار في العَمَلِ برسوم الغبار » لابن الياسمين أقدم وثيقة تحدثت عن أعداد الغبار وأَكّدت أنَّها مغربية أيْ عربية، ومعنى ذلك أنَّ هذا النوع ليس قديمًا وإنَّما عُرِفَ وشاعَ في القرن السّادس للهجرة.

إنَّ شَكْلَ الْأرقام الغبارية لم يبقَ على صورة واحدة وإنَّما اختلَفَ باختلافِ الكتاب والعهود. إنَّ الأشكال المختلفة التي كتبت بها الأرقام العربية لم تبقَ على حالها وإنَّما أَخذَتْ تتوحَّدُ في شَكْلٍ واحدٍ جميل يلائم الحرف العربيّ، وهذا الشكل هو السائد في معظم العالَمَيْنِ العربيّ والإسلامي في هذه الْأيام. ولم يفكـر بعضهم بأصالة الرَّقم الذي يستخدمه الْأجانب إلاَّ بَعْدَ أَنْ دخلت اللّغَة الفرنسية بعض الْأقطار العربية ووجدت بعض من يأخذ بها، وإلاّ بعد أنْ ذكر الْأجـانب ذلـك. تقـول المستشـرقـة الألمانية زيغرد : « كُلُّ الْأمم المتحضّرة تستخـدم اليوم الْأرقام التي تَعَلَّمَهَا الجميع عن العرب. ولولا تلك الْأرقام لَمَا وُجِدَ اليوم دليلُ تليفونات أو قائمة أسعار أو تقرير للبورصة. ولما وُجِدَ هذا الصَّرح الشَّامخ من علوم الرِّياضة والطبيعة والفَلَك، بَلْ لَمَا وُجِدَت الطائرات التي تسبق الصوت أو صواريخ الفضاء. لقد كرمنا هذا الشعب الذي مَنَّ علينا بذلك الفضل الذي لايقدر حين أُطلقنا على أرقام الأعداد عندنا اسم الْأرقام العربية ».

إنَّ الرقم المألوف كان شائعاً إلى وقت قريب، ففي الجزائر - مثلاً - كانت الصُّحُفُ العربية تستخدمهُ، ويتضح ذلك في « المنتقد » و« الشِّهاب » اللّتين كان عبدالحميد بن باديس يصدرهما منذ عام ١٩٢٥ م، وفي « البصائر » التي كان يصدرها ويُحَرِّرُ فيها منذ سنة ١٩٣٥م محمد سعيد الزاهري والطيب العقبي ومبارك بن محمد الميلي ومحمد البشير الإبراهيمي. وكان الرقم نفسه يُكْتَبُ في الإجـازات العلمية والنُّصُب التذكارية والمقابر والمخطوطات. وحينما أصدرت الجزائر أَوَّل عُمْلَةٍ وطنية سنة ١٩٦٤م كان الرقم المألوف عليها غير أنَّ التحول

بدأ يطرأ وأَخذ رقم قيمة العملة وتاريخ إصدارها يكتبان بالرقم المغترب. ويتضح ذلك في الدينار وخُمْسِهِ اللَّذَيْنِ صَدَرَا في عام ١٩٧٢م وفي الخمسة الستيمات التي كتب عليها تاريخ (١٩٧٤ - ١٩٧٧).

إنَّ الـرَّقَمَ الأجنبيَّ عربيٌّ ولكنهُ مغترب، أَمَّا الرَّقمُ المألوفُ فقد ظَلَّ مرتبطًا بالحرف العربيّ. أي إنَّ السِلْسِلَتَيْن عربيتان على الرّغم من أنَّ الأُولى تُسَمَّى « الهندية » والثانيةُ تُسَمى « الغبارية » ولكنَّ الأُولَى أكْثَرُ عَرَاقَةً. وأَبْعَدُ انتشارًا، وأشدُّ التصاقًا بالتراث العربيّ الإسلامي، واوضحُ أثرًا في كنوز الخطّ العربيّ.

هذا ماكان من أمر الرقم العربي ويتضح :

١ - أنَّ العربَ أَخذوا عن البابليين أو الهنود النظام العُشْري.

٢ - أنَّ العرب أَخذوا عن الهنود فكرة الأَرقام ولم يأخذوا أَشكالها وصورها.

٣ - أنَّ العرب استعملوا الأرقام المألوفة في كُتُب الحسابات والمخطوطات طوال القرون السابقة ومايزال الألفُ مليون عربيّ ومسلم يستعملُها في القرن العشرين.

٤ - أنَّ الأرقام الغبارية لاتتفق كل الاتفاق مع ما طَوَّرَهُ الأُوربيون أي إنَّ الصُّورة عربية النِّجار أُوربية الدِّثَار.

٥ - أنَّ الأرقام الغبارية لم تَشِعْ إلَّا في بعض الأجزاء من العالم العربيّ، ولم تُعْـرَفْ إلَّا في بعض المخطوطات التي اتُّخِذَتْ دليلًا على هَجْرِ ما أَلِفَهُ النَّاسُ وكتبوا به زمنًا طويلًا.

٦ - أنَّ بعض الأَقطار استعملت الأرقام المألوفة في صحافتها وإجازاتها العلمية ومخطوطاتها ومقابرها وعملتها، ولم تستعمل الرَّقم المغترب إلَّا قبل أَعوام قليلة.

فالسلسلة التي تُسْتَعْمَلُ الآنَ هي الأساس ولايزال أكْثَرُ من الأَلْفِ مليون عربي ومسلم ومستشرق يكتبون بها فلماذا يَسْعَى بَعْضُهم إلى تغييرها ويدعو إلى نَقْلِ الأَرقـام التي استقـرت في أُوربا؟ لماذا تُغَيَّرُ وقد استقرتْ في الكُتُب وارتبطتْ

ارتباطًا وثيقًا بحركة تطور الخَطّ العربي وأَصبحتْ جُزْءًا منه، واستقامَتْ في أَيدي الكُتَّاب، وانسجمت في الطِّباعةَ مَعَ الحروف العربية؟.

إنَّ كتابة الأَرقام الحالية تَنْطَبِقُ على النُّطْقِ بها ولاسِيَّما أَعداد العقود المعطوفة (٢١، ٢٢ . .) وسيؤدي الأَخـذ بالأرقـام المغتـربة إلى كتابتِها كما تكتب في معظم اللُّغات الأجنبية أي من اليسار إلى اليمين. وسيؤدي ذلك إلى تَغْيِيْر النُّطْقِ بها لتنسجم مع الكتابة فيُقَال في الخمسة والعشرين (عشرون خمسة) وما هكذا نطقت العـرب. يضـاف إلى ذلك أنَّ الأرقامَ المألوفةَ بسيطةٌ أي ليست مُعَقَّدةً فكتـابـة الاثنين والأَربعـة والخمسـة والسِّتّة والثَّمانية أَسْهَلُ من كتابتها بالأَرقام المغتربة التي تستغرق وقتاً أَطول في الكتابة وجهدًا أَعظم في الاستدارة ولايحتاج الصّفر إلى جَهْدٍ في كتابَتِهِ وإنْ كانَ أَحيانًا يثير إِشْكَالاً إِذَا لَمْ يَكُنْ واضحاً، ولكنَّ النَّـاس قد اعتادوا في الحسابات أنْ يذكروا الرَّقم أو مجموع الأرقام كتابة لئلا يحدث التباس أو تزوير، وهو مايفعلهُ الأَجانب أيضاً خشية أن تُضَافَ أرقامٌ أُخرى ولا يَخُصُّ ذلك الصّفر العربيّ بل يشمل المغترب أيضًا إِذْ يمكن أن يصير ستة أو ثمانية أو تسعة.

إنَّ الأرقام بنوعَيْها عربية: ولكن ماعتادَ النَّاسُ عَليهِ وشاعَ في أَنحاء العالمَيْنِ العربيّ والإسلامي خير من النَّادر الاستعمال. وليست المسألة هنا قضية تفضيل وإنَّما هي مسألة شيوع، وإِذَا كانت حجة العودة إلى الأَرقام الغبارية أنَّها عربية فَلْتُؤْخَذْ كما استُعملتْ في العالم الإسلامي في مراحلها الأُولى لا كما يستعملها الأَجانب الآن. لأَنَّ العربية ترفض أرقامًا لَبِسَتْ حُلَّةً غربيةً وإنْ كانَتْ عربيةَ النِّجَار.

إنَّ الأخْـذَ بالرّقم كما طَوَّرهُ الأجانب تَنَكُّرٌ للتُّراثِ العربيّ والإسلامي الذي سارَتْ مَعَهُ الارقامُ قرونًا طويلة. وسيؤدي ذلك إلى حرمان الأجيال الجديدة منه. وليس في ذلـك مصلحةٌ للعرب والمسلمين، وسيؤدي أيضًا إلى صَرْفِ أَموالٍ طائلة من أجْلِ إعادة طبع الكتب بالأَرقام الجديدة وتغيير أَجهزة الطِّباعة وأَرقام

آلات الكتابة التي تُعَدُّ بالملايين، ولكنَّ الأَخْطَرَ من ذلك كُلّهِ هو البَدْءُ بالتَّفكير في الخُطوة الجديدة وهي الأَخْذُ بالحرف الأُوربي لينسجم مع الأَرقام، أي إنَّهُ العودة إلى ما دعا إليه المستعمرون وأَنصارهم بغية أنْ يُشِيْعُوا عُجْمَةَ الحرف بعد أنْ أَشَاعُوا عُجْمَةَ اللِّسان.

وأخطر من ذلك أنَّ الدول الإسلامية ستهتز الصُّورة لديها وربما فَكَّرتْ قبل العرب بتغيير حروفها وأَرقامها مادام العرب أَنفسهم لم يحافظوا على تراثهم ولغة دينهم.

إنَّ الإقدام على التغيير لابُدَّ مِن أَنْ يَعْقُبَهُ نَفْعٌ عظيم، وليس في تغييرِ الأَرقامِ شيءٌ من ذلك وإِنَّما هي دعوةٌ تثير البلبلةَ وتخلقُ الاضطرابَ في وقتٍ لم يَعُدْ لمثلِها أَنْ تظهرَ لِتَشْغَلَ العربَ عن قضاياهم. ومِنَ الخيرِ أَنْ يرجعَ بعضُهُم إلى الرَّقمِ المألوفِ بعد أَنِ استعملَهُ الآباءُ والأَجدادُ، وبعد أَنِ استعملَهُ الأَبناء في ظِلِّ الاحتلال وكان مَعْلَماً من معالمِ الاعتزاز، وصورةً من صور تَحَدِّي الاستعمار.

إنَّ الدَّعوةَ إلى تغيير الأَرقام فِتْنَةٌ وإنِ اتخذتْ سِمَةً عربية، إنَّها ستُصِيْبُ العَرَبَ والمسلمين جميعاً، وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿ واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة، واعلموا أن الله شديد العقاب ﴾.

ثالثا : النحـــو.

العـــــدد

إذا أردنا أنْ نستعمل الأعداد في كلامنا أو في كتاباتنا، فينبغي أنْ نُراعِيَ في استعمالها الأحكام التالية : -

١ - مجموعة الأعداد من (١ - ١٠) :

أ - العددان واحد واثنان يطابقان المعدود في التذكير والتأنيث، ويتقدم المعدود عليهما، فيُعْرَبَانِ صِفَةً له. تقول :

حضر الامتحانَ طالبٌ واحدٌ، أعطيتُ الفقير دينارًا واحدًا ، مررت بجَمَلٍ واحدٍ، ما جاءني إلاّ طالبةٌ واحدة، أرسلت إليه رسالةً واحدةً، سلّمتُ على طالبةٍ واحدةٍ، اشترك في المسابقة طالبان اثنان، غَرَسْتُ في حديقتنا شَجَرَتَيْن اثنتَيْن .

ب - الأعداد من ثلاثة إلى عشرة تخالف المعدود في التذكير والتأنيث، ويكون معدودها جمعًا مجرورًا بالإضافة إلى العدد : تقول :

حَصَلَ ثلاثةُ طُلاَّب، وثلاثُ طالباتٍ على تقدير امتياز.

كان في الفصل خَمْسَةُ طُلاَّب ، معهم خَمْسُ كُرَّاساتٍ.

اشتريْتُ ثمانيةَ أقلامٍ ، حَصَلْتُ على ثمانيَ دَرَجاتٍ قَرأْتُ عَشْرةَ كُتُبٍ، وعَشْرَ صُحُفٍ .

٢ - مجموعة الأعداد من (١١ - ١٩) :

أ - العددان أَحَدَ عَشَرَ واثْنَا عَشَرَ يُطابقان المعدود في التذكير والتأنيث، ويكون (أَحَدَ عَشَرَ) مبنيًا على فتح الجُزْأَيْنِ، ولها موضع من الإعراب أمَّا (اثْنَا عَشَرَ) فيُعْرَبُ الجزء الأول إعراب المثنّى وَيَبقى

الجزءِ الثَّاني مبنيًّا على الفتح. ويكون معدودهما مفردًا منصوبًا على التَّمييز. تقول:

في مكتبتي أَحَدَ عَشَرَ كتابًا، وإِحْدَى عَشْرَةَ مَجَلَّةً.

رأيتُ أَحَدَ عَشَرَ طالبًا، وسَلَّمْتُ على إِحْدَى عَشْرَةَ طالبةً.

استوردت الشَّركة اثْنَتَيْ عَشْرَةَ آلةً. قال تعالى: ﴿ فانفجرت منه اثْنَتَا عَشْرَةَ عَينًا ﴾.

سَلَّمْتُ على اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلاً.

ب - الأَعداد من ثلاثة عشر إلى تسعة عشر: الجزء الأَول منها، يخالف المعدود في التذكير والتأنيث، أما الجزء الثَّاني وهو (العشرة) فتطابق المعدود، وتكون هذه الأعداد مبنية على فتح الجُزْأَيْنِ، مع الاحتفاظ بموضعها من الإعراب، ويكون معدودها مفردًا منصوبًا على التَّمييز. تقول:

بلغَ عددُ المتسابقِيْنَ ثلاثَةَ عَشَرَ رَجُلاً، وأَرْبَعَ عَشْرَةَ امْرَأَةً.

وَصَلَ إلى المدينة أربعةَ عَشَرَ سائِحًا، وَخَمْسَ عَشْرَةَ سائِحَةً.

كانَتْ هَدِيَّتي تِسْعَةَ عَشَرَ كتابًا، وثمانِيَ عَشْرَةَ مَجَلَّةً.

٣ - مجموعة ألفاظ العقود (الأعداد من ٢٠ - ٩٠).

لايُحْكَمُ عليها بتذكيرٍ ولا بتأنيثٍ، بَلْ تأتي بلَفْظٍ واحدٍ سواء أكان المعدود مذكرًا أم مؤنثًا. وتُعْرَبُ إعراب جمع المذكر السّالم. يكون معدودها مفردًا منصوبًا على التَّمييز. تقول:

هؤلاءِ عِشْرُونَ طالبًا، وثلاثُوْنَ طالبةً.

قال تعالى: ﴿ إن تستغفر لهم سبعين مرة ﴾ وقال تعالى: ﴿ فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا ﴾.

٤ - مجموعة الاعداد المعطوفة. وهي الاعداد من (٢١ - ٩٩). ويتألف كُلُّ عددٍ من جزأين: الأول: الأعداد من (١ - ٩) والثاني: الأعداد من

(٢٠ - ٩٠) ويفصل بينهما حرفُ العطف.

أ - العددان واحِدٌ وعِشْرُونَ واثنان وعشرون، وما كان مثلهما إلى واحِدٍ وتِسْعِيْنَ واثنين وتِسْعِيْنَ، الجزء الأول (وهو العددان واحد واثنان) يطابقان المعدود والجزء الثاني (وهو ألفاظ العقود من (٢٠ - ٩٠) لاتُذَكَّرُ ولا تُؤَنَّثُ، بَلْ تأتي دائمًا بلفظٍ واحدٍ. ويعرب الجزءُ الأول حسب موقعهِ في الجملة، أمَّا الثَّاني فيتبع الأول في الإعراب بواسطة حرف العطف ويكون معدودها مفردًا منصوبًا على التمييز. تقول :

في مزرعتنا واحِدٌ وعِشْرُوْن جَمَلًا ، وإحْدَى وثَلَاثُونَ نَاقَةً.

سَجَّل في مساق اللُّغة العربية اثنان وثلاثون طالبًا، واثْنَتَان وخَمْسُونَ طالبةً.

ب - الأعداد من (ثلاثة وعشرين) إلى (تسعة وتسعين) يخالف الجزء الأول منها وهو الأعداد من (٣ - ٩) المعدود في التذكير والتأنيث، وأمَّـا الجزء الثاني فلا يُذَكَّرُ ولا يُؤَنَّثُ. وتَسْرِي عليها نفس أحكام الإعـراب في النقـطة (أ). تقـول في مدينة العَيْن ثلاثةٌ وعشرونُ مسجـدًا، حَصَلْتُ في مساق «الفكر الإسلامي» على تِسْع وثمانِيْنَ درجةً، وكان عدد الطالبات ثَمانِيَ وسَبْعِيْنَ طالبةً.

٥ - مجموعة الأعداد (١٠٠ ، ١٠٠٠) ومضاعفاتهما :

أ - العددان (مائة) و (ألف) لايُحْكَمُ عليهما بتذكير ولا بتأنيث، بل يكونان بلفظٍ واحدٍ سواء أكان المعدودُ مُذكَّرًا أم مؤنثاً. ويُعْرِبَانِ حسب موقعهمـا في الجملة. ويكـون معـدودهمـا مفردًا مجرورًا بالإضافة

إليهما. تقول : سَحَبْتُ من رصيدي أَلْفَ دِرْهَم، فَأَنْفَقْتُ منها مائةَ دِرْهَمٍ.

حَضَرَ إلى الحَفْل أَلْفُ رجلٍ ومائةُ امْرَأةٍ.

ب - مضاعفات العدد (مائة) تقول : مائتان وثلاثمائة، وأربعمائة .... إلى تسعمائة. تجعل (ثلاث) إلى (تسع) بلفظ المذكر وتضيفها إلى (مائة) ويكون المعدود مجروراً بالإضافة. تقول:

بلغَ عددُ الطَّالبات في الجامعة تِسْعَمائةِ طالبةٍ، وسَبْعَمائةِ طالبٍ، هذه ثلاثُمَائةِ درهمٍ.

جـ - مضاعفات العدد (ألف) تقول : ألفان، ثلاثة آلاف، أربعة آلاف .... إلى (تسعة آلاف)، تجعل (ثلاثة) إلى (تسعة) بلفظ المؤنث وتضيفها إلى (آلاف) ويكون المعدود مفردًا مجروراً بالإضافة إلى (آلاف) - تقول :

ادْفَعُوا لأَمْرِ فلان ثلاثة آلافِ درهمٍ فَقَطْ. كان عددُ المُتَفَرّجِيْنَ أربعةَ آلافِ مُتَفَرِّجٍ، خرج منهم ثلاثَةُ آلافِ مُتَفَرِّجٍ.

٦ - الأعداد المُشْتَقَّة على وزن (فاعل):

يجوز لك أَنْ تَشْتَقَّ من الأعداد من (١ - ١٠) عددًا على وزن (فاعل) فتقول :

واحد، ثانِي، ثالِث، رابِع، خامِس، سادِس، سابِع، ثامِن، تاسِع، عاشِر. ولهذه الأعداد استعمالات في الكلام منها :

أ - تُسْتَعْمَلُ بمعنَى الترتيب والتسلسل تقول :

قابَلْتُ الطالِبَ الثَّاني، وهذه الطالبةُ الثَّالِثَةُ، وقَرَأْتُ الصَّحيفةَ الخامِسَةَ، ووَضَعْتُ في مكتبتي الكتابَ التَّاسِعَ.

وتَجِدُ أَنَّ العدد يطابق المعدود في التَّذكير والتَّأنيث، وأنَّه مُتَأَخِّرٌ عن

المعدود، وهو صفة يتبع المعدود في الإعراب.

ب - تستعمـل بمعنى أنَّ المعـدود الموصوفَ بها هو واحِدٌ من مجموعة عددهـا (كذا) لاتـزيد ولاتنقص. ويتمُّ التوصل إلى هذا المعنى بإضافة العدد المشتق على وزن (فاعل) إلى أصلهِ الَّذي اشْتُقَّ منه مثل : ثاني اثْنَيْنِ، ثالِث ثلاثةٍ، رابع أربعةٍ. تقول :

كنتُ في الفَصْلِ ثَالِثَ ثَلاَثَةٍ. أي واحدًا من مجموعة عددها ثلاثة لاتزيد ولا تنقص.

رابعا : التدريبـــات

تدريبــات للكتابــة

١ - ماذا تعرف عن حساب الجُمل ؟

٢ - كان لعقلية الفزاري الفَذَّة أثَرٌ كبير في تطوير الأَرقام العربيَّة. كيف كان ذلك ؟

٣ - اذكر عددًا من الدلائل على أَصالة الأَرقام العربية ؟

٤ - في مجـال الأَرقـام، يتـردَّدُ مصـطلحـان هما : الأرقام الهندية، والأرقام الغبارية، وَضِّح كُلًّا منهما بإيجاز.

٥ - كان للعرب فَضْلٌ على أوربا في مجالات عديدة، ومنها الأَرقام - اشرح هذا.

٦ - كان لبعض المستشرقين الألمان أَثَرٌ في تصحيح بعض الأَفكار الخاطئة. استشهد من المقالة على هذه المقولة.

٧ - رغم وجود تَسْمِيَتَيْنِ : هندية ، وغبارية ، تظل السلستان عربيَّتَيْنِ. استدل على هذا.

٨ - هناك دعوة تنادي باستخدام الأرقام الأُوربية. مانواحي القصور في تطبيق ذلك ؟

٩ - يتضح في هذا المقال : غَيْرَةُ الكاتب على كل ماهو عربي. اشرح هذا.

١٠ - اكتب حسب التعليمات :

أ - تقريرًا بميزانية مدرسة تتضمن الإيرادات والمصروفات.

ب - رسالةً إلى المسئولين بالتلفزيون، تطلب اليهم تعديلَ مَوْعِدِ إرسال بعض البرامج الثقافية.

جـ - انقُلْ من الجريدة اليومية برامج الإذاعة والتلفزيون (اكتب المـواعيد بالحروف بدلا عن الأرقام).

تدريب نحوي

١ - حَوِّل الأَرقام الموجودةَ في النَّصّ إلى ألفاظٍ للأعداد، واضبطها بالشَّكْلِ حسب موقعها في الجملة.

٢ - قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ﴾

أ - ما الذي أَفادَهُ معنَى العدد في الجملة ؟

ب - أعرب ما تحته خط.

جـ - هاتِ أَمثلة من عندك تستخدم فيها العدد المشتق على وزن (فاعل) بهذا المعنى.

٣ - قال تعالى : ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾

أ - ماالذي أفادة معنى (رابعهم كلبهم) في هذه الجملة ؟

ب - هات أَمثلة من عنـدك تستخـدم فيها العدد المشتق على وزن (فاعل) بهذا المعنى.

٤ - استبدل الأرقام التالية بألفاظ مضبوطة بالحركات، وغَيِّر ما يجب تغييره.

- كان عددُ الحاضِرات (٩) طالبة.
- لم يأتِ إلى المحاضرة إلَّا (٨) طالب.
- سَجَّل في مساق اللغة العربية (١٧) طالب و (١٨) طالبة.
- بلغ عدد الطلاب في مساق المجتمع العربي (٩٦) طالب و(٩٩) طالبة. وانسحب منهم بعد التسجيل (١١) طالب و (١٢) طالبة.
- في عام (١٩٨٨) وصل إلى البلاد (٧٠٠) سائح وسائحة، أَنفق كُلٌّ منهم (٤٠٠٠) درهم تقريبًا.

تدريب صرفي

١ - اقرأ النص قراءة جيدة واستخرج منه الأفعال المُعْتَلَّة، واذكر نوع كُلٍّ منها.

٢ - استخرج من النص الأَفعال المزيدة، وبين أحرف الزِّيادة فيها، ثم هاتِ المجرَّد منها.

٣ - قال الكاتب : (اكْتَسَبَ) - (اتَّضَحَ).

أ - زن الفعلَيْنِ المذكورين مع ضبط الميزان بالحركات.

ب - هل تجد أنَّ الفعلَيْنِ لهما الوزن نفسه أَمْ لا ؟ اذكر السبب.

الوحدة الحادية والعشرون

قصـــة قصيـــرة

كانَ يَوْمَذاكَ طِفلاً

للأستاذ غسَّان كنفاني

أولاً : صاحب النَّص

وُلِدَ في مدينة عَكَّا في فلسطين سنة ١٩٣٦ ، وتَلَقَّى دراسته في يافا، ولكن أَلْجَأَتْهُ مأساة فلسطين ١٩٤٨ على النّزوح إلى لبنان، ثم لحق بأفراد أُسرته في دمشق.

رغم قسوة الحياة وقلة الموارد، حاول بعزيمة صادقة أَنْ يُواصِلَ دراسته، حتى حصل على الثانوية سنة ١٩٥٥ ، واتَّجه إلى الكويت وعمل مُدَرِّسًا مدة ست سنوات كان خلالها يواصل تعليمه الجامعي بكلية الآداب في جامعة دمشق، وقام بإعداد بَحْثٍ موضوعه « العِرْقُ والدِّينُ في الأدب الصّهيونيّ ».

ترك الكويت إلى بيروت، وفيها عمل في صحيفة «الحرية» الأسبوعية، ثم مالبث أن انضمَّ إلى صحيفة «المحرر» البيروتية، وأصبح رئيساً لتحريرها.

في سنة ١٩٦٧ أخذ يحرر في صحيفة «الأنوار» وكان له بها عمودٌ يوميّ في صفحتها الأولى، تحت عنوان: « أنوار على الأحداث » ناقش فيه أهم القضايا العربية، وفي مقدمتها قضية بلاده : فلسطين.

وفي يوليه سنة ١٩٧٢ امتدت إليه يد الغدر الأثيمة، فاغتاله اليهود في منزله ببيروت، ولم يتجاوز السادسة والثلاثين من عمره.

عالج غسان البحث والقصة والرواية، ولكنَّ شَغَفَهُ بالقصَّة فاقَ ماسواها. وقِصَصُهُ تُعالجُ مَأْسَاةَ قومِهِ، وكَارِثَةَ بلاده. وأشخاصُ قِصَصِهِ - كما يشير الدكتور إحسان عباس - من أبناء الشَّعب البسطاء، وكثيرٌ منهم أطفالٌ أو شُبَّانٌ يعملون بدافع من صدق الفطرة دون أنْ يبلغوا سنَّ الحِكْمَة، وهم في عمومهم واقعيون لايعرفون اليَأْسَ، لأنَّ لهم رِسَالةً في الحياة.

ثانيا : النص

كانَ يَوْمَذَاكَ طِفْلاً

مَسَحَ الزَّبَدُ المُتوهِّجُ باحمرار الشُّروق رِمالَ الشَّاطِيء الفِضِّيّ، وكانت أشجارُ النخيل المعْوَجَّةُ تَنْفُضُ عن سعفها الكسولة المسترخية نوم ليلة البارحة، وترفع أذرعتهـا الشَّوكية إلى الأُفق حيثُ كانت أسوار عَكَّا تَشْمَخُ فوقَ الزُّرْقَةِ الدَّاكِنَةِ، وإلى يمين الـطَّريق القادم من حَيْفَا، مُصعداً إلى الشَّمال كان قرص الشَّمس الكبير يطلُّ من وراء التِّـلال فيصبـغُ رُؤوسَ الأشجـارِ، والماءَ والطريقَ، بلونٍ أرْجُوانيّ مُتَضَرِّج بالحَيَاءِ المُبَكِّر. تناولَ أحمدُ شبابة القصب من السَّلَّة واتَّكَأَ في رُكْنِ السَّيارة وأَخَذَ يَنْفُخُ عِتَاباً مجروحةً، لعاشق أبديّ، استطاع أن يعيش في كل القرى التي تتناثر كنجوم أرضية ساكنة، في طول الجليل وعَرْضِهِ.

وفيما كان « الباص » يَنْسَرِبُ في أنفاس الشُّروق، كان اللحْنُ المجروح يُكَمِّلُ الطَّبيعة، وهذا تماماً هو السببُ الذي من أجله لم يُفَاجِيء النَّغَمُ أحداً من ركاب السَّيارة، فقـد كانـوا يتـوقَّعُـونَ أنْ يَنْبَثِقَ اللَّحْنُ انبثـاقـاً من كُلِّ شيءٍ حولَهم، والمُفَاجِيءُ كانَ افتقاده، في واقع الأمر.

كانت الحقـول تَنْسَـرِحُ إلى اليمين، تَمُـوجُ بالاخضـرار المُضَـرَّجِ ، وكانت الأَمـواج تُواصِلُ محاولاتها الأَبدية في تَسَلُّقِ الرَّمْلِ الفِضِّيِّ، وفي ذلك الكون الصغير المُطَوَّق بمَعْدِنِ السَّيارة، باللَّحْنِ الكامد كانت علاقَةٌ من نوعٍ ما، غير منطوقة وغير مرئيَّة، تربط بين عشرين إنساناً لم يتبادلُوا، خِلالَ حياتهم كُلِّها، إلاّ تَحِيَّةَ ذلك الصَّباحِ وهم ينتظرون السَّيارة في شارع الملك فيصل بحَيْفَا.

وكـان العـالَمُ الصَّغيرُ ذاك مزيجـاً من عُمَّالٍ امتصَّهم المِيْنَاء، مثل شَافِطَةٍ وحشيَّةٍ، من كل ثقوب « الجليل »، وَفَلاحِيْنَ من قضاءِ حَيْفَا صاهَرُوا، مُنْذُ زمنٍ لا يستطيعون الوصول إليه بذاكرتهم، رجالاً ونساءً في قضاءِ صَفَد، وطِفْلٍ واحدٍ

من « أمّ الفرج » أرْسَلَتْهُ أُمُّهُ إلى حَيْفَا ليرى فيما إذا كان أبوه ما يزال حَيًّا، وهو يعـود الآن بالجواب، ومُحامٍ وُكِّلَ بقضيَّةِ أرْضٍ في « الكابري » ويَتَعَيَّنُ عليه فَحْصُهَا قبلَ جَلْسَةِ المحكمة، وامرأةٍ تَسْعَى إلي خَطْبِ فتاةٍ لوحيدِها، وسِلالٍ فيهـا طَعَامٌ وخُبْزٌ مَرْقُوقٌ وحَمَامٌ طُبِخَ في الطَّوابين، ولُعَبِ أطْفَالٍ، وصَفَّارَاتٍ، وَمكَـاتِيْبُ حُملَتْ على المـوقف من غُرَبَاءَ إلى غُرَبَاءَ، وشبَّابةٍ من قَصَبٍ لِفَتيً أُغْلِقَتْ مَدْرَسَتُهُ قبلَ يومٍ واحدٍ فقط، وسائقٍ يَعْرفُ الطَّريقَ مْثلَمَا يَعْرفُ زوجتَهُ.

من حيفا، إلى الطَّريق المُتَعَرِّجِ الَّذي يُطَوِّقُ الخَليجَ كالعِقْدِ، صُعوداً حيثُ يَنْبَثِقُ النَّخِيْلُ مَطْعُوجًا حائِراً في عراكه الصَّامت المُمِضِّ مَعَ الرِّياحِ القادمة من البحـر، فوقَ نَهْـرِ « النعمين » الـذي يصب حزيناً مُتْعَبَاً ولكن نقياً في المَوْجِ الصَّاخِبِ فيرده، بهدوء عنيد، إلى الوراء، ومن هناك تتسلق السيارة الطريق إلى عكّـا، إلى « المَنْشِيَّة »، إلى « السميرية »، « المـزرعـة »، إلى « نَهَـاريَا »، لتنعطفَ شرقًا وتَغُوصَ عبْرَ عَشَرَاتٍ من القُرى، مُلْقِيةً طِوالَ الطَّريق راكبًا هنا وسَلَّةً هناك ورسالةً إلى رجلٍ يَنْتَظِرُ، وزوجاً لامرأةٍ لم تستطِعْ أنْ تَنْتَظِرَ.

قال رجلٌ لآخَرَ يَجْلِسُ قُرْبَهُ:

– هذا الفَتَى يَلْعَبُ الشَّبابة جيداً.

إلّا أنَّ الرَّجُلَ الآخَرَ لم يُجِبْ، أَطْلَقَ بَصَرَهُ عِبرَ النَّافذةِ، وتَرَكَ لِلَّحْنِ أنْ يَخُضَّهُ، كجَرَّةِ الزُّبْدَةِ.

وألْقَى الطِّفْلُ رَأْسَهُ في حضنِ العجوزِ التي تجلس قُرْبَهُ ونَامَ، وحَضَرَتِ آمْرَأَةٌ أُخـرى، لا تَعـرِفُهُ، رقاقَةٌ مَحْشُوَّةٌ ببيض مَسْلُوقٍ مُبَهَّرٍ وجَعَلَتْ تَنْتَظِرُ أَنْ يَصْحُوَ لِتُطْعِمَهُ ودَنْدَنَ السَّائقُ أُغْنِيَةً تَتماشَى مع اللَّحْنِ، عن فَتَىً يَستطيعُ أنْ يَشِيْلَ جَبَلاً ويَضعَهُ فَوْقَ بَيْتِ الفَتَاةِ الَّتي أَحَبَّ، إذا تَرَدَّدَتْ في الهُروبِ إلى كَهْفٍ ليس فيه إلَّا الحَصِيرةُ والرَّغيفُ وحَبَّاتُ زيتونٍ، وصدره.

عَكَّا، أمام الشبابيك، المقبرة أولاً إلي الطريق مع المنعطف، ثم محطة إلي اليَسَـارِ وتمضي فيمـا بعـد، البيوت المبنية بالحَجَـرِ القُـدْسِيّ المنفـوخ، مثل

الرَّغيف، ووراءها حدود « الحديقة العامَّة » تصفر فيها أشجارُ الكينا العالية، ومن بعيد تبدو قِمَمُ السُّورِ وأبْرَاجُهُ من حَجَرٍ بُنِّيٍّ أَطَلَّت الأعشابُ الخضراءُ من شُقوقِهِ ، وإلى اليمين كانت بيوتٌ جديدة، صغيرة ومزروعة مع ورد عصنابي غزير تنبثق صَفًّا وراء صَفٍّ، وفي الأُفق كان « تَلِّ الفخار » وقوراً بقمَّتِهِ المُسَطَّحَةِ وسَفْحِهِ المُسَالِمِ المزروعِ بقبورِ جنودٍ لم يُورثهم عنادُهُم إلّا المَوْتَ دون أنْ يَرَوا أبْعَدَ من السُّور، ثم، إلي اليسار، مَبْنَي الصِّحية الحَجَرِيّ، وسلسلة المرائب التي لا تنـام وهي ترقب صفـوفـاً من الـدَّواليب ترتفـع كالبراميل أمام بَوَّاباتها المُلَطَّخَةِ بالشَّحْمِ ، وسَيَّارات محطومة تَتَسَلَّقُهَا النَّباتات البرِّية بانتظارِ أنْ تُصْلَحَ أوْ تُوْزَنَ أَوْ أنْ يَأْكُلها الصَّدَأُ.

خَلَعَ رَجُلٌ مِعْطَفَهُ وغطَّى الطِّفْلَ، وتناولَ رَجُل آخَرُ، اسمُهُ صَلاَحُ، برتقالةً من سَلَّتِهِ، قَشَّرَهَا وقَدَّمَها إلى جَارِهِ أولاً كما تقتضي الأُصول، وتَحَدَّثَ رجلات آخران عن موسم الـزيت، وَرَوتْ امـرأةٌ بدينـةٌ، كانت قد ذهبت إلى الحَجِّ قبلَ عامٍ واحدٍ، كيفَ نَسَفَ اليهودُ في يافا داراً للأَيتام وكَيْفَ تناثَرَتْ جُثَثُ الأَطفالِ على قُوَّهَـةِ شارع « اسكندر عوض » مَمْزُوجَةً بَحَبَّاتِ البرتقال المفزورة، فقد وُضِعَ اللُّغَمُ في سَيَّارة شَحْنٍ مَمْلُوءةٍ بالبـرتقال أُوقِفَتْ أمامَ دَرَجِ المَيْتَمِ ، وقالَ شَيْخٌ مُعَمَّمٌ: إنَّ مَنْ يَقْتُلْ يتيماً فسيقطعُ الله يَدَيْهِ، وإنَّ قُدْرَةَ الله عَلَى الانتقامِ ، في هذه الحَالَةِ، لا يَتَطَرَّقُ إليها الشَّكُّ.

قبل « نهاريا » بخمس دقائِقَ، صَحَا الطِّفْلُ، وَتوهَّجَت الشَّمْسُ، وحضر رَجُلٌ نفسه ليغادِرَ السَّيَّارَةَ، وشُوْهِدَتْ عَرَبَةٌ مُحَمَّلَةٌ بالخضار يَجُرُّهَا حِمارٌ أبيضُ صغيرٌ على طرف الطَّريق، وصَمَتَت الشَّبابة، وقال السائِقُ بصوتٍ مُرْتَفِعٍ : « خَيْرٌ إنْ شاء الله! » وأَطَلَّ الرِّجالُ، من فوق ظهور المقاعد، ، إلى الطَّريق، وقال أحمدُ: « دَوْرِيَّةٌ »، ولكِنْ صَلاَحُ صَحَّحَ : « لا ، إنَّهم يَهُودُ ». وقالت الحاجَّةُ: « يالطيفُ الطُفْ »، ثم وَقَفَت السَّيارةُ وأَطْفأَ السَّائِقُ مُحَرِّكَهَا.

- انزلُـــوا.

قالها جنديٌّ بلباسٍ داكنِ الخُضْرَةِ يحملُ مدفعاً رَشّاشاً قصيراً وهو يطلُّ برأسه إلى الدّاخل، نَزَلَ السّائق أولاً، مُمْسِكاً بيد الطِّفْلِ، ثم أُنْزِلَت النِّساءُ، وجاءَ دورُ الرِّجالِ فيما بَعْدُ.

وجَـرَى تفتيشٌ دقيقٌ للبَشَرِ أولاً، ثُمَّ بُقِرَت السِّلالُ، وفُتِحَت الصّررُ البيضاءُ المعقودةُ بعنايةٍ، وأَعْلَنَ الجنديان اللَّذان قاما بهذه المهمة لقائدهما، وكان رجلاً سميناً قصيراً يَتَمَنْطَقُ بمسدَّسٍ صغيرٍ ويحمل عَصَاً سَوْدَاءَ، أَنَّ السِّلالَ والصّررَ خاليةٌ من السِّلاحِ . . .

وقـال القـائدُ القصيرُ لجنديٍّ وقفَ إلى جانبه: هاتِ الطِّفْلَ. ثم أشارَ إلى رجاله بأطرافِ أصابعه إشارةً دائريةً، فانبرى هؤلاءِ إلى وَضْعِ الرِّجالِ والنِّساءِ في صَفٍّ واحدٍ، على جانب الطريق، وكان مجرى من الماءِ يمتدُّ وراءَهم مباشرةً، ثم أحصى العَدَدَ وأعلنَ بالعِبْرِيَّةَ: خَمْسَةَ عَشَرَ.

ضرب القائد عصاه السَّوداء على فَخِذِهِ ضربةً رقيقةً، وكان الطِّفْلُ واقفاً إلى جانبه غَيْرَ واعٍ لأيِّما شَيءٍ، ثم سار بخطوات قصيرة حازمةٍ أَمام الصفِّ المترقب، وبدأ:

- «إنَّها الحَرْبُ، أيُّها العَرَبُ. . وأنتم كما تقولون دائماً شجعانٌ، أما نحن فمُجَرَّدُ فِئْرَانٍ، تعالَ أنتَ».

ومن وراء سيارة صغيرة برزت صبيَّةٌ تلبس سروالاً قصيراً، وتُعَلِّقُ على كتفها رَشَّاشاً، ووقفتْ مُبَاعِدةً ما بين سَاقَيْها العاريتَيْنِ على الطَّرفِ الآخر من الشَّارع:

- «هذه حِصَّتُكِ اليوم».

سقطوا في الخَنْدَق، وغَرقَتْ وجوهُهم وأَكُفُّهُم في الوَحْل، وقد تَكَوَّمُوا هناك كُتْلَةً مُتـراصَّـةً واحدةً مُخْتَلِطَةً اختلاطاً دَمَوياً، فيما كان خَيْطٌ من الدَّمِ الأحمرِ يتسرَّبُ من تحت أجسادِهم، ويتجمَّعُ، ويَنْسَابُ مع جدول المياه إلي الجنوب.

التفتَ الرَّجُلُ السَّمينُ إلى الطفل وانحنى قليلا مُمْسِكاً أُذُنَهُ بقَسْوَةٍ بين إصبعَيْهِ:

- « هل رَأَيْتَ؟ تَذَكَّرْ هذا جيداً وأنت تحكي القِصَّةَ. . » ثم انتصب، وبعصاه السوداء صفع الطفل على مؤخرته ودفعه إلى الأمام:

- « هَيَّا - اركُضْ بأقصى ما تستطيع، سوف أَعدُّ إلى العشرة ثم سَأُطْلِقُ عليك النَّارَ، إذا لم تكن قد ابتعَدْتَ بصورة كافية. ».

ولوَهْلَةٍ لم يصدق الطفلُ شيئاً، ولَبثَ ثابتاً في الأرض كأيِّ شَجَرة من الأشجار المزروعة حولَهُ ينقلُ بَصَرَه، وقد سقط فَكهُ فكشف أسنانه الناقصة، بين الخندق وبين الفتاة ذات الساقَيْن العاريتَيْن. وفي اللَّحْظَةِ التَّالية جاءَتْهُ الضَّربةُ الأُخرى بالعصا السوداء فأحسَّها تَسْلَخُ لَحْمَهُ، ولم يكن ثَمَّةَ ما يفعله غير أنْ يُطْلِقَ ساقَيْه للرِّيح وقد اغتسل الطريق أمام عَيْنَيْهِ، بغشاوةٍ من الدّوار والضّباب والبكاء.

ورغم ذلك، فقد وصلت إلى أُذُنَيْه أصواتُ ضحكاتهم الصاخبة فوقف، لم يَدْرِ كيف حدث ذلك ولماذا، ولكنَّهُ وقفَ، ووضع كَفَّيْهِ في جَيْبَيْ سروالِهِ وسار بخطواتٍ ثابتة هادئةٍ وَسْطَ الطَّريق دون أَنْ يَلْتَفِتَ إلى الوراء.

وبينه وبين نفسه فقط أخذَ يَعُدُّ عَدّاً بطيئاً: واحد، اثنين، ثلاثة. . .

ثالثاً : الشرح والتعليق :-

القصة القصيرة من الفُنون النثرية المهمة الشَّائعة في أدبنا العربيّ الحديث، ولها قواعِدُ مُعَيَّنةٌ يلتزم القَاصُّ بها في سبيل إدراك النَّجاح لقصته وتقديمها بشكلٍ فنيٍّ مُتَمَيِّزٍ، والنَّصُّ السابق للقاصّ غسان كنفاني يُمَثِّلُ واحدة من قصصه القصيرة التي اتخذها أسلوباً للتعبير عن قضايا بلاده وأُمَّتِه. وتُبَيِّنُ القراءة الأولى لها أنَّ القاصَّ ينتقي حَدَثاً مُعَيَّناً وشخصياتٍ بعينها، كما إنَّه يعمد إلى اللغة المُكَثَّفةِ المُوْحِيَةِ ليصبَّ من خلالها ما يريد.

الأحداث بسيطة تَتَلخَّصُ في حافلةٍ تنقل أشخاصاً متباعدِينَ لا يعرف بعضُهم بعضاً إلى مكانٍ مُعَيَّنٍ، يلتقون بدَوْرِيَّةٍ صهْيُونيَّةٍ تقومُ بإيقاف الحافلة، وقَتْلِ الرُّكاب جميعاً، بإطلاقِ الرَّصاص عليهم ما عدا طفلاً واحداً يُتْرَكُ ليحكي مارَأى. ونلاحظ من هذا العَرْضِ المُوجَزِ أنَّ حَدَثاً محورياً تدورُ حولَهُ القِصَّةُ، وهو الحافلة والدورية الصَّهيونية، فهو لم يُدْخِلِ إلى القصة ما ليس له علاقة بهذا الحدث مثل معسكر الدورية مثلاً، أو تاريخ الاحتلال أو نماذج من قسوته، فهذا يُدخِلُ إلى القصة عناصِرَ غريبةً عليها، بل نراه يَعْمَدُ إلى الانتقاء والإلحاح عليه وعدم الاعتناء بأحداث جانبيَّةٍ تَضُرُّ بهيكل القِصَّة وتميل بها إلى التَّرَهُّلِ على حساب الجودة، ونرى القاصَّ يميلُ إلى الوصف أيضاً وهو وَصْفٌ مقصودٌ محسوب كذلك، مثال ذلك طبيعة فلسطين الجميلة التي تُوْحِي بالجمال والخضرة والتجدد، فوصْفُ الطبيعة جاء في مقابل مَنْ يريدون اغتيال الطبيعة والجمال في أيّ شيء جميل، وهذا يُنمِّي أحداث القصة ويضيف إليها أبعاداً جديدة. وذلك الموقف الرهيب الذي وصفه القاص حينما تُصَفُّ مجموعة الأبرياء انتظاراً لقتلهم على جانب الطريق « وكان مجرى من الماء يمتد وراءهم مباشرة »، ومجرى الماء عنصر فاعل في القصة، إنَّه الحياة الجارية المستمرة مقابل الدم والموت، إنَّه النَّقاءُ والرِّقَّةُ مقابل القسوة والتلوث. لم يقل القاصُّ لنا

هذا كُلَّهُ، ولكنَّـهُ باستخدامه الوَصْفَ الدقيقَ، قال في كلماتٍ ما يُعبِّرُ عنه في سطور كثيرة.

والشخصيات هي الأخرى مُوَظَّفَةٌ لتقول ما يريده القاصُّ منها، لم يَتَحَدَّثْ عن تاريخها أو حياتها السَّابقة، ومشاغلها الخاصة، فهذا ليس له علاقة بما القصة فيه، اختار قطعة من حياتها ووضعه في القِصَّة، وجاءت أوصافها مَرَّةً أخرى لتدل على تلك القطعة وتشير إليها، وقد ساعد هذا إلى حَدٍّ كبير في تعميق الإحساس بهـذه الشخصيات والتفاعل معها، فإذا أضفنا إلى ذلك حوارها القصير المعبر أدركنا كم تكاتفتْ عواملُ مختلفةٌ في إنجاح أدوارها، وتعميق تأثيرها.

ولا يفوتنا أنْ نُشيرَ هنا إلى أسلوب المفارقة الذي اعتمده القاصُّ وهو من أركان القصـة القصيرة المهمة، فهو يُلفتُ العَيْنَ ويبهرُ الذِّهْنَ ويَشْحَذُ العَقْلَ ويجعل القاريء متحفزاً مشدوداً ينتظر النهاية، فإذا كانت هذه النهاية في حَدِّ ذاتها مفارقة هي الأخرى تَيَقَّنّا أهمية هذا الأسلوب وخطورته في البناء والنهاية، وقد حفلت القصـة بنماذجَ من هذه المفارقة مثل المَيْتم الذي يُنْسَفُ، والجثث المختلطة بالبرتقال، والطفل الذي ينجو من الموت ولايعرف السبب، وهنا ذروة المفارقة حين يضـع يدَيْهِ في جَيْبيْ سروالـه، ويسير بخطوات ثابتة ولقد رأى قبل قليل مصرع خمسة عَشَرَ إنساناً، إنَّ النهايةَ تَحْكِي أشياء كثيرة، فهي قصة لم تنتهِ بَعْدُ، وهذا الطِّفْلُ هو المستقبل، وهذه الخُطُواتُ الثَّابتة هي وضوح الرُّؤيا، وفرز العدو ومعرفته معرفة دقيقة، إنّه الأمل الممزوج بالحزن والدَّم، ولابُدَّ لهذا العَدّ الذي بَدَأَهُ الطِّفْلُ من نهاية.

رابعاً : التدريبـــات:-

(١)

أجب عَمَّا يأتـــي:

١ - تشتمل القصة على عدد من العناصر هي :

الحَـدَثُ (أو الأحـداث) - الشخصية (أو الشخصيات) - البيئـة - الهـدف - الأســلوب.

ناقش كُلًّا من هذا حسب ما فهمت من قصة غسان كنفاني .

٢ - يذكر نقاد القصة أن البطل قـد يكــون:

إيجابياً، أو فاشِلاً، أو سلبياً، أو مقهوراً.

ماذا يعني كلُّ واحد من هؤلاء في نظرك؟ وبماذا تَصِفُ بطل القصة السابقة؟

٣ - لو طُلِبَ إليك تغييرُ عنوان هذه القصة، فماذا تختار عنواناً لها؟

٤ - هل يَصِفُ غسان كنفاني أشخاص القصة من الخارج فقط، أم أنَّهُ يتعمَّق في تحليل نفسياتهم؟ اذكر رأيك.

٥ - استفادت القصة القصيرة الحديثة عموماً من معطيات كثيرة مثل:

الاقتباسات / الصـور البيانية / اللوازم الأسلوبية.

هل هناك نصيب من هذا أو بعضه في قصة كنفاني؟

اذكر رأيــك.

٦ - تتردد دائما مقولة: هل الفنُّ للفن أو الفن للمجتمع؟

بماذا تفسر هذا؟ وإلى أيِّهما تنتمي قصة كنفاني؟ ولماذا؟

٧ - ظهرت البيئة واضحة جلية في قصة غسان كنفاني. دلل على هذا.

٨ - هل تم عرض الأحداث في القصة بطريقة شاملة أم انتقائية؟

أجب عن هذا بالتفصيل.

٩ - ماذا تعرف عن أُسلوب المفارقة؟ وكيف وَظَّفَهُ القاصُّ؟

١٠ - ما رأيك في نهاية القصة؟ وهل جاءت طبيعية؟

(٢)

١ - اقرأ القصة قراءة جيدة واستخرج منها ما يلي.

أ - الجمل المنسوخة بأفعال ناسخة، واذكر اسم الفعل الناسخ وخبره، وبين نوع الخبر.

ب - مفعولاً مطلقاً، واذكر علامة إعرابــه.

جـ - حالاً واذكر علامة إعرابــه.

د - مُثَنًّى، واذكر علامة إعرابــه.

هـ - حالاً جاءت جملة فعلية، وأخرى جاءت جملة اسمية.

٢ - وردت في القصــة أعداد، اكتبها في كراستك، وطبق عليها مادرسته من أحكام العدد. ثم أعرب العدد والمعدود في كُلّ ٍ منها.

٣ - اكتب في كراستـك الفقـرة التي تبـدأ بقـوله: «وكان العالم الصغير ذاك مزيجاً.. إلى قوله: «مثلما يعرف زوجته». واضبط كُلَّ كلمة فيها بالشكل.

٤ - اقرأ القصة قراءة جيدة واستخرج منها كُلَّ اسم مجرور بالحرف، أو مجرور بالإضافة، واذكر علامة الجر.

(٣)

١ - اكتب المصادر الواردة في القصة في كراستك، ثم هات فعلَ كُلّ ٍ منها.

٢ - هات مصادر الأفعال التاليــة.

مَسَــحَ - تنــاولَ - تَنْـسَــرِحُ - تَمُــوجُ - صَاهَــرُوا - تَسْـعَـى - أَغْلَقَــتْ - تَــرَدَّدَتْ - تَحَّــدَّثَ - سَــارَ - سَــقَطَ - وَصَــلَ.

الوحدة الثانية والعشرون
مسرحية ذات فَصْلٍ واحدٍ

للأستاذ / توفيق الحكيم
١٨٩٨ - ١٩٨٧ م

أولاً : صاحبُ النَّـصِّ:-

قَصَصِيٌّ وكاتِبٌ مسرحيٌّ مِصْرِيٌّ، وُلِدَ بالاسْكَندرِيَّةِ، وسافَرَ إلى فرنسا لدراسةِ القَانونِ، ولكنَّهُ كانَ مَيَّالاً أكثرَ للأدبِ والفَنِّ.

بعدَ عَوْدَتِهِ، تَولَّي عدداً من الوظائِفِ، إلى أنْ عُيِّنَ عُضْواً مُتَفَرِّغاً بالمَجْلسِ الأعلى للفُنونِ والآدابِ.

بَدَأَ إِنْتَـاجَـهُ الأدبيَّ في أوائلِ العِقْدِ الثالثِ من القرنِ العِشْرين، حَيثُ بَدَأَ بمســرحيّاتٍ مُثِّلَتْ في وَقْتِهَـا، ولكنَّ إِنْتَاجَهُ الكبيرَ لم يَظْهَرْ إلاَّ بَعْدَ عَوْدَتِهِ من باريس بسَنَواتٍ، فأَخَذَ يُخْرِجُ في تتابُعٍ سَرِيْعٍ سِلْسَلَةَ أَعْمَالٍ ناضِجَةً جَعَلَتْهُ يُعْدُّ أَكْبَرَ كاتبٍ رِوائيٍّ و مسرحيٍّ في العربيَّةِ.

من أعماله: أَهْلُ الكَهفِ، عَوْدَةُ الرُّوحِ ، شَهْرَ زاد، يوميَّاتُ نائبٍ في الأرياف، عُصفورٌ من الشَّرقِ.

تُرْجِمَتْ بعضُ أعمــالِـهِ إلى الفرنسيَّةِ والإنجليزيَّةِ والأسبانِيَّةِ، كما مُثِّلَتْ بعضُ مَسْرِحِيَّاتِهِ على مَسارحِ باريسَ وبوخارست.

موضـوعاتُهُ مُسْتَمدَّةٌ من الحياةِ المُعَاصِرَةِ، ومن القَصصِ العربيِّ القديمِ، والأساطيرِ اليونانية والفرعونيَّة.

أَمَّا رِواياتُهُ فوثيقةُ الارتباطِ بالحياةِ القوميَّةِ والاجتماعيّةِ بمصرَ منذُ ثورة ١٩١٩. وقد عَبَّرَ عن آرائِهِ النقديَّةِ في كتابهِ « فَنّ الأدب » ١٩٥٢ وفي مُقدّماتِ بعضِ مسرحيَّاتِهِ. له أيضاً: المَسْرَحُ المُنوَّعُ، ومَسْرَحُ المُجْتَمعِ.

ثانياً : نَـصُّ المسرحية : –

بهو استقبال صغير في « شقة » يقطنها زوجـان وحيدان. . . كل شيء فيها ينم على البساطة والهدوء والاطمئنان. . . وفي وسط البهو منضدة عليـها حقيبة صغيـرة مفتوحـة لمندوب شـركة التأمين على الحياة وهو يقدم إلى الزوج عقدا. ويناوله قلما من الأبنوس. . .

مندوبُ التأمين : وَقِّعْ بإِمْضائِكَ هُنا. . . بَقلَمِي الأَبَنْوسِ. . . فهو يَجْلِبُ السَّعْدَ.

الزَّوجُ : «وهو يُلْقِي على العَقْدِ نَظْرَةً أحيرةً، إذا متُّ فإنَّ زَوْجَتي تَقْبِضُ من الشَّركةِ أَلْفَيْ جُنيهٍ؟. . .

المندوبُ : في الحالِ بُمجَرَّدِ الوَفَاةِ. . .

الزوج : « وهو يَتَناولُ منه القَلَمِ » إليك إمْضَائي. . .

« يوقع علىٰ العقد ثـم يضـع القلـم فـوق المضـدة ويسـلم العقد للمندوب. . . . .

المندوبُ : « وهو يَتَناولُ العَقْدَ » مبروك!. . .

الزوجُ : على وَفَاتي؟!. .

المندوبُ : على إِتْمامِ « البوليصة ». . .

الزوجُ : أَهَمُّ شيءٍ عندي هو أَنَّ زوجَتي لا تَعْلَمُ هذا التَّامِين وأَنَا على قَيْدِ الحَيَاةِ. . . إنَّهـا رَقيقةُ الشُّـعورِ. . . شَـديدةُ الإخلاَصِ إلى حَـدٍّ يُؤَثِّر أحياناً في صحَّتِها. . . ما مِنْ أَمْرٍ يُزْعجهُا في النَّهارِ ويُؤرِقُها في اللَّيلِ إلاّ فِكْرَةُ مَوْتي قَبْلَها. . . فهي لا تُطيقُ أنْ تَتَصَوَّرَ هذا يَحدثُ يوماً. . . وإذا مَرَّ شَبَحُ ذلك بخاطرِها صاحت: اللَّهُمَّ اجعلْ يومي قبلَ يومِهِ!. . ولكنّي أنا أشدُّ منها انزعاجاً، ولا أسأَلُ الله شيئاً إلاّ أنْ

يجعلَ يومي قبلَ يَوْمِهَا!.

المندوبُ : ما شاء الله!... إخْلَاصٌ مُتَبادَلٌ...

الزوجُ : لذلِكَ أَخْشَى أنْ يَبْلُغها خَبَرُ هذا التَّامينِ على حياتي مِنْ أَجْلِهَا فَتَتَشاءَمَ، ويَتَمَلَّكُهَا الفَزَعُ!...

المندوبُ : اطْمَئِنَّ!... لَنْ يَبْلُغَها شيءٌ مِنْ جِهَتِنَا.. المُحَافظةُ على الأسرارِ مِنْ أَهَمِّ واجباتِنَا واختصاصَاتِنَا...

الزوجُ : مِنْ حُسْنِ الحظِّ أنَّها الآنَ فوقُ... عِنْدَ الجيرانِ... تَعُودُ فتاةً مريضةً، ولكنْ.. إذا شاءَتْ المصادَفَةُ السَّيّئةُ أنْ تَلْقَاكَ هنا أو تُفَاجِئُكَ.. فَحذَارِ أنْ تُخْبِرَهَا أنَّكَ مَنْدُوبُ شَركةِ التَّامينِ على الحَيَاةِ!...

المندوبُ : لا تَخَفْ!... اعْتَمِدْ على لَبَاقَتِي...

الزوجُ : إنّي مُعْتَمِدٌ على الله وعَلَيْكَ وعلى الشَّركةِ في أَنْ تَعِيشَ أَرْمَلَتِي في سَعَةٍ وبُحْبُوحَةٍ وعِزَّةٍ وراحَةٍ...

المندوبُ : لكنَّ في العَقْدِ شَرْطَاً، إذا تُوفِّيَتْ أَرْمَلَتُكَ قبلَكَ. أَقْصِدْ زَوْجَتَكَ. فإنَّ كُلَّ مادَفَعْتَهُ أنتَ من أقساطٍ، وإنْ بَلَغَ المئات، يَضِيعُ عليكَ...

الزوجُ : « فَزَعَاً » صَهٍ!... تُتَوَفَّي قَبْلِي... تَمُوتُ قَبْلي... ومافائِدَةُ حياتِي بعدَها... وما قيمةُ مالي... ولماذا أُطالِبُكُم بشيءٍ... وأُفكِّرُ في شيءٍ... أَجُنِنْتَ أيُّها المجنُونُ... أيُّها المندوبُ...

المندوبُ : عَفْوَاً... مَعْذِرَةً... إني ما قَصَدْتُ إلاّ مُجَرَّدَ الإشارَةِ إلى نَصٍّ من نُصوصٍ...

الزوجُ : كَفَى.. لا أُرِيْدُ أَنْ تَقَعَ عَيني على مِثْلِ هذا النَّصّ المُؤلم..

المندوبُ : خَانَتِنْي اللَّبَاقَةُ.. سَامِحْنِي.. سَأَحْتَاطُ منذُ الآن... كُلُّ ما أَرجُوهُ أَنْ تَرْضَى... وأَنْ يُطِيلَ الله بقاءَ السِّتّ...

الزوجُ : وأنْ يَتوفَّاني قبلَها . . .

المندوبُ : أنْ يَتوفَّاكَ قبلَها. . . وتَقبضُ هي مبلَغَ التَّأْمِينِ في خيرٍ وسُرورٍ

. . . « يحمل الحقيبة الصغيرة ويتأهب للانصراف. . »

الزوجُ : تَنْصَرِفُ. . . ولَمْ أُقَدِّمْ إِليكَ القَهْوَةَ. . . لا تُؤاخِذْنَا. . . خادِمُنَا اليومَ في إجازَةٍ. . وأَنَا والسِّتُّ وَحْدَنَا في « الشَّقَّةِ ». . وهي كما قُلْتُ الآن لكَ فوقُ عَنْدَ الجيرانِ. . .

المندوبُ : لا داعيَ للكُلْفَةِ. . . إنِّي سعيدٌ أَنْ أَكُونَ دائماً في خِدْمَتِكَ.

الزوجُ : تَذَكَّرْ دائِماً. . . زَوْجَتي لا يَجبُ أَنْ تَعْلَمَ. . .

المندوبُ : لَنْ تَعْلَمَ. . . إِلى اللِّقاءِ. . .

«في هذه اللحظة يُدْفَعُ بابُ الشَّقةِ المفتوحِ وتظهر الزوجةُ نازلةً من عند الجيران. . . فترى المندوبَ متجهاً إلى الباب وفي يدِه الحقيبةُ الصغيرة. . . . . »

الزوجةُ : « للمندوبِ بلهجةٍ سريعةٍ » الدُّكتورُ. . . حَضْرَتُكَ؟. . . الدُّكْتورُ؟. . .

المندوبُ : « مُفَاجَأً » أنا؟. . .

الزوجُ : « للمندوبِ بسرعةٍ » زَوْجَتي. . . زَوْجَتى. . .

المندوبُ : السِّتُّ؟. . . آه. . . تَشَرَّفْنَا ياهانم. .

الزوجةُ : وحَضْرَتَكَ طَبْعاً. . .

الزوجُ : «بارتباكٍ» نَعَمْ. . . حَضْرَتُهُ طبعاً. . .

الزوجةُ : الدُّكْتُورُ. . .

المندوبُ : « ينظرُ إلى الحقيبةِ الصغيرةِ في يدِهِ » دكتورٌ؟ . . .

الزوجُ : «يَغْمِزُ بعينِهِ للمندوبِ» نَعَمْ . . . دُكتُورٌ . . . ولكِنْ اطْمئِنِّي . . . اطْمئِنِّي . . . إنِّي في أَتَمِّ صحَّةٍ . . . .

الزوجةُ : الدُّكتورُ طبعاً غَلِطَ في الطَّابقِ... المريضةُ فوقُ عَنْدَ الجيران...
لَقَدْ طَلَبُوكَ بالتليفُون منذُ نِصْفِ ساعةٍ..

الزوجُ : اِصْعَدْ يادكتورُ... اِصْعَدْ..

المندوبُ : سَأَصْعَدُ... حالاً...

« يتجه بسرعة إلى الباب كمن يريد أن ينجو بنفسه من الموقف... »

الزوجةُ : انْتَظِرْ يادكتورُ... حَذَارِ أنْ تقولَ للمريضةِ إِنَّك طَبيبٌ جاءَ لِعَلاجِهَا... فهي لاتَعْتَقِدُ أَنَّها مُصَابَةٌ بمرضٍ... وهي تَتَكَلَّمُ بكُلِّ هُدُوءٍ، وكُلِّ مَنْطِقٍ... وقَدْ ترفُضُ مُقَابلتَكَ إذا عَلِمَتْ أَنَّكَ طبيبٌ... فَيَحْسُنُ أَنْ تقولَ لها إِنَّكَ... أيُّ شيءٍ آخَرُ.. قُلْ لها مَثَلاً إنَّكَ..

المندوبُ : إني مَنْدُوبُ شركةِ تأمينٍ... جاءَ يُؤَمِّنُ على حَيَاتِهَا...

الزوجُ : « للمندوب » أَلَمْ تَجِدْ شيئاً آخَرَ غيرَ هذا!؟...

الزوجةُ : لابَأْسَ... لا بَأْسَ... فَلْيَنْتَحِلْ أيَّ صِفَةٍ يَرَاها... المُهِمُّ أنْ يُخْفي عنها أنَّهُ دُكتورٌ...

المندوبُ : « بسرعةٍ وهو مُنصرِفٌ » لَنْ تَعْلَم...

الزوجةُ : انْتَظِرْ يادكتورُ... انْتَظِرْ.. إِنَّكَ سَتَجِدُهَا الآنَ مُنْفَرِدَةً في حُجْرَتِها... مُسْتغرِقَةً في تَأَمُّلاتِها... فهي كثيرةُ العُزْلَةَ... تَعيشُ وَحْدَهَا مَعَ أُمِّها... لا تَخْرُجُ كثيراً، وتَقْرأُ طويلاً... وقَلَّما أرَاهَا عندما أصْعَدُ زائِرةً... ولكنِّي أرى أُمها المِسْكينة التي تُحَدِّثُني عن أَمْرِها العَجيب ودُمُوعُها تَسِيلُ... وما مِنْ خادمةٍ أوخادمٍ يطِيلُ المقامَ عِنْدَهَا خَوْفاً على حياتِهِ...

المندوبُ : خوفاً على حياتِهِ؟!...

الزوجةُ : نَعَمْ يادكتورُ. لقد أصبحَتْ هذهِ الفتاةُ خَطِرَةً... وإنْ كانَ ظاهِرُهَا لا يَدُلُّ على ذلِكَ... بالعَكْسِ... إِنَّكَ سَتَرَاهَا حَسْنَاءَ ظاهِرُهَا لا

يَدُلُّ على ذلكَ... بالعَكْس... إنَّكَ سَتَراهَا حَسْنَاءَ وَدِيعةً دَمِثَةً مُؤدَّبةً مُثقَّفَةً، ولكنَّها ما تكادُ تَنْفَرِدَ بخادمٍ في المطبخ وفي يَدِهَا سِكّينٌ... حَتَّى تَلْمَعَ عَيْنَاها ببريقٍ غريبٍ... وتَهِمَّ بِطَعْنِهِ... لولا صِيَاحُهُ وفِرَارُهُ وظُهورُ الأُمّ...

المندوبُ : « في خوفٍ » يامُغيثُ!...

الزوجةُ : ماذا تُسَمِّي هـذه الحالةَ يادكتورُ عندكم فـي الطِّبّ؟...

المندوب : « مُرْتبكاً » هذه الحالة... تُسَمَّى... تُسَمَّى...

الزوجُ : « بسرعةٍ » تُسَمَّى مِنْ غيرِ شَكٍّ اختلالاً عصبياً أو على الأقلِّ اعْتِلاَلاً نفسانياً...

الزوجةُ : «لزوجها»: دَعِ الدُّكْتورَ يتكلَّمُ... إنَّهُ أدْرَى بمهنتِهِ... ما رَأْيُكَ يا دكتورُ؟...

المندوبُ : رَأْيي أنَّ هذا شيءٌ مخيفٌ جدّاً...

الزوجةُ : بماذا تُشَخِّصُهُ؟... بماذا تُعَلِّلُهُ... بماذا تُعَالِجُهُ...

المندوبُ : « بارْتِبـاكٍ » مِنْ رَأْيي أنَّ المُسْتَحْضَـراتِ الـطِّبيةَ تُعـالِـجُ الآنَ كُلَّ شيءٍ... ومخـازنُ الأدويةِ مملوءَةٌ بالعقـاقير... وكُـل يومٍ يَظْهَرُ اخْتـراعٌ جديدٌ... والأمراضُ في انْقِرَاضٍ... والأعمارُ تَضَاعَفَ طُولُها في المتوسّطِ... حتـى أصبحَتْ شركاتُ التّأمينِ...

الزوجُ : « هَمْسَاً » مالنَا ومالِ التَّأمين ؟!..

الزوجةُ : « للمندوب » قَصَدَ الدكتورُ أنَّهُ يوجَدُ مُسْتَحْضَرٌ طبيٌّ لعلاجِ هذه الحالَةِ!

الزوجُ : « لزوجتِهِ »: أَتطْلُبينَ من الدُّكتورِ أنْ يَتكلَّم عن حالةٍ لَمْ يَفْحَصْها بعدُ.

المندوبُ : هذا صحيحٌ... لا أسْتَطيعُ الكَلامَ عن حالةٍ لَمْ أفْحَصْها بَعْدُ...

الزوجةُ : عَفْـواً يا دكتـورُ... اعْـذُرْني.. إنَّ الفضـولَ دَفَعني إلى كُلِّ هذهِ

الأسئلةِ؛ بَلْ شيئاً آخَرَ أكْثَرُ مِنْ مُجَرَّدِ الفُضُولِ . . . هو شَفَقَتي على الأُمِّ المسكينةِ. . . لا يَنْبَغي أنْ أحْجُزَكَ هنا أكْثَرَ من ذلِكَ. . . إنَّهُم فوقُ في انتظارِكَ. . . وأرجُو أن يَتُمَّ لهذه الفتاةِ شِفاءٌ على يَدَيْكَ. . .

المندوبُ : شُكْراً. . . لَيْلَتُكُم سَعيدةٌ!. . . « يتحرَّكُ للانصرافِ ». . .

الزوجةُ : انْتظِـرْ يا دكتورُ. . . خُذْ حِـذْرَكَ من الفتاةِ. . . لقد أخْبرَتْني أُمُّها مُنْذُ لحظةٍ أنَّها لَمَحَتْ في حُجْرَتِها اليومَ شيئاً يُشْبِهُ المُسَدَّسَ.

المندوبُ : مُسَدَّسٌ؟!. . .

الزوجةُ : نَعَمْ. . . لَقَدْ خَرَجَتِ الفتاةُ في الصَّباحِ ؛ كما قالَتْ لي أُمُّها . . . ولم تَعُدْ إلاّ في الظُّهْرِ. . . ولا تَدْرِي الأُمُّ مِنْ أيْنَ جاءَتْ ابنَتُها بهذا المسَدَّسَ. . . ولماذا جاءَتْ بِهِ. . .؟. . .

المندوبُ : « مسرعاً بالانصرافِ » سلامٌ عليكُمْ!. . .

الزوجةُ : انتظِرْ لحظةً يادكتورُ. . . هَلْ تَعْرِفُ أينَ هي شَقَّةُ هؤلاءِ الجيرانِ؟. .

المندوبُ : « باندِفاع » لا. .

الزوجةُ : تعالَ معي. . . أنا أُريكَ الشَّقّةَ. . . وأَصْعَدُ بكَ إلى هُناك. . .

المندوبُ : « يفـزع » لا. . . لا. . . أرجـوك. . . أنـا أَعـرفها. . أعرفها. . . سَأَسْأَلُ عنها. . . لا دَاعيَ لِتعَبِ حَضْرَتك. . .

الزوجُ : « يُبادِرُ إلى إنقاذِهِ فَيُمْسِكُ بزوجَتِهِ» نَعَمْ . . . . لاداعِيَ لِتَعَبِكِ أنتِ ياعزيزتي. . . . دَعِي الدُّكتورَ يَذْهَبْ بمُفْرَدِهِ . . . . ابْقَيْ معي هُنا. . .
أريدُ أنْ أُحَدِّثَكِ بشيءٍ. . .

الزوجةُ : « للمندوب » الشَّقةُ يادكتورُ مُباشَرةً . . . على اليمين . . .

المندوبُ : «وهو يَخْرُجُ مُهْرِولاً» سأنزلُ حالاً . . . أقْصِدُ . . . سأَصْعَدُ . . . أشكُرُكُم ! . . . .

« يخرجُ بسرعةٍ . . . . »

الزوجةُ : « تتَّجهُ إلى زَوْجِهَا ، والآنَ ... حَدِّثني ...

الزوجُ : بماذا ؟ ....

الزوجةُ : أَلَمْ تَقُلْ إنَّكَ تُريدُ أنْ تُحَدِّثَني بشيءٍ ؟ ...

الزوجُ : آه .... نَسِيتُ .... نَسِيتُ ماكنتُ أريدُ أنْ أقولَ لكَ ....

الزوجةُ : أهَوَ شيءٌ مُهِمٌّ ؟ ...

الزوجُ : لا أذكُرُ ......

الزوجةُ : أهُوَ شيءٌ يتعلَّقُ بكَ ؟ .....

الزوجُ : لا ....

الزوجةُ : يَتعَلَّقُ بي ؟ ...

الزوجُ : لا .....

الزوجةُ : إذَنْ لا تُفكِّرُ ولا تَهتَمّ .... كُلُّ ماخَرَجَ عَنَّا نحنُ الاثنانِ لاقيمة لَهُ ..

الزوجُ : صَدَقْتِ ياعزيزتي ... نحنُ الاثنانِ كُلُّ الدُّنيا ... وكُلُّ الكَوْنِ ...

رُوْحٌ في جَسَدَيْنِ، وحَيَاةٌ في شخصَيْنِ ... وهذا سَرُّ عذابي ! ...

الزوجةُ : أنتَ أيضاً ياعزيزي فؤاد ؟ ...

الزوجُ : نَعَـمْ ... إنِّـي أعـيشُ في خوفٍ دائـمٍ أَنْ يُصِـيبَـني سُوءٌ ... فتفجَعِي ... ومنْ أنْ يُصيبَكِ سُوءٌ ... فأَموُتَ ....

الزوجةُ : إذا كانَ لأبدَّ للسوءِ من أَنْ يُصِيبَ أَحَدَنَا ... فإنِّي أُفضِّلُ دائماً أنْ أكونَ لَكَ الفِدَاءَ ...

الزوجُ : إنَّكِ لَنْ تُنْقِذيني بذلك .... فأنتِ تعرفين النَّتيجةَ ! ...

الزوجةُ : حَقّاً ... هي روُحٌ واحِدَةٌ ... لَنَا مَعاً ... يُمكِنُ لأحدِنَا أنْ يَسْتَقِلَّ بها ...

الزوجُ : لو كانَ لنا أَطفالٌ يالطيفةُ ... لكانَت فيهم أَرْوَاحٌ أُخْرَى وحَيَوَاتٌ عِدَّةٌ ...

الزوجةُ : إنِّي لَسْتُ آسِفَةً . . .

الزوجُ : ولا أنا بآسِفٍ . . . .

الزوجةُ : تَكْفِينا هذه الرُّوحُ الواحِدَّةُ يافؤادُ، نَتَقَاسَمُها معاً . . . .
ولا يَسْتَأْثِرُ بها واحِدٌ مِنَّا . . . وإذا انطَفَأتْ عِنْدَ أحدِنَا . . .

الزوجُ : أنْطَفأَتْ في الحالِ عِنْدَ الآخرَ . . .

الزوجة : كَفَى يافؤادُ . . . . أرجُوكَ . . . اترُكْ هذا الموضوعَ . . . إنِّي أُحِسُّ الدُّوارَ وأشعُرُ بالدُّنيا تَسْوَدُّ في عَيْنَيَّ . . . الَّلهُمَّ اجْعلْ يومِي قبلَ يَوْمِكَ ! . . .

الزوجُ : لا تَسْمَعْ منه ياربِّ ! . . . .

« تظهر فتاة في الثامنة عشرة . . . رشيقة أنيقة . . .
آتية متسللة من جهه باب الشّقة . . . . . »

الفتاةُ : إنَّهُ لَنْ يَسْمَعَ مِنْ أحدِكُما دونَ الآخَرِ ! . . .

الزوجةُ : « مَأْخوذَةً » سِهَامُ !

الزوجُ : مَنْ هذِهِ ؟ . . . .

الزوجةُ : « يخوفٍ » فتاةُ الجيرانِ . . .

الزوجُ : « هَمْسَاً في رَعْدَةٍ » المجنونَةُ ! . . .

الفتاةُ : « تُبرِزُ مُسَدَّساً مِنْ جَيْبِها، أَرجُو منكما أنْ تَجْلِسَا هاهنا أمامِي . . . .
أحدكما بجوارِ الآخَرِ . . . . وأنْ تَصْغِيَا مَلِيَّاً إلى ما أقولُ . . .

« تشير لهما بطرف المسدس إلى الأريكة . . . فيجلسان
متلاصقين وقد عقد الخوف لسانيهما . . . . »

الفتاةُ : اسْمَحَا لي أولاً أنْ أَجْلِسَ على هذا الكُرسِيِّ أمامَكُما. . .

« تجلس على الكرسي المجاور للمنضدة . . . بحيث
تكون المنضدة فاصلا بينها وبين الزوجين . . . »

الفتاةُ : وَأْذَنَـا لي في أَنْ أشْكُـرَ الـظُّروفَ التي شاءَتْ أنْ يَكـوُنَ بابُكُمـا مفتوحاً . . . فَتَتَهيَّأً لي هذه الفُرصَةُ السَّعيدةُ ! . . . . .

« الزوجان في صمت وذهول . . . . . . »

الفتاةُ : لقد وَصَلَ إلى عِلْمي أَنَّكُما وَحْدَكُما اليومَ في هذه الشَّقةِ ....
وهـذا أيضـاً مِنْ حُسْنِ حَظِّيَ ! ..... تَعْرِفَانِ طبعاً الغرضَ من زيارتي المفاجِئَةِ ....

« الزوجان يهزان الشفاه ... دون أن ينبسا بجواب .... »

الفتاةُ : « بهدوءٍ » المسْأَلةُ في غايةِ البَسَاطَةِ : جِئْتُ لأَقْتُلَ أحَدَكُما ....

الزوجةُ : « بصوتٍ مُرْتجفٍ » سِهَامُ ! ... سِهَامُ ! ....

الفتاةُ : « بأدبٍ » إني مُتَأَسِّفَةٌ .... إنِّي في شِدَّةِ الأَسَفِ .... ولكِنْ لابُدَّ مِنْ أنْ أفعَلَ ذلك ....

الزوجةُ : « بتوسُّلٍ » سِهَامُ ! ...

الفتاةُ : مُضْطَرَّةٌ .... رَغْبَةٌ جَامحَةٌ ... قُوَّةٌ تَدْفَعني إلى أنْ أَقْتُلَ شخصَاً ...

الزوجةُ : « بلفظٍ مُرْتَــجـفٍ » نحـنُ جيرانُــكِ ياسِـهَــامُ ... إنِّـي صَديقـةُ والدَتِكِ .... إنَّكِ مِثْلُ أُخْتِي الصُّغْرَى ... كيفَ يُطَاوِعُكِ قَلْبُكِ أنْ تُلْحِقي بناشَرَّاً ...

الفتاةُ : إنِّي لاأُريدُ أنْ أُلْحِقَ بكمـا شَرَّاً ... ولا أُفكِّـرُ في الضَّـرَرِ الّـذي يُصيبُكُمـا ... ولكنِّي أُفكِّرُ في خَنْقِ هذا الصَّوْتِ الصَّارِخِ في نَفْسِي : أنْ أَقْتُلَ ..... أَقْتُلَ ..... أَقْتُلَ .....

الزوجةُ : « برجاءٍ » .... اِعْقَلي ياسهامُ ... أَرْجُوكِ ... أَرْجُوكِ ! ...

الفتاةُ : إنِّي أَعْقِلُ ما أفْعَلُ .... إنّي في أَتَمِّ قوايَ العَقْلِيَّةِ ....

الزوجةُ : لو كُنْتِ تَعْقِلينَ ما كُنْتِ تُقْدِمينَ على هذا الفِعْلِ الشَّنِيعِ ....

الزوجُ : « يغمزُ زوجتَهُ يهمسُ » لا تُثِيري غَضَبَها ....

الفتاةُ : إنِّي أَعْلَمُ أَنَّــهُ فِعْـلٌ شنيعٌ .... ولكِنْ ماحِيلَتي؟ .... ليسَ في اسْتِطَاعَتي أَنْ أمتنِعَ عن فِعْلِهِ ... لَقَدْ حَاولْتُ كثيرًا أنْ أَصِدَّ نفسِي عنــه ... لَطَالَـمــا اسْـتَـعَنْتُ بإرادَتي وبحِكْمتي ... وقَــاوَمْتُ

وحَـارَبْـتُ ... وقـامَـتْ في نفـسي مَعـارِكُ طَويلةٌ .... ولكنّي هُزِمْتُ ... ما مِنْ شيءٍ تَغَلَّبَ على هذه الرَّغْبةِ الجارفةِ عِنْدِي : أَنْ أَقْتُلَ ... أَقْتُلَ ...

الزوجُ : « بصوتٍ مهزوزٍ » ياآنِسَةُ ..... كَلِمةٌ ....

الفتاةُ : تفضَّلْ ....

الزوجُ : إنَّـكِ آنسةٌ مُهذَّبَةٌ .... وكثيرًا ما كُنْتُ أُقابِلُكِ في السُّلَّمِ فأُحَيِّيكِ وتُحَيِّيني بكُلِّ احترامٍ .... ألَا تَذْكُرِيْنَ ؟ ....

الفتاةُ : وإنّي لم أزَلْ أَحْمِلُ لَكَ كُلَّ احْترامٍ ....

الزوجُ : أَيُرْضِيْكِ إذَنْ أنْ تَرْفَعِي يَدَكِ نحوَنَا بِسُوءٍ ؟! ....

الفتاةُ : لايُرْضِيني ذلك بالطَّبْعِ ، ولكنِّي مدفوعةٌ إلى ذلك على الرَّغْمِ منّي ...

الزوجةُ : « صائحةً » سِهَامُ ! .....

الزوجُ : « مُتوسِّلًا » ياآنسةُ ! ....

الفتاةُ : إنِّي لاأريدُ أَنْ أَقتُلَكُما معًا ... لأنَّ هذا لايَلْزَمُني ... بَلْ قَدْ يفوِّتُ غَرَضِي ... ويُشَتِّتُ ذِهْني .... أريدُ أنْ أقتُـلَ واحـداً منكمـا فَقَطْ ... أمّـا الحيُّ منكما فَسينفَعُني أجْزَلَ النَّفْعِ ... لأنِّي سَأَقْرَأُ على وَجْهِهِ من مختلف الشُّعورِ، مالايَقِلُّ في القيمةِ عَمَّا أُطالِعُهُ في وَجْهِ المقتولِ ..

الزوجةُ : « بصوتٍ باكٍ » ياسِهَامُ ... ياحَبيبتي سِهَامُ ... إنِّي لم أَصْنَعْ لَكِ شيئاً ... نحنُ لكم خيرُ الأصدقاءِ وخيرُ الجيرانِ ... وأنْتِ عندي أَعَـزُّ مِنْ كثيراتٍ مِنْ قَريبـاتي .... لَكَمْ تَمنَّيْتُ أنْ تكونَ لي بِنْتٌ مِثْلُكِ .. لطَالَما قُلْتُ ذلك لوالَدتِكِ ... وامْتَدَحْتُ أَدَبَكِ وسُلُوكَكِ ورِقَّتَكِ .... أتفعلينَ ذلك بنا ؟ ....

الفتاةُ : بالرَّغْمِ منِّي ....

الزوجُ : نحنُ ياآنسةُ أبرياءُ . . . . تَذَكَّري أَنَّكِ تُريدين سَفْكَ دماءٍ بريئةٍ . . .
نحنُ لانَحمِلُ لكِ غيرَ الوُدِّ أَتعتدَيْنَ على أُناسٍ وادِعِيْنَ طَيِّبينَ
أبرياءَ ؟ !

الفتاة : نَعَمْ . . . أَنْتُم أبرياءُ . وهذا عينُ مَطْلَبي . . . لأنَّ رَغْبتي في القَتْلِ
ليسَ بَاعِثَها الانتقامُ . . . وأَنْتُمُ في غايةِ الطِّيبَةِ والوَدَاعَةِ . . . لأنَّكُم لو
كُنْتُمْ أَشراراً وأَهْلَ سُوْءٍ، لَحُمِلَ باعثي أَنَّهُ عِقابٌ . . . لا . . . لا . . .
إنَّ فِعْلي لاباعِثَ له على الإطلاقِ . . . ولاينبغي أنْ يكُونَ له
باعِثٌ . . . إنَّه شَهْوَةُ القَتْلِ لذاتِها . . . . مُجَرَّدَةً عن أيِّ باعثٍ . . .

الزوجةُ : أأنتِ قاسيةُ القَلْبِ بهذا المقدارِ ! . . . .

الفتاةُ : إنَّكِ تعرفينَ أني لا أُطيقُ سَمَاعَ مُواءِ قِطَّةٍ جَائِعَةٍ ! .
لابُدَّ أَنْ أقتُلَ الليلةَ شخصاً . . . وإلاَّ جُنِنْتُ . . . عِلَاجي الوحيدُ لما
أنا فيه مِنْ ضِيْقٍ هو أنْ أقتُلَ . . . .

الزوجُ : تُريدِينَ قَتْلَ أيِّ شخصٍ ؟ . . .

الفتاةُ : نَعَمْ . . .

الزوجُ : لماذا إذَنْ لا تَهْبطينَ الشَّارِعَ وتقتُلينَ أيَّ شخصٍ يُصَادِفُكِ ؟ . . .

الفتاةُ : فَكَّرْتُ في ذلك بالفِعْلِ . . . وكُنْتُ في طريقي إلى تنفيذِهِ . . .
ولكنيِّ وجَدْتُ بابَكُما مفتوحَاً ، وتذكَّرْتُ أَنَّكُما وَحْدَكُما . . .

الزوجةُ : يالَسوءِ بَخْتِنَا ! . . . .

الفتاةُ : بَلْ هذا من حُسْنِ بَخْتِي أَنا . . . لأنَّ الشَّخْصَ الذي أَقْتَلُهُ في الشَّارِعِ
سَيُحْدِثُ ضجيجَاً يَجْمَعُ حَوْلَه النَّاسَ، فلاأستطيعُ أنْ أَجْنَي بَهدوءٍ
ثَمرةَ هذا الفِعْلِ . . .

الزوجُ : أَهُناكَ ثَمَرةٌ تَجْنِينَها مِنْ مثلِ هذا الفعلِ ؟ . . .

الفتاةُ : بالتَّاكيدِ . . . لقد أَلْحَفْتُ على نفسِي في السُّؤالِ : لماذا تَضْطَرِمُ

فيها شَهْوةُ القَتْلِ هذا الاضْطِرامَ ؟ . . . . فكانَ جَوابُها : « إنِّي أُريدُ أنْ أَعْرِفَ شُعورَ الإنسانِ وهو يَموتُ . . . وشعورَ القاتلِ وهو يُحْدِثُ الموتَ ! . . . وإذا كانَتْ هناك صِلَةُ مَعْرِفةٍ بينَ القاتِلِ والمقتولِ ؛ فإنَّ هذا الشَّعورَ يَتَضِحُ ويَبْرُزُ ويأتي بنتيجةٍ . . . لذلك أَرَى فيكما خَيْرَ مثالٍ لمطلبي . . . هأَنَذا قد شرحْتُ لكما حالتي باختصارٍ . . . كي تَعْـذرَاني وتُسَـاعِـدَاني . . . . إنَّ شِفَـائيَ في يَدِ أحدِكُما . . . إنّي سَأَكــونُ شَاكِــرَةً طُولَ حياتي . . . مُعْتَــرِفَــةً بالجميلِ لِمنْ سأقتلُهُ منكما . . . والآنَ اسْتَعِدَّا . . . .

« ترفع مسدسها . . . فيلتصق الزوجان رعبا ويدرآن بيديهما . . . . »

الزوجةُ : حَقّاً ياسهامُ . . سمعتُ ذلِكَ من والدِتكِ . . . ورأيتُك بعيني تَصُومِيْنَ وتُصَلِّينَ، ويتمزَّقُ قَلْبُكِ رحمةً بالطِّفْلِ البائِس ابنِ الكَنَّاسِ ، فتَصْنعِينَ له بيدِكِ ثوباً يَكْسُو عُرْيَهُ . . . .

الزوجُ : ياآنسةُ . . . لَكِ مِثْلُ هذا القلبِ، ولاترحمينَ زَوْجَيْنِ مُتَحَابَّيْنِ وَحِيدَيْنِ مثلنا ؟ ! . . . .

الزوجةُ : أَلَم تُحَدِّثْكِ والدتُكِ عَنَّا ياسهامُ ؟ . ألم تَقُلْ لكِ إنَّنا أَخْلَصُ زَوْجَيْنِ ؟ ! . . .

الفتاة : أعلمُ ذلك . . . .

الزوجُ : وتُريدينَ بعد ذلك أَنْ تَهْدِمي هذه الأُسْرَةَ الصَّغيرةَ ؟ ! . . .

الفتاةُ : إنَّكُما لم تَفْهَمَا بعدُ مَوْقفي . . . ولم تُدْرِكَا ما أنا فيه . . . اعْلَمَا جيدًا أنَّ في أعماقِ نفسِي الآنَ صَوْتاً يَطْغَي على رحمتي وحِكْمتي وعلى أصواتِ تَوَسُّلاتِكُم وحُجَجِكمُ . . . ليس يَهمُّني الآنَ هذا العالَمُ بناسِهِ وجيرانِـهِ ورحمتِـهِ ومَنْـطِقهِ وبَرَاهِينِهِ وثَوَابِهِ وعِقَابِهِ وخَيْرِهِ وشَرِّهِ . . . . لا . . . . لا . . . لايُهِمُّني كُلُّ ذلك السَّاعَةَ . . . . كُلُّ مايهُّمني في هذه اللحظةِ هو أنْ أَخْنُقَ هذا الصوتَ الخفيّ، الذي لاأدري مِنْ أيْنَ

هو صَاعِدٌ ! . . . صوتًا يقولُ لي : اقتُلي . . . يجبُ أنْ تقتُلي ! . . .
هذا الصوتُ لامَفَرَّ لي من أنْ أُطيعَهَ . . .

الزوج : هذا الصوتُ . . . لم يَقُلْ لكِ لماذا يأمُرُكِ بذلِكَ ؟ . . .

الفتاةُ : لا . . . إنَّه لايُفسِّرُ ولا يُعلِّلُ . . . إنَّه يأمُرُ . . . ما مِنْ شَكٍ أنَّ هنالِكَ أُناسًا غيري سَمِعُوا في حَيَاتِهم أصواتًا تأمُرُهم بفعلِ أشياء . . . فلم يجـدُوا بُدًّا مِنْ فعِلهـا . . . ولَعـلَّ من بين تلك الأشياء ماكـانَ له مَعْـنَـى . . . أو ماكـانَ له غَرَضٌ عظيمٌ . . . فَغَيَّرُوا بذلـك مَصِيرَ البَـشَـرِ . . . كمـا أنَّ من بين تلك الأشياء ماليس له مَعْنَى على الإطلاقِ . . . فَيَحَارُ النَّاسُ في تأويلِهِ . . . صوتي هو من هذا النَّوْعِ الأخير . . . إنَّـهُ يأمُـرُني بشيءٍ، حِرْتُ في معناه ومَغْزَاه . . . شيءٌ لاخيرَ فيه . . . ولكن لاقِبَلَ لي بالامتناعِ عنهُ . . . لابُدَّ أنْ أُحقِّقَهُ وأن أُؤدِّيَهُ لأسْتَرِيحَ . . . هل فهِمْتُما وأدركْتُماَ حقيقةَ. مَوقْفي ؟ . . . الآنَ اسْمَحَا لي أنْ أُطْلِقَ النَّارَ . . .

«ترفع المسدس . . . فيتراجع الزوجان رعباً . . . . .
ويرفعان الأذرع توسلا . . . .»

الزوجةُ : « باكيةً » ستفعلينَ . . . . ستفعلينَ . . . . .

الفتاةُ : الوقتُ أزِفَ . . . يجبُ أنْ أكفَّ عن الكلامِ . . . وأنْ أعملَ . . . . وأُسْرِعَ في العمل . . .

الزوجُ : « مرتجفاً متوسِّلًا » لحظةً ياآنسةُ . . . لحظةً . . . لحظةً . . .

الفتـاةُ : ثِقَا أنَّهُ لا فائِدَةَ من المُناقَشَةِ ومن التَّوسُّلِ ومن البُكَاءِ . . . سأُطْلِقُ الرَّصاصَ على أحدِكُما . . هذا أَمْرٌ مَفْروغٌ منه، أيُّكُما ؟ . . . أيُّكُما ؟ . . .

الزوجةُ : « برُعْبٍ » أيُّنا ؟؟

الفتاةُ : نَعَم . . . أيُّكما . . . على أيِّكما أُطْلِقُ . . . بسرعةٍ . . . يجبُ أن يَقَعَ الاختيارُ على أحدِكُما. . .

الزوجُ : « في رَعْدَةٍ » أَستختارِيْنَ ؟ . . . .

الفتاة : « وهى تتأمّلُ كُلَّ واحدٍ منهما » يجبُ أَنْ أَخْتارَ واحدًا منكما، وهذا ليس بالأمـرِ السَّهْلِ . . . كيفَ أُرَجِّحُ بلا مُرَجِّح . . . وأنتُما هكذا جامدانِ مُتَلاصِقَانِ . . . مامن واحدٍ حاولَ الهرَبَ أو هَمَّ بحركةٍ، حتى أُلاحقَـهُ برصـاصِي . . . وأُطـرَحَ عن نفسِي مَشَقَّـةَ التَّخيُّرِ . . إنكما تَضَعانِ على كاهلى عِبْئاً ثقيلاً . . . مَنْ أختارُ منكما ؟ . . . الزَّوْجَةَ ؟ أو الزَّوْجَ ؟

الزوجة : « تَشْهَقُ » أَسَنَمُوتُ الآنَ؟ . . . حَقّاً سنموتُ . . . اللَّهُم الرَّحْمةَ . . . الرَّحْمةَ . . . الرَّحْمةَ . . .

الزوجُ أنموتُ هكذا يارَبِّ بهذه السُّرعة ؟ ! أَهُوَ إِذَنْ الموتُ ؟ . . . . ارْحِمَينا أيّتهُا الآنسةُ . . . الرَّحْمةَ ؟ . . .

الفتاةُ : « كالمخاطبةِ نَفْسَها » كُلَّما ذكرتُما الموتَ، تَأَجَّجتْ شَهْوتي لإحداثِهِ. أَزِفَ الـوقتُ « صائحـةً » أسمـعُ الصَّـوتَ. يجب أن أقتـلَ . . . أيّكما . . . أيّكما . . . ؟ يجب أنْ أقرِّرَ الآنَ . . . . يجبُ أنْ أخْتارَ مَنْ ؟ . . . .

« ترسل نظرات حائرة بين الزوج والزوجة . . . .
بينما يتتبعان هما نظراتها واجفين والشفاه منهما تهتز فرقا »

الفتاةُ : « صائحةً في تصميم » أنتِ أيّتُها الزوجةُ . . . . تَقَدَّمي ! . . .

الزوجةُ : « فَزِعَةً منهارةً » أنا !! . . . . . لا . . . لا . . . لا . . .

الفتاةُ : لا تريدينَ أنْ تَموتي ؟

الزوجةُ : لا . . . . لا أريدُ أنْ أَموتَ . . .

الفتاةُ : إِذَنْ فليتقدمْ زَوْجُك بدلاً منكِ . . . أيُّها الزوجُ . . . تَقَدَّمْ ! . . . .

الزوجُ : « فَزِعَا » أنا ؟ . . . . لا . . . . لا ياآنسةُ . . . لا . . . أتوسَّلُ إليكِ دِعِيني أَعِشْ . . .

الفتاةُ : لا تريدُ أنْ تموتَ ؟ . . . .

الزوجُ : لا .... لا أريدُ ... لا أرجوكِ ...

الفتاةُ : هذا مُستحيلٌ. هذا الوضْعُ مُستَحيلٌ لابُدَّ لأحدكما أن يموتَ. لابُدَّ أنْ أُطْلِقَ الـرَّصـاصَ على أحدِكما.. على مَنْ ؟ على مَنْ ؟ .... لاتُـوقِعـاني في هذه الحيرةِ ... ساعـدَاني ... عَاوِنَـانيَّ .... سأُطْلِقُ المسدَّسَ على أحدِكما في الحالِ كيفما اتَّفَقَ .... « تَرفعُ المسدَّسَ في يدِهَا » فليكُنْ عليكِ أنتِ أيَّتُها الزوجةُ !...

الزوجةُ : « صائحةً برعبٍ » لا ... لا ياسهامُ ... لا تُطِلقي علَّى أنا ... يجبُ أنْ أعيشَ ... يجبُ أنْ أعيشَ لأنِّي ... لأنِّي ... لأنِّي حامِلٌ ...

الفتاةُ : حامِلٌ ؟ ... لماذا لم تَقُولي ذلك من قبلُ ... حمداً للهِ الذي نَجَّاكِ في الوقتِ المناسبِ ... حَقّاً يجبُ أنْ تعيشِي أنتِ لطفلِكِ ... أيَّ جُرمٍ كُنْتُ ارْتَكَبْهُ لو أنِّي قَتَلْتُكِ وفي بَطْنِكِ جَنينٌ ! ... ستعيشينَ .. وليتقدمْ زوجُك ! ....

الزوجُ : « مرتجفاً من الهَلَعِ... يا آنسةُ... لا تَقْتُليني أنا... لا تَقْتُليني !...

الفتاةُ : « وهي تُصَـوِّبُ المسَدَّسَ نحوَهُ » لا مَفرَّ من قَتْلِك أنْتَ... لم يَبْقَ غيرُكَ... وقد رَجَحَتْ كَفَّةٌ... وليس من المعقولِ ولا من المقبولِ أنْ تبقَى أنتَ حَيّاً وتموتُ زوجتُك وهي حامِلٌ!...

الزوجُ : إنَّها ليستْ حاملاً... إنَّها تكْذِبُ... أُقْسِمُ لَكِ أنَّها تَكْذِبُ...

الفتاةُ : تَكْذِبُ؟... أأَنْتَ واثِقٌ من ذلِكَ؟...

الزوجُ : أَحْلِفُ بأَغْلَظِ الأَيْمانِ... لقد أكَّد لها كُلُّ الأطباءِ أنَّها لا يُمكِنُ أنْ تأتي بأطفالٍ...

الزوجةُ : « لزوجها » يالَكَ مِنْ وَغْدٍ!...

الفتاةُ : « للزوجة » تكذبينَ هكذا لتُنْقِذي حَيَاتَكِ؟!...

الزوجةُ : « تُشِيرُ إلى زوجِهَا » بل هو الذي يحتالُ ليُنقِذَ حياتَهُ!...

الفتاةُ : يُخَيَّلُ إليَّ أنّي سَمِعْتُ من أُمِّي أَنَّكِ عَاقِرٌ.. مَهْمَا يَكُنْ مِنْ أَمْرٍ فقد أَوْقَعْتُماني في الحيرةِ من جديدٍ... هأنذا لم أَخْطُ بَعْدُ خُطْوَةً. وما مِنْ واحدٍ منكما يريد أن يموت.. أو يقبل أن يتقدم بدلا من الآخر.. ماذا أصْنَعُ الآنَ؟... لابُدَّ من العَمَلِ السرِّيعِ... هل أُطْلِقُ الرَّصاصَ في اتّجاهِكُما ولتُصِبْ النّارُ منكما مَنْ تُصِيبُ؟...

« ترفع المسدس وتصوبه نحوهما فيدرآن بأيديهما صائحين »

الزوجةُ : لا... لا... لا تُطْلِقي...

الزوجُ : لا تُطْلِقي... لا تُطْلِقي...

الفتاةُ : لا بُدَّ أنْ أُطْلِقَ هكذا عليكُما معاً... إذنْ... اتَّفِقَا فيما بَيْنَكُما على وضْعٍ... مَنْ منكما يَتَطَوَّعُ بِتَلَقِّي الرَّصاصةِ عِوَضًا عَنْ صَاحِبِهِ؟...

« الزوجان يصمتان........... »

الفتاةُ : « بعدَ لحظةٍ » أَمُخيفٌ الموتُ إلى هذا الحدِّ؟... أَحُلْوَةٌ الحياةُ إلى هذا الحـدِّ!... تَكلَّما... لا ترُيدَانِ الاتّفاقَ، اسْمَعَا إذَنَ... ما رَأْيُكُما في أنْ أُجْري القُرْعَةَ بينَكُما؟.. وَلْيَحْكُم الحظُّ وَحْدَهُ فيكما بما يَرى... أَخْرِجْ مِنْ جَيْبِكَ قِطْعَةَ عُمْلَةٍ صغيرةٍ أَيُّها الزَّوجُ... وَلْيَخْتَرْ أَحَدُكما وَجْهاً مِنْ وَجْهَيْها... وَلتُلْقَ العُملةُ على هذهِ المِنْضَدَةِ فَمَنْ كانَتْ له الصورةُ أُنْقِذَ، ومَنْ كان لَه الرَّقْمُ قُتِلَ...

« الزوج يخرج من جيبه عملة صغيرة..... »

الزوجُ : أَنا اخترتُ الصُّورةَ... « يَهُمُّ بإلقاءِ العُملةِ على المنضدةِ.. »

الزوجةُ : « تُمْسِكُ يده » لا.. لا تُلْقِ أنتَ... إنيّ الآنَ لا أَثِقُ بِكَ...

« يظهر عندئذ مندوب التأمين مطلا برأسه، آتياً من جهة باب الشقة... وينقر بأصابعه على باب القاعة منبهاً »

المندوبُ : لا مؤاخَذَةَ!... نَسِيتُ هنا قَلمي « الأَبَنُوس »... وهو تذكارٌ ثمينٌ!...

الزوجةُ : « تَرَى المندوبَ فتصيحُ به » الدكتورُ... أَنْقِذْنَا يا دكتورُ!...

المندوبُ : المريضةُ... فوقُ... بخير!... اطْمَئِنِّي!...

الزوجةُ : « تَغمزُهُ مُشيرةً إلى الفتاة هامِسَةً » ها هي...

الفتاةُ : « مُلَوِّحَةً بالمسدس » حَضْرَتُهُ دكتورُ؟... يادكتورُ اجْلِسْ بكُلِّ هُدوءٍ إلى جانبِ البك والسِّت.. دونَ أنْ تُجادِلَ أو تُناقِشَ!...

المندوبُ : « بخوفٍ » لا... لا داعِيَ للمناقَشَةِ!... « يجلسُ حيثُ أشارَتْ له الفتاةُ بالجلوسِ ».

الفتاةُ : أنتم الآنَ ثلاثةٌ... لا اثنان... وهذا قد يجعلُ المسأَّةُ بالنسبةِ إليَّ أشدَّ تعقيداً أو أكْثَرَ بَساطَةً.. على كُلِّ حالٍ سَأَنْفُضُ يَدِي... وسأتركُ لكم أنتم اتِّخاذَ القَرارِ النهائيّ...

المندوبُ : أيَّ قرارٍ نهائيّ؟!...

الفتاةُ : واحِدٌ منكم أنتم الثَّلاثةُ يجبُ الآنِ أنْ يَموتَ...

المندوبُ : « مذعوراً » ياحفيظُ !... يَتَلَفَّتُ حَوْلَهُ... »

الفتاةُ : « تلوح بالمسدَّسِ » أيُّ حركةٍ في ذاتِها قرارٌ... وقَدْ تُريحُني وتَعْفِيني من حَيْرةِ الاختبار...

المندوبُ : « يثبت في كُرسيِّه » إني تمثالٌ من حَجَر!...

الفتاةُ : لاتُحاوِلُوا أنْ تُضَيِّعُوا او قْتاً. هأنذا أُحَذِّرُكُم فقد تأتي لحظةٌ مُفَاجِئَةٌ لا أَتمكَّنُ فيها من التَّحَكُّمِ في الموقفِ. فأُطْلِقُ النَّارَ على غيرِ هُدَىً...

الزوجةُ : « هامسةً بلا حَرَاكٍ » يادكتورُ... أَمَا مِنْ عِلَاجٍ ؟...

المندوبُ : « هامساً » علاجٌ لي أنا؟... أينَ هُوَ؟... دَمي هَرَبَ!...

الزوجةُ : « هَمْسَاً بدونِ أنْ تَتَحَرَّكَ » أَوَ تَتركُها تَقْتُلُنَا هكذا يادكتورُ؟ !....

الزوجُ : « بصوتٍ عالٍ » إنَّهُ ليس بدكتورٍ . . . إنَّهُ مندوبُ شركةِ تأمينٍ على الحياةِ ! . . .

الزوجةُ : ليس بدكتورٍ ؟ . . . حَضْرَتُهُ ؟ . . .

المندوب : « للزوج همساً » تَذَكَّرْ أنَّ السِّتَّ زَوْجَتَكَ لايجبُ أَنْ تعلَمَ . . .

الزوجُ : « بصوتٍ مرتفعٍ » فَلْتَعْلَمْ . . فلتعلَمْ، لم يَبْقَ هناك مَحَلٌّ لأنِ تُخفِيَ عنها . . . فِكْرَةُ موتي لَنْ تُفْزِعَها أو تُفْجِعَهَا أو تُصِيبَها بمكروهٍ ! . . .

الزوجةُ : « للزوجِ » وفكرةُ موتي . . . . هل هَزَّتْ مِنْكَ الآن شَعْرَةً ! . . .

الفتاةُ : « صائحةً فيهم » وأخيرًا . . . وأخيرًا إنَّكم تَلْعَبُونَ بالنّارِ . . . . إنَّكُم لاتُقَدِّرُونَ أنِّي قَدْ أَخْرُجُ عن طَوْرِي وأرْتَكِبُ عَمَلاً طائِشاً . . . . فيه فناؤكم جميعاً . . . قُلْتُ لكم أريدُ واحدًا منكم فَقَطْ . . . وعليكم أنْ تُعَيِّنُوه . . . أنتم الآنَ ثلاثةٌ . . . حَكِّمُوا فيكم الأغلبية . . . كما يحدُثُ في المحاكِمِ . . . . يَكْفِي أنْ يَتّفِقَ اثنان منكم على قَرارٍ لِيُصبِحَ هو النافِذَ . . . أَسَمِعْتُمُ . . . لن أقِفَ منكم غيرَ موقفِ المنفِّذِ . . . اثنانِ منكم يستطيعان أنْ يُصْدِرَا حُكْمَ الإعدامِ في الثالثِ . . . هَلُمّوا . . . تَدَاوَلُوا . . . وانْطِقواُ بالحُكْمِ . . . سريعًا . . .

« الزوج والزوجة يتبادلان النظرات . . . . . . »

الزوجُ : هذا معقولٌ . . . .

الزوجةُ : هذا عَدْلٌ . . .

الزوجُ : « يُشيرُ إلى نفسِهِ وإلى زوجتِهِ » نحنُ الاثنان متفقان . . .

الزوجةُ : نَعَمْ . . . أنا وزوجي من رأيٍ واحدٍ . . . .

الفتاةُ : حَكَمْتُها طبعاً عَلَى . . . . « تُشيرُ إلى المندوبِ »

الزوجُ : « ومَعَهُ زوجتُهُ في صوتٍ واحدٍ » نَعَمْ . . . . .

المندوبُ : « صائحاً » حَكَما عليَّ أنا .... بماذَا ....

الفتاةُ : « وهي تَرْفَعُ مسدَّسَها » بالموتِ ....

المندوبُ : « يرفَـعُ يَديْهِ صائحـاً متـوسِّـلاً، ياسِتُّ .... ياآنسـةُ ... لاتُطْلِقي ... لا تُطْلِقي ... كَلمةٌ ... كلمةٌ واحدةٌ ... كلمةٌ لا غَيْرَ ...

الفتاةُ : « تتمهلُ » ماذا تريدُ أنْ تقولَ ؟ ....

المندوبُ : « وهـو يتنفَّسُ » فَهِّمُـوني مِنْ فَضْلِكُم ... ماهذا الحُكْمُ وماهذه المحكمةُ .... وما جنَايتي ؟ ... أَنَا رَجُلٌ مِسْكِينٌ ... مندوبُ تأمينٍ ... جِئْتُ هنا أُؤَمِّنُ على الحياةِ .... فَأَجِدُ أمامي الموتَ ؟! ...

الفتاةُ : لم يَبْقَ عندي وَقْتٌ لأقُصَّ عليكَ أنتَ أيضًا القِصَّةَ من جديدٍ .... نَعَمْ .... أَنْتَ رَجُلٌ مِسكينٌ .... ومندوبُ تأمينٍ ...

المندوبُ : وزَوجٌ أمينٌ ....

الفتاةُ : وزَوْجٌ أمينٌ ....

المندوبُ : ووَالِدُ أطفالٍ صِغَارٍ ....

الفتاةُ : وَوَالِـدُ أطفـالٍ صِغَـارٍ تَعُـولُهم وتُـرَبِّيهم ... ولا جَريمـةَ لَكَ ولا ذَنْبَ ... وما مِنْ سببٍ يَدْعُو إلى قتلِكَ ... ولم تُسِيءْ إليَّ ... ولم أحملْ لك أنا ضِغْنَاً ... كُلُّ هذا أعلَمُهُ عِلْم اليَقينِ .... ومَعَ ذلك لابُدَّ لي من أنْ أقتُلَكَ .

المندوبُ : يامغيثُ ياربِّ ! ...

الفتاةُ : « وهي ترفعُ المسدَّسَ » هل عندك كلامٌ آخَرُ بعدَ ذلك ؟ ...

المندوبُ : « يرفع يدَيْه » انتظِري ياآنسةُ ... انتظِري ... لحظةً ... لحظةً أخرى.

الفتاةُ : تَفَضَّلْ ... إني كما تَرَى هادِئَةُ الأعصابِ إلى حَدٍّ أُحْسَدُ عَليه ... تَكَلَّمْ.

المندوبُ : افرِضِي ياآنسيّ أنّي لم أحْضُرْ الآنَ . . . ولم يُرْجِعْنِي إلى هُنا قلمي الأَبَنوسُ النَّحْسُ . . ماذا كُنْتِ سَتَصْنَعِينَ ؟ . . .

الفتاةُ : كُنْتُ سأقتلُ أحدَ هذينِ الزَّوجَيْنِ . . .

المندوبُ : اجعلي إذَنْ أنّي غيرُ موجودٍ . . . وامضِي في إجراءاتِك السَّابقة . . .

الفتاةُ : هذا غيرُ مُمْكِنٍ . . . لأَنَّكَ موجودٌ بالفِعْلِ ، وصَدَرَ عليكَ حُكْمُ الأغلبيةِ . . .

المندوبُ : الأغلبيةُ ؟ ! . . . إنَّ هذه الزوجةَ لا تَدْرِي مايَنْفَعُها . . . لَوْ أنَّها عَرَفَتْ مَصْلَحَتَها لحَكَمَتْ معي ضِدَّ هذا الزَّوجِ . . . فإنَّها بمجَرَّدِ مَوْتِهِ تَقْبضُ أَلفَيْنِ من الجنيهاتِ . . .

الزوجُ : أيُّها المندوبُ . . . لاتَلْجأْ إلى هذا الإغراءِ الوضيعِ ! . . . إنَّك في قرارةِ نَفْسِكَ تَتَمَنَّى موتَ الزَّوْجَةِ . . . لأنَّ شَرِكَتَكَ تكسبُ بذلك كُلَّ مادَفَعْتُ أنا مِنْ قِسْطٍ . . . ولابُدَّ أنْ يكونَ لَكَ من وراءِ ذلك عُمولةٌ . .

الفتاةُ : « صائحةً » كَفَى . . . كَفَى . . . لقد ضِقْتُ بهذا الجَدَلِ . . . . أريدُ التِّنفيذَ . . . أريدُ العَمَلَ . . أريدُ أن أقتلَ . . . تقدَّمْ أيُّها المندوبُ ! . . . .

المندوبُ : ياآنستي . . . رُحْمَاكِ . . . أُقبِّلُ قَدَمَيْكِ . . . لاتقتُليني بهذه السُّرعَةِ . . .
أبقي عليَّ دقيقةً . . . أَلَا تعرفين الرَّحْمةَ ؟ . . . .

الفتاةُ : أعرفُ الرَّحمةَ . . . . ولطالما غَمَرْتُ قلبي . . . .

المندوبُ : أَلا تَعْرفينَ اللهَ ؟ . . .

الفتاةُ : أَعْرِفُ اللهَ . . . . ولطالما صُمْتُ له وصَلَّيْتُ . . .

المندوبُ : ألا تعرفين الحُبَّ ؟ . . . .

الفتاةُ : الحُبُّ ؟! . . ماذا تعني ؟ . . .

المندوبُ : الحُبُّ . . . أعني الحُبَّ. الـذي يجعَلُكِ تعيشينَ. . . وتُـدْركينَ للحياةِ مَعْنًى نابضاً راقِصاً . . . ذلك الحُبُّ الذي شَعَرْتُ به عندما رأيتُ زَوْجَتي أولَ مَرّةٍ وهي فتاةٌ . . . خُيِّلَ إليَّ يومئذٍ أنِّي أَحْيَا لأوّلِ مَرَّةٍ وأنَّ كُلَّ شيءٍ أَلْمسُهُ يَحْيَا تحتَ لَمَساتي . . . وكُلَّ منظرٍ أراهُ يحيا تحتَ نَظَرَاتي . . . الحُبُّ ذلك الشُّعورُ الذي يُحيي الأشياءَ والأشخاصَ . . .

الفتاةُ : ما هذا الكلامُ؟ . . . . إنِّي ما سَمَحْتُ لنفسِي قَطُّ، وما سَمحتْ لي أُمّي أنْ أجعلَ لمثلِ هذهِ العَواطِفِ مكاناً في قلبي. إنِّي لم أزَلْ في الثـامنةَ عَشْرَةَ من عُمْري . . . ومُنْذُ الصِّغَرِ وأُمِّي تُحذِّرُني من هذا الشُّعورِ الأثيمِ الذي تَجْرُؤُ أنتَ فَتُطْريه هذا الإِطْرَاءَ . . .

المندوبُ : آه . . لقد قَتَلَتْ فيك حُبَّ الحياةِ . . . فحلَّ فيكِ حُبُّ الموتِ . . .

الفتاةُ : احْتَفِظْ بهذهِ الأفكارِ لنفسِكَ . . لَسْتَ أنتَ على كُلِّ حالٍ مَنْ يُقَدِّرُ أَنْ يَرَى ماتَنْطَوي عليه نَفْسِي . . . . مَنْ ذَا الذي يستطيعُ أنْ يعرفَ حقيقـةَ ما يُحبُّ ومَـدَى مايُحبُّ . . . إليكَ زَوْجَينِ همـا مثـالُ الإخلاصِ والوَفَاءِ . . . طالما لمحْتُ ذلك منها بعيني وسمعتُ من أُمِّي . . .

الزوجةُ : أَوكَانَ يدورُ بخَاطِري أنَّ زوجي يَخْدَعُني هذا الخِدَاعَ ؟ ! . . . . .

الزوجُ : أأَنا الذي خَدَعَكِ أَمْ أنتِ التي خَدَعْتِني ؟! . . .

الفتاةُ : مامِنْ واحـدٍ منكمـا خَدَعَ صاحِبَـهُ . . . إنما كان كُلُّ واحدٍ منكما يَخْدَعُ نَفْسَهُ ! . . . أو نَفْسُهُ هي التي تَخْدَعُهُ . . . لأَنَّهُ ما مِنْ إنسانٍ هَبَطَ إلى قاعِ نَفْسِهِ ليَرى مافيها . . . هذا البَحْرُ ذو الوَجْهِ الصَّافي الـذي تَخْتَلِطُ في جَوْفِـهِ الـرِّمـالُ بالأعْشَـابِ والصُّخـورُ بالأسماكِ

والّلآلِىءُ بالعَقَارِبِ . . . هكذا قال لي الطبيبُ الذي ذهْبتُ إليه هذا الصباحَ . . .

الزوجةُ : أَوَ ذَهبْتِ إلى طبيبٍ هذا الصَّباحَ ؟ . . . .

الفتاةُ : نَعَمْ . . . طبيبٌ من أبرعِ الأطباءِ في الحالاتِ النَّفسِيّةِ . . . لم أَرَ بُدّاً مِنْ أن أستشيرَهُ اليومَ . . . . دُونَ أنْ أُخْبِـرَ أَحَـدَاً، حَتَّى ولا أمي . . . لقد استشرْتُهُ في أمْرِ هذا الصَّوْتِ الدَّاخِلي الذي يأمُرُني بالقَتْلِ . . .

الزوجةُ : وبماذا أشارَ عليكِ ؟ . . . . .

الفتاة : أشارَ عليَّ بأَنْ أُطيْعَ الصَّوْتَ . . . ولا أُخالِفَهُ ولا أُكْبِتَهُ . . . . وأن أقتُلَ . . .

المندوبُ : « صائحاً » قال لك اقتُلي ؟! . . .

الفتاةُ : قال لي إذا قَتَلْتِ فإنَّـكِ تَشْعُرِينَ في الحالِ بأنَّكِ اسْتَرَحْتِ . . . وأعطاني هذا المسدَّس . . .

المندوبُ : أعـطاكِ الـمسـدس وقـال لكِ اقتُلي ؟ ! . . . . هكـذا بكُـلِّ بساطةٍ ؟! . . . كما لو أعطاكِ بَرشامة « اسبرين » وقال لك اشْرَبي؟! . . .

الفتاةُ : لقد أكَّدَلي أنَّ هذا هو الدَّواءُ . . . ولايجوزُ لي أن أُهْمِلَ تَعليماتِ الطبيبِ . . . ويَحْسُنُ بِكَ أنْ تُساعِدَني على الشِّفَاءِ . . . لأُقَدِّرَ لك هذه الخدمةَ فيما بعدُ . . . تَقَدَّمْ ! . . . « تصوب مسدسها نحوه . . . . »

المندوبُ : « في ذهولٍ » فيما بَعْدُ ؟! . . . . أينَ ؟ . . . . ومَتَى ؟ . . . وأنتِ تَخْـطِفـينَ الآن رُوحِـي ! . . . « يفـيقُ ويَصـيحُ » لا تُصَـوِّبـي نَحْوِي . . . انتظِري . . . . انتظِري . . .

الفتاةُ : انتظرتُ أكثرَ مما يجبُ .. أريدُ أنْ أستريحَ ... أريدُ أنْ أستريحَ ....

المندوبُ : تَتعاطين الدَّواءَ ! ....

الفتاة : نَعَمْ ... وبسرعةٍ ... وأَرْجُو أن تَتَلَطَّفَ مَعِي وتترفَّقَ بي ..... ولا تُؤَخِّرْني عن مباشرةِ العِلاَجِ ...

المندوبُ : ارْحَموني ياناسُ ! .... سَأُجَنُّ قبلَ أنْ أموتَ ! .... تريدُ مِنِّي أنْ أترفَّقَ بها، ولتطلقَ رَصَاصَها في صَدْرِي ! ...

الفتاةُ : نَعَمْ ... تَرَفَّقْ بي وأَرِحْنِي .... أَرِحْنِي. عَالجني ... امنَحْنِي الرَّاحَةَ والشِّفَاءَ.

المندوبُ : « صائحاً » بموتي .... بدَمي ...

الفتاة : وأيُّ غرابةٍ في ذلك؟! ... إنَّ دماءَ البعضِ عِلاَجٌ للبعضِ ... وليس هذا بالشيءِ الجديدِ تحت الشَّمْسِ ! .... أرجوكَ أنْ تتقدَّمَ خُطْوةً حتى لاتُصيبَ الرصاصةُ غيرَكَ ... إني سَأُطْلِقُ ... : «تصوب المسدس .... »

المندوب : « صائحاً بفزعٍ » ياآنسةُ .... ارْحَمي الأيتامَ ! .... « يُسْرِعُ إلى الزوجَيْن فيلتَصِقُ بهما » ....

الزوجُ : « يدفَعُهُ عنه » أبعُدْ عَنّا ... أبعُدْ ...

المندوبُ : « يتشبثُ به » أَبعُدُ عَنْكَ الآنَ ... وأنت سَبَبُ المصيبةِ ! ... يازبونَ الشُّؤْمِ ! ...

الزوج : « يحاول التخلص» أُتْرُكْني... أُتْرُكْني..

المندوبُ : « يستميتُ في التَّشَبُّثِ به » لن أَتْرُكَكَ أبداً .... فلنمُتْ معاً ... لن أموتَ وحدِي ... ماذنبي أدخلُ بيتَكَ لأؤَمِّنَ عليكَ ... فإذا أنتَ الزبونُ تعيشُ ... وإذا أنا المندوبُ غيرُ المُؤَمَّنِ عليه أموتُ ؟!

الزوجُ : « لزوجته » خَلِّصِيني ... خَلِّصيني منه ! ...

الزوجة : كيفَ أُخَلِّصُهُ ... وذراعاه قد ماتَتَا عليكَ ! ...

الزوجُ : حَاولى ... ابذلي مجهودًا ! ...... لا تَقفي هكذا تُشاهدينَ !

« يتماسكون جميعاً ».

الفتاةُ : « وهي تُراقبهم » آه ... المسألةُ قد تَعقَّدتْ فيما أرى ... وَقْتي ضَيِّقٌ ». وأَنفاسِي تكادُ تقفُ ... أَشْعُرُ أَنِّي أختنقُ ... لا ... لابُـدَّ مِنَ العَمَـلِ حالاً ... لأستعيدَ تنفُّسِي ... لن أمـوتَ من أجـلِكُمْ ... ولا من أجـلِ أحـدٍ .... تمـاسَكْتُم وأصبحْتُم كُتْلَةً ... رُبَّما كانَ في ذلك انفراجُ العقدةِ .... سَأُطْلِقُ رصاصةً واحِـدَةً على كتلةِ أَجْسَامِكُم المتلاصقة .... ولتُصِبْ منكم مَنْ تُصِيبُ ... كُلٌّ وحَظُّهُ ... هأنذَا أقتلُ واحدًا من بينكم ... أيَّ واحدٍ ... أقتلُ ... أقتلُ .... أقتلُ.

« تقول هذه الكلمة من بين أسنانها وتلمع عيناها ببريق عجيب ... وتطلق عيارًا ناريًا، ويدوي في القاعة، على الثلاثة وهم متكتلون يتدافعون .... »

الثلاثة : « يَسْقُطُونَ على الأرضِ صائحينَ » قتلتنا ...

الفتاةُ : « تتجهُ إليهم » مَنْ منكم الذي أُصِيْبَ ؟...

الزوجةُ : « صائحة » أنا .... أنامتُّ ...

الزوجُ : « صائحاً » أنا تُوفِّيْتُ ....

المندوبُ : « صائحاً » أنا انتقلتُ إلى رحمةِ اللهِ ! ....

الفتاةُ : مستحيلٌ .... مستحيلٌ أن تموتوا جميعاً .... أَنتُم الثلاثة من رصاصـةٍ واحدةٍ ! .... فيكم اثنان على الأقل في صحةٍ جيدةٍ .... انهضوا لأَرَى .... واحدٌ من بينكم فقط هو الذي أُصِيْبَ ....

« الثلاثة ينهضون على أقدامهم .... وهم يجسّون أعضاءهم فاحصين .... »

الفتاةُ : « وهي تنظُر إليهم » ما هذا السَّوَادُ في وُجُوهِكُم وعلى ثيابِكُم ؟!. . .

المندوبُ : « هَبَابٌ » بارودٌ ! . . .

الفتاةُ : والرَّصاصةُ ؟ . . . . أينَ الرَّصاصةُ ؟ . . . . مَنْ منكم استقرَّتْ فيه الرَّصَاصَةُ ؟ . . .

الزوجُ : « وهو يفحَصُ جِسْمَهُ ويبحَثُ في جيوبه » أو (أَوَ) تُلْقِينَ علينا أيضاً عَبءَ البَحْثِ عَنْ رَصَاصَتِكِ؟!. . .

الفتاةُ : هذا لايحتاجُ إلى بحثٍ. . . أَمَا مِنْ دَمٍ سَالَ مِنْ أَحَدِكُم؟. . .

الزوجةُ : « وهي تَمْسَحُ عَرَقَها » وهَلْ بَعْدَ كُلِّ هذا يبْقَى في أحدِنَا قطرةُ دَمٍ !. . .

« المندوب يتناول المسدس حيث كانت قد وضعته الفتاة على المنضدة بعد الطلقة. . . ويفحصه ويصيح. . . »

المندوبُ : « المسدَّسُ لم يكُنْ محشواً بغيرِ البارودِ!. . .

الفتاةُ : « تَلْتَفِتُ نحوه » أأنتَ واثِقٌ؟. . .

المندوبُ : « يُقَدِّمُ إليها المسدَّسُ » خُذِي وانْظُري بنفسِكِ!. . .

الفتاة : هذا إذنْ تدبيرٌ من الطَّبيب. . . مَهْمَا يَكُنْ من أمرٍ فإنِّي أَشْعُرُ حقاً أنِّي استرحْتُ. . . وكأن كابوساً انزاحَ عَنِّي. . .

المندوبُ : وعَنِّي أنا أيضا. . . اسمحي لي يا آنسةُ بالانصرافِ. . . تَوْبَةً إلى الله!. . . لَنْ أَدْخُـلَ هذا البـيتَ. . قبـل أن أُؤَمِّنَ على حياتي لمصلحةِ الأولادِ!. . .

« يحمل حقيبته الصغيرة. . . ويلتقط قلمه الأبنوس الذي كان قد نسيه فوق المنضدة. . . ويخرج بسرعة. . .

الفتاةُ : « للزوجين » آسِفَـةٌ. . . أزعجتكما كثيراً. . . اعذراني. . . وافْهَمَا حَالي. . . إنِّي على كُلِّ حال شَاكِـرةٌ لكما أَجْزَلَ الشُّكْرِ. . لقد

استرحْتُ حَقّاً بعد أنْ أطْلَقْتُ النَّارَ. . . واعتقَدْتُ أني قَتَلْت. . .

« تشير بالتحية وتتحرك منصرفة بينما تتجه الزوجة مطرقة إلى باب حجرتها على اليمين دون أن تنظر إلى زوجها »

الزوجُ : « للفتاة المنصرفة » لَقَدْ قَتَلْتِ سَعَادَتَنا الزّوجِيَّةَ! . . .

« ستار »

☆☆☆

ثالثاً : الشرح والتعليق :-

يُعالجُ الأستاذُ توفيقُ الحكيم في مسرحياتِهِ الكثيرةِ والمتنوعةِ مَشاكِلَ المجتمعِ وشرائحه المختلفة، كما يغوصُ في مَواطِنِ النَّفْسِ الإنسانيةِ مُحَاولاً عَرْضَها على المَلَأ بما تحملُهُ من تناقُضٍ وائتلافٍ على حَدٍّ سواء، وهو في هذا كُلِّه صَنَّاعٌ ماهِرٌ، يُجيدُ حِرْفَتَهُ المسرحيةَ إجادَةً تامَّةً، ويُبْدِعُ عَمَلَهُ كُلًّا واحداً مستوفياً جميعَ الشَّرائطِ الواجبِ تَوَافُرُها في المسرحيةِ الناجحةِ.

وبعد قراءتنا للمسرحيّةِ السَّابقةِ نُحاولَ هنا إعادةَ الكتابَةِ عن مضمونها فهو واضِحٌ جَلِيٌّ، وقد استمتعَ به القارىءُ، وحَصَلَ على لَذَّةٍ من هذه القراءة، ولَعَلَّ المُتْعَـةَ والفائِدَةَ هما العُنصرانِ اللَّذانِ يجبُ أنْ يَخْرُجَ بهما القارِىءُ للأعمالِ الأدبية، وقد تحقَّقَا في مسرحية الحكيم . وسنحاولُ هنا أنْ نَقِفَ عند شخصياتِ هذه المسرحية، وأحداثِهَا، ونهايَتِها. وهل استطاعَ الكاتِبُ في هذا العمل القصيرِ أنْ يُحَقِّقَ غَرَضَهُ ويكشفَ ما أرادَ الكَشْفَ عنه؟

هي أربعُ شخصياتٍ تلعبُ أدوارَها أمامنا: الزوجُ، والزوجةُ، ومندوبُ شركةِ التأمينِ، والفتاةُ المريضةُ، وهو عددٌ مناسِبٌ لمسرحيةٍ من فصلٍ واحدٍ، تأخُذُ مَدَى زمنيًا قصيراً، لعلَّه لا يتجاوزُ سُوَيْعَاتٍ معدودةً. وهذه الشخصياتُ تتحركُ في مجالٍ مُحَدَّدٍ هو شَقَّةُ الزُّوجِ والزوجةِ. وهناكَ إشارة إلى مجالٍ آخَرَ هو شَقَّةُ الجِيرانِ وهو لا يأخُذُ سِوىَ حَيِّزٍ صغيرٍ من المسرحية أُرِيْدَ به التمهيدُ لحُضورِ الفتاةِ

المريضةِ إلى المجالِ الرئيسي وانتهى دورُهُ عندَ هذه النّقطةِ، وتأخُذُ الشخصياتُ مساحاتٍ تَكادُ تكونُ متقاربةً من زمنِ المسرحيةِ،والحِوارُ فيها أمْرٌ أولاهَ الكاتِبُ عنايتهُ لئلاَّ تتغلَّبَ شخصيةٌ على أخرى فتُصْبِحُ المغلوبةُ شخصيةً ثانويةً ومن ثم لا أهميَّةَ لها، وهذا يُضْعِفُ المسرحيةَ وبناءَها، خاصَّةً ونحنُ في مسرحيةٍ قصيرةٍ لا يتحملُ هَيْكَلَهَا الشخصياتُ الثانويةُ كثيراً، وما دمنا نتحدَّثُ عن الشخصياتِ فلا بُدَّ من الوقوفِ قليلاً عند الحِوَارِ وهو الكَلامُ الذي يدورُ بينَ الشخصياتِ.

وقد رأيناهُ واضحاً مباشراً يتميزُ بالجُملِ القصيرةِ المُعَبِّرةِ، خالياً من الحَشْوِ والفُضُولِ وهذا هو الحِوارُ النَّاجِحُ، إذْ أنَّ المسرحيةَ لا تحتملُ حِواراً طويلاً يحملُ في طيّاتِهِ أفكاراً مُعَقَّدَةً أو يشرحُ نظرياتٍ أو يُرْسِي قَواعِدَ، فالشخصيةُ يجبُ أنْ تُعَبِّرَ عن نَفْسِهَا ولا يملكُ الكاتِبُ من أدواتٍ لهذا التعبير إلاّ بالحِوارِ، فبه نستطيعُ تَخَيُّلَ الشخصيةِ وأفكارها ومبادِئِها، وحَتَّى صِفَاتِها الخُلُقِيّة والجِسْمَانِيَّة، ولذلِكَ نَرَى الحِوارَ يلعبُ دوراً مُهِمّاً في بناءِ المسرحية ويكونُ المُعَوَّلَ عليه في إنجاحِها أو فَشَلِهَا.

ومثلَمَا نجَحَ الكاتِبُ في رَسْمِ شخصياتِهِ، يَنْجَحُ مرةً أُخْرَى في عَرْضِ أَحْدَاثِهِ، فَنَرَاهَا مُترابِطَةً مُحْكَمَةً، يُسْلِمُ الحَدَثُ الأولُ تَسَلْسُلَ المسرحيةِ إلى الحَدَثِ الثّاني. . وهكذا. ونَرَى هذهِ الأحداثَ تنمو نمواً طبيعياً بلا تَكَلُّفٍ أو تَدَخُّلٍ قسري من الكاتبِ لتنتهيَ في آخِرِ المسرحيةِ تلك النِّهايَةَ المنطقيةَ التي تحملُ في طَيّاتِها الكثيرَ من عناصرِ المُفَاجَأةِ والدَّهْشَةِ، وهذا مِمَّا أَضْفَى على المسرحيَّة كُلِّها جمالاً واستمتاعاً، وشَدَّ القارِىءَ إليها وَجَذَبهُ للوصولِ إلى نهايتها.

لقد عرضَ لنا الأستاذُ الحكيمُ في مسرحيتِهِ السالفةِ جانباً من النَّفْسِ الإنسانيةِ في قَلَقِهَا وَتَوتُّرِهَا وحُبِّها للحياةِ من خلالِ الصِّراعِ الدائرِ بينَ الشَّخصياتِ التي اختارَها، وهو صراعٌ مثَّل قُطْبَيْه الفتاةُ المريضةُ من جهةٍ وبقيةُ الشخصياتِ من جهةٍ أُخرى، هذا هو الصِّراعُ الطَّافي على سَطْحِ المسرحيةِ، أمَّا ما خَفِيَ منها

فهو صراعٌ بينَ الموتِ والحياةِ، بينَ الرَّغبةِ وعَدَمِ القُدْرَةِ على تحقيقها، أفرادُ الصِّراعِ جميعُهم ذَوُو رَغَبَاتٍ مُتناقِضَةٍ يَجمعُهُم حُبُّ الحياةِ أو تحقيقُ الرَّغْبةِ، وقد كانَ هذا الأمرُ مَدَارَ المسرحية، وقد وُفِّقَ الحكيمُ في تصويرِ هذه النَّزَعَاتِ الإنسانيةِ المتناقِضَةِ فجاءَتْ المسرحيَّةُ قالبَاً مُتكَامِلاً وقِطْعَةً أدبيَّةً راقيَةً.

* * *

رابعاً : التَّدريبات:-

(١)

أجب عن الأسئلة التّالية:

١) أعطِ ملخَّصاً موجزاً لمضمونِ هذه المسرحيةِ.

٢) اخْتَرْ عنواناً يتناسبُ ومضمونَ هذهِ المسرحيةِ.

٣) عرفتَ نِهـايةَ المسـرحيةِ، هَلْ لَدَيْكَ احتمالاتٌ بنهاياتٍ أُخرى أكثرَ طرافةً وأدْعَى إلى المُفَاجَأةِ؟ اشرحْ رأيَكَ.

٤) بَدَا الزوجُ والزوجةُ وفِيَّيْنِ في بدايةِ المسرحية، ولكنَّهما سرعان ما تَحوَّلا. اذكُرْ سِرَّ هذا التَّحَوّل.

٥) يقولُ الحكيمُ في هذه المسرحية «دِماءُ البعضِ علاجُ البَعْضِ».
في أيِّ سياقٍ وَردَتْ هذه العبارةُ؟ وعلى لسانِ مَنْ؟ ثم ما رأيُك في هذه المَقولةِ؟

٦) كيف تُحَلِّلُ شخصيةَ الفتاةِ المريضَةِ؟ وما رَأيُك فيها؟

٧) قرأتَ في التعليق على هذه المسرحية، أنها غَوْصٌ في بواطِنِ النَّفس الإنسانية.
اشرحْ كيفَ كان ذلك؟

٨) أَعْطِ نُبْذَةً يسيرةً عن شخصياتِ المسرحية:
الـزوج / الزوجـة / المنـدوب / الفتاة المريضـة.

٩) تردَّدَ الحِـوارُ في هذه المسـرحية بين القِصَـرِ والطُّولِ. اخْتَرْ نُموذجاً لِكُلٍّ

منهما، مع تبرير شَكْلِ الحِوَارِ في كُلِّ نموذجٍ.

١٠) في كُلِّ عملٍ أدبيٍّ مُتعةٌ وفائدةٌ. طَبِّقْ هذا على مسرحيةِ الحكيمِ.

* * *

(٢)

١) قال الزوجُ: أَهَمُّ شيءٍ عندي هو أنَّ زوجتي لا تعلَمُ بخبرِ هذا التأمين وأنا على قَيْدِ الحَيَاةِ... إنها رقيقةُ المَشَاعِرِ.. شديدةُ الإخلاصِ إلى حَدٍّ يؤثِرُ أحياناً في صِحَّتِها... ما مِنْ أمرٍ يُزْعِجُها في النَّهارِ ويُؤرِقُها في اللَّيلِ إلّا فكرة موتي قبلها... فهي لا تطيقُ أنْ تتصور هذا يحدث يوماً... وإذا مَرَّ شبح ذلك بخاطرها صاحت:

« اللّهُمَّ اجعلْ يومي قبلَ يومه... » ولكنِّي أنا أشد منها انزعاجاً ولا أسألُ الله شيئاً إلّا أنْ يجعلَ يومي قبلَ يومها... ».

أ - استخرج من النصّ جملةً اسميةً، الخبرُ فيها جُملةٌ فعليةٌ، وأخرى الخبرُ فيها جملةٌ منسوخَةٌ، وثالثةً الخبرُ فيها شِبْهُ جُملةٍ.

ب - استخرجْ من النَّصّ جملةً منسوخةً بحرفٍ ناسخٍ، واذكُرْ اسمَهُ وخبرَهُ؛ وبَيِّنْ نوعَ الخَبرِ.

جـ - اضبطْ بالشَّكْلِ أواخِرَ الكلماتِ الّتي تحتَ كُلٍّ منها خَطٌّ، مع بيانِ سَبَبِ الضَّبْطِ.

د - اذكُرْ الموضِعَ الإعرابيَّ لِمَا يأتي: (يزعجها في النهار)، (أنْ تتصور..) (أنْ يجعل يومي....).

هـ - ما اسمُ الضميرِ المنفصل الوارد في قوله: (... هو أنَّ زوجتي...) وفي قوله: (ولَكنِّي أنا أشَدُّ...) وما فائدتُهُ في الجملتَيْن؟.

٢) قال الزوج: (مِنْ حُسْنِ الحَظِّ أنَّها فوق...)

قوله : (فوق) ظرفُ مكانٍ، اضبطْهُ بالحركةِ التي تَرَاها مُناسِبةً، واذكُرْ سبَبَ الضَّبْطِ.

٣) قال المندوب: (عفواً. . . معذرةً. . .). لم انتصب (عفواً) و (معذرةً)؟

٤) قالت الزوجة: « انتظِرْ يادكتورُ. . . انتظِرْ. . . إنَّكَ سَتَجِدُهَا الآنَ منفردةً في حجـرتها . . . فهي كثيرةُ العُزْلَةِ . . . تعيشُ وَحْدَهَا مَعَ أُمِّها لاتخرجُ كثيراً وتقرأُ طويلًا. . . ».

لم انتصبت الكلمات التالية: (منفردةً)، (كثيراً)، (طويلًا)؟.

٥) اقرأ المسرحيةَ قراءةً جيدةً، واستخرجْ منها كُلَّ جملةٍ منسوخةٍ بفعلٍ ناسخٍ، مُبَيِّناً نوعَ الخبرِ فيها.

٦) اقرأ المسرحيةَ قراءةً جيدةً واستخرجْ منها كُلَّ فعلٍ مضارعٍ منصوبٍ بـ (أنْ) المصدريةِ النَّاصبةِ، واذكُرْ علامةَ النَّصْبِ، ومَحَلَّ المَصْدَرِ المُؤَوَّلِ من الإعرابِ. ،

٨) قالت الفتاةُ: « . . . وَأَنْفَاسِي تَكَادُ تَقِفُ. . . أَصْبَحْتُم كُتلَةً »

أ - أعرب الجملتين: (تَكَادُ تَقِفُ) و (أَصْبَحْتُم كُتْلَةً »

ب - ما الفَرْقُ بينَ خَبَرَيْ الجُملتَيْنِ؟ وما الذّي يَدُلُّ عليه الفِعْلُ الناسخُ فيهما؟

* * *

نماذج مختارة
من الشعر المعاصر

الوحدة الثالثة والعشرون
فـي وَصْـــفِ الطَّبيـــعة

للشَّاعرِ القَرَوِيّ
رشـــيد سلـــيم الخُـــوريّ

أولاً : صاحِبُ النَّـــصِّ:-

وُلِدَ في قريةِ البربارة بلبنانَ سنة ١٨٨٧ في أُسْرَةٍ متوسِّطَة الحَالِ ، تَلَقّي عُلُومَهُ الأولى بلبنانَ في مدارِسَ مُخْتلفةٍ، ثم انصرَفَ إلى طَلَب العَيْشِ بوسائِلَ شريفةٍ، ولَمَّا ضاقَتْ عليه الحَالُ في بَلَدِهِ، شَدَّ رِحَالَهُ إلى المَهْجَرِ الجَنُوبيِّ في البرازيلِ سنة ١٩١٣م حيثُ أقامَ هناك مُدَّةً طويلةً عادَ بعدَها إلى وطنِهِ لُبنانَ ليموتَ فيه، ويُدْفَنَ في ثَرَاه.

أَمَّا لَقَبُهُ (القَرَوِيّ) الذي عُرِفَ به فقد أَطْلَقَهُ لأول مرة نجيبُ قسطنطين حَدّاد الذي تَعَقَّبَ بالنَّقْدِ دِيوانَهُ « الرَّشيدِيَّات »، وكانَ هذا مِنْهُ تَعْريضاً بالشَّاعِرِ، ولكنّه أُعْجِبَ به، واتَّخَـذَهُ لَقَباً له يُوَقِّعُ قَصَائِدَهُ التي ينشُرُهَا بعد هذا. عُرِفَ الشَّاعرُ بدَمَاثَةِ الخُلُقِ والاستقامَةِ والإخلاصِ والوطنيَّةِ. خَلَّفَ أعمالاً شِعْرِيَّةً كثيرةً جُمِعَتْ في ديوانِهِ الضَّخْمِ الذي طُبِعَ ببغدادَ سنة ١٩٧١ ثم طُبِعَ مَرَّةً أخرى في بيروت سنة ١٩٧٨. وله غيرُ الشِّعْرِ مقالاتٌ كثيرةٌ ومقدّمةٌ طويلةٌ لديوانِهِ.

تَوفِّي الشَّاعِرُ سنة ١٩٨٤م . . . .



ثانياً : النَّـــصُّ :-

١ . أَمَا تَرَيْنَ الدُّجَـى (١) لُمَّتْ غَدَائِـــرُهُ (٢)
سُوْدَاً فَنَشَّـرَهَـا رَأْدُ الضُّـحَى (٣) شُقُـرَا

٢ . والغَــابُ أَلَّفَ جَوْقَـــاً (٤)مِـــنْ عَشِيرَتِـهِ
الرِّيــحَ والنَّـــهْرَ والأَطْيَـــارَ والشَّــجَرَا

٣ . رَفَّ النَّـسِـيمُ عَلَـى أَدْوَاحِــهِ (٥) فِبهَـا
مـا بَالمُحِـــبِّ إِذَا طَيْفُ الحَبِيْبِ سَـرَى

٤ . تَحْـكِي القِيَـان (٦) مِـنَ الأَوْرَاقِ حَامِلَـةً
مِثْـلَ الــدُّفوفِ عَلَيها الطَّلُ قَــدْ نَقَـرَا

٥ . والبَـدْرُ كالنَّاشِـيءِ العَصْـرِيِّ عادَ ضُحَىً
مِنْ مَرْقَصِ النَّجْمِ يَشْكُـو الضَّعْفَ والخَوَرَا

٦ . يَمْشِـي إِلـى السَّـاحِلِ الغَرْبِـيِّ مُتَّـئِدَاً(٧)
كالشَّـيْخِ في سَـفْـحِ تَلٍّ الأُفْقِ مُنْحَدِرَا

٧ . والأَرْضُ حَـارَتْ أَتَلْقَـى الفَجْرَ ضَاحِـكَةً
لأُمِّـــهَــا الشَّـمْسِ أَمْ تَبْكِي ابْنَهَا القَمَـرَا

---

١ - الدّجى : سَوَادُ الليل وظُلْمتُهُ.
٢ - غَدائِرُه : جمع (غَدِيرة) وهي الذُّؤَابَةُ المضْفُورَةُ من شعر المرأةِ.
٣ - رَأْدُ الضُّحى: انبساطُ شَمْسِهِ وارتفاعُ نهارِهِ.
٤ - الجَوْقُ : الجماعَةُ.
٥ - أدواح : الأشجارُ الكبيرة.
٦ - القِيَانُ : الجَواري، المغنيات.
٧ - مُتئِداً : مُتَمَهِّلاً.

٨ . والَّـليْـلُ فَـرَّ فِرَارَ الـعَـبْـدِ حِيْـنَ رَأَى
مُسْـتَـوْدَعَ النُّـوْرِ فـي آفاقِـهَا انْفَجَـرَا
٩ . والصُّبْـحُ أَرْخَـى نِقَـابَـاً مِـنْ أَشِـعَّتِه
أَخْفَىْ بِـهِ الزهْـرَ لَمَّـا أَعْـلَنَ الزَّهـرَا
١٠ . سُـبْحَـانَ مَنْ أَبْـدَعَ الأَنْـوَارَ مُعْجِـزَةً
إِنْ شَـاءَ أَبْـدَى بِـهَا الأَشْـيَاءَ أَوْ سَـتَرَا
١١ . والـرِّيحُ تَنْفُـخُ نَايَـاتِ الغُصُـونِ عَـلَى
سَـمْعِ العَقِيْـقِ فَيَجْـرِي دَمْعُهُ غُـدُرَا[1]
١٢ . نَاحَـتْ على أَرْزِهَـا المَهْجُـورِ شَارِحَةً
مَا رجَّـعَ الشَّـاعِرُ المَنْفِـيُّ مُخْتَـصَرَا
١٣ . والنَّهْـرُ سَـاحَ[2] كَأَنَّ البَحْرَ مَدَّ يـدًا
بَيْـنَ الْمَـزَارِعِ تُهْـدِي المـاءَ والـدُّرَرَا
١٤ . ولِلجَـدَاوِلِ أَنَّـــاتٌ مُرَجَّعَـــةٌ
كَأَنَّهـــا فُجِّـرَتْ مِـنْ أَكْبُـدِ الشُّـعَرَا
١٥ . فالغُصْـنُ مِـنْ طِيْـبِ رَيَّاهَـا تَرَنُّحُـهُ
والـطَّيْرُ مِمَّـا حَسَـا مِنْ طَلِّهَـا[3] هَدَرَا
١٦ . ولِـلسَّـحَـابِ ثَنِيَّـاتٌ مُصَـفَّفَـةٌ
بِيْـضٌ كَـأَنَّ عَجُـوزاً جَعَّـدَتْ شَـعَرَا
١٧ . ولِـلغَمَـامَـةِ أَذْيَـالٌ مُعَـطَّـرَةٌ
مِثْلُ البَخُـورِ عَـلاَ فـي السَّـفْحِ وانْتَشَرَا

---

١ – غُدُراً : جَمْعُ (غَدِير) ، وهي القِطْعَةُ من الماءِ أَنْ يُغَادِرَها السَّيْلُ. وعند الجُغرافيين : النَّهْرُ الصُّغَيْر.
٢ – سَاحَ : سَالَ وجَرَى.
٣ – طَلُّها : الطَّلُّ : المَطَرُ الخفيفُ يكون له أَثَرٌ قليلٌ.

١٨ . هَيَّا إلى الغَابِ إنّي قَدْ بَنَيْتُ لنا

مِنَ الرَّياحِيْنِ عُشًا لَيِّناً عَطِرَا

١٩ . تَحْنُو عَلَيْنَا ظِلالُ الأَيْكِ[١] رَقَّطَهَا

مِنَ الأشِعَّةِ كَفٌّ تَرْسُم الصّورَا

☆☆☆

ثالثًا : الشَّرْحُ والتَّعْلِيْقُ : -

وَصْفُ الطَّبيعةِ من الأغراضِ التي طالَمَا تَرَدَّدَتْ بينَ الشُّعَرَاءِ، يُدِيْمُونَ النَّظَرَ فيها ويَتَغْلَغَلُونَ إلى أَسْرارِهَا، ويَنْقُلُون مَفَاتِنَهَا شِعْرًا رقيقًا يدلُّ على رَهَافَة الحِسِّ، ويشيرُ إلى المَوْهِبَةِ الفَذَّةِ. وما تزالُ رَوْضِيّاتُ البُحْتريّ وأبي تَمّام والصّنوْبَري وغيرهم مَعَالِمَ بارزَةً في شِعْرنا العَربيّ، تُومِئُ إلى انْتِشَارِ هذا الغَرَضِ واهتِمَام الشُّعَراءِ بهِ، والأبياتُ السَّالفَةُ تَدْخُلُ ضِمْنَ هذا الإطارِ، إذْ يُصَوِّرُ الشَّاعِرُ القَرَويُّ فيها جانباً من تلك الطَّبيعةِ التي رآها وعايَشَها، وهي مُقْتَطَعَةٌ من قصيدةٍ طويلةٍ آثَرْنَا اختيارَ ما تَقَدَّمَ من الأبياتِ لِشدَّةِ دلالتِهَا وعُمْقِ تَصْويرِها.

والشَّاعِرُ في أبياتِهِ المتقدمةِ يَصِفُ الطَّبيعةَ، وهو مايزالُ مُقيماً في مَهْجَره، بأمريكا الجنوبية، ولكنَّ مَصْدَرَ إلْهَامِهِ ومَنْبَعَ الخَيَالِ عندَهُ بلا شَكٍّ هو بَلَدُهُ لبنانُ ذو الطَّبيعةِ السَّاحِرَةِ الخَلاَّبَةِ، فمِنْهُ يَسْتِقي ومن أنهارِهِ يَغْرِفُ، وليس هذا بغريبٍ عليه، فَقَدْ ظَلَّ يَحْمِلُ لبنانَ، ووَطَنَهُ العربيَّ بَيْنَ جَوانِحِه وهو في الغُرْبَةِ يَكْتَوي بنارِهَا ويَتَحَرَّقُ شَوْقاً للعَوْدَةِ إلى بِلادِهِ.

---

١ - الأيكُ : جَمْعُ (أيْكَةٍ) : وهي الشَّجَرُ الكثيرُ المُلْتَفُّ.

إنَّ الطَّبيعةَ عند الشَّاعِرِ القَرَوِيِّ كائِنٌ مُتَحَرِّكٌ ينبضُ بالحياةِ، فيها من مَلامحِ الإنسانِ الشيءُ الكثيرُ ولذلِكَ نَراهُ يُدَقِّقُ في وَصْفِهَا ، ويتأنَّى في هذا الوَصْفِ مثل ذلـك الـرَّسَّـامِ الذي يَرْسُمُ صورةً لإنسانٍ يَتَحَرَّى فيها الدِّقَّةَ وَوضُوحَ المَلامحِ ودِلَالَةَ الألوانِ. فهو لا يتركُ مظهرًا من مظاهرها إلَّا ويُعمِلُ فيه يَرَاعَهُ، فاللَّيْلُ ذُو غَدَائِرَ سَوْدَاءَ قد جُمِعَتْ بسببِ تَنَفُّسِ الصَّبَاحِ ، والغَابُ جَمَعَ عَشِيرتَهُ وكَوَّنَ منها فِرْقَـةً تَعْـزفُ أجمـلَ الألحـانِ، وليستْ هذه الفِرْقَةُ سِوَى الرِّيحِ والنَّهْرِ والطُّيورِ والشَّجَرِ، ولايَنْسَى النَّسِيمَ العَلِيلَ الذي يَهبُّ برِقَّةٍ فَيُحَيِّي النُّفُوسَ بعَبِيرِهِ ويُشَنِّفُ الأسْمَـاعَ بصَوْتِهِ حِيْنَ يَلْتِقي مع أغصانِ الشَّجَرِ، وهذا البَدْرُ المنيرُ في السَّماءِ يُشيرُ إلى صَفَائِهَا وزُرْقَتِهَا مَعَ النُّجومِ الَّتي تَلْتَفُّ حَوْلَهُ، والأرضُ جَذْلَى بهذا كُلِّهِ، فهي حائِرَةٌ بينَ اسْتِقْبالِ النَّهارِ وتَوْدِيعِ اللَّيْلِ فكلاهُمَا جميلٌ رَائِعٌ، والنَّهْرُ لايَنِي جَارِياً يَرْوِي الأرْضَ، ويُحْيِي مَوَاتَهَا، ويُخْرِجُ ثَمراتِهَا، وما يَنفَعُ النَّاسَ، والسَّحابُ هو الآخَرُ مَظْهَرٌ من مظاهِرِ الرَّوعَةِ حينَ يُكَلِّلُ السَّماءَ بلونِهِ الأبيضَ فَيُضْفِي عليها فِتْنَـةً وحُسْنـاً، مَهْرَجَانٌ من الألوانِ والجَمَالِ والصَّفَاءِ لايَمْلِكُ الشَّاعِرُ إزَاءَهُ إلَّا الدَّعْوَةَ بالاندِمَاجِ فيه، والعَوْدَةَ إلى الغَابِ ففيه يَتَحَقَّقُ هذا الجمالُ، ويَحِلُّ ذلك الصَّفَاءُ. ولا يَفُوتُنَا أنْ نُشَيْرَ هنا إلى بَرَاعَةِ الشَّاعِرِ في إيجادِ العَلاقَاتِ المُخْتَلِفَةِ بينَ هذهِ المَـظاهِرِ، فإنَّ هذهِ العَلاقاتِ قَدْ بَثَّت الحياةَ في الصّورِ التي رَسَمَها وعَمَّقَتْ فيهـا مَعَـانِيَ الحَرَكَةِ والتَّجَدُّدِ، فهي طبيعةٌ نابضَةٌ بعيدةٌ عن الجُمُودِ. تُوْحِي بالانْطِلَاقِ والسَّعَادَةِ، ففيها يَكْمُنُ سِرُّ الحَيَاةِ، ولَنْ نَعْجبَ بعدَ هذا حينَ يَقفُ الشَّاعِرُ مندهشاً وهو يتأمَّلُ بديعَ صِفَةِ الخَالِقِ، فسبحانَهُ تعالى شَأْنُهُ خَلَقَ فَأَبْدَعَ وصَوَّرَ فجاءَتْ صورُهُ كامِلةً لا عَيْبَ فيها، فهو الخَالِقُ المُصَورُ ليس كمثلِهِ شَيءٌ . . .



رابعاً : عَرُوض النَّصّ :

اقرأ البيتَ الأولَ - مع العنايةِ بضَبْطِهِ :

أَمَـا تَـرَيْنَ الـدُّجَى لُمَّـتْ غَـدَائِرُهُ سُوْدَاً فَنشَّـرَهَا رَأْدُ الضُّحَـىَ شُقُـرَا

والبيت في عَروضه ينتمي إلى « البحر البسيط » ، وتفعيلاتُهُ المعروفَةُ :

مُسْتَفْعِلُنْ فاعِلُنْ مُسْتفعلُنْ فعلُنْ مُسْتفعِلُنْ فَاعِلُـنْ مُسْـتفعِلُنْ فعلـن

ولـو حاولنـا تطبيقَ هذه التفاعيل على البيت المذكور، أو أيِّ بيتٍ آخر في النص وجدنا البيتَ ينقسم إلى الوحدات النَّغَمِيَّة « التفعيلات » الآتية :

أما تريـ / ن الدجى	لمت غدا / ئره
/ه//ه/ ه//ه/	/ه /ه// ه/// ه
مُتَفْعِلُنْ / فَاعِلُنْ	/ مُسْتَفْعِلُنْ / فَعِلُنْ

سودا فنشــرها رأد الضحى شقرا

/ه/ه//ه ///ه /ه/ه//ه ///ه

سودا فنشـ / شرها / رَأْدُ الضُّحى / شقرا

مُسْتَفْعِلُنْ / فَعِلُنْ / مُسْتَفْعِلُنَ/ فَعِلُنْ

وهكذا أي بيت في النص . . .



خامساً : الأساليبُ والصّورُ :

أ) التَّراسلُ الحيُّ بينَ الشِّعرِ والشُّعور

هذه القصيدةُ دعوةٌ إلى استجلاءِ الطبيعةِ ومُعَايَشَتِها عن طريقِ عَرْضِ مَفَاتِنِهَا، وإبرازِ محاسِنِهَا، تمامًا كما انْعَكَسَتْ على مُخَيِّلَةِ الشَّاعرِ ورُؤاه.

جاء التَّعبيرُ الشِّعريُّ هنا ليتناسَبَ مع المَحَاورِ العديدَةِ التي جَذَبَتِ الشَّاعِرَ، واسْترعَتْ اهتمامَهُ، وسيطرَتْ على نَبْضِهِ أكثرَ مِنْ غَيْرِهَا.

والنَّتيجةُ مجيءُ المُعْجَمِ الشِّعْرِيِّ فيها وَفْقَ الإطارِ الَّذي تُعَالِجُهُ القصيدةُ من حيثُ الأبعادُ المكانِيَّةُ والزَّمانِيَّةُ، وما يَتَّصِلُ بهما من ظواهِرَ، وكائناتٍ، وعوامِلَ طبيعيَّةٍ وكونيَّةٍ معاً. ونظرةٌ إلى المُعْجَمِ الشِّعْرِيِّ تُرِيْنَا صِدْقَ ما نَقُولُ :

فالشَّـاعِـرُ ينتقِـلُ بنا في أماكِنَ تتجاذَبُ ولا تَتَنَافَرُ، ويَنْقُلُها إلينا في تكامُليَّةٍ فريدَةٍ : غَابٌ وأرضٌ، وغُصْنٌ وعُشٌّ وأَيْكٌ.

وهي أماكِنُ يتناوَبُ عليها الزَّمَنُ مابينَ دُجَاهُ وضُحَاهُ، وصُبْحِهِ وَمَسَاهُ. كُلُّ ذلِكَ يأتي مُطَعَّمَاً بظواهِرِ البَدْرِ والرِّيحِ والسَّحَابِ والظِّلالِ.

كُلُّ هذا قد شَكَّلَ سَدَى التَّجربَةِ الشِّعْرِيَّةِ ولُحْمَتَها معاً. وقد يُظَنُّ - خَطَأً - أَنَّ كثرةَ الصّورِ في القصيدَةِ، وتَلاحُقَهَا قد يَهْبِطَانِ بها من التَّحْليقِ الشِّعْرِيِّ إلى رَتَابَةِ النَّظْمِ الهابطِ الجَافِّ. ولكنَّ الأمْرَ هُنا بالعَكْسِ ، لأنَّ الشَّاعِرَ قد نَجَحَ في إيْرَادِ صورةٍ تِلْوَ صُورةٍ بطريقـةٍ لا تَخْنقُ الفِكْـرَةَ، ولا تُشَـوِّشُ على الجَـوِّ العَامِّ في القصيدةِ. فالعَفْوِيَّةُ المُلْهَمةُ قد مَكَّنَتْ الشَّاعِرَ أَنْ « يُهَنْدِسَ » مَنَاظِرَهُ، وأنْ يُوزِّعَ أفكارَهُ في صورٍ مُنْضَبِطَةٍ ومتلاحِمَةٍ : لاتَفَلُّتَ فيها ولا تَهرُّءَ.

مظاهرُ الوجودِ أمامَ الشَّاعرِ وحَوالَيْهِ تتبَعُ دورةً لاتَحِيدُ عَنْهَا، ومن هنا فإنَّهُ قد تَصوَرَّها على أَنَّها حَقَائِقُ ثابتةٌ راسِخَةٌ، وجاءَ تعبيرُهُ الشِّعْرِيّ ليحكيَ هذا الثَّباتَ والرسوخَ، فكانَتْ الجُملُ الاسميةُ التي يأتي الإسنادُ فيها بَيْنَ كُلٍّ من المبتدأ والخبرِ - دونَ ماحاجةٍ إلى عَلاقةٍ ماديَّةٍ وخارجيَّةٍ - هي طريقُ الشَّاعرِ إلى مُحَاكَاةِ

هذا الثَّبَاتِ والدَّوَام .

فالغابُ أَلَّفَ جَوْقًا / والَبْدرُ كالنَّاشِيء / والأَرْضُ حارَتْ / واللَّيْلُ فَرَّ / والصُّبْحُ أَرْخَى نِقَاباً / والرِّيحُ تَنفُخُ نايات الغُصُونِ / والنَّهْرُ سَاحَ / ولِلجَدَاولِ أَنَّاتٌ / والغُصْنُ يَترنَّحُ من طيب الرَّيا / ولِلسَّحَابِ ثَنِيَّاتٌ مُصَفَّفَةٌ / حَتَّى الغَمَامةُ هي الأُخرى – مَظَنَّةُ الزَّوال – تأتي ولَهَا أَذْيَالٌ مُعَطَّرَةٌ.

ذلك التَّجَاوبُ بين الإحساسِ والتَّعْبيرِ، أو قُلْ ذلك التَّراسُلُ بينَ الشِّعْرِ والشُّعورِ إنَّما هو مَلْمَحٌ حَيَوِيٌّ، وهو كذلِكَ من أماراتِ صِدْقِ التَّجربةِ، ودَليلِ « الأدبيَّةِ » فيها أيضًا.

الشَّاعِرُ لايكْتَفِي بالأَوصافِ الجامدَةِ السَّاكنةِ، ولكنَّهُ يخلَعُ عليها من الظِّلالِ والإيحاءاتِ مايميزُّهَا، ويُضْفِي عليها طابَعَ « الخُصوصِيَّةِ » وتَجِيءُ استعانَةُ الشَّاعِرِ هُنَا بالصّورِ البَيَانِيَّة، والمُحَسّناتِ البَدِيْعِيَّةِ لتزيدَ هذه « الخُصوصِيَّةَ » وتُضِيْفَ إليها.

المقابَلَةُ في البيتِ الأولِ ، ومراعاةُ النَّظِيرِ في البيتِ الثَّامِنِ، وخَلْعُ التَّشخْيصِ على الرُّوحِ ، مَعَ قَلْبِ الحَقَائِقِ في البيتِ الثّالث، والتَّشبيهُ المُركَّبُ، وتَشْبيهُ التَّمثيلِ في البيتَيْنِ الرَّابعِ والخَامِسِ ، وهكذا حَتَّى نهايةِ القصيدةِ – كُلُّ ذلِكَ يُجَسِّمُ أَمامَنَا « خُصوصِيَّةَ » الغَابِ، في صُبْحِهِ ومَسَائِهِ، بَلْ وفي دُجَاه وضُحَاه.

هذه الألوانُ البلاغيَّةُ جَميعُها لم تَرِدْ هنا بطريقةِ المَسْكُوكاتِ الجاهزةِ، ولكنَّها جاءَتْ متميزَةً في كُلِّ مَرَّةٍ وليس تَمَيُّزُهَا راجعاً إلى مُجَرَّدِ إيرادِهَا أو حَشْدِهَا، ولكنَّ مَرَدَّ التَّميزِ طريقَةُ نَظْمِهَا في نَسيجِ القصيدَةِ كُلِّهِ : في السّدى واللُّحْمَةِ على حَدٍّ سَوَاء.

ومن هنا تَترابَطُ الصّورُ الجزئيَّةُ لتُشَكِّلَ في النِّهاية وحدةً كُلِّيَّةً شاملةً، تَجيءُ طبيعيةً، نابضةً، بعيدةً عن الجُمودِ، تُوحِي بالانطلاقِ والسَّعَادَةِ، ويكمُنُ فيها سِرُّ الحَيَاةِ. بإمعانِ النَّظَرِ في الصّورِ الجُزئيَّةِ؛ كُلٌّ منها على حِدَةٍ، نَجِدُ أَنَّها تأتي متميِّزةً متفرِّدَةً، فإذا كانَ البَدْرُ يعودُ في ضُحَاه، فإنَّما يَعُودُ من مَرْقَصِ النَّجْمِ،

ولكنّه إذا اختفى صَوْبَ السَّاحِلِ الغربيِّ، فإنّ خُطاهُ تكونُ مُتَّئِدَةً بطيئةً كخُطُوَاتِ عجوزٍ. شَبَابِيَّةُ النَّجم تَجْعَلُ من المنطقيِّ أنْ يأتيَ فتياً قويّاً متدفقًا وكأنّه عائدٌ من مكانٍ استعادَ فيه شَبَابَهُ. أمّا مَشِيبُهُ وهَرَمُهُ فيفرضَانِ عليه أنْ يَتَّئِدَ، كانْحدارِ العَجُوزِ في سَفْحِ تَلٍّ، يَسِيرُ مُنْهَكاً متهالِكاً صَوْبَ السَّاحِلِ الغربيّ أو قُلْ نهايةِ الحياة.

وإلى جَانِبِ هذا كُلِّه، نجـد الشَّـاعِـرَ قدِ اسْتَلْهَمَ في قصيدتِـه العديدَ من الملامحِ الإنسانيةِ. مِثْلَمَا ذَكَرْنا سابقاً، وراحَ يخلعُهَا على مظاهِرِ الطَّبيعةِ :

فالغـابُ يؤلِّفُ جوقـاً، . والبَدْرُ كالنَّاشِيءِ. . والأرضُ تَحَارُ. . واللَّيْلُ إنسانٌ. . يتصرَّفُ كسائِرِ البَشَرِ. . والرِّيْحُ عازِفٌ. . والنَّهْرُ سَاحَ. . حَتَّى الجَدَاولُ لَهَا أنَّاتٌ مُرَجَّعَةٌ وكذلِكَ السَّحَابُ له ثَنِيَّاتٌ مُصَفَّفَةٌ، ومثلُهُمَا الغَمَامةُ بأذ يالِهَا العَطِرَةَ.

كثرةُ الصّورِ الجزئيَّةِ من ناحيةٍ، وخَلْعُ التَّشْخيصِ عليها - على هذا النحو من ناحيةٍ ثانيةٍ، إنَّما يُسَلِّطانِ الأضواءَ المُناسبةَ، وهي أضواءٌ لَيْسَتْ فاتِرَةً ولا باهِرَةً، تجعلُ من الصُّورةِ الفنِّيةِ الكُلِيّةِ لوحةً رائعةً، هي الانعكاسُ الصَّادِقُ، والمُحَاكَاةُ الفنيَّةُ لأَبْعَادِ التَّجربةِ وجوهَرِهَا. وبهذا يُسَاهِمُ الشَّاعِرُ في التَّخفيفِ على القَارِيءِ أو المُتَلَقِّي، ويوصلُ إليهما تجربتَهُ، مُخْتَصِراً الزَّمنَ، ومُوَفِّراً الجهدَ، على حَدٍّ سَواء.

إنَّ الشَّاعِرَ بما يَرْسُمُهُ من صورٍ جزئيَّةٍ، وما يُضِيْفُهُ لِكُلِّ صورةٍ، بَلْ وبِمَا يُوزِّعُهُ من أضواءٍ مناسبةٍ - كلُّ ذلِكَ يجعلُهُ كالمُخْرِجِ السِّينمائيّ الذي يحيطُ الحَدَثَ أو الشَّخصيةَ بما يُلائِمُ من صوتٍ ومَظْهَرٍ «وديكورٍ».

الفَرْقُ هو أنَّ الشَّاعِرَ لا يَستَعِيْنُ إلَّا بإمكاناتِ اللُّغَةِ وَحْدَهَا، وليس في هذا فَقْرٌ لأنَّها إمكاناتٌ تَبْدُو بَسِيطةً، ولكنَّها مُتَأَبِّيَةٌ، تَتَراءَى ثَرَّةً خِصْبَةً، ولكنَّها شَحِيحةٌ حريصـةٌ، ولَنْ يزيلَ تأبيِّهـا، كمـا لا يُزلـزلُ من حِرْصِهَـا إلاّ الشَّـاعِـرُ الصَّنَّاعُ المـوهـوبُ: يَسْتَنْـزِلُهَـا من عَلْيَائِهَـا لِتُعَبِّـرَ بِصِـدْقٍ ودِقَّةٍ عن شعورهِ الفَيَّاضِ، وأحاسيسِهِ المتدفِّقَة.

ومهما وصلنا أسبابَ القصيدةِ بتبريراتٍ موضوعيَّةٍ أو مَنْهَجيَّةٍ، فإنَّه يَظَلُّ هناك دائماً - وفي كُلِّ قصيدةٍ تقريباً - جوانِبُ جماليةٌ، تَنْجَذِبُ إليها النَّفْسُ ويَتجاوَبُ معهـا الحِسُّ دون تبريرٍ أو تعليلٍ. وهكذا الحالُ دائماً مع كُلِّ جميلٍ، نَشْعُرُ بالإحسـاسِ والرُّوحِ والحيويَّةِ، ولكننا نقِفُ عاجِزينَ عن تَلَمُّسِ الأسبابِ لِسِرِّ الجَمَـالِ. كُلُّ ما نَصِـلُ إليه من تبريراتَ موضوعيّةٍ هي أَقَلُّ القليلِ في تقديرِ الجَمَالِ، وهي القَدَرُ المُشترَكُ الذي نَقْنَعُ به، لأَنَّهُ يُرْضِي المجموعَ، ويأتي هذا بالطَّبْعِ على حِسَابِ الأحَاسِيسِ الفرديَّةِ بتقديرِ الجمالِ، والاستجابَةِ له، وهي أحاسيسُ تتعدَّدُ بتَعَدُّدِ البَشَرِ في كُلِّ زَمَانٍ ومكان.

* * *

سادساً : التَّدريبات :-

(١)

أجب عما يأتي :

١) جاء وصفُ الطَّبيعةِ في قصيدةِ الخُوريّ انعكاساً لإبداعِ الباريءِ المُصَوِّر (جَلَّ وعَلَا) استخرجْ من القصيدةِ ما يَدُلُّ على ذلك .

٢) يختلفُ الشُّعراءُ في وَصْفِهِم الطَّبيعةَ، فمنهم مَنْ يُصَوِّرُهَا تصويراً نابضاً حياً – مُتَحرِّكاً، ومنهم من يَقِفُ عِنْدَ حُدودِ الوَصْفِ « الفوتوغرافي » تسجيلاً وتقريراً ليس غيرُ.
إلى أيِّ التصويرَيْنِ تَنْتَمِي قصيدةُ الخُوريّ؟ دَلِّلْ على رَأْيك بأبياتٍ منها.

٣) نَجَحَ الشَّاعرُ هنا في إيجادِ عَلاقاتٍ مختلفةٍ بَيْنَ مظاهرِ الطبيعةِ المتعَدِّدَةِ.
اشرحْ هذا، مع إعطاءِ أمثلةٍ .

٤) المُعْجَمُ الشِّعْرِيُّ في هذه القصيدةِ يتراسَلُ مَعَ مضمونِهَا.
دَلِّلْ على هذا.

٥) حَفَلَتْ هذه القصيدةُ بالعديدِ من الجُمَلِ الاسميَّةِ، ما دلَالةُ هذا في رَأْيِكَ؟
استشهِدْ بنماذج.

٦) هاتِ من القصيدةِ نَماذجَ لكُلِّ مِمَّا يأتي، مع توضيحِ أَثَرِ كُلِّ نُموذجٍ في المعنى:
أ – مراعاةُ نظيرٍ.
ب – تشبيـــــــهٌ.
جـ – مقابلـــــــةٌ.

٧) هناك مقولَةٌ تذهَبُ إلى أنَّ « الضِّدَّ يميزُ الأشياءَ »
وَضِّحْ إلي أيِّ مَدىً تَصدُقُ هذه المَقولَةُ على قصيدةِ الخُوريّ؟

٨) نجحَ الشَّاعرُ في نَقْلِ إحْسَاسِهِ الصَّادِقِ بالطبيعةِ. وَضِّحْ ذلك بالتَّفصيلِ .

٩) التَّعبيرُ الشِّعْريُّ في قصيدةِ الخُوريّ يَجِيءُ ليتراسَلَ مَعَ الشُّعورِ.
اشرحْ هذا، مع إعطاءِ أمثلة.

١٠) استطاعَ الخُوريُّ أنْ يُوَظِّفَ العديدَ من الحَواسِ ، والوجدانِ لنَقْلِ إحسَاسِهِ بالطبيعةَ وتصويرِ شُعورِهِ نحوها.
وَضِّحْ هذا بالتفصيل.

١٢) ما الإيحاءاتُ والظِّلَالُ التي تُضْفِيها كُلُّ كلمةٍ أو تعبيرةٍ مِمَّا يلي:

جـوق .. مرقـص النجـم .. كالشَّـيخ .. انفجـــر ..
نقابـا .. نايات الغصـون .. الشَّـــاعر المنفـــــي ..
صدعت الحجر .. تَرَنُّح الغُصن .. البَخور .. رَقَّطَها ..

(٢)

١) يقولُ البُحتريُّ في وصف روضة:

يُضَاحِكُهَـا الضُّحَـي طَـوْرًا وطَوْرًا عَلَـيها الغَيْــثُ يَنْسَجِــمُ انْسِجَامَـــا

ويقول الخوري:

والأرْضُ حَارَتْ أتلْقَى الفَجْرَ ضاحِكَةً لأُمِّها الشَّمْسِ أم تَبْكِـي ابْنَهَـا القَمَرَا

اشرحِ البيتَيْن، ثم بَيِّنْ أيَّ الشَّاعرَيْنِ أجادَ في حُسْنِ التَّقسيمِ ، ولماذا؟

٢) قال عبدُ الله بنُ رَوَاحَةَ في مَدْحِ النَّبيِّ ﷺ:

تَحْمِلُــهُ النَّاقَـةُ الأَدْمَـاءُ مُعْتَجِـرًا بالبرد كالبَـدْرِ جَلَّــى نُــورُهُ الظُّلَمَـــا

(الأدماء: الشديدة البياض، المعتجر: الملتف، جلَّىٰ : كَشَفَ وأظهر)
ويقول الخوري هنـــا:

والبَدْرُ كالنَّاشِيء العَصْرِيّ عَادَ ضُحَىً مِنْ مَرْقَصِ النَّجْمِ يَشْكُو الضَّعْفَ والخَوَرَا

كِلاَ الشَّاعرَيْنِ استخدَمَ « البَدْرَ » من منظورٍ خاصٍّ يَتَمَشَّى والسِّيَاقَ. وَضِّحْ هذا.

٣) قال صَفِيُّ الدِّين الحِلِّيّ (ت ٧٥٢ هـ) في وصفِ ربيعِ مِصْرَ :

خَلَعَ الرَّبِيعُ على غُصُونِ البَانِ حُلَلاً فَواضِلُهَا على الكُثْبَانِ
ونَمَتْ فُرُوعُ الدَّوْحِ حَتَّى صَافَحَتْ كفلَ الكَثِيْبِ ذَوَائِبُ الأَغْصَانِ
وتَتَوَّجَتْ هَامُ الغُصُونِ وضَرَّجَتْ خَدَّ الرِّياضِ شَقَائِقُ النُّعْمَانِ
وَتَنوَّعَتْ بُسُطُ الرِّياضِ فَزَهْرُهَا مُتَبايِنُ الأَشْكَالِ والألْـوَانِ

ويقول الخوريُّ :

والغابُ أَلَّفَ جَوْقاً من عشيرَتِهِ الرِّيحَ والنَّهْرَ والأطيارَ والشَّجَرَا
رَفَّ النَّسيمُ على أَدْوَاحِـهِ فبها مَابالمُحِبِّ إذا طَيْفُ الحَبِيبِ سَرَى
تَحْكِي القِيَانَ مِنَ الأوراقِ حامِلَةً مِثْلَ الدُّفُوفِ عليها الطَّلُّ قد نَقَرَا
والبَدْرُ كالنَّاشِيءِ العَصَرِيّ عادَ ضُحَىً من مَرْقَصِ النَّجْمِ يَشْكُو الضَّعْفَ والخَوَرَا

اشرح الصُّورةَ لدى كُلٍّ من الشاعِرَيْنِ، مُشيرًا إلى عناصرِ الجَمَالِ ، وتَنَاسُبِ المُعْجَمِ الشِّعْرِيِّ مع الغَرَضِ العَامّ في كُلِّ مقطوعَةٍ.

☆☆☆

(٣)

١) قال الشاعر : -

فَنَشَّرَها رَأْدُ الضُّحَى شُقُرَا- مثلَ الدُّفوفِ عَلَيها الطَّلُّ قَد نَقَرَا

يَمشِي إلى السَّاحِلِ الغربيِّ مُتَّئِدَاً- كالشَّيخِ في سَفحِ تَلِّ الأُفقِ مُنحَدِرَا

سُبحَانَ مَن أبدَعَ الأنوارَ مُعجزَةً.

نَاحَت على أرزهَا المَهجُورِ شَارِحَةً

والنهرُ ساحَ كأنَّ البحرَ مدَّ يَدَا بينَ المَزَارِعِ تُهدِي الماءَ والدُّرَرَا.

أ - ماتحته خطٌّ من الجُملِ السَّابقة يرتبطُ بما قبلَهُ في دِلالةٍ خاصَّةٍ،[1] وَضَعَ النحويون لها اسمًا. فما اسْمُ هذه الدِّلالَةُ ؟ وما وظيفتُها في الجُمْلَةِ ؟

ب - أعربْ ما تَحْتَهُ خَطٌّ إعرابا كاملاً.

(٢)

أ - « والغابُ أَلَّفَ جوقاً » ، « طَيْفُ الحَبيب سَرَى » ، « والأرْضُ حارَتْ ».

« والليْل فَرَّ » « والصُّبْحُ أَرْخَى » « والرِّيحُ تَنْفُخُ . . . . » « والنَّهْرُ سَاحَ ».

« والطَّيْرُ مِمّاحَسَا من طَلِّهَا هَدَرَا ».

ب - « فالغُصْنُ مِنْ طِيبِ رَيَّاها تَرَنُّمُهُ ».

جـ - « عَلَيْهَا الطَّلُّ . . . . » . « وللجَدَاولِ أَنَّاتٌ » وللِسَّحَابِ ثَنِيَّاتٌ » .

« وللغَمَامَةِ أَذْيَالٌ ».

١ - الجملُ في المجموعاتِ الثلاث (أ ، ب ، جـ) يَجمَعُها نوعٌ واحِدٌ من الجُملِ » فما نوعُ هذه الجمل ؟

---

١ - يُقْصَدُ بها دِلالةُ الهيئةِ والكيفيةِ.

٢ - عَيِّن الخبرَ في كُلِّ جملةٍ في المجموعات الثَّلاثِ، وبَيِّنْ نَوْعَهُ.
٣ - ما الفَرْقُ بين الجُمْلَة في المجموعة (ب) وبين الجُمَلِ في المجموعة (جـ) ؟
٤ - قَدِّمْ الفِعْـلَ في كُلِّ جملةٍ في المجموعة (أ)، واذكُرْ فاعِلَهُ، مع ضَبْطِهِ بحركةِ الإعرابِ المُنَاسِبَةِ، مانوعُ الجُمَلِ الحاصِلَةِ بَعْدَ تقديمِ الفِعْلِ ؟
٥ - قوله : « وللجَدَاولِ أَنَّاتٌ » أَدْخِلْ على هذه الجملة حَرْفًا ناسِخاً مَرَّةً، وفِعْلاً ناسِخاً أخرى، واضْبطِ الجُمْلَتَيْن المنسوخَتَيْن بالشَّكْلِ.
= لِمَ نَصَبَ الشَّاعِرُ : « الرِّيحَ والنَّهْرَ والأَطْيَارَ والشَّجَرَا » ؟
= اقرأ القصيدةَ قراءةً جيدةً واستخرجْ منها كُلَّ اسْمٍ مجرورٍ بالحَرْفِ أو بالإِضافَةِ، واذكُرْ علامَةَ الجَرِّ.

(٤)

١ - وردَ في القصيدةِ الفِعْلُ (تَرَيْنَ) . اذكُرْ وَزْنَهُ، ثم أرجعه إلى أصلِهِ الثُّلاثي في الماضِي، واذكُرْ ماحَصَلَ في هَيْئَتِهِ الحاضِرَة مِنْ تَغْيير.
٢ - وردَ في القصيدَةِ الفِعْـلان : تَبْكي - تَحْنـوُ (أ) أَرْجِعْهُمَـا إلى أصلِهِمَا الثُّلاثِيِّ، ثم اذكُرْ بابَ كُلٍّ منهما من أبوابِ الأفعالِ المُجَرَّدَة.
(ب) صَرِّف الفِعْلَيْنِ المـذكورَيْنِ إلى الأمرِ واسْمِ الفاعِلِ واسْمِ المفعولِ، وأَسْنِدْ كُلًّا منهما إلى ضمائِرِ الرَّفْعِ المُتَحَرِّكَةِ والسَّاكِنَة.

الوحدة الرابعة والعشرون
أُنشودةُ المَطَر

للشّاعر / بدر شاكر السَّيّاب.

أولاً : صاحِبُ النَّص :

رائِدٌ من رُوَّادِ التَّجْدِيدِ الشِّعْرِيّ في العَصْرِ الحديثِ وُلِدَ سنة ١٩٢٦ ونَشَأَ في جيكور جَنوبي العراق، ودَرَسَ الأدبَ الإنجليزيَّ، ثم رحلَ إلى بغدادَ والتحَقَ بدارِ المُعَلِّمين العالية. عانَى في حياتِهِ كثيرًا، لِفَقْدِ أُمِّهِ وجَدَّتِهِ، وزواجِ أبيهِ بعدَ وفاةِ أُمِّهِ. وكذلك فقد عانَى أكثرَ من الظُّروفِ التي جاءَتْ بها الحَرْبُ العالميةُ الثَّانيةُ على البلادِ العربيّةِ ومنها بَلَدُهُ العِرَاقُ. أحسَّ بغُرْبَةٍ أبديّةٍ، وظَلَّ يُعَانِي من مرحلةٍ اشْتَدَّ الصِّدَامُ فيها بينَ القِيَمِ والواقعِ ، وبينَ الماضِي والحاضِرِ.

ورَغْمَ إيمانِهِ بحتمية التَّغْيير، فَقَدْ ظَلَّ مشدودًا إلى القديمِ ، مُحافظاً على حُرْمَةِ التُّراثِ فلم يَسْتَعملْ العاميَّةَ ولم يتجاوَزْ الأُسَسَ المُتَعَارَفَ عليها في العَرُوضِ العربيِّ إلاّ في قليلٍ من القضايا مثل عددِ التَّفاعيل. يُعَدُّ السّيابُ من أبرزِ أعضاءِ حركةِ الشِّعْرِ الحُرِّ في العِرَاقِ، وقد أعطى عَطَاءً جزيلاً في حياتِهِ القصيرةِ، ومن ذلك دواوينه :

أزهـارٌ ذابلةٌ ١٩٤٧ / أسـاطير ١٩٥٠ / الأسلحةُ والأطفالُ ١٩٥٥ أنشودةُ المَطَرِ ١٩٦٠ / المَعْبَدُ الغَريقُ ١٩٦٢ / شَناشيلُ ابنةِ الجَلَبِيِّ ١٩٦٤

وتُعَدُّ تجربتُهُ الشّعريةُ فَذَّةً ومُعَقَّدةً، وهي تجمعُ ثُنَائيَّاتٍ متناقضةً، رُبَّما بسببِ التَّوتُّرِ الاجتماعي الذي عاشَ فيه، والمَرَضِ الذي أَقْعَدَهُ عن الحركةِ. تُوفِّي سنة ١٩٦٤.

ثانياً : النَّــصُّ : -

عَيْنَـاكِ غَابَتَـا نَخِيْــلٍ سَـاعَةَ السَّــحَر،
أو شُــرْفَتَانِ رَاحَ يَنْــأى[١] عَنْهُـــمَا القَمَـــر.
عَيْنَـــاكِ حِــيْنَ تَبْسُـــمَانِ تُــوْرِقُ الكُــرُوم
وتَرْقُــصُ الأضْــواءُ . . . . كَالأقْمَارِ في نَهَـــر
يَرُجُّـهُ[٢] المِجْـذَافُ وَهْــنَاً[٣] سَــاعَةَ السَّــحَر
كَأَنَّمــا تَنْبـضُ في غَوْرَيْهِـما[٤]، النُّجُوم . . .
وتَغْرَقَــانِ في ضَبَــابٍ مِــنْ أَسَــىً شَــفِيف
كَالْبَحْـرِ سَـرْحِ اليَدَيْـنِ فَوْقَـهُ المَسَـــاء
دِفْءُ الشِّــتاءِ فيــه وارْتِعَاشَـــةُ الخَريْـــف ،
والمــوتُ ، والمِيْــلادُ ، والظَّــلامُ ، والضِّياء؛
فَتَسْــتَفِيقُ مِــلْءَ رُوحِــي ، رَعْشَــةُ البُكَــاء
ونَشْـــوَةٌ وحشِيَّــــةٌ تُعَانِــــقُ السَّـــمَاء
كَنَشْـوَةِ الطِّــفْلِ إِذَا خَــافَ مِــنَ القَمَـــر !
كَــأَنَّ أَقْــواسَ السَّــحَابِ تَشْــرَبُ الغُيُـــوم

---

١ - يَنْأَى : مضارعُ (نَأى) يُقَال : نَأَى عَنْه نَأْيَاً: بَعُدَ.
٢ - يَرُجُّه : مضارع (رَجَّهُ) يقال : رَجَّهُ رَجَّاً ورَجَّةً: هَزَّهُ وحَرَّكَهُ بشِدَّةٍ.
٣ - وَهْنَاً : يقالُ : وَهَنَ يَهِنُ وَهْنَاً : دَخَلَ في الوَهْنِ من اللَّيل . ووَهَنَ الرَّجُلُ: ضَعُفَ في العَمَلِ والبَدَنِ.
٤ - الغَوْرُ : مِنْ كُلِّ شيءٍ قَعْرُهُ وعُمْقُهُ.

وقطــرة فقطــرة تــذوبُ في المَطَــر . . . .
وكَرْكَــرَ[1] الأطفــالُ فــي عَرائِشِ الكُــرُوم،
ودَغْدَغَــتْ صَــمْتَ العَصافِيــرِ علــى الشَّــجَر
أُنشــودَةُ المَطَــرِ . . . . .
مَطَــــرٌ . . . .
مَطَــــرٌ . . . .
مَطَــــرٌ . . . .
تَثَــاءبَ المَسَــاءُ، والغُيُــومُ ما تَــزَال
تَسُــحّ[2] ما تَسُحُّ من دُمُوعِها الثِّقَــال .
كــأنَّ طِفْلاً باتَ يَهْــذي قَبْــلَ أنْ يَنَــامَ :
بــأنَّ أُمَّــهُ - التــي أَفَــاقَ مُنْــذُ عَــام
فلم يَجِــدْهَا ، ثُــمَّ حِيْنَ لَجّ[3] في السُّؤالِ
قالــوا لــه : « بَعْــدَ غَــدٍ تَعُــود . . . . » -
لابُــدَّ أنْ تَعُــودَ
وإنْ تَهَامَــسَ الرِّفَــاقُ أنَّهــا هُنَــــاكَ
فــي جانِــبِ التَّــلِّ تَنَــامُ نَوْمَــةَ اللّحُــود
تَسَــفُّ مِــنْ تُرابِهَــا وتَشْــرَبُ المَطَــر،
كــأنَّ صَــيَّاداً حَزِينــاً يَجْمَــعُ الشِّــبَاك
ويَنْشُــرُ الغِنَــاءَ حيــثُ يأْفُــلُ القَمَــر
مَطَــــرٌ . . .
مَطَــــرٌ . . .

---

١ - كَرْكَرَ : يقال : كَرْكَرَ الطِّفلُ : ضَحِكَ ضحكاً شِبْهَ القَهْقَهَةِ.

٢ - تَسُحُّ : مضارع (سَحَّ) يقال : سَحَّ الماءُ سَحّاً : صَبَّ صَبّاً متتابعاً.

٣ - لَجَّ : يقال : لَجَّ في الأمرِ، وفي السُّؤالِ لَجَاجاً ولَجَاجَةً : لازَمَهُ وتَمادَى فيه.

أتعلمينَ أيُّ حُزْنٍ يبعثُ المطر ؟
وكيفَ تنشجُ [1] المزاريبُ [2] إذا انهمر ؟
وكيفَ يشعُرُ الوحيدُ فيه بالضَّياع ؟
بلا انتهاءٍ - كالدَّمِ المُراقِ، كالجياع ،
كالحُبِّ ، كالأطفالِ ، كالموتى - هُو المطر !
ومُقلتاكِ بي تطيفانِ مع المطر
وعبرَ أمواجِ الخليجِ تمسحُ البُروق
سواحِلَ العِراقِ بالنُّجومِ والمحار،
كأنَّها تهُمُّ بالشُّروق
فيسحبُ اللَّيلُ عليها مِنْ دمٍ دِثار. [3]
أصيحُ بالخليجِ : « ياخليجُ
ياواهبَ اللُّؤلؤِ ، والمحَّارِ ، والرَّدى ! »
فيرجِعُ الصَّدى
كأنَّه النَّشيجُ :
« يا خليجُ
ياواهبَ المحَّارِ والرَّدى .... »
أصيحُ بالخليجِ : « يا خليجُ .... »
ياواهبَ اللُّؤلؤ، والمحَّارِ ، والرَّدى »
فيرجعُ الصَّدى
كأنَّهُ النَّشيجُ :

---

١ - تنشِجُ : مُضارع (نشَج) يقال : نشَجَ الباكي نشْجاً ونشيجاً : تردَّدَ البُكاءُ في صَدْرِه من غيرِ انتحاب.
٢ - المزاريبُ : جمع (مِزْرابٍ) ، وهو (المِيزَابُ)، وهو أُنْبوبَةٌ من الحديدِ أو نَحْوِهِ تُركَّبُ في جانب البيتِ لينصرفَ منها المطر.
٣ - دِثَار : الغِطاء.

« ياخَلَيْـــجُ
يا واهِـــــبَ المَحَّـــــارِ والـــرَّدَى ».
وَيَنْثُــرُ الخَلِيـجُ مِـنْ هِبَـاتِهِ الكِثَــار ،
على الرِّمَالِ ، : رَغْوَةَ الأُجَاج [1]، والمَحَّــار
وما تَبَقَّـــي مِـنْ عِظَـام بَائِـس غَرِيْـــق
مـن المُهَـاجِرِيْنَ ظَـلَّ يَشْـرَبُ الـــرَّدَى
مِـــنْ لُجَّـــةِ الخَلِيــج والقَــــرَار ،
وفـي العِرَاقِ أَلْــفُ أَفْعَـى تَشْــرَبُ الرَّحِيْق
مِـنْ زَهْـرَةٍ يَرُبُّـهَا الفُــرَاتُ بالنَّـــدَى.
وأَسْـمَعُ الصَّـــدَى
يَــرِنُّ فـي الخَلِيـج
« مَطَـرٌ ...
مَطَـــرٌ ...
مَطَـــر ...
فـــي كُـــلِّ قَطْــرَةٍ مِـــنَ المَطَـــرْ
حَمْــرَاءَ أو صَــفْرَاءَ مِـنْ أَجِنَّـــةِ الـزَّهر.
وكُـــلُّ دَمْعَـةٍ مـــن الجِيَــاع والعُــرَاة
وكُـــلُّ قَطْـرَةٍ تُـرَاقُ مِـنْ دَم العَبِيْـــــد
فهيَ ابْتِسَــامٌ فـي انْتِظَـارِ مَبْسَـمٍ جَـدِيْـد

في عَالَمِ الغَدِ الفَتِيِّ ، وَاهِـبِ الحَيَـاةِ . »
ويَهْطِــلُ المَطَــر ....

---

١ - الأُجَاجُ : يقال : أَجَجَ الماءَ : جَعَلَهُ أُجَاجاً، أي مَالِحاً مُرّاً.

* ثالثًا : الشَّـــرحُ والتَّعليــق : -

يحاولُ الشِّعْرُ الحديثُ أنْ يقترِبَ من الواقعِ فيُصَوِّرُهُ ويبَيِّنُ مُعَاناةَ الإنسانِ وقَلَقَهُ وتَطَلُّعَهُ إلى مستقبلٍ أفْضَلَ وحياةٍ أحْسَنَ، وهو يَسْلُكُ للوصولِ إلى هذه الغايةِ طريقًا تقتربُ فيه لُغَتُهُ من البساطةِ ويميلُ إلى مُخاطبةِ عُقولِ النَّاسِ وأذْواقِهِم.

ولعلَّ قصيدةَ السَّيّابِ أُنشودةَ المَطَرِ قَدْ حَوَتْ قدرًا كبيرًا من هذا الّذي تَقَدَّمَ، وهي كما نعلَمُ من أشهرِ قصائدِهِ وأكثرِهَا ذُيوعاً وانتشارًا. ولاشكَّ أنَّ الشَّاعِرَ قد ضَمَّنَهـا الكثيرَ من إحْسَاسِهِ بالألمِ والقَلَقِ، ذلك الألَمُ المَمْزوجُ بالأمَلِ وهذا مانَـرَاهُ واضحـاً في نهـايةِ القَصيدةِ (ويَهْطِلُ المَطَرُ). لقد أصبحَ المطرُ برموزه المختلفـةِ هو المفتاحُ الرَّئيسي لِفَهْمِ هذه القصيدةِ فهو المُحَرِّكُ لها وهو الّذي يأخُذُ بيدِ نُمُوِّها ونُضْجِهَا لتَصِلَ إلى غايتِهَا. ونلاحظُ أنَّ الطبيعةَ - والمطرُ جُزءٌ منهـا - تَكَـادُ تكـونُ مُسَيْطِرَةً على جَوِّ القصيدةِ. فالمرأةُ التي يَصِفُها في بدايةِ القَصيدةِ ليست سِوى الـطَّبيعـةِ حينَ يَتَّحِدَانِ لِيُصْبِحَا شيئاً واحدًا، ففيها دِفْءُ الشِّتاءِ وارْتِعَاشةُ الخَريفِ، وفيها كُلُّ مافي العالَمِ من تَنَاقُضٍ ، الموتُ والميلادُ والـظَّلامُ والضِّياءُ، ونستـطيعُ أنْ نَعُـدَّ ما نشـاءُ من صورِ التَّنـاقُضِ فالانْسِيَابُ يحتملُهُ، ولم يتوقَّفْ إلاَّ ليتحدَّثَ عن شيءٍ آخرَ رآهُ ضروريًا ولكنَّه يَبْقَى في إطارِ تلك الـطَّبيعةِ : السَّحابِ، والغُيومِ ، الكُرومِ ، والشَّجَرِ، وحتَّى صورةِ الطِّفلِ الذي لَجَّ في السُّؤالِ عن أُمّه وهو لَمْ يَعْرِفْ أنَّها ماتَتْ.

نرى تلك الصورةَ متلفِّعةً بالطَّبيعةِ مُتَدَثِّرةً بها : جانب التّلّ ، ونشربُ المَطَر ، وتَستمِرُّ الطبيعةُ في البُروزِ بقُوَّةٍ على مسرحِ القصيدةِ، ولكنْ أيَّةُ طبيعةٍ يريدُها الشَّاعِرُ؟ إنَّها الطبيعةُ من خلالِ الواقعِ والتَّذكُّرِ من جهةٍ، والطَّبيعةُ من خلالِ الأمَلِ من جهةٍ أُخْرَى. إنَّه يتذكَّرُ موطِنَهُ وهو بعيدٌ عَنْهُ من خلالِ المَطَرِ، ذلكَ المَطَرُ الذي يبعثُ الحُزْنَ والبُكَاءَ فيما حَوْلَهُ، ويَتلمَّسُ وَحْدَتَهُ بيدَيْهِ، إنَّهُ غريبٌ

فَريدٌ مَعَ أنَّ المَطَرَ يَهْطِلُ، ويتذكَّرُ الجوعَ الذي يَسْتَشْرِي في وطنِهِ ووُجُوهَ أولئكَ الجائِعيْنَ وفي المُقابِلِ هناكَ الغِرْبَانُ والجَرَادُ التي تَتَمتَّعُ بهذا المَطَر وخيراتِهِ. وهنا تَكْمُنُ المفارَقَةُ، حينَ يَهْطِلُ المَطَرُ نَجُوعُ، والمَنْطِقُ يقولُ: حين يَهْطِلُ المَطَرُ نشبع، ولكنَّها رُؤْيةُ الشَّاعِرِ لواقعِهِ الَّذي جَسَّمَهُ أسْوَدَ قاتماً، حينَ يتسربُ المطرُ إلى قِلَّةٍ قليلةٍ ويبقَى الكثيرونَ جائِعيْنَ. ويستمـرُّ الشَّـاعِـرُ في التَّـذَكُّرِ، يُنادِي الخَليجَ، والمَحَّارَ ويَسْمَعُ الصَّدَى، لايَمْلِكُ وهو في غُرْبَتِهِ إلَّا أنْ يُنَادِي ولا يَسْمَعُ غيرَ الصَّدَى.

وبعدَ حينٍ يَتَّخِذُ المَنْظرُ مسارًا آخَرَ يبعثُ الأمَلَ في النَّفس، فهو مَطَرٌ على أيَّةِ حالٍ، فالسَّمـاءُ تَزْخَرُ بالرُّعودِ والعَواصِفِ، والسُّهولُ والجِبالُ تَنْتَظِرُ التَّغْيِيرَ، ويَقِفُ المَطَرُ وَحْدَهُ سَيِّدَ الموقِفِ، فهو لابُدَّ أنْ يَهْطِلَ، وهو لابُدَّ آتٍ.

* * *

رابعا : الأسلوب والصّور:

علاماتُ الترقيم في القصيدة:

هذه سِمـةُ الشِّعْرِ الحُرِّ، إذْ يلجَأُ الشَّاعِرُ إلى استخدامِ علاماتِ التَّرقيم، ليس بهدَفِ اتّباعِ قَواعدِ الإملاءِ الصَّحيحِ ، أو اللُّغَةِ المُنْضَبِطَةِ، بَلْ لأنَّ كُلَّ علامَةٍ من هذه العلاماتِ تَعْني شَيئاً إيحَائيّاً، أكثرَ من كونِهِ دلاليّاً فَقَطْ.

فالنّقطةُ عندَهُ لا تعنِي نهايةَ جُملةٍ، بَلْ أيضاً تُشيرُ إلى نهايةِ مرحلةٍ على طريقِ الرِّحْلَةِ النفسيَّةِ والعَاطِفيَّةِ. والنّقاطُ المُتَتابعَةُ لا تعني مُجَرَّدَ حذْفِ جُزْءٍ أو أجزاء كما هو المُتَعارَفُ عليه، ولكنّها تَسْجيلٌ أمينٌ لإ يْحَاءاتِ الصَّمْتِ، والتي تَرْبُو لدى هؤلاءِ الشُّعَـراءِ على دِلالاتِ التَّصْريحِ ، (لاحِظْ أنَّ هذه النّقاطَ تختلفُ عدداً ، فهي أحياناً نُقطتَانِ، أو ثلاثٌ أو أكثرُ، ولكُلٍّ شَكْل دِلاَلتُهُ الخَاصَّةُ).

كذلـك قد نلاحظُ على الأقَـلِّ في قصيدةِ السَّيَّاب - أنَّ الشّـاعِـرَ يستغـلُّ القوسَيْنِ، وعلامةَ التَّعَجُّبِ، وعلامةَ الاستفهام ، وأحياناً يُخَالِفُ بينها.

كُل هذا يلفتُ أنظارنا إلى أهميَّةِ الصَّفْحَةِ الشِّعْريَّةِ، في الشِّعْرِ الحديثِ، وبخاصَّةٍ الشِّعرَ الحُرَّ، في مرحلتِهِ المُبَكِّرةِ. وهذه النّقطَةُ رَغْمَ أهميّتِها ما تزالُ في حاجةٍ إلى تَقْنيَةٍ، وهي مُهِمَّةُ النّاقِدِ الحديثِ.

* - ب) صور السَّيَّابِ

المطرُ في القصيدةِ - كما أشرنا في التَّعليقِ - هو المفتاحُ لفَهْمِهَا لأنَّهُ مصدرُ حياةِ الأَرْضِ ، إنهُّ مصدرُ خيرٍ وخِصْبٍ ونَمَاءٍ للحياةِ والأحياءِ على حَدٍّ سواء.

وقد أصبحَ مُقَرَّراً على ساحة الشِّعْرِ الحديثِ أنَّ رموزَ الخَيرِ هي:

المطـرُ. . الخُبْزُ. . النُّورُ. . الشَّقائقُ. . النَّهْرُ. . والقَريةُ، وهي جميعها تُوحِي بالسَّعادةِ والوَفْرَةِ والخِصْبِ.

على حين تَجيءُ رموزُ النَّارِ. والذَّهب.. الصَّخْر. الظَّلام.. والمَدِينةِ، صوراً لِقُوى الشَّرِّ والموتِ والجَدْب، لأنَّها تُوحِي بالألَمِ والاسْتِغْلاَل والشَّقَاءِ.

من هنا كانَ اختيارُ صورةِ المَطَر بالذَّاتِ، لتَعْكِسَ رُؤْيَةَ السَّيَّابِ للوَضْعِ الحَضَارِيِّ الذي كانَ يجتازُهُ العالَمُ العربيُّ في وقتِ السَّياب. ولهذا فقد جاءَتْ لتَحْوِيَ العَدِيدَ من الإشاراتِ الغامضَة إلى طُقوسِ الخِصْبِ والنَّمَاءِ، وهي التي وَضُحَتْ أكْثَر، وراحَ يَسْتخدِمُها على نحوٍ مُكَثَّفٍ في شعرِهِ الذي تَلاَ هذه القصيدةَ. (عيسى بلاطة: السَّياب، صفحات: ١٨٢ - ١٨٨ بتصرف).

صورُ السَّياب في عمومها تتألَّفُ من التَّشبيهاتِ والاستعاراتِ والتمثيلاتِ والإشاراتِ الأدبيةِ والرُّموز، كما تتألَّفُ أيضاً من انْطِبَاعاتٍ حيويَّةٍ قصيرةٍ ومُرَتَّبَةٍ بتَسَلْسُلٍ صادقٍ، يتركُ أثراً في ذهن المُتَلقِّي. وإنَّ الذي يُعطي هذه الصورَ قُوَّتَهَا ليس مُجَرَّدَ كَوْنِهَا تشبيهاً أو استعارةً، بَلْ طريقةُ نَظْمِ الشَّاعِرِ لها واخْتيارُ مُفْرداتِها بدقَّةٍ وطريقَةُ تَوزيعِهَا في نسيج القصيدةِ كُلِّه، وكذلِكَ ما يضيفُهُ إليها من تفصيلاتٍ في كُلِّ مَرَّةٍ - على ما سنوضِّحُهُ فيما بعد - إضافةً إلى التَّكْرارِ، سواءٌ لكلمةٍ أو عبارةٍ أو مقطع، وهذا التَّكْرارُ يأتي ليعكس الرغبة في التَّركيز على جانبٍ مُعَيَّن، وتسليط الضَّوء على شيءٍ يحتَلُّ أَهمِيَّتَهُ لَدَى الشَّاعرِ أكثرَ من سِوَاه. هذا التَّكرارُ ليس عيباً لأنَّهُ يُوجِدُ نوعاً من التَّوازنِ الأسلوبيِّ، يكونُ له وَقْعٌ في الجرسِ المُوسيقيِّ الدّاخليِّ للقصيدةِ. والتَّكْرارُ وإنْ بَدَا ظاهرةً موسيقيةً، فهو أيضاً ظاهرةٌ معنويَّةٌ تُوحِي بأهميةِ الدِّلالة للشيءِ المُكَرَّرِ، وهو بهذا يُعِيْنُ كثيراً على فَهْمِ بَعْضِ مُعطياتِ القصيدةِ فَهْماً أعْمَقَ وأشْمَلَ وأوْضَحَ.

ونضربُ مثالَيْن من الصُّورِ الفنيَّةِ في قصيدةِ السَّيَّاب. أولاهما هي صورةُ المرأةِ - أو عَيْنَيْها في المَقْطَعِ الأول، والثَّانيةُ هي صورةُ الطِّفْل.

الصورةُ الأولى: مِن البِدَايةِ، يقولُ السَّيابُ: عَيْنَاكِ، بَدَلاً من عُيُونكَ، وذلك لِيُضْفِي من البدايةِ طابَعَ الواقع، لا الخَيَالَ، ويؤكِّدُ الواقعَ أكثرَ حينَ يجعلُ المُشَبَّهَ بِهِ أيضاً مُثَنَّى، عكسَ ما نتعارفُهُ من العَدِيدِ في الصّورِ التقليديَّةِ، فهو

يقولُ: إنَّ العينَيْنِ غابتَانِ للنَّخيلِ، فكُلُّ عينٍ غابةٌ على حِدَةٍ. وأكثرُ من هذا، يَضَـعُ لرؤيتِـهِ إطَاراً زمنيّاً هو وَقْتُ السَّحَرِ، حيثُ لا حَرَكَةَ ولا جَلَبَةَ، بَلْ هدوءٌ وسكونٌ تَبْحُرُ فيهما النَّفْسُ في صفاءٍ ونشوةٍ وإشراقٍ.

وبالمِثْلِ راحَ يضيفُ عناصرَ جديدةً في التَّشبيهِ التَّالي - وهو مُكَمِّلٌ للأولِ - في كَوْنِ العينَيْنِ شُرْفَتَيْنِ. مَرَّةً أخرى، نلاحِظُ أنَّ كُلَّ عين وَحْدَهَا شُرْفَةٌ مستقلَّةٌ - هكذا يقولُ تعبيرُ السَّيّابِ. إنَّهُ لا يكيلُ الوصفَ حسبما اتَّفقَ، ولكنَّه رَسَّامٌ بارِعٌ يُعْطِي كُلَّ منظَرٍ حَقَّهُ، وهو مُصَوِّرٌ ماهِرٌ يُضْفِي على كُلِّ لَقْطَةٍ الكثيرَ - من فَنِّهِ وخِبْرَتِهِ. الشُّرْفَتَانِ حينَ يَتَوارىَ عنهما ضَوْءُ القَمرِ تكونانِ هادئتَيْنِ وَادِعَتَيْنِ، تماماً كهاتَيْنِ العَيْنَيْنِ المُدَغْدَغَتَيْنِ الصَّافِيتَيْنِ.

العَيْنَـانِ هادِئَتَانِ وَادِعَتَانِ، كغابتَيْ نخيل وقْتَ السَّحَرِ، وهما كذلك شُرْفَتَانِ يتباعَدُ عنهما ضَوْءُ القَمَرِ. إنَّهُ تَشْبيهٌ بليغٌ تُرَاعَى فيه كُلُّ العَنَاصِرِ، بَلْ كُلُّ جُزئيَّةٍ على حِدَةٍ، فالغابَةُ وَقْتَ السَّحَرِ قد تُوْحِي بجمالٍ هامِسٍ لا تَتَحدَّدُ فيه الرُّؤيَةُ على نَحْـوٍ واضِـحٍ، والشُّـرْفَةُ التي حُرِمَت الضَّوْءَ تَبْدُو للرائِي وكأنَّ وَراءَهَا من الشُّخـوصِ والـظِّلالِ الشَّيءَ الكثيرَ. وإذَا كانَ هذا هو شَأْنُ الغـابَةِ أو الشُّرفَةِ الواحِدَةِ فإنَّ الغابتَيْنِ أو الشُّرْفَتَيْنِ تَبْدُوَانِ للرائي وقد تَوَزَّعَ انْتِبَاهُهُ بينهما فهو حائِرٌ في النَّـظَرِ إلى هذهِ مَرَّةً، وإلى تِلْكَ أُخْرَى، وهو متلذِّذٌ في الحالَيْنِ على حَدٍّ سواء، وهكذا عَيْنَا الحبيبةِ في رُؤَى السَّيابِ (إنسانَةً كانت تلك المرأةُ، أو طبيعةً حلوةً كالإنسانَةِ).

الشَّاعِرُ هنا أعطانا الصُّورةَ، ورَفَدَنا بانطباعِهِ عنها في آنٍ واحِدٍ. بل إنَّهُ منذُ اللَّحْظَةِ الأولى، قد أَشَاعَ جَوّاً من الهُدُوءِ والوَدَاعَةِ اللَّتَيْنِ يَرَاهُما في عَيْنَيْ هذهِ المرأةِ. وقد ساعدَ على إشاعةِ هذا الجَوِّ الدافيءِ، الحانِي، الوَدِيْعِ : ذلِكَ المدُّ بالألِفِ أو الياءِ في كُلِّ الكلماتِ تقريباً، إذا استثنينا نهايةَ البيتَيْنِ. اقرأْ ولاحِظْ.

عينـاكِ غابتَـا نخيـلٍ ساعـة السَّحَـر
أو شُرْفَتَانِ رَاح يَنْأَىَ عنهما القَمَر

بهذا المدِّ الطَّاغِي على كُلِّ الكلماتِ تقريباً، يُظَنُّ أنَّ البيتَيْنِ يَصْدُرَانِ عن جهازٍ تسجيلٍ بالسُّرعةِ البطيئةِ. كُلُّ ذلِكَ ليضاعِفَ من جَوِّ الهُدُوءِ في المنظَرِ من ناحيةٍ، بَلْ ويسجِّلُ هيامَهُ وانْدِمَاجَهُ بالمَشْهَدِ من ناحيةٍ ثانيةٍ. إنَّهُ يبدو كإنسانٍ ثَمِلٍ بحرارةِ الشَّوْقِ، فراحَ يُعَبِّرُ عَمَّا يَحُسُّهُ من نشوةٍ وطَرَبٍ، بلُغَةٍ بسيطةٍ هامِسَةٍ مُسْتَرْخِيَةٍ، وكأنَّهُ عائِدٌ مِنْ رِحْلَةٍ، ذاهِبٌ لنعَاسٍ.

قد نَسْتَـطْرِدُ للحـظةٍ، فنقـولُ إنَّ حروفَ المَـدِّ تَظَلُّ مُسَيْطِرَةً على القصيدةِ بأكملِهَـا، وكـأنَّها تَعْويضٌ أمينٌ عن الإيقاعِ السَّرِيْعِ لِكلمة «مَطَر» الّتي تأتي حُرُوفُهـا ذاتُ الحَرَكَاتِ القصيرةِ، لتحكِي تَتَابُعَ القَطَرَاتِ الهَاطِلَةِ، بَلْ وأكثر، يُصْبِحُ تَكْرَارُها دليلاً على هذا التَّتابُعِ، يُعِيْنُ عليه حَرْفُ الرّاء وما يَسْتَتْبِعُهُ نُطْقُهُ من تَرْدَادٍ مُتَلاحِقٍ.

وعَوْداً على بَدْءٍ، يَظَلُّ السَّيابُ ينمي في صورة العَيْنَيْنِ، حَتَّى تَتَّضِحَ أبعادُهما تماماً - هو لا يَسْمَحُ لنا أن نَرَى منهما إلّا ما يريدُ - ينتقلُ السَّيابُ من وَصْفِ العينَيْنِ - في حالتِهما السَّلبيَّة، بأنْ يكونَا محلَّ النَّظَرِ فَقَطْ، ومقصدَ المشاهَدَةِ، إلى حالتهمـا الإيجابية وهُمَا تَبْسُمان. وقد وَجدَ أنَّ الأثَرَ كبيرٌ، والفاعليةَ قويّةٌ، يُورقانِ الكَرْمَ، ويُرْقِصَانِ الأضْوَاءَ.

ولا يقنـعُ الشَّـاعِرُ الكبيرُ بمجرَّدِ الإشارةِ إلى حركةِ الرَّقصِ، ولكنَّه يَتَتَبَّعُها محاولاً تقريبَهَا إلينا بصورةٍ داخلَ الصُّورةِ، فهي حركةٌ تُشْبِهُ صورةَ القَمَرِ تَنْعَكِسُ على صَفْحَـةِ نَهْرٍ، وهذه الصُّورةُ تُؤَرْجِحُهَا حركةُ قاربٍ مِنْ قواربِ التَّجديفِ،

يَخْتَطُّ طريقَهُ في النَّهْرِ ساعةَ السَّحَرِ. لقد صَفَّقْنَا للشَّاعِرِ القديم الذي راحَ يَصِفُ الشَّمْسَ بأنَّها:

* كالمرآةِ في كَفِّ الأَشَــلِّ *

ولا نَعْلَمُ هنا، كم يتوقَّعُ السَّيابُ منا ونحن نَقِفُ مَشْدُوهِيْنَ أمام بَراعَتِهِ في وَصْفِ صُورةٍ تَهْتَزُّ على صفحةِ نَهْرٍ؟

كُلُّ ذلك والصُّورةُ لم تَكْتَمِلْ بَعْدُ، فحينَ يدقِّقُ في بَسْمَةِ العينَيْنِ ويَجِدُ فيهما لَمَعَاناً أو بَرِيقَاً أو لُغَةً إشارِيَّةً، فإِنَّهُ يتخيَّلُ النُّجومَ وكأنَّ النُّجومَ تنبضُ فيهما. وهنا يَكْمُلُ البناءُ الدائريُّ في المقطعِ الأولِ من القصيدةِ، فغابَتَا النَّخيلِ الوادِعَتَانِ ساعَةَ السَّحَرِ، أو الشُّرْفَتَانِ اللَّتانِ يَنْأَى عنهما القَمرَ، تَكْفِيهما انْبِثَاقَةُ كَوْكَبٍ، أو نَبْضُ نَجْمٍ بسيطٍ، ليفعلَ فيهما الأفاعيلَ.

وهكذا استطاعَ السَّيابُ أنْ يعطفَ آخِرَ الصُّورة على أُولها، في دائريَّةٍ عجيبةٍ. وقد لا حَظْنَا أنَّ كُلَّ عنصرٍ فيها له خُصُوصِيَّتُهُ، بَلْ إنَّ أجْزَاءَ العُنْصِرِ الواحدِ كانَتْ تتفاعَلُ هي الأُخرى على نَحْوٍ فيه تَمَيُّزٌ وبَرَاعَةٌ، كُلُّ ذلك لِتكملَ للصُّورةِ الفنيَّةِ الواحِدَةِ أبعادُها وجَوُّهَا النَّفْسِيُّ الخَاصُّ.

ولـو ذهبْنَـا نَسْتقصِي كُلَّ صورِ القصيدةِ، لوجَدْنَاهَا من هذا النَّوْعِ الخاصِّ المتميِّزِ، فهي ليستْ بحالٍ من نوع الصّورِ المِعْيَارِيَّةِ التي تأتي مِثَالِيَّةً، ونمطية تصلُحُ لِكُلِّ « المَقَاسَاتِ » إنْ جَازَ التَّعبيرُ.

إنَّ صورَ السَّياب صورٌ استقصائيَّةٌ، تتشكَّلُ بعنايةٍ، ودائماً تأتي متنامية بفَضْلِ ما يُضيفُـهُ الشَّاعرُ إليها من عناصِرَ أساسيةٍ، وكذلك فهي صورٌ مركَّبَةٌ، تحتوي الصُّورةُ الكُليَّةُ فيها صوراً أخرى قد نقولُ تَجَوُّزاً إنَّها صورٌ جُزْئيَّةٌ، بل إنَّ في دَاخلَ الجُزْءِ نَفْسِهِ عَنَاصِرَ لا يمكنَ الاستغناءُ عنها. ومعنَى هذا أنَّ صُوَرَ السَّياب أيضاً صورٌ تكامليَّةٌ. أَضِفْ إلى هذا أنها تَتَّسِمُ بالجِدَّةِ والطَّرافَةِ، ولهذا تَبْدُو دوماً نَدِيَّةً طازِجَةً ليْسَتْ تقليدِيَّةً ولا مُكَرَّرَةً.

ونعتقدُ أنّنا بهذه التَّصورات عن صور السّياب، لا نضيفُ جديداً لقامةِ هذا الشاعر العملاقِ، فقد كانَ مطبوعاً، ورائداً مُعْتَرَفاً به.

الصورةُ الأخرى هي صورةُ الطِّفْلِ، ونربطُهَا هذه المَرَّةَ بظروفٍ اجتماعيَّةٍ خارج النَّصِّ، فالطفلُ راحَ يَهْذِي قبلَ أنْ يَنَامَ، وقد افْتَقَدَ أُمَّهُ وراحَ يَجْتَرُّ ذِكْرَياتِهِ حين كانَ يَسْأَلُ عنها، وكانُوا يُطَمْئِنُونَهُ كَذِبَاً واخْتِلاقَاً وهو لا يَعْلَمُ - بأَنَّها «بَعْدَ غَدٍ تعود»:

بعـــدَ غـــدٍ تَعُـــودُ
لا بُـــدَّ أنْ تَعُـــودُ

ولكنَّها كانت قد لَبَّتْ نِداء رَبِّها مُنْذُ عامٍ.

الـصـورةُ هنـا حزينـةٌ، ويضـاعِفُ من إحساسِنَا بما فيها من حُزْنٍ، ما قالَهُ السَّيابُ نَفْسُه في مقدمته لديوانِهِ «أساطير»:

«فَقَدْتُ أُمِّي ومازِلْتُ طِفْلاً صغيراً، فَنَشَأْتُ مَحْرُوماً مِنْ عَطْفِ المَرْأَةِ وحَنَانِهَا» وقد يقالُ: وما الغريبُ في هذا؟ كُلَّ يومٍ يَفْقِدُ الآلافُ كِبَاراً وصِغَاراً أُمَّهاتِهِمْ، فَهَلْ تنقلبُ المَوَازِينُ؟

الواقعُ أنَّ النُّفوسَ أَصْنافٌ ليسَ فقط في مدى اسْتِجَابَتِهِم للحُزْنِ (أو حَتَّى الفَـرَحِ) بل أيضـاً في طريقـةِ الاستجـابـةِ والتَّـأَثُّـر، والاستمراريَّةِ أو السّلْوانِ والنِّسيانِ. والذي يقرأُ عن حياةِ السَّيَّاب، يُدْرِكُ أنَّ هذا الشاعِرَ قد ظَلَمَتْهُ الحياةُ بكُلِّ المَقَاييسِ، فَعَاشَ حَيَاتَهُ نهباً مُوَزَّعاً ما بينَ القَلَقِ والألَمِ، والمَرَضِ الذي شَلَّ جِسْمَهُ عن الحَرَكَةِ. ورَغْمَ هذا فقد ظَلَّ يُقاوِمُ حَتَّى الثُّمالَةِ، لم يَفْتُرْ، ولم يَهدَأْ، ولم يَكِلّ، على الأقلِّ في ناحيةِ الإبْدَاعِ الشِّعْرِيّ، وظَلَّ كذلِكَ حَتَّى آخرِ نَفَسٍ فيه.

من هنا نَرى أهميةَ ماقالَهُ السَّيابُ عن نَفْسِهِ، لأنَّه يُعِينُنَا كثيراً على فَهْمِ حَالَة السُّخطِ والتَّبَرُّمِ التي شَملتْهُ، وسيطرَتْ عليه طِوالَ حياتِه.

ولهـذا فقـد ظَلَّ محـرومـاً حَتَّى مِنْ أكثـرِ المَشَاعِرِ الإنسانيَّةِ تَبادُلاً بينَ النَّاسِ أجْمعِيْنَ. ومن هنا فقد عاشَ السَّيابُ وماتَ، وهو ضَحِيَّةُ ضروراتِ الحَياةِ الواقعيَّةِ التي لَمْ تَكُنْ لتـرحَمَهُ أَقَلَّ رَحْمَةٍ. فإذا صَوَّرَ لنا السَّيابُ هذا الطِفْلَ على ذلك النَّحوِ الحزينِ، فكأنما يُصَوِّرُ لنا نَفْسَهُ، سواءٌ صَرَّحَ بذلك أَمْ لَمْ يُصَرِّحْ.

وعلى أيِّ حالٍ، فإنَّ صور السَّيابِ تأتي أصيلةً متميِّزَةً، فيها جِدَّةٌ وطَرَافَةٌ، وتَنْجذِبُ عناصِرُها على نَحْوٍ مُتكامِلٍ، وهي من النَّوعِ المُركَّب، فيها اسْتِقْصَاءٌ وطَرَافَةٌ. لهذا كُلِّهِ، حُقَّ لها أنْ تَجْذِبَ الانتباهَ، وتِسْتَثِيرَ الوِجْدَانَ.

* * *

خامسًا : التدريبـــات :

(١)

أجب عَمَّا يأتي :

١ - لِمَاذا يُعَدُّ السيابُ رائدًا من رُوّادِ الشِّعْرِ الحديثِ ؟
٢ - هلِ تستطيعُ اكتشافَ نَفْسِيَّةِ السَّياب من خِلالِ قراءتِك للقصيدَةِ.
٣ - « أُنشودَةُ المَطَرِ » ، عنوانٌ مُعَبِّرٌ ، بَيِّنْ هذا بتفصيلٍ .
٤ - ماهو مَوْقِعُ المَطَرِ في القصيدةِ السَّابقةِ ؟
٥ - قراءةُ الصَّفْحَةِ الشِّعريةِ من أَهَمِّ قضايا النَّقْدِ الحديثِ. اشرحْ هذا.
٦ - تأتي صورُ السَّيابِ من النَّوْعِ المتميِّز، أعطِ مِثالاً على ذلك واشْرَحْهُ.
٧ - قَدْ نَقِفُ على جَوانبِ عبقريَّةِ شاعرٍ ما، إمَّا من خلالِ شِعْره، أو بالاسْتِرْشَادِ ببعضِ ظُروفِهِ الاجتمـاعِيَّةِ، أيُّ المَنْهَجَيْنِ أَجْدَى في نَظَرِكَ، في ضوءِ ماقَرأْتَهُ عن السَّياب.
٨ - اذكر أهمَّ خصائصِ الصُّورَةِ الفنيَّةِ لدى السَّيابِ، مع التَّدْلِيْلِ على ماتقول.

(٢)

١ - قال الشاعر :

كأنما تَنْبضُ في غَوْرَيْهما النَّجوم.

كأنَّ أقواسَ السَّحابِ تَشْرَبُ الغُيُوم.

أ - ماالفرق بين الجملتَيْن ؟

ب - لم اختصَّتْ (كأنَّ) بالجملة الاسمية، ولم تَخْتَصّ (كأنما) بها ؟

جـ - عَيِّن الجُمْلَة المنسوخَةَ منهما، ثم أعربها إعرابًا مفصَّلاً.

١ - قال الشاعر :

تَثَاءَبَ المَسَاءُ والغُيومُ ماتَزَالُ

تَسُحُّ ما تَسُحُّ مِنْ دُموعِهَا الثِقَالِ

هاتِ فعلاً ناسخًا، واذكُر اسْمَهُ وخبرَهُ، وَبَيِّنْ نوعَ الخَبر.

٣ - ضَعِ الحركةَ الإعرابيةَ المناسبةَ على آخرِ كُلِّ كلمةٍ تحتَهَا خَطٌّ فيما يلي، مع ذكر السَّبب :

فلم يجدها ، ثم حين لجَّ في السُّؤال.

قالوا له : « بعد غد تعود . »

لابُدَّ أَنْ تعـــود

وإنْ تَهَامَسَ الرِّفاق أنَّها هناك

وفي جانِبِ التَّلِّ تَنَامُ نَوْمَةَ اللَّحــود

تَسَفُّ مِنْ تُرابِهَا وتَشْرَبُ المطر

٤ - قال الشاعر : -

أَصِيْحُ بالخَلِيجِ : ياخَليج

ياواهب اللُّؤلوء والمَحَّارِ والرَّدَى

أ - ما اسمُ الأُسلوبِ في كُلٍّ مِمَّا تحتَهُ خَطٌّ ؟

ب - اضبِطْ بالشَّكْلِ (خليج) و (واهب) ، مُبَيِّناً سببَ الضَّبْطِ.

٥ - قال الشّاعِرُ :

وفي العِراقِ أَلْفُ أَفْعَى تَشْرَبُ الرَّحِيْق ؟

لم أنث الفعل (تَشْرَبُ) ؟ وهل يجوزُ له أن يقول : (يَشْرَبُ الرحيق) ؟ وما سببُ ذلك.

٦ - اقرأ القصيدةَ قراءةً جَيدةً، واستخرجْ كُلَّ مُثَنّى، ثم أعرِبْهُ.

الوحدة الخامسة والعشرون

أُغْنِيَــةٌ للخليــج

للشَّاعر الدُّكتور غازي القُصَيْبِيّ

أولاً : صاحب النص :

وُلِـدَ الـدُّكتـورُ غازي عبـدُ الرَّحمنِ القُصَيْبِيّ في الإِحْسَاءِ بالمملكةِ العربيَّةِ السّعوديَّةِ ثم انتقلَ مع عائلتِهِ إلى البَحْرَيْن، وهو في الخامسةِ من عُمُرِهِ، وفيها تَلَقَّى دراستَـهُ الابتدائيَّةَ والثَّانويَّةَ، لهذا عدَّتْهُ المَرَاجِعُ التي تَرْجَمَتْ لحياتِهِ مِنْ شُعَرَاءِ البَحْرَيْن لِنَشأَتِهِ وانْتِمَائِهِ، حَصَلَ على اللِّيسَانْس في الحُقوقِ من جامعةِ القَاهرةِ والماجستير في العَلاقاتِ الدَّوْلِيَّةِ من جامعةِ جَنُوبِ كاليفورنيا، والدُّكتوراه في العَـلاقات الدَّوْلِيَّة من جامعةِ لندن سنة (١٩٧٠ م.)، اشتغلَ بالتَّدريسِ الجـامعيِّ وتقلَّدَ بعضَ المَنَـاصِب في الجـامعـةِ وخَارِجِهَا، حَتَّى أَصْبَحَ وزيرًا للصِّنَاعَةِ والكَهْرَباءِ بالمملكةِ العربيَّةِ السعوديَّةِ فسَفِيْرًا.

له مجموعةُ دَوَاوينَ شِعْرِيَّةٍ منها : أَشْعَارٌ من جَزَائِرِ اللُّؤْلُؤ، قَطَرَاتٌ مِنْ ظَمَأ، أبياتُ غَزَلٍ، مَعْرَكَةٌ بلا رَايَةٍ، أنْتِ الرِّيَاضُ. وغَيْرُها.

يُعَدُّ القُصَيْبِيّ في مُقَدِّمَةِ شُعَرَاءِ الخَليجِ العَرَبِّي المُعَاصِرِيْنَ، وقد استطاعَ أَنْ يُعَبِّرَ بشِعْرِهِ عن التَّغَيُّرِ المُسْتَمِرِّ الذي حَلَّ بالمنطقةِ والحَنِيْنِ الدَّائِبِ لذلِكَ القديمِ الـذي يَحْيَا في وِجْدَانِهِ وشُعُورِهِ، وقد صَبَّ هذا كُلَّهُ بِشِعْرٍ نَجِدُ فيه الكثيرَ من شياتِ الرُّومانتيكية وقواعِدِهَا ؛ مِنْ لُغَةٍ سَهْلَةٍ تصويريَّةٍ، ودَعْوةٍ للعودَةِ إلى الطَّبيعةِ واحْتِضَانِهَا، وحَدِيثٍ دائِبٍ عن العَوَاطِفِ واضْطِرَامِهَا وتِبْيَانِ النَّزَعَاتِ الإنسانيَّةِ مِنْ حُبٍّ وكُرْهٍ وتَسَامُحٍ وحَسَدٍ، ولاعَجَبَ في هذا، فَهُوَ شَاهِدُ عَيَانٍ على ماحَدَثَ يُصَوِّرُ ما رآهُ بريَشَتِهِ، ويَسْتَمِدُّ مِدَادَهُ مِنْ قَلْبِهِ الحَسَّاسِ ورُوْحِهِ الرَّقِيقَةِ.

ثانيا : النص

١ - أَتَيْتُ أَرْقُبُ مِيْعَادِي مَعَ القَمَرِ ... يَاسَاحِرَ المَوْجِ والشُّطْآنِ والجُزُرِ
٢ - هَدِيَّتِي رَعْشَتَا شَوْقٍ .. وقَافِيَةٌ ... حَمَّلْتُهَا كُلَّ مَاعَانَيْتُ فِي سَفَرِي
٣ - أَتَيْتُ أَمْرَحُ فَوْقَ الرَّمْلِ .. أَنْبُشُهُ ... عَنْ ذِكْرَيَاتِي القُدَامَى .. عَنْ هَوَى صِغَرِي
٤ - عَنِ النُّجُومِ أَذَبْنَاهَا بِأَكْؤُسِنَا ... عَنِ اللَّيَالِي مَشَيْنَاهَا عَلَى الوَتَرِ
٥ - أَمُرُّ بِالشَّاطِئِ الغَافِي .. فَأُوقِظُهُ ... بِقُبْلَةٍ .. وأُنَادِيهِ إِلَى السَّمَرِ
٦ - أَقُولُ شَاعِرُكَ الوَلْهَانُ - تَذْكُرُهُ ؟ ... أَتَاكَ يَحْلُمُ بِالأَصْدَافِ والدُّرَرِ
٧ - مِنْ بَعْدِ أَنْ ذَرَعَ الدُّنْيَا فَمَا فَتَحَتْ ... لَهُ الشَّوَاطِئُ إِلَّا مَرْفَأَ الضَّجَرِ
٨ - وَلُحْتَ يَاأَزْرَقَ العَيْنَيْنِ .. فَانْطَلَقَتْ ... أَشْوَاقُهُ بِجُنُونِ البِيْدِ فِي المَطَرِ
٩ - خَلِيجُ ! مَاوَشْوَشَ المَحَّارُ فِي أُذُنِي ... إِلَّا سَمِعْتُكَ صَوْتًا دَافِئَ الخَدَرِ
١٠ - ولا تَرَنَّمَ مَلَّاحٌ بِأُغْنِيَةٍ ... إِلَّا وَضَجَّتْ أَغَانِي الغَوْصِ فِي السَّحَرِ
١١ - ولا رَأَيْتُ شِرَاعًا ضَمَّهُ أُفُقٌ ... إِلَّا ومَرَّتْ هَوَارِي الصَّيْدِ فِي فِكَرِي

. . . . . .

١٢ - خَلِيجُ ! مَرَّتْ عَلَيْنَا بِالنَّوَى سَنَةٌ ... فَهَاتِ حدِّثْ وسَلْ ماشِئْتَ مِنْ خَبَرِي
١٣ - رَكِبْتُ سَبْعِيْنَ بَحْرًا. جُبْتُ أَوْدِيَةً ... طَارَتْ بِيَ الرِّيْحُ مِنْ أَمْنٍ إِلَى خَطَرِ
١٤ - ضَحِكْتُ والحُبُّ يَرْعَانِي بِبَسْمَتِهِ ... ونُحْتُ والحُبُّ لَيْلُ صَاحِبُ الكَدَرِ
١٥ - عِشْتُ السَّعَادَةَ حُلْمًا لايُفَارِقُنِي ... وعِشْتُ أَعْنَفَ حُزْنٍ فِي دَمِ البَشَرِ
١٦ - حَتَّى أَتَيْتُكَ فامْسَحْ بالنَّسِيمِ عَلَى ... آهَاتِ جُرْحِي .. ورُشَّ المَوْجَ فِي شَرَرِي
١٧ - وصُبَّ فِي مَسْمَعِي الظَّمآنِ مَلْحَمَةً ... مِنْ عَالَمِ الظِّلِّ والأَلْوَانِ والصُّوَرِ
١٨ - عَنِ الشَّواطِئِ تُغْوِي الشَّمْسَ وَجْنَتُهَا ... فَتَرْتَمِي فِي أَصِيلٍ أَحْمَرِ الخَفَرِ

ثالثا : عَـرُوضُ النَّـصِّ :

لو قرأتَ أوَّلَ أبياتِ النَّصِّ بعنايةٍ وتأمُّلٍ وهو :

أَتَيْـتُ أَرْقُـبُ مِيْـعَادِي مَـعَ القَمَـرِ   ياسَـاحِرَ المَـوْجِ والشّـطْآنِ والجُـزُرِ

وجَدْتَ البيتَ في عَرُوضِهِ يَنْتَمِي إلى :

« البَحْـر البسـيط »

وتَفْعِيْلاتُ هذا البيت - كما عَرَفْتَهَا في أكثرَ مِنْ نَصٍّ سَابِقٍ - هي :

مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَعِلُنْ   مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَعِلُنْ

ولو حاولْتَ تقسيمَ هذا البَيْتِ، أو أيِّ بَيْتٍ آخَرَ، لَوَجدْتَهُ يَنْقِسَمُ إلى التَّفعيلاتِ أو الوَحدَاتِ العَرُوضِيَّة الآتية :

أتيـتُ أرْقـب ميعـادي مـع القمـر

//٥//٥	///٥	/٥/٥//٥	///٥
مُتَفْعِلُـن	فَعِلُـنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	فَعِلُـنْ
أَتَيْـتُ أَرْ	قُـبُ مِـيْ	عَـادِيْ مَـعَ الْـ	قَمَـرِي

ياسـاحر المـوج والشـطآن والجـزر

/٥/٥//٥	/٥//٥	/٥/٥//٥	///٥
مُسْتَفْعِلُنْ	فَاعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	فَعِلُنْ
ياسَاحِرَ الْـ	مَوْجِ وَالْشـ	شِـطْآنِ وَالْـ	جُـزُرِي

رابعًا : الشـــــرح والتعليــق :

العَوْدَةُ إلى الخَليج والغَوْصُ في حُضْنِهِ هُو مِفْتَاحُ قَصِيدَةِ القُصَيْبِيّ، الْتِمَاسُ الدِّفْءِ وطَلَبُ الأَمَانِ الَّذي لَنْ يَتَحَقَّقَ في موضع آخَرَ إلَّا فِيه، مَعَالِمُ بارِزَةٌ في القَصِيدَةِ، إنَّ الـرَّأْسَ المُتْعَبَ لَنْ يَجِـدَ رَاحَتَهُ إلَّا على صَدْرِهِ ، والقَلَقَ الَّذي يَفْتَرِسُهُ لَنْ يَزُولَ إلَّا حِيْنَ يَتَفَيَّأُ ظِلاَلَهُ ويَشُمُّ تُرَابَهُ ويَلْهُو بِمَحَّارِهِ. لقد ابْتَعَدَ الشَّاعِرُ، شَرَّقَ وغَرَّبَ، ولَقَدْ صَنَعَ شُعَراءُ كُثُرٌ مِنْ قَبْلِهِ صَنِيْعَهُ، ابْتَعَدُوا عَنِ الأَوْطَانِ، جَابُوا بِلاَداً كثيرةً ولكنَّهُمْ عادُوا، وفي أَثْنَاءِ غِيَابِهم كانُوا يَرْسُلونَ رَسَائِلَ هي قِطَعٌ من الشَّـوْقِ والحَنينِ المُسْتَدِيم ، لَقَدْ عَادَ الشَّاعِرُ إلى الخَليج ، فَهَلْ يَفْتَحُ ذِرَاعَيْهِ لِيَسْتَقْبِلَهُ ؟ وهَــلْ يَغْفِـرُ لَهُ غِيَابَـهُ وابْتِعَـادَهُ عَنْـهُ ؟ أرادَ . . . حَاوَلَ . . . . قَدَّمَ هَدَايَاه . . . شَوْقٌ عَارِمٌ وشِعْرٌ رَقِيْقٌ يَحْمِلُ كُلَّ ماقَاسَاهُ في غُرْبَتِهِ وابْتِعَادِهِ، بَدَأَ يَسْتَعِيْدُ الـذِّكْرَياتِ ومِنْ خِلاَلِ هذه الاسْتِعَادَةِ تَحَدَّثَ عن الأماكِنِ والشَّواطِيءِ والبَحْرِ والمَوْجِ ، هي مَلِيئَةٌ بالحَيَاةِ، مُفْعَمَةٌ بالوَجْدِ، أَلَمْ يَتَّصِلْ بهَا ويَلْتَصِقْ ؟ أَلَمْ تَكُنْ صِنْوَ نَفْسِهِ وشَقِيْقَةَ رُوحِهِ ومَحَطَّ آمالِهِ ؟ ! لَقَدْ كانَتْ وتَزِيْدُ. اسْتَحالَ التَّذَكُّرُ هنا إلى غَزَلٍ صافٍ يَبُثُّهُ الشَّاعِرُ لهذا الخَليجِ الذي أَرَّقَهُ في وَحْدَتِهِ وغُرْبَتِهِ، فَهُوَ وَلْهَانُ يَنْثُرُ قُبَلَهُ شَوْقَاً وحُبَّاً، والخَليجُ الأَزْرَقُ العَيْنَيْنِ يَتَقَبَّلُ هذا مِنْهُ، لِمْ يَنْسَ شَيئاً مِمَّا فَاتَ، هَلْ يَنْسَى المَحَّارَ وَوَشْوَشَتَهُ والمَلاَّحَ وأُغْنِيَتَهُ، والسَّفِيْنَةَ وشِرَاعَها، وهَلْ هُوْ قادِرٌ على النِّسْيَانِ حَتَّى لَوْ أَرادَهُ، لَقَدْ تَغَلْغَلَ الخَليجُ إلى رُوحِهِ ونَفْسِهِ، إنَّهُ الدَّمُ الَّذي يَجْري في عُرُوقِهِ، والهَوَاءُ الذي يَتَنَفَّسُ بِهِ، فَهَل يَسْتَطِيْعُ ؟

رَجعَ مَرَّةً أُخْرَى، شَكَا لِلخليج غُرْبَتَهُ، طَوَّفَ في الآفاقِ، مَخَرَ سَبْعِيْنَ بَحْرًا، نَزَلَ أَوْدِيَةً وَرأَى بِلاَداً ولكنَّهُ كانَ يَحْمِلُ الخَليجَ مَعَهُ، في صَدْرِهِ وعَيْنِهِ، وهَا هُوَ يَعُودُ، ولكِنْ كَيْفَ عَادَ ؟ أَلَمٌ وجُرُوحٌ وحُزْنٌ، كُلُّ هذا يَغْمُرُهُ، ومَنْ سِوَى الخَليجِ يُدَاوِي جُرْحَهُ ويطبُّ أَحْزَانَهُ، إنَّهُ الطَّبيبُ الآسي ، والحَانِي المُعَالجُ، أَلَيْسَ هُو الكبيرُ دَوْماً والمانحُ دَوْمًا، أَلَيْسَ هُوَ الأبُ رَمْزُ الحَيَاةِ والاسْتمرارِ، فلْيَغْفِرْ للشَّاعِرِ فِعْلَتَهُ ويَضُمَّهُ إلى صَدْرِهِ ويَمْسَحْ آهاتِهِ، وهُوْ جَدِيْرٌ بهذا قادِرٌ عليه.

خامساً : الأسلوبُ والصّورُ :

أ - مستويات القراءة في القصيدة :

مَهْمَا تَعَدَّدَتْ القِراءاتُ، فإنَّها ولا شَكَّ تَلْتَقِي حِوْلَ مِحْوَرٍ لانَزَاعَ عليه، هُو أَنَّ هذه القصيدةَ بكُلِّ مُسْتَوياتِ القراءةِ، دَفْقَةُ شَوْقٍ، ونَفْثَةُ حَنِينٍ عارمٍ مِنْ مُغْتَرِبٍ إلى وَطَنِه، الذي يَرَى فيه رَمْزَ الدِّفْءِ والأَمَانِ.

١ - على المْسْتَوىَ السَّطْحِيّ، نَرَى الشَّاعِرَ قَدْ رَاحَ يَجْتَرُّ ذِكْرَياتِهِ مَعَ الخَليجِ : مَصْدَرِ الخِصْبِ والنَّمَاءِ والحَيَاةِ لِوَطَنِهِ. ومنْ خلالِ الذِّكرياتِ، تَعَدَّدَتِ الأَصْواتُ، ولكِنْ من جانِبٍ واحِدٍ هو الشَّاعِرُ، وليس الخَلِيجَ. يَهمسُ الشَّاعِرُ إلى الخَليجِ مَرَّةً، ويُسَائِلُهُ أُخْرَى، ويَسْتَحِثُّهُ الحديثَ والحِوَارَ مَرَّةً ثَالِثَةً، ويَسْتَمِيْحُهُ العُذْرَ كَيْ يُسَرِّيَ عَنْهَ، وَيأْسُوَ ماحَاقَ بِهِ طَوْراً رَابعَاً - كُلُّ ذلك والخَليجُ صَامِتٌ، لايَرُدُّ ولايُعَاتِبُ ، في صَمْتِهِ وَقَارُ الشَّيْخِ الجَليلِ الذي لايُرِيْدُ مِنْ أبنائِهِ أنْ يُفَارِقُوهُ.

وَيَظَلُّ الشَّاعِرُ مُصِرّاً، يَلحُّ عليه كَيْ يَرقَّ أو يَلِيْنَ، ولكِنْ هَيْهَاتُ ؟ إنَّ دَعْوَى الشَّاعِرِ تَحْمِلُ في طَيَّاتِهَا إدَانَتَهُ، فكُلُّ أَوْقَاتِهِ الحُلْوَةِ قَضَاهَا على شَطِّ هذا الخَليجِ الحَانِي، وكُلُّ ما رَآهُ في غُرْبَتِهِ إنَّما كانَ رَعْشَةَ الشَّوْقِ تُذَكِّرهُ بِهِ. واليومَ عَادَ . . عَادَ ليزفَّ إليه أَحْلَى أُغْنِيَةٍ، وأجْمَلَ لَحْنٍ، ومَعَ ذلِكَ فالشَّفِيْعُ عَزِيْزٌ.

وتَبْدَأُ القصيدةُ وتَنْتَهِي، والشَّاعِرُ مايزالُ مُتَمسِّحَاً بشطْآنِ الخَليجِ وذِكْرَياتِهِ مَعَهُ : يَدْعُوهُ فلا يُجِيْبُ. وهكذا تَكُونُ القصيدةُ تَعْبيرًا عن شَوْقٍ مُبرحٍ، وحَنِيْنٍ جَارِفٍ، وذكرياتٍ غاليةٍ.

وبهـذا الفَهْمِ ، ومِنْ خِلَالِ ذلِك التَّصَوّرِ، يكونُ القارىءُ قَدْ أَمْسَكَ بخُيوطِ التَّجربةِ على مُسْتَوى البِنْيَةِ السَّطْحِيَّةِ، لا أكثرَ ولا أَقلّ.

٢ - أَمَّا على المُسْتَوَى الأَعْمَقِ، فالقصيدةُ دَفْقَةُ لَوْمٍ ، ونَفْثَةُ عِتَابٍ صَارِخٍ . إنَّهَا

لَوْمُ الوَطَنِ وعِتَابُهُ لِكُلِّ الطُّيورِ المُهَاجِرَة، أو قُلْ لهجْرَة الأَدْمِغَة، ومن هنا فإنَّ وَجْهَهَـا الآخَـرَ يَمْتَـدُّ ليشمـلَ كُلَّ مَنْ يَغْتَرِبُ عَنْ وَطَنِه، مَهْمَا كانَتْ الأسبابُ قَوِيَّةً، والدَّوافِعُ مُلِحَّةً.

الوَطَنُ هُوَ الدَّمُ يَسْرِي في شَرايين الفَرْدِ، وهُوَ الهَوَاءُ الَّذي يَتَنَفَّسُهُ، والَّذِي لاحياةَ لَهُ بدونِـهِ، فكيفَ يَجْرُؤُ إنْسَانٌ عَلَى قَطْعِ شَرَايِينِهِ، وكيفَ يَسْتَبِيحُ خَنْقَ نَفْسِهِ بِنَفْسِهِ ؟!

لهـذا كانَ الثَّمَنُ فَادِحَـاً، وكانَ العِقَابُ شديدًا، والمُحاسَبَةُ قَوِيَّةً، فالخَلِيجُ صامِتٌ، وليس الصَّمْتُ هنا دَلِيلَ السَّلبيةِ، ولكنَّهُ - على النَّقِيض تمامًا - صَمْتٌ أَلِيمٌ جَارِفٌ ومَـوَّارٌ، ويكفي بُرْهَانَاً على فاعليةِ هذا الصَّمْتِ أنَّ صاحِبَهُ لايقبلُ اسْتِرضَاءً، وتَتَرَاءَى المُسامَحَةُ لَدَيْه دَوْمًا عَصِيَّةً.

وبهذا المفهوم تأتي القِراءةُ بمُسْتَواهَا الثَّانِي تفسيرًا للتجربةِ وكَشْفَاً عنها في مستواها الأوَّل.

القِراءةُ الأُولَى عادَةً تأتي إجابةً للسُّؤال : مَاذَا قَدَّمَ لنا الشَّاعِرُ ؟
أَمَّا القِرَاءَةُ الثَّانيةُ فإنَّها تَتَّخِذُ من إجابةِ هذا السُّؤالِ مُنْطَلقًا لسُؤالٍ جديدٍ : لماذا قَدَّمَ لنا الشَّاعِرُ هذا بالذَّاتِ ؟

القِـراءتَـانِ لاتَتَعَـارَضَـانِ ولاتَتَنَـاقضَـانِ، إنَّهُمَا تَتَكَامَلاَنِ على نَحْوٍ يَسْتَبْطِنُ التَّجربةَ، وَيغُوصُ إلى أَغْوَارِهَا ليكْشِفَ عن لآلِئِهَا وصَدَفَاتِهَا.

وهكَـذا يَنْبَغِي أنْ تكونَ قراءةُ الأعمالِ الشِّعْريةِ أو الأدبيَّةِ بِوَجْهٍ عامٍّ. وهذا النَّوعُ من القراءَةِ - بمستَوياتِهِ المُتَعَدِّدَةِ - هو سبيلُنا إلى اسْتِجْلاءِ المَوْهَبَةِ الشِّعْرِيَّةِ لَدَى هذا الشَّـاعِرِ أو ذاك، لأنَّهُ كُلَّما تَعَدَّدَتْ مستوياتُ القِراءَةِ، دَلَّ هذا على خِصْبِ التَّجربةِ، وعُمْقِهَا، وحَيَوِيَّتِهَا.

ب - المُعْجَمُ الشِّعْرِيّ ودِلاَلَتُهُ :

لايقتصِرُ نَجَاحُ الشَّاعِرِ هنا عِنْدَ اختيارِهِ لمُعْجَم شِعْرِيّ يتناسَبُ وَجَوَّ القَصيدَةِ العَامّ، ولكنَّهُ يمتدُّ لِيُبينَ عَنْ بَرَاعَتِهِ في التَّشْكِيْلِ الهَنْدَسِيّ أيضاً.

فإذا كانَ الحـديثُ للخليجِ ، وعَنْ الخَليجِ ، فالمُعْجَمُ الشِّعْرِيُّ زَاخِرٌ بكلماتٍ تَتَّصِلُ به من قريبٍ، سواءٌ في تكوينِهِ أَوْ تَفَاعُلاتِهِ على حَدٍّ سَوَاءٍ، ولهذا تَبْرُزُ أمامَنَا أَلْفَاظُ : المَوْجِ / الشّطْآنِ / الجُزُرِ / الرَّمْلِ / الأَصْدَافِ / الدُّرَرِ / المَرْفَأ / المَحَّارِ / المَلاَّحِ / الغَوْصِ / الشِّرَاعِ / الصَّيْدِ / البَحْرِ.

إنَّ نَظْرَةً إلى هذا المُعْجَمِ الشِّعْرِيّ تُؤكِّدُ لَنَا - أَوْ تَكَادُ - أنَّ الشَّاعِرَ يُعَايِشُ تَجْرِبَتَهُ الفنيَّةَ بِصِدْقٍ، حَيْثُ يَحْشدُ كُلَّ الأدواتِ والأَساسِيَّاتِ التي من شَأْنِهَا أنْ تَسْتَحْضِرَ أَمَامَنَا صُورةَ الخليجِ، إنْ لَمْ نَقُلْ : إنها تعُيْنُنَا على تَكْوِينِ الخَليجِ الشِّعْرِيّ كمِرْآة يَنْعَكِسُ عليها خَلِيْجُ الوَاقِعِ.

لقد استطاعَتْ هذه الألفاظُ بما لها مِنْ إِيْحَاءاتٍ وظِلاَلٍ أَنْ تُشيْعَ في القصيدةِ جَوّاً من الأُلْفَةِ والأنْسِ والرَّهَافَةِ تَضَعُنَا وجهاً لوجْهٍ مَعَ الخليجِ ، نَتَسَمَّعُ وَشْوَشَاتِهِ، ونَتَضَوَّعُ أرِيْجَهُ.

نَظْلِمُ الشَّاعِرَ إذا قُلْنَا إنَّهُ أرادَ أنْ ينقلَ إلينا صورةَ الخليجِ ، لأنَّهُ في الواقعِ قد نَقَلَنَا نحنُ إلى الخليجِ ، وما هذه المفرداتُ جميعُها إلاَّ زَوَارِقُ تَبْحُرُ بِنَا إلى الخليجِ : تُعْطِينا الفُرصَةَ لأنْ نَسْتَمْتِعَ بِهِ ونَحْنُ فيهِ.

قَدْ يتعادَلُ العديدُ من الشُّعَراءِ في نَقْلِ الصورةِ إلينا، ولكنَّ القلائِلَ فَقَطْ هُمُ الَّذين يتميَّزُونَ باستلابِنا إلى ساحَةِ ما يَصِفُونَ، وغازِي القُصَيْبِيّ - في الحقيقة - واحِدٌ من هؤلاءِ.

أَمَّا عَنْ براعَةِ الشاعِرِ في تَشْكِيلِ كَلِمَاتِ مُعْجَمِهِ على هذا النَّحوِ الهَنْدَسِيِّ العَجيبِ، فتُظْهِرُهَا طريقةُ توظيفِهِ لـ « اللَّوازِمِ » التي تَجِيءُ لتُناسِبَ بدِقَّةٍ كُلَّ مفردةٍ من مفرداتِهِ المُعْجَمِيَّةِ. وعلى سبيل المثال:

المَرَحُ فوقَ الرِّمالِ على الشَّاطِىءِ = هو ظَرْفُ الذِّكرياتِ الَّذي يُلائمُهَا ويُعيْنُ عليها. (البيت الثَّالث) وإذا كانَ الشَّاطِىءُ غَافِيَاً، فإيْقَاظُهُ ومُنَادَاتُه لِيَصْحُوَ ويَسْمُرَ مَعَـهُ أمـرانِ مُتَـرَقَّبـانِ (البيت الخـامس). وفَتَحَاتُ الشَّواطِىء لَنْ تكونَ سِوى المَـرَافِىء (البيت السـابـع). وإذَا كانَ الحديثُ عن المَحَّار، فلابُدَّ من ذِكْرِ الوَشْوَشَاتِ، بَلْ وأكثر، إنَّهَا في الأُذُنِ، لأنَّ المَحَّارَ لا يُسْمَعُ إلاّ قريباً من الأُذُنِ (البيت التاسع).

وهذا مَعْنَاه أنَّ الشَّاعِرَ قد أقامَ الجسورَ الملائمةَ، وأَوْجَدَ العَلاقاتِ المناسبةَ بين الكلماتِ، وهذا ما يجعلُ القصيدةَ تَبْدُو على هذا النَّحْوِ الهندسيِّ البديعِ.

جـ - تَلَوّنُ الإيقاع :

لقـد اسْتَفادَ الشِّعْرُ الحديثُ بدرجاتٍ مُتَفاوتَةٍ من مُعْطَيَاتِ الأشْكَالِ الأدبيَّةِ الأُخْرَى كالقِصَّةِ والمَسْرَحِيَّةِ، نشيرُ هنا إلى ظاهِرَتَيْن، هُمَا الحِوارُ والسَّرْدُ، وكيف يَجِيءُ كُلٌّ منهما لِيُعَبِّرَ عَنْ مَشَاهِدَ بعَيْنِها، بَلْ إنَّهُ في داخِلِ الحِوَارِ أو السَّرْدِ قد نستطيعُ أنْ نتميَّزَ عَدَدَاً من المَسْلَكِيَّاتِ الأدبيةِ المتميِّزَة.

في قصيدَةِ القُصَيْبِيّ هذه يَتَلَوَّنُ الإيْقَاعُ حسبَ المَوْقفِ. ففي البدايةِ، وحيثُ يعرضُ علينا الشَّاعِرُ زيارةَ العَوْدَةِ للخليج ، تَجِيءُ التَّراكِيبُ لِتَتَنَوَّعَ ما بَيْنَ الخَبَرِ والإنشاءِ (ويحدُثُ التنوعُ أيضاً داخِلَ كُلِّ قِسْمٍ منها):

فالنِّـدَاءُ مَرَّةً باللَّقَبِ (ياسَـاحِـرَ المَـوْجِ والشُّـطْآنِ والجُزُرِا) ومَرَّةً بالاسْمِ (خليجُ! خليجُ!)

وكذلِكَ سُؤالُهُ عَمَّا إذَا كانَ مايزَالُ يتذكَّرُ شاعِرَهُ الوَلْهَانَ - كُلُّ ذلك قَدْ جاءَ في صيغةِ حِوَارٍ، ولأنَّهُ حِوَارٌ فقد كان غيرَ مُنْضَبطٍ ، ولهذا جاءَتْ الجُمَلُ لِتَتَناوَبَ ما بَيْنَ الفعليةِ والاسميَّةِ، وبالمِثْلِ ، جاءَتْ الأساليبُ لِتَتوزَّعَ بَيْنَ الخَبَرِ والإنْشَاءِ.

حَتَّى الأفعالُ هي الأُخْرَى لم تَلْزَمْ وتيرةً واحِدَةً أو نَسَقَاً مُطَّرَداً، إذْ وَرَدَتْ وهِي تَتَأَرْجَحُ بينَ الماضِي والمُضارِعِ.

وهكذا الحَالُ بالنِّسْبَة لِلأسْلُوب كَكُلٍّ، حيثُ جاءَ مُوَزَّعاً بين الإثباتِ والنَّفْي. كُلّ ذلِكَ نَجِدُهُ مفروضاً على القصيدَةِ بوضوحٍ في جُزْئِهَا الأول، وحَتَّى قولِهِ في البيتِ الثَّانِي عَشَرَ:

خَليجُ مَرَّتْ علينا بالنَّوَى سَنَةٌ   فَهاتِ حَدِّثْ وسَلْ ما شِئْتَ مِنْ خَبَرِي

فإذا ما انتقلَ الشَّاعرُ إلى الخُلُوِّ بنفسِهِ، وسَرْدِ ذِكْرياتِهِ، فإنَّ الإِيْقَاعَ يأتي ليلزمَ شَكْلَ السَّرْدِ، لا الحِوَارِ.

وهنا تَتَزاحَمُ الأفعالُ ذاتُ النَّسَقِ الواحِدِ، وتَتَوالَى مُتلاحِقَةً. رَكِبْتُ سبعين بَحْراً، جُبْتُ أودية، طَارَتْ بي الريحُ من أمنٍ إلى خَطَرٍ، ضَحِكْتُ والحُبُّ يَرْعَانِي.

عِشْتُ السَّعَادةَ .... وعِشْتُ أَعْنَفَ حُزْنٍ.....

إنْ كانَ لهذا من دلالَةٍ، فهو أَنَّ كُلاًّ من الحِوَارِ والسَّرْدِ، قَدْ وُظِّفَ توظيفاً واعياً إلى أبْعَدِ حَدٍّ مُمْكِنٍ. وكانَ كُلٌّ مِنْهُمَا مُلائِماً لموقفٍ خَاصٍّ، وسِيَاقٍ مُعَيِّنٍ.

وهذا النَّوْعُ من تَلْوِينِ الأُسْلوب، بَلْ واختلافِ رَنَّةِ الإِيْقَاعِ ودَرَجَتِهِ، إلى جانب اسْتِيفاءِ كُلِّ تركيبٍ غَرَضَهُ - كِلُّ ذلِكَ يَدْفَعُ المَلَلَ عن السَّامعِ والمتلقِّي، ويُخَفِّفُ من حِدَّةِ النَّغَمِ الرَّتيبِ المَكْرُورِ.

أَضِفْ إلى هذا أَنَّ نهايَةَ القصيدةِ قَدْ جاءَتْ طبيعيَّةً جِدًّاً لِتَتَراسَلَ مَعَ البدايةِ، إذْ إِنَّهُ بَعْدَ النِّدَاءِ، والاستفهامِ في مُفْتَتَحِ القصيدةِ، تَجِيءُ الخَاتمةُ طبيعيَّةً بالأمرِ الاسْتِعْطَافِيِّ للخليج بأنْ يمسحَ جُرْحَ الشَّاعِرِ، وأنْ يَصُبَّ مَلْحَمَتَهُ نَغَماً « زُلالاً » في مَسْمَعِهِ العَطْشَانِ.

سادساً: التدريبات:

أجب عن الأسئلة التالية:-

(١)

١ - قَدْ يكونَ الحنينُ إلى الوطنِ من جانب المُغْتَرِب أمراً وارداً بطريقةٍ عاديَّةٍ، ولكنَّ غازي القُصيبي في قصيدَتِـهِ «أُغنيةٌ للخليج» قَدْ خَلَعَ نَوْعـاً من الخُصوصيّة على هذا الحنين.

أَبْرِزْ هذه الخُصوصيَّةَ، مسترشداً بالعبارات المناسبَةِ من القصيدَةِ.

٢ - تَتَبَّـعُ القصيدةُ خَطّاً دائرياً يعطفُ «النهايةَ» على «البِدَايةِ» وَضِّحْ ذلِكَ مُحاولاً الكَشْفَ عن العَلاقَةِ بين البَدْءِ والخِتَامِ في القصيدةِ.

٣ - قد تَتَكَامَلُ «قِرَاءَاتُ» الشِّعْرِ على نَحْوٍ أو آخَرَ. إلى أيِّ مَدَى تَصْدُقُ هذه المقولَةُ مِنْ واقِعِ فَهْمِكَ لقصيدةِ القُصَيْبِيّ؟

٤ - القُصَيْبِيّ وضَعَنَا وجهاً لوجهٍ أمامَ الخليج، نَتَضَوَّعُ أَرِيجَهُ، ونَتَسَمَّعُ وَشْوَشَاتِهِ.

اشرح كيف جاءَ ذلكِ، في ضَوْءِ ما تَعْرِفُهُ عن المُعْجَمِ الشِّعْرِيّ في هذه القصيدة.

٥ - أَعْطِ بَعْضَ النَّمــاذجِ لأسلوبيْ السَّـرْدِ والحِـوَارِ في قصيدةِ القُصَيْبِيّ، مُحاولاً - ما أمْكَنَ - رَبْطَ كُلٍّ منهما بالمَوْقِفِ.

٦ - هل تُحِسُّ فَرْقاً بينَ تَعْبيرِ «شَاعِرُكَ الوَلْهَانُ»، «والشَّاعِرُ الوَالِهُ»

٧ - تعبيرُ «رشّ المَوْجَ في شَرَرى» قد يثيرُ مناقشةً أدبيةً، فيما يتعلَّقُ باستحسانِهِ أو اسْتِهْجَانِهِ. اذكُرْ رَأْيَكَ وعَلِّلْهُ.

(٢)

١ - يقول الشّاعِرُ الفلسطينيّ عبدُ الكريمِ الكرميُّ :

هــل دَرَى الغَائِبــونَ مــاذا لَقِيْنَــا مِــنْ عــذابٍ بَعْـدَ النَّـــوَى وسُهَـادِ
كُـلُّ مَـنْ غـابَ عَـنْ ثَرَى الوَطَـن الـ غَـالِـي مُقِيْـمٌ في مُقْلَةٍ أَوْ فُؤَادِ

ويقول القُصَيْبي هنا:

عِشْتُ السَّعَادَةَ حُلْمَاً لا يُفَارِقُنِي وعِشْتُ أَعْنَـفَ حُـزْنٍ فـي دَمِ البَشَـرِ

كِلَا الشـاعـرَيْن يُسَجِّـلُ المعـاناةَ في البُعْدِ عن الوَطَنِ، ولكن لِكُلٍّ طريقَتُهُ وأسلوبُهُ. قارنْ بينَهُمَا واذكُرْ أيَّهُمَا أَجادَ، مَعَ تَبْرِيرِ رَأْيِكَ.

٢ - يقولُ القُصَيبي مخاطباً الخليجَ :

خليجُ! مـا وَشْـوَشَ المَحَّارُ في أُذُني إلّا سَمِعْتُــكَ صَوْتــاً دَافِــيءَ الخِـدَرِ
ولا تَرَنَّـــمَ مَـــلَّاحٌ بأغنيـــةٍ إلّا وضَجَّتْ أَغَانِي الغَوْصِ في السَّحَرِ
ولا رَأيــتُ شِــرَاعاً ضَمَّـهُ أُفُــقٌ إلّا وَمـرَّتْ هَـوارِي الصَّيْـدِ في فِكَرِي

ومن قبلُ، وقَفَ الشّاعِرُ أحمدُ شَوْقي ليخاطبَ نَهْرَ النِّيْلِ قائلاً :

والمــاءَ تَسْكُبُــهُ فَيَسْبُـكَ عَسْجَــدَاً والأَرْضَ تُغْرِقُهَــا فَيَحْيَــا المُغْـرَقُ
تُعْيِــي مَنَابِعُــكَ العُقَــولَ وَيَسْتَــوي مُتَخَبِّــطٌ في عِلْمِهَـــا ومُحَقِّـــقُ
أَخْلَقْـــتَ رَاوُوقَ الدُّهـورِ ولَمْ تَـزَلْ بِكَ حمــأةٌ كالمِسْــكِ لا تَتَــرَوَّقُ
أصــلُ الحَضَـارَةِ في صَعِيـدِكَ ثَابِـتٌ ونَبَاتُهَـــا حَسَــنٌ عليــكَ مُخَلَّــقُ

قارِنْ بينَ الشّاعرَيْنِ فيما يتعلقُ بالفكرةِ العامّةِ، طريقَةِ التّناولِ، والأسلوبِ الشِّعْرِيِّ.

(٣)

الأبياتُ التالية تتحدَّثُ عن الحنين. اشرحْ كُلًّا منهـا ، مع الإشَارَةِ إلى مواطِنِ الجَوْدَةِ ومَوَاطِنِ الرَّدَاءة (إنْ وُجِدَتْ):

١ - حَنِيـنٌ إلى الأوْطَـانِ ليسَ يَـزُولُ	وقَلْـبٌ عن الأَشْـواقِ لَيْـسَ يَحُـولُ
٢ - لَــوْ كانَ للصَّـــبِّ ما تَمَنَّــى	لَطَــارَ شَوْقَــاً بِــلا جَنَــاحِ
٣ - وَدِّعْ هَرَيرَةَ إنَّ الرَّكْبَ مُرْتَحِلُ	وهَـلْ تُطِيْـقُ وَدَاعَــاً أيُّهـا الرَّجُــلُ؟!
٤ - لَمَّا تَبينتُ أنْ قَـدْ حِيْـلَ دُونَهُـم	ظَلَّــتْ عَسَاكِـرُ مِثْـلُ المَـوْتِ تَغْشَانَـا
٥ - حَيِّ المَنــازِلَ إذْ لا نَبْتَغِـي بَدَلاً	بالــدَّارِ دَاراً وبالجِيْـرَانِ جيرانَــا
٦ - ومَعِــي أيْنَمـا سلَكْتُ كأنِّــي	كُــلُّ وَجْــهٍ لَــهُ بِوَجْهِــي كَفِيْــلُ

(٤)

١ - قال الشَّاعِرُ:

هَدِيَّتِي رَعْشَتَــا شَــوْقٍ .... * ....

أ - ما نَــــوعُ هَـــذِهِ الجُمْلَـــةِ؟

ب - أعربها إعراباً مُفَصَّــــلاً.

جـ - أدْخِلْ عليها فِعْلاً ناسِخاً مَرَّةً، وَحَرْفًا نَاسِخًا أخرى، وغَيِّر فيها ما يلْزَمُ تَغْييرُهُ.

* * *

٢ - قال الشاعر:

أتيتُ أرقُبُ مِيْعَادِي مَعَ القَمَرِ * ....

قوله: « أرقُبُ مِيْعَادِي » جملةٌ فعليةٌ جاءتْ في موضِعِ الحَالِ ، وَقَدْ تَكَرَّرَ مثل ذلك في القصيدة. استخرجْ المواضِعَ التي جاءَتْ الجملةُ الفِعليةُ في موضِعِ الحَالِ ، وبيِّنْ مَحَلَّهَا مِنَ الإعْرابِ.

* * *

٣ - هاتِ من القصيدةِ جُمْلَةً اسميَّةً وقَعَتْ في موضِعِ الحَالِ.

* * *

قال الشاعر:

خليجُ، ماوَشْوَشَ المَحَّارُ في أُذُني * إلاّ سَمِعْتُكَ صَوْتاً دافيء الخدر

أ - أَعْرِبْ ما تحته خَطٌّ.

ب - اضبطْ بالشَّكْلِ قولَهُ: «دافيء الخدر»، وبيِّنْ سَبَبَ الضَّبْطِ.

* * *

٥ - قال الشَّاعِرُ:

عِشْتُ السَّعَادَة حُلمَاً لا يُفَارِقُنِّـي * . . . .

أ - ما موضوع الجملة الفعلية «لا يُفَارِقُني» من الإعراب؟

ب - اذكُـرْ الفَرْقَ مع التعليل بين موضِع الجُملَةِ الفِعْليَّةِ «لا يُفَارِقُني» وبيْنَ موضِعِ الجُمْلَةِ الفعليَّةِ: «أَرْقُبُ مِيْعَادِي» في قوله: «أَتَيْتُ أَرْقُبُ ميعادي».

(٥)

- قال الشاعر:

«فَهَاتِ حَدِّثْ وسَلْ ماشِئْتَ مِنْ خَبَري»

أ - ما نوعُ الأفْعَالِ: هَـاتِ، حَـدِّثْ، سَـلْ؟

ب - أرجع الفعل (سَلْ) إلى أصلِهِ الثُّلاثِيّ في الماضِي، واذكُرْ ما حَدَثَ فيه مِنَ تَغْيِيرٍ عِنْدَ بِنَائِهِ للأمْـرِ.

٧ - وَرِدَتْ في القصيدةِ الأفعالُ التَّاليةُ: طارَ - ناحَ - عاشَ - وهي أفعالٌ معتلَّةُ العَيْنِ. سَمِّ هذا النَّـوْعَ من الأفعالِ، ثُمَّ صَرِّفْ كُلًّا منها إلى المُضَارِعِ والأَمْـرِ واسْمِ الفَـاعِـلِ واسْمِ المَفْعُـولِ. وأَسْنِـدْهَـا إلى ضَمائِرِ الرَّفْعِ المُتَحَرِّكَةِ، واذْكُرْ ما يَحْدُثُ فيها مِنْ تَغْيِيرٍ.

٨ - وردتْ في القصيدةِ الأفعالُ: ضَجَّ، مَرَّ، صَبَّ. سَمِّ هذا النَّوعَ من الأفعالِ، ثُمَّ أَسْنِدْ كُلًّا منها إلى ضَمَائِرِ الرَّفْعِ المُتَحَرِّكَةِ مَرَّةً، وإلى ضمائِرِ الرَّفعِ السَّاكِنَةِ، واذكُرْ ما يَحْدُثُ فيها مِنْ تَغْيِيرٍ عِنْدَ الإِسْنَادِ.

محتويات الكتاب

تابع محتويات الكتاب

دار الغرير للطباعة والنشر
دبي . ا . ع . م